

شرح العرشية

شيخ المتألهين

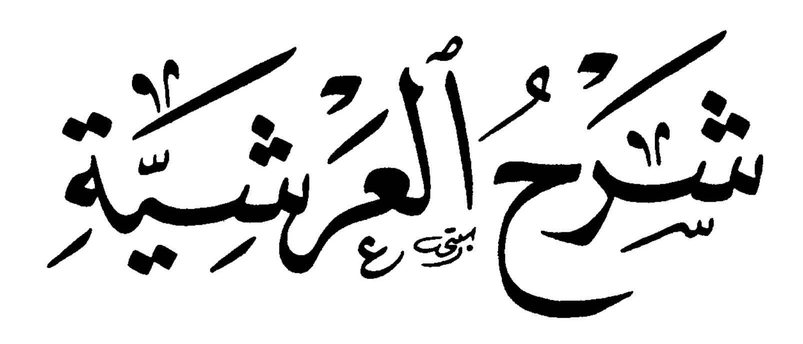
الشيخ أحمد بن زين الدين الأوحد الأحسائي

الجزء الثالث

تحقيق

صالح أحمد الدباب


شرح العرشية



شيخ المتألهين

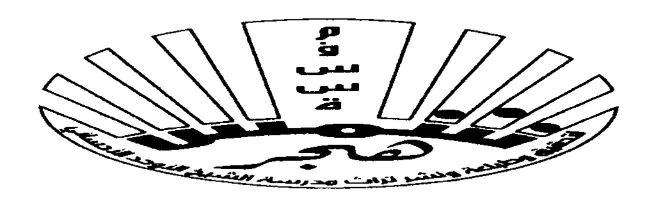
أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

الجزء الثالث

تحقيق

صالح أحمد الدباب

الطبعة الأولى 1426هـ 2005م



هويَّة الكتاب

اسم الكتاب :.. شرح العرشية .

اسم المؤلف :..................... الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

اسم المحقق :.. صالح أحمد الدَّباب .

اسم الناشر : .... مؤسسة شمس هجر .

مكان الطباعة :.. بيروت لبنان .

بريد المحقق على شبكة الإنترنت

Saleh335@naseej.com

عرشية

... تم الجزء الثاني من شرح العرشية وهذا ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين. وبعد ... هذا الجزء الثالث من شرح العرشية لصدر الدين الشيرازي الشهير بملا صدرا قال — قاعدة في النفختين قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ...

صورة الصفحة الأولى من الجزء الثالث من المخطوطة

٣٤٨

عرشية

صورة الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطّاهرين .

وبعد؛ قال العبد المسكين، أحمد بن زين الدّين الأحسائي، هذا الجزء الثالث من شرح العرشية، لصدر الدّين الشيرازي، الشهير بـ«ملّا صدرا»[1] .

[القاعدة الثالثة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في : النفختين]

قال : «قاعدة في النّفختين، قال الله تعالى : **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ...﴾**[2]، واعلم أن النفخة نفختان؛ نفخة تطفئ النار، ونفخة تشعلها، والصوْر -بسكون الواو- وقرأ بفتحها أيضاً، جمع الصّورة، ولما سئل النبي ﷺ عن الصور ما هو فقال : **(هو قرن من نور، التقمه إسرافيل)**[3]، فوصف بالسّعة والضّيق .

واختلف في أن أعلاه أوسع، وأسفله أضيق، أو بالعكس، ولكلّ منهما وجه، فإذا هيأت الصور كانت فتيلة استعدادها، كالفحم للاشتعال بالنار الّتي كمنت فيها، فتبرز بالنّفخ .

والصور البرزخيّة مشتعلة بالأرواح الّتي فيها، فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرّ بها فتطفئها، وتمرّ النفخة الّتي يليها، وهي الثانية على تلك الصور المستعدة

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٣٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٣) تفسير الصافي، ج٢، ص١٣٠، في تفسير معنى الآية : ٧٣ من سورة الأنعام .

لأرواحها، كالسّراج للاشتعال، بل الاستينار، ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۞ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[1]، فتقوم تلك الصور أحياء ناطقة، فمن ناطق الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، ومن ناطق يقول : ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾[2] وكل ينطق بحسب عمله وحاله»[3] .

[نفخة الصعق ونفخة الفزع وعلة اختلافهما]

أقول : قوله : «واعلم أنّ النفخة نفختان؛ نفخة تطفئ النار، ونفخة تشعلها»، في الجملة وعلى الظاهر صحيح .

وأما على التحقيق فهو كلام من لا يتصور ذلك، فإن النفختين مختلفتان في الإنبعاث، وذلك لأن نفخة الصعق نفخة جذب، بأن يجذب النفَس -بفتح الفاء- إلى الجوف، وإسرافيل عليه السلام ينفخ في نفخة الصّعق؛ وهي النفخة الأولى نفخة جذب، فتنجذب الأرواح إلى الصور، وتدخل كل روح في ثقبتها، وتتفكّك أركانها، وتبطل تركيبها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي، في وصف النفس الحيوانية[4] .

ونفخة الفزع والبعث نفخة دفع؛ بأن يدفع النفس من الجوف إلى الفضاء، فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام نفخة الدفع؛ وهي النفخة الثانية، فتمر الحقيقة الأولى التي هي حقيقة العبد من ربه، وهي النور والفؤاد، والوجود الذي هو المادة على العقل في خزانته، وهو نائم تحت ظل الشجرة البيضاء، فيتعلق بها، ثم على النفس وهي نائمة تحت ظل الشجرة الخضراء، فتتعلق بها، ثم على الطبيعة وهي نائمة تحت قبة الياقوت، فتتعلق بها، ثمّ على الهباء الجوهري وهو نائم في هواء الجعل،

---

(١) سورة الزمر، الآيتان : ٦٨-٦٩ .

(٢) سورة يس، الآية : ٥٢ .

(٣) كتاب العرشية، ص٦٧ .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٣٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

فيتعلق بها، ثمّ على الصّورة في الأظلة الشبحيّة، فتتعلق بها، فتنــزل بما تعلّق بها إلى طينة الشخص المستديرة في قبره، وهي مادة جسده الذي كان في الدنيا، المصوّرة بمقتضى صور أعماله، فتلبسها ثمّ ينشق التّراب من قــبره، **﴿فَــإِذَا هُــم قِيَــامٌ يَنظُرُونَ﴾**[١] .

وأقول : ويحتمل أن يكون مراد من قال في تمثيله، أن النفخة نفختان؛ نفخة تُطفئ النّار، ونفخة تشعلها، هو ما ذكرنا، وإن كان بعيداً، لأن قوْله : «تطفــئ النار»، وقوله : «فينفخ إسرافيل نفخة واحدة، فتمرّ عليها فَتُطفئها»؛ يشعر بفناءِ الأرواح وليس كذلك، وإنما الأجساد والأرواح باقية، نعم هي متفكّكة الأجزاء والأعضاء بين النفختين، مدة أربعمائة سنة، وفيها تبطل حركتها وتركيبها، فإذا نفخ الثانية تركبت وحييت .

[الصور مكانه وأعلاه وأسفله]

وقوله : «والصوْر -بسكون الواو- وقُرأ بفتحها أيضاً- جمع الصــورة»، فالمراد بالصوْر -بسكون الواو- قلب الإنسان الكبير، وهو المنفــوخ بــه؛ لأن النفخة تقع أوّلاً فيه، ولذا قيل : نفخ في الصور، وتخرج منه على الأرواح .

و-بفتح الواو- جمع الصّورة؛ وهو المنفوخ فيه أَولَه، ولّما سُئِل النبي صلى الله عليه وآله عن الصور ما هو؟ .

فقال : (**هو قرن من نور، التقمه إسرافيل**)[٢]، ولّما قام الدليل كما مرّ عن الرضا عليه السلام : (**قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هُناك لا يكون إلّا بما هيهنا، ...إلخ**)[٣]، وكذا عن أبائه عليهم السلام .

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧) في هذا الكتاب .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٥٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وثبت أن الصورْ -بسكون الواو- قلب الإنسان الكبير، دلّ على أَنَّ هيئته كهيئة قلب الإنسان الصغير؛ لأنّه في كلّ شيء مثله، فيكون هيئة الصور كالجسم الصنوبري الذي في صدر الإنسان هكذا[1] .

قال : فوصف بالسعة والضيق، نعم كما مثّلنا .

[اختلاف الأقوال في الصور]

وقوله : «واختلف في أن أعلاه أوسع، وأسفله أضيق، أو بالعكس، ولكل منهما وجه» .

وأقول : أما ذكر مجرّد الأعلى والأسفل فله وجه بالاعتبار، وبعد إرادة الأعلى مثلاً بالمختوم كما ترى، فهو أوسع باطناً، وأضيق ظاهراً؛ لأنّه آخر القلب وخزانته .

وأمّا الثقبان فهما الأُذُنان؛ أي : أُذُنا القلب اليمنى إلى جهة أهل السماوات، وأهل الحجب .

واليسرى إلى جهة أهل الأرض، ويبتدئ خروج الصوت في نفخة الجذب من الأيسر الذي يلي الأرض، لأنّه في النّفخة الأولى قبل الدنيا في نفخة البدء، كما أن العليا قبل السفلى، لأن نفخة الجذب في العَود، فتكون بعكس الترتيب في ذلك، فافهم .

وكذلك في النفخة الثانية نفخة البعث، الابتداء بالعليا قبل السّفلى؛ لأنها وإن كانت من العَود إلّا أنّها بالنسبة إلى نفخة الصعق كالبَدْء .

وقوله : «فإذا هَيّأت الصُّوَرُ كانت فتيلة، استعدادها كالفحم للاشتعال بالنار الّتي كمنت فيها»؛ يريد به أنّ الصور التي هي المعادة، مستعدّة للحياة كاستعداد السنبلة للحبّة الكامنة فيها، وكاستعداد الفحم للاشتعال بما كمن فيه من النّار عند

---

(١) [شكل]

النفخ عليها، فإن النار المشتعلة في الفحم، إذا مرّ بها النفخ طفئها، وإذا كان في الفحم نار غير مشتعلة فمرّ بها النفخ اشتعل .

ومن التمثيل يستفاد أنّه يرى أن الرّوح كامنة في الصورة، ويدلّ عليه قوله : «والصور البرزخيّة مشتعلة بالأرواح الّتي فيها»، فيلزمه أن جعل الصورة في قبره أن تكون إمّا أنها قائمة بمادّة أو لا، فإن كانت قائمة بمادة، فإمّا أن تكون هي مادتها في الدنيا، كما نقوله .

ويلزمه خلاف قوله أو غيرها، ويلزم خلاف ما دلّ عليه الكتاب والسنّة .

وإن كانت قائمة بغير مادّة خلاف المعقول، لأنّ الصورة عرض لا يقوم بدون معروضٍ، وإن كانت ليست في قبره، فإمّا أن تكون قائمة بروحها، كما هو ظاهر قوله : «التي كمنت فيها» .

[كيفية إماتة جميع ما سوى الله تعالى وإحيائهم مرة أخرى]

وقوله : «والصور البرزخية مشتَعلة بالأرواح التي فيها»، ويلزمه خلو الأرض منهم أصلاً، وهو خلاف الكتاب والسنة، أو بغير روحها، وهو خلاف المعقول، فلا يصح شيء من قوله؛ إذ لا يخرج عن هذه الاحتمالات .

فإن قلت : فإذا أبطلت جميع الشقوق، فما قولك الذي يصحّحه في كيفيّة الإحياء؟ .

قلت : ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال سأل سائل عن النفختين كم بينهما؟ .

قال : (**ما شاء اللّه** .

فقيل له : فأخبرني يا ابن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ .

فقال : أمّا النفخة الأولى، فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور، وللصور رأس واحد وطرفان، بين طرف كل رأس منهما ما بين السماء والأرض .

قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل، وقد هبط إلى الأرض، ومعه الصور، قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض، وفي موت أهل السماء .

قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس، وهو مستقبل الكعبة، فإذا رأوه أهل الأرض قالوا : قد أذن اللّه في موت أهل الأرض .

قال : فينفخ فيه نفخة، فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذو رُوحٍ إلّا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات، فلا يبقى في السماوات ذو رُوحٍ إلّا صعق ومات، إلّا إسرافيل فيمكث في ذلك ما شاء اللّه .

قال : فيقول الله لإسرافيْل : يا إسرافيْل مُت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله .

ثم يأمر السماوات فتمور، ويأمر الجبال فتسير، وهو قوله : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْرًا ۝ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[1]؛ يعني تبسط وتبدّل الأرض غير الأرض؛ يعني بأرض لم تكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرّة، مستقلّاً بعظمته وقدرته .

قال : فعند ذلك ينادي الجبّار جَلَّ جَلالُه بصوت من قبله، جَهْوري يسمع أقطار السماوات والأرضين، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[2]؛ فلا يجيبه مجيبٌ، فعند ذلك يقول الجبّار مجيباً لنفسه ﴿لِلَّه الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3]، وأنا قهرتُ الخلائق كلهم وأَمتّهم، إني أنا الله لا إله إلَّا أنا وحدي، لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقتُ الخلق بيدي، وأنا أمتّهم بمشيّئتي، وأنا أحييهم بقدرتي .

---

(١) سورة الطور، الآيتان : ٩-١٠ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة غافر، الآية : ١٦ .

قال : فينفخ الجبار نفخة أخرى في الصور، فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات أحد إلّا حيِيَ وقام كما كان، وتعود حملة العرش، ويحضر الجنّة والنار، ويحشر الخلائق للحساب .

قال : فرأيت علي بن الحسين عليهما السلام يبكي عند ذلك بكاء شديداً)[١] .

وعن الصادق عليه السلام : (**إذا أراد اللّه أن يبعث الخلق، أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً، فاجتمعت الأوصال، ونبتت اللحوم)**[٢] .

وقال عليه السلام أتى جبرائيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيده، فأخرجه إلى البقيع، فانتهى به إلى قبر، فصوّت بصاحبه، فقال : (**قم بإذن اللّه، فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية، يمسح التراب عن وجهه، وهو يقول : الحمد للّه والله أكبر .**

فقال جبرائيل : عُد بإذن الله .

ثم انتهى به إلى قبر آخر، فقال : قم بإذن اللّه، فخرج منه رجل مسودّ الوجه، وهو يقول : يا حسرتاه يا ثبوراه .

ثم قال له جبرائيل : عد إلى ما كنتَ فيه بإذن الله .

فقال : يا محمد! هكذا يحشرون يوم القيامة، فالمؤمنون يقولون : هذا القول، وهؤلاء يقولون : ما ترى)[٣] .

---

(١) تفسير القمي، ج٢، ص٢٢٢، في تفسير معنى الآية : ٦٨ من سورة الزمر . بحار الأنوار، ج٦، ص٣٢٤، ح٢، باب : ٢ . وفي مجمع البحرين، ج٤، ص٣٤٢، باختلاف بعض الكلمات .

(٢) تفسير القمي، ج٢، ص٢٢٣، في تفسير معنى الآية : ٦٨ من سورة الزمر . كتاب الزهد، ص٨٨، ح٢٣٧ . تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٤٧٢، ح١٥ .

(٣) تفسير القمي، ج٢، ص٢٢٣، في تفسير معنى الآية : ٦٨ من سورة الزمر . تفسير الصافي، ج٤، ص٣٣١ . بحار الأنوار، ج٧، ص٣٩، ح٨ . وفي كتاب الزهد، ص٩٤، بزيادة : «**ثم انتهى به إلى قبر فصوت بصاحبه**» .

أقول : هكذا كيفيّة الإحياء، وكيفية الإماتة قبل ذلك، وبيان ما **أقول** : أنه إذا أراد الله إماتة الخلق؛ أَمَرَ إسرافيل فنفخ في الصور نفخة الصعق نفخة جذبٍ .

وإنما قال علي بن الحسين عليهما السلام : (**فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض**)؛ لأن النفس المجذوب لا يحسّ بصوته، إلّا ما كان خارج القرن، فيموت أهل الأرض أوّلاً؛ لأنهم آخر مَن أُحيي في البدءِ، وذلك في مدة مثل ما أُحيُوا .

ومثله باعتبار حياتهم في الدنيا والبرزخ، ثم يخرج الصوت بالنفخ كالأوّل من الشعبة اليمنى، فيموت أهل السماء الدنيا في مثل ما مضى وضعفه، وهكذا جميع أهل السماوات على الترتيب، ثم ملائكة الحجب .

وبتلك النفخة نفخة الجذب، يرجع كل شيء إلى أصله، فتبطل المركّبات، فتمور السماء موراً؛ أي : تضطرب، يعني يذهب منها ما أخذ لها من غيرها، من أعراض الدنيا والبرزخ، ويرجع إليها ما أخذ منها لسائر الحيوانات، من النفوس والأجزاء، فحينئذ تشتدّ بساطتها، فتكون وردة كالدِّهان، وتسير الجبال سيراً، وتبسط الأرض، وتبدّل الأرض غير الأرض، كما قلنا في قوله تعالى : ﴿**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**﴾[1]، وذلك لأنّ الأرض خلقت صافية شفّافة، فتكثّفت بذنوب بني آدم، فإذا صفّيت ولحقت الذنوب، وأعراضها بأهلها، عادت على صفائها كما خلقت أول مرّة .

وليس كما توهمه المصنّف؛ أنّ الأرض المعادة غير هذه الأرض، وإنما تعاد صورتها، وهو غلط وخطأ، ولهذا قال علي بن الحسين عليهما السلام : (**يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب، بارزة ليس عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أول مرّة**)[2] .

فإن قوله عليه السلام : (**كما دحاها أوّل مرّة**)، صريح في أن المعاد هو هذه الأرض، لأنها هي المدحوّة أوّل مرّة .

---

(١) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٢) من هذا الكتاب .

وأما قوله عليه السلام : (**لم يكتسب عليها الذنوب**)؛ فيريد بها هذه الكثافة، كما قلنا في : ﴿**بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا**﴾(١) .

وقوله عليه السلام : (**ويعيد عرشه على الماء، كما كان أوّل مرّة**)(٢)؛ يريد أنه تعالى إذَا أبطل الأشياء، وفكّكها لم يبطل دينه وذكره، ويكون القائم به حينئذ الماء الذي جعل منه كل شيء حيّ(٣)؛ أعني وجهه الذي لا يفنى، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾(٤)، وهو محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون، فإنهم هم الذين ﴿**عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**﴾(٥)، هكذا قال : جعفر بن محمد عليهما السلام .

وروي عنهم عليهم السلام : (**أنهم هم القائلون بأمر الله، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾(٦)، وأنّهم هم المجيبون بقوله : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٧)**) .

[نفخة الصعق وانجذاب كل روح إلى ثقبها ومخازنها الستة]

واعلم أنّه إذا نفخ في الصور نفخة الصعق، انجذبت كل روحٍ إلى ثقبتها، كما أشرنا إليه، وفي الثقبة ست مخازن، ومنها أخذت أركان الروح، **فأوّل** مخزن تلقى فيه : صورتها المثالية وشبحها .

---

(١) سورة النساء، الآية، ٥٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٢) من هذا الكتاب .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ . [سورة الأنبياء، الآية : ٣٠] .

(٤) سورة الرحمان، الآيتان، ٢٦-٢٧ .

(٥) سورة الأنبياء، الآيتان : ١٩ - ٢٠ .

(٦) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٧) سورة غافر، الآية : ١٦ .

وفي **الثاني** : حصتها الهبائيّة، وهي كالحصة المأخوذة من الخشب لعمل السرير قبل تقديره .

وفي **الثالث** : طبيعتها .

وفي **الرابع** : صورتها الجوهرية .

وفي **الخامس** : رقيقها الروحية .

وفي **السادس** : معناها العقلي، فإذا نفخ نفخة الإحياء والنشور، تركبت كما تفكّكت، فإذا أراد الله سبحانه النشور؛ أمطر ماء من صاد، وهو بحر من ماء تحت العرش، رائحته كرائحة المني، وهو أبرد من الثلج، وأحلى من الشهد، وهو الذي توضأ منه رسول الله ﷺ ليلة المعراج، فقال له جبرائيل : **(أدنُ من صاد فتوضّأ للصلاة)**[1]، أمطر على الأرض أربعين صباحاً[2]، فتكون وجه الأرض بحراً واحداً، فتضربه الريح، فيتموّج فتجتمع أجزاء كل شخصٍ في قبره، على هيئة صورته التي يحشر عليها، فتنبت اللحوم كلّ في قبره، كما تنبت الكُمأة في الأرض .

فإذا نفخ إسْرافيل بأمر الله نفخة الإحياء، تطايرت الأرواح، وقصدت كل روحٍ جسدَها في قبره، فتدخل في الجسد لحوم الذي تألّف بعد تصفيته من الأعراض الغريبة، فتتّحِد به اتّحادَ إشتياقٍ ووفاق، فلا تنفكّ عنه أبداً؛ للاتحاد المذكور، بعد إزالة الموانع الغريبة .

وبرهانه مذكور في العلم الطبيعي المكتوم .

---

(١) راجع فروع الكافي، ج٣، ص٤٨٥، ح١ . وعلل الشرائع، ج٢، ص٢٩، ح١، باب ٣٢ .

(٢) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (١٣) في هذا الكتاب .

[معنى تقوم الصور عند المصنف تَدَّسُ]

وقوله : «فتقوم تلك الصور»؛ مبني على مذهبه، من أنّ المعاد إنّما هو الصور، وأمّا الموادّ فإنها تفنى .

ونحن نقول : فتقوم تلك الأجساد التي كانت في الدنيا، لابسة صور أعمالها إحياء تعوْد أرواحِها إليها، التي خرجت منها في دار الدنيا، لأن هذه الأجساد عاملة مع أرواحها، فهي المعادة للثواب والعقاب .

[القاعدة الرابعة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في : القيامتين الصغرى والكبرى]

قال : «قاعدة في القيامتين الصغرى والكبرى؛ أما الأولى : فمعلومة لقوله صلى الله عليه وآله : (من مات فقد قامت قيامته)[1] .

وأمّا الكبرى؛ فلها ميعاد عند الله، لا يطّلع عليها إلّا هو والراسخون في العلم.

وكل ما في القيامة الكبرى له نظير في السفلى، ومفتاح العلم بيوم القيامة، ومعاد الخلائق هو معرفة النفس وقواها، ومنازلها ومعارجها .

والموت كالولادة، والقيامتان الصغرى والكبرى كالولادتين الصغرى؛ وهي الخروج من بطن الأم، ومضيق الرحم إلى فضاء الدنْيا .

والكبرى؛ هي الخروج من بطن الدنيا، ومضيق البدن إلى فضاء الآخرة، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2]»[3] .

[معنى القيامة الصغرى والقيامة الكبرى على رأي الشارح قدس سره]

أقول : القيامة قيامتان؛ صغرى وكبرى، أما الكبرى؛ فهي المعلومة التي تعاد فيها الأَشْياء الموجودة في الدّنيا بعد تفرّق أجزائها .

وأما الصغرى؛ فالمسمّاة بالقيامة باعتبار التَّأْويل أو المجاز، مَنْ أمات نفسه كما أمره الله، فقد قامت قيامته، ومارت سماوات حواسه الباطنة، وسيّرت جبال

---

(١) إرشاد القلوب، ج١، ص١٨، باب : ٢ في الزهد في الدنيا . كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ج٢، ص٢٧٩، ح٢٦١٨ .

(٢) سورة لقمان، الآية : ٢٨ .

(٣) كتاب العرشية، ص٦٨ .

إنّيّاته وشهواته، وقامَ قائم عقله، حتّى ملأ أرضَ جسده قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت جوراً وظلماً .

ومن مات في هذه الدّنيا، وخرجت روحه من جسده، فقد قامت قيامتـــه، كما قال صلى الله عليه وآله، وعرف ما هو عليه من خير أو شرّ، وهو قوله تعالى : **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾**[1]؛ أي : بما ختم له به من أعماله، وهذا المعنى يتّجه حمله فــي طائفتين من الناس؛ **الأولـــى** : مَن مَحَض الإيمان محضاً، فإنّ ملك المــوت يقول له : أمّا ما كنتَ تحذرُهُ فقد آمَنكَ الله منه، وأمّـــا ما كنتَ ترجوه فقــد أدركـــته، أبشر بالسلف الصالـــح، مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعلـــي وفاطمـــة عليهما السلام .

والثانية : من محض الكفر والنفاق محضاً، فيقول له ملك الموت : يا عبد الله أخذتَ فكاك رهانك، أخذتَ أَمان براءتك، تمسّكتَ بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا .

فيقول : لا .

فيقول : أبشر يا عدو الله بسخط الله تعالى وعذابه والنار، أما ما كنتَ تحذر فقد نزل بك .

وأمّا الطائفة **الثالثة** : فهم الذين لم يمحضوا الإيمان من المؤمنين، ولا الكفـــر والنفاق من الكافريـــن والمنافقين، وهؤلاء لـــم يأتـــهم الموت بما هـــم عليـــه؛ لأنّهم لـــم يتبيّن الهدى من الضلالة، فهؤلاء يُلهَى عنهم، فهم مـــوقـــوفـــون لأمر الله، فيكون قـــوله عليه السلام محمولاً على أهـــل البرزخ، وهـــم الطائفتـــان الأوليان .

---

(١) سورة ق، الآية : ١٩ .

[اطلاقات القيامة الصغرى من حيث المعنى]

وللقيامة الصغرى اطلاق من حيث المعنى؛ ويراد بها قيام القائم من آل محمد، أو رجعتهم الّتي أوّلُها خروج الحسين عليه السلام، أو مطلق ظهور دولتهم، التي أوّلها ظهور قائمهم عليه السلام، وآخِرُها خروج رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومما يدلّ على ذلك؛ حشر كثير من الأموات، ومن الآيات كثير؛ مثل قوله: **﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۞ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾**[1]، أنه عند قيام القائم عليه السلام.

وآية القيامة الكبرى بعد هذه الآيات؛ قوله: **﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾**[2]، والقرآن فيه كثير.

وممّا يدلّ عليه ما روي عن الصادق عليه السلام، قال ما معناه: (**إن الّذي يحاسب الناس في الرجعة هو الحسين بن علي عليهما السلام.**

فقيل له: ويوم القيامة؟.

قال: إنما في يوم القيامة بَعْثٌ إلى الجنّة، وبعث إلى النار)[3].

والحاصل أن اطلاق القيامة على الرجعة هو المعروف من مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو أولى من اطلاقها على من أمات نفسه، أو مات بخروج روحه من جسده.

---

(١) سورة الدخان، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة الدخان، الآية: ١٦.

(٣) عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة، وبعث إلى النار**). [مختصر بصائر الدرجات، ص١١٧، ح٣٨، باب: في الكرات وحالاتها. بحار الأنوار، ج٥٣، ص٤٣، ح١٣، باب: الرجعة].

[وقت وميعاد القيامة الكبرى]

وقوله : «وأما القيامة الكبرى فلها ميعاد عند الله، لا يطّلع عليها إلّا هو والرّاسخون في العلم»، فأما أنه تعالى مطّلع على وقت قيامها، فمما لا شكّ فيه .

وأمّا الراسخون في العلم، فالأمور المحتومة يعلمونها، والتوقيت بتلك المعلومة المحتومة، موقوف على التّعيين .

وتعيين القيامة الكبرى فيها خلاف، فقيل : بعدمه؛ لقوله تعالى : ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾[١]، وقد نصّ كثير من المفسّرين بأنّ ما في القرآن من : وما ادريك؛ فقد أخبر به، وما فيه : وما يدريك، فإنّه لم يُخْبر به، ولقوله تعالى : ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۞ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ۞ إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ۞ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**﴾[٢]، وقوله تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾[٣]، وأمثال ذلك .

وقيل : باطّلاعهم عليهم السلام لعموم الأخبار الدّالّة على أن الله تعالى أعلمهم بما كان وما يكون، والّذي يترجّح عندي الأوّل؛ بمعنى أنّ الأدلّة على الإخبار بها ليست صريحة في التوقيت على جهة التعيين، ولو وجد فيها ما يدلّ على ذلك لم يكن على جهة الحتم .

وكون الإعلام بالتوقيت على جهة الحتم، فيما لم يقع بعيد نادر الوقوع، بل كان حال المُعَلَّمين به؛ يقتضي عدمَ الحتمِ فيْما لم يقع، كما دلّت عليه الأخبار؛ مثل قول علي عليه السلام لميثم التمّار : (**لو لا آية في كتاب الله** –وهو قوله :

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة النازعات، الآيات : ٤٢-٤٣-٤٤-٤٥ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٨٧ .

﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ﴾[١]-، **لأخبرتكم بما كان، وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة)**[٢]، وهو السرّ في إخبار العلماء الراسخين، الذين أخبرهم تعالى أنهم ملاقوه غداً، أخبر عنهم أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربّهم، مع أنهم يتيقّنون، ولكنهم تأدّبوا لعلمهم بربّهم، أنه تعالى لو شاء لحجبهم عنه، فقال الذين يظنون فأتى بلفظ الظنّ جمعاً بين صدق وعده، ومقتضى تسلّطه، فإنه **﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[٣] .

[جميع ما في القيامة الكبرى نظيره موجود في القيامة الصغرى]

وقوله : «وكلّ ما في الكبرى له نظير في الصغرى» ظاهر؛ لأن ما في الصّغرى كالبذر لما في الكبرى، إذ ليس في الصغرى إلّا ما نزل من الخزائن، وكلّ شيء يعود إلى أصله .

وممّا يدل على ذلك قول الباقر عليه السلام، لمّا سأله عالم النصارى فقال من أين ادّعيتم أن أهل الجنّة يطعمون ويشربون، ولا يحدثون ولا يبولون؟، وما الدليل فيما تدعونه من شاهدٍ لا يجهل؟ .

قال جعفر عليه السلام، فقال أبي عليه السلام : **(دليل ما ندّعي من شاهدٍ لا يجهل؛ الجنين في بطن أمّه، يطعم ولا يحدث)**[٤] .

فقد أشار بكلامه إلى أنّ ما هنالك فنظيره ومثاله ودليله هنا، حتّى أنهم قالوا: أنّ دليل أن نهر الخير في الجنّة ينبت على حافتَيْهِ أشجار يحملن بنساء، متعلقاتٍ

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٣٩ .

(٢) التوحيد، ص٣٠٤، ح١، باب : ٤٣ . بحار الأنوار، ج٤، ص٩٧، ح٤، باب : ٣ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥١٤، ح١٧١ .

(٣) سورة الرعد، الآية : ٣٩ .

(٤) دلائل الإمامة، ص٢٣٧ . بحار الأنوار، ج٤٦، ص٣٠٩، ح١، باب : ٧ .

بشعور رؤوسهنَّ، أنّ نظير ذلك موجود في جزيرة الوَقواق، كما هو متحقّق عند أهل التواريخ، ومن شاهد ذلك من التّجار[١] .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (**الدنيا مزرعة الآخرة**)[٢]، وقول الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ المتقدّم[٣] .

[متى تكون معرفة النفس صحيحة؟]

وقوله : «ومفتاح العلم بيوم القيامة، ومعاد الخلائق هو معرفة النفس، وقواها ومنازلها»، يريد به أن معرفة يوم القيامة، وكيفيّة المعاد؛ هو معرفة النفس ...إلخ، صحيح على غير مراده؛ لأن معرفة النفس لا تكون عِلْماً صحيحاً،

---

(١) **جزيرة الواق واق** : «إنَّ هذه الجزيرة والله أعلم ربما تكون من مخلوقات الله التي ذكرها في كتابه الكريم حيث قال : ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ . [سورة النحل، الآية : ٨] . بدليل أنَّ نعيم جنة الدنيا مشابه لنعيم الدنيا، بمعنى أنَّ جميع ما في الدنيا من الفواكه والمطاعم والملابس مشابه لما في جنة الدنيا، لأن تلك هي الأصل .

وكذلك ما في جنة الدنيا مثال وتذكرة لجنة الآخرة، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿**كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً**﴾ . [سورة البقرة، الآية : ٢٥] .

ولقد ثبت في الأخبار أن في الجنة أشجار تنبت بنساء من الحور العين، كما قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : (**على حافتي ذلك النهر- يعني نهر الكوثر- جواري نابتات، كلما قلعت واحدة تنبت أخرى**) . [فروع الكافي، ج٨، ص٢٣٠، ح٢٩٨ . معاني الأخبار، ص١٨٢، ح١، باب : معنى قول الرجل للرجل جزاك الله . بحار الأنوار، ج٨، ص١٦٢، ح١٠١، باب : ٢٣] . ومن عجائب هذه الجزيرة؛ بها أشجار تحمل ثمراً كالنساء، بصورة وأجسام وعيون، وأيد وأرجل، وشعور وغير ذلك من أوصاف النساء، وهن حسان». [عجائب عالم الملكوت، ص١٥٧، «بتصرف»].

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٦٨) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٦٨) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

إلّا إذا كانت مأخوذة عن الهادين عليهم السلام، ولو كانَتْ عَلَى نحو معرفته للنفس، للزم منها إنكار المعاد الجسماني، كما هو المتيقّن من كلامه؛ لأنه يقول بعدم إعادة مواد أجسام الخلائق، وإنما تعاد صورها ونفوسها، وعنده هذا من معرفة النفس، فأيّ دلالة تدلّ بها معرفة النفس على هذا، وهو يشير إلى ما قرّر من الأصول السبعة، والقواعد التي ذكرها، وقد تقدّم الكلام على بطلانها كلّها[1] .

[كيف تكون الولادة الجسمانية والولادة الدنيوية؟]

وقوله : «والموت كالولادة، ...إلخ»، هذا من معرفة النفس عنده، التي يستدلّ بها على معرفة يوم القيامة والمعاد .

واعلم أن الموت في الدنيا، وإن كان دليلاً على نمط ما يستدلّ به الهداة عليهم السلام، إلّا أنه لا يهتدي إليه كل ناظر بعين غيرهم عليهم السلام؛ لأن الموت في الدنيا في قوس الصعود، وهو قوس القيامة والمعاد .

والقاعدة عندهم أن يستدل بما في قوس النزول، على مقابلة مما في قوس الصعود، نعم على نمط استدلال موالينا عليهم السلام، والولادة ولادتان؛ ولادة الجسمانية، وولادة الدنيوية، **فالأولى:** تظهر فيها النفس الحيوانية من غيب النباتيّة.

والثانية : تظهر فيها الناطقة من غيب الحيوانيّة، فالولادة **الأولى** : فيها تخرج النفس من الجسم، وهي آية الموت من هذه الدنيا التي تخرج فيها النفس من الجسم .

والولادة **الثانية** : فيها تخرج النفس الناطقة من النفس الحيوانية، وهي آية خروج النفس الناطقة من النفس البرزخية، وسكرة النفس الحيوانية حال الولادة الجسمانية، كسكرة الموت حال خروج النفس من البدن بالموت في الدنيا، وسكرة النفس الناطقة حال الولادة الدنيوية، وخروجها من النفس الحيوانية، كسكرة النفس الناطقة من النفس البرزخيّة بين النفختين .

---

(١) راجع الصفحة رقم (١٩٩) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وصحو النفس الحيوانية وانتباهتها بعد الولادة الجسمانية، كصحو النفس الناطقة وانتباهتها بعد الموت في هذه الدنيا، وخروجها من البدن، ومن الدنيا .

وصحوالنفس الناطقة وانتباهتها بعد الولادة الدنيوية، كصحوها وانتباهتها بعد الخروج من البرزخيّة بعد النفختين .

فهنا ولادتان للدنيا، وولادتان للآخرة، فما في الدنيا مثال ما في الآخرة ودليله، فالخروج من الولادة الجسمانية بتخلّص النفس الحيوانية من مضيق الأجسام، وممازجتها آية الخروج من الدنيا بتخلص النفس الناطقة من مضيق الدنيا وسجنها، ومضيق الأبدان الكثيفة وتعلّقها، والخروج من الولادة الدنيوية، بتخلّص الناطقة من مضيق الحيوانيّة، وتعلّقها بكثافات شهواتها، ودواعيها آية الخروج من البرزخيّة، بتخلّصها من جميع الأعراض الغريبة .

[استدلال المصنف ﷺ بأن الصانع والمصنوع واحد]

وقوله : ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1]، يشير إلى الاستدلال بالآية الشريفة، على قاعدة مقرّرة لا يختلف فيها العارفون؛ وهي أن الصانع ﷻ واحد، والصنع واحد، والمصنوع واحد، بنمطٍ واحد، وإنما تعدَّدت المصنوعات، واختلفت وتعاقبت، بحيث تقدّم بعضها على بَعْضٍ، وتفاضلت باختلافِ قوابلها ومتمّماتها؛ كالكم والكيف، والوقت والمكان، والجهة والرتبة، وكالوضع والإذن، والأجل والكتاب، وكالنسب والتّضايف، وغير ذلك من إشتراط كلّ واحدٍ منها بكل واحدٍ منها، وهذا ظاهر مشاهد عند أهل العلم، ليس فيه بينهم اختلافٌ .

[قول المصنف ﷺ بأن : من أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى، ورجوع الكل إليه تعالى ...إلخ] .

قال : «فمن أراد أن يعرف معنى القيامة الكبرى، ورجوع الكل إليه تعالى، وعروج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، وظهور الحقّ

(١) سورة لقمان، الآية : ٢٨ .

بالوحدة التّامّة، وفناء الجميع حتى الأفلاك والأملاك، كما قال : **﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ﴾**[١]، وهم الّذين سبقَتْ لهم القيامة الكبرى، فليتأمّل الأصول التي بسطناها في الكتب والرسائل، سيّما ما في رسالة الحدوث، ومَن أمكن له أن يعرف كيفيّة حدوث العالم بجميع أجزائه، بعد ما لم يكن بعديّة زمانيّة، من غير أن ينقدح به شيء من الأصول العقليّة، ولا أن ينثلم به تنزيه الله وصفاته الحقيقيّة، عن وصمة التغيّر والتّكثر، فقد أمكن له أن يعرف خراب العالم وما فيه، وزواله واضمحلاله بالكليّة، ورجوعها إليه من أنكر هذا، فلأنّه لم يصل إلى هذا المقام، ولم يذق هذا المشرب بذوق العيان، أو بوسيلة البرهان، أو لأنه مغرور بعقله الناقص، أو لضعف إيمانه بما جاء به الأنبياء»[٢] .

[توضيح الشارح تتُّ مراد المصنف تتُّ من أن الكل راجع إلى الله وحدوثها]

أقول : يريد أن الله سبحانه كان وحده، ثم أنه أفاض من ذاته الأشياء، فيكون قبل القيامة وحده؛ بمعنى أنّه قد تقرّر أنّ كلّ شيء يرجع إلى أصله، وهو تعالى أصل الأشياء فترجع إليه، فكما كانت وحدته في الأزل، قد طوت كل كثرة، كذلك بعد نفخ الصور النفخة الأولى، بل بعد الموت في كثير من الأشياء، تفنى كثرها في وحدته تعالى، وذلك عند عروج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

ومراده أن الملائكة تعرج إليه، والروح فتفنى تشخّصاها في وحدته، وكأنه يريد بقوله في يوم كانَ مقداره خمسين ألف سنة، فلعلّه يعني بذلك بين النفختين وما قبلها، لأن ما بيْن النفختين عندهم أربعون سنة، وعندنا أربعمائة سنة؛ بقرينة قوله : «وظهور الحق بالوحدة التامّة، وفناء الخلق حتى الأفلاك والأملاك»،

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٢) كتاب العرشية، ص٦٨ .

ثم استشهد بالآية، فقال : كما قال : **﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾**[١]، فذكر يوم الفناء، والاتحاد بربّ العباد تعالى، بأنّه اليوم الّذي كان مقدارهُ خمسين ألف سنة، فخالف ظاهر القرآن، وباطنه وتأويله، لأنّ الله تعالى يخاطب الأرض بعد فناء الخلق، بما معناه : (**يَا أَرْضُ أَيْنَ ساكنُوك، أين المتكبّرون، أيْنَ من أكل رزقي، وعبد غيري، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**[٢]**، فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه، فيقول : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**[٣])[٤]، فَأين الوحدة التّامّة، والسّماء الذي يمور غير الجبال التي تسير، وغير الأرض التي خاطَبها، بعد فناء كل ذي روح، إذ ليس المراد بالفناء والهلاك العدم الحقيقي، أو اتّحاد المفعولات بفواعلها، كما يريده المصنّف من قوله : «ورجوعها إليه»، وإنّما المراد بالفناء والهلاك تفكّك تراكيبها، وبطلان أفعالها وحركاتها .

والمراد برجوعها إليه؛ رجوع أحكامها، وما يناط بها وتناط به، إلى حكم قَدَرِه وقضائه بأمرِه .

[الصاعق والمستثنى ظاهراً وباطناً في يوم القيامة الكبرى]

وقوله : «وهم الذين سبقت لهم القيامة الكبرى»، يعني به أنّ الذين استثناهم الله من الذين صعقوا ممّن في الأرض والأرض الأرواح القادسة، وهو يريد بالغير الصاعق من كان متّحداً بالحق تعالى، فإنه باق ببقاء الله لا بإبقائه؛ لأنه تعالى حينئذٍ لا يفيض شيئاً، ويلزمه ما ذكرناه مراراً مكرّراً، من وجود شيء قائم بغير

---

(١) سورة الزمر، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة غافر الآية : ١٦ .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٠١) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

مددٍ من الله، فهو غنيّ عن مدده تعالى، وأنه تعالى مختلف الحالات؛ لأنه في هـــذه الحالة ما كان فيّاضاً، وقبلها كانَ فيّاضاً .

ونريد نحن بالْمُسْتَثْنَيْنَ ظاهراً جبرائيل وميكائيل، وإسرافيل وعزرائيل، فإنهم لا يصعقون بالنفخة، وإنما يأمر الله عزرائيل فيقبض روح ميكائيل وإســـرافيل، وفي جبرائيل روايتان؛ **إحديهما** : أن عزرائيل يقبض روحه .

وثانيتهما : أنّ الله تعالى يقبض روحه .

ويقول تعالـــى لعزرائـــيل : مُت فيموت، فكان استثناؤهم إنما هو فـــــي الظاهر .

وأمّا المستثنون الّذينَ لَمْ يَصْعَقُوا أبداً، وإنّما نفخة الصعق في الحقيقـــةِ مـــن آياتهم، وهم محمد وآله صلى الله عليه وآله الطيبون؛ لأنهم وجه الله الباقي، فعن السجاد عليه السلام في قوله : **﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْـــإِكْرَامِ﴾**[١]، **(نحن وجه اللّه الذي يؤتى)**[٢] .

وفي المناقب عن الصادق عليه السلام، **﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾**[٣]، قال : **(نحن وجه اللّه)**[٤] .

وقد ذكرنا في شرح الزيارة الجامعة، ما يدلّ على أنّهم وجه الله الـــذي لا يفنى .

---

(١) سورة الرحمان، الآيتان : ٢٦-٢٧ .

(٢) تفسير الصافي، ج٥، ص١١٠، في تفسير معنى الآية : ٢٧ من سورة الرحمان .

(٣) سورة الرحمان، الآية : ٢٧ .

(٤) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٧٢، فصل : في الشواذ من مناقبه عليه السلام . تفســـير الصافي، ج٥، ص١١٠، في تفسير معنى الآية : ٢٧ من سورة الرحمان . بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٩٢، ح٦، باب : ٥٣ . تفسير نور الثقلين، ج٥، ص١٩٢، ح٢٥ .

ومنه قول علي عليه السلام : (**إنّ ميتنا إذا مات لم يمُت، وإنّ مقتولَنا إذا قُتِل لم يُقْتَلْ**)[١] .

[نفخة الصور والنافخ فيه والصور كلهم مخلوقون والمراد من القدم في حق الله ومحمد وآله صلى الله عليه وآله]

وأضربُ لك مثلاً تعرف منه دليلاً قطعيّاً، وهو أني **أقول** لك : نفخة الصور حادثة مخلوقة لله، بل الصور والنافخ فيه كذلك، فإيّما أقرب إلى الله تعالى، وأقوى وأشدّ تحقّقاً ووجوداً محمد وآله، أو نفخة الصّور، فإن عرفتَ هذا ظهر لك على جهة القطع أن النفخة لا تجري على ذواتهم؛ لأنهم عليهم السلام أشدّ وأقوى وجوداً من النفخة، ومن النّافخ، ومن كلّ شيءٍ، لأنهم الوسائط بين الله تعالى، وبين سائر خلقه، الذي من جملته النفخة والنافخ، والموت وملك الموت، واسمع إلى قول علي عليه السلام في خطبته في يوم اتّفق فيه الجمعة والغدير، على ما رواه الشيخ في مصباح المتهجّد في خطبة يوم الغدير، إلى أن قال علي عليه السلام : (**وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علمٍ منه انفرد عن التشاكل والتّماثل، من أبناء الجنس، وانتجبه آمِراً وناهياً عنه، أقامَهُ في سائِر عالَمِه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، ولا تمثّلُه غوامض الظنون في الأسرار، لا إله إلّا هو الملك الجبّار، قرن الاعتراف بنبوّته بالاعترافِ بلاهوتيّته، واختصّه من تكرمته بما لم يلحقه أحدٌ من بريّته، فهو أهل ذلك بخاصّته وخلّته، إذ لا يختصّ من يَشوبُه التغيير، ولا يُخاللُ مَن يلحقه التظنينُ، وأمَر بالصلاة عليه مزيداً في تكرمته، وطريقاً للداعي إلى إجابته، فصلّى اللّه عليه، وكرّم وشرّفَ وعظّم مزيداً، لا يلحقه التنفيد،**

---

(١) بهامش حلية الأبرار، ج٢، ص١٧، ح٥، باب : ٢ .

ولا ينقطع على التأبيد، وأن الله تعالى اختصّ لنفسه من بعد نبيه ﷺ من بريّته خاصّة، عَلّاهم بتعليته، وسما بهم إلى رتبته، وجعلهم الدعاة بالحقِّ إليه، والأدلّاء بالإرشاد عليه، لقرنٍ قرنٍ، وزمَنٍ زمَنٍ، أنشأهم في القِدَم قبل كلِّ شيءٍ، مذروٍ ومبروٍ، أنواراً أنطقها بتحميده، وألهمها شكره وتمجيده، وجعلها الحجج على كل معترفٍ له بمَلَكَة الربوبيّة، وسلطان العبوديّة، واستنطق بها الخرسات بأنواع اللغات بخوعاً له، فإنه فاطر الأرضين والسماوات، وأشهدهم خلقه، وولّاهم ما شاء من أمره، وجعلهم تراجمة مشيئته، وأَلْسُنَ إرادته، عبيداً ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١]...)[٢].

والمراد بالقدم في حقّه، وفي حقّ آله ﷺ القدم الراجح الإمكاني؛ أي: القدم الفعلي السرمدي، لا القدم الواجب الحق تعالى، فتدبّر هذه الخطبة الشريفة، وتفهّم كلامه عليه السلام، ليَظْهر لك أنّه وآله ﷺ لا يدركهم ما أناطّ عن مقامهم؛ كالموت والقتل والصعق، وإن جرَتْ على ظواهرهم التي بها ظهروا في الخلق، فافهم ما لوّحْتُ لك وصرّحت.

[مقصود المصنف قدس سره من الأصول التي ذكرها]

وقوله: «فليتأمل الأصول التي بسطناها في الكتبِ والرسائل»، يعني بها مثل ما قدّم من الأصول السبعة[٣] وغيرها، وقد سمعتَ ما يرد عليها، وما لا تسمع، وإنّما آيات ذلك ما ضربه الله من الأمثال في الآفاق وفي الأنفس، وذلك مثل قوله

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٧-٢٨.

(٢) مصباح المتهجد، ص٥٢٤، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير. إقبال الأعمال الحسنة، ص٧٧٤، خطبة الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير.

(٣) راجع الصفحة رقم (١٩٩) في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۞ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۞ رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[٢]، ومعلوم أنّ الّذي ينبت بالمطر، إنما هو بذر النبات، الذي كان في العام الماضي، بعد أَنْ يَبِسَ وقع ببذره في التراب، فلمّا وقع عليه المطر خرج ذلك النبات من ذلك البذر، الّذي هو المادة، والصورة ذهبت، وصوّره القادر تعالى على تلك الصّورة، وليس المُعَاد هو الصورة، بل المُعاد هو المادة.

[منكر وقوع إعادة المادة الموجودة في الدنيا منكر للبعث وأن الطينة تبقى مستديرة في قبرها]

وقد صرّح تعالى بذلك حيث قال: منكروا البعث ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[٣]، يعنون أن الأرض قد أكلت جميع لحومنا وعظامنا، فكيف نرجع؟، فبيّن ﷻ أنّ ما أكلت الأرض محفوظ عندنا، فقال: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[٤]، وهو صريح في أن المُعَاد هو المادة، والقرآن مشحون من ذلك، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٥]، ألم يعلموا أنّ من أنكر وقوع الإعادة للمادة الموجودة في الدنيا، منكر للبعث، تارك لنصّ المعيد تعالى، وإخباره في كتابه، ولسنّة نبيه ﷺ، وتابع لأصحاب الآراء السخيفة، التجاء إلى أنّها قد فَنِيَت، وكانت تراباً، وحجّة الله

---

(١) سورة ق، الآيات: ٩-١٠-١١.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٣) سورة ق، الآية: ٣.

(٤) سورة ق، الآية: ٤.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٤.

جعفر بن محمد عليهما السلام، قد نصّ على أنّ طينته تبقى في قبره مستديرة[١]، حتى يعادَ منها كما بدأه، وأنّها كبُرادَة الذهب في التراب، إذا غسلت وصُفّيت عاد الذهب الأوّل بعينه، والله عزّ وجلّ يقول في كتابه المهجور : ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ**﴾[٢]، فليت شعري هل يريدون بـ«من في القبور» الصُّوَر، وأيّ صورةٍ بقيت في القبور، ولكنهم بنوا علومهم واعتقاداتهم على عدم الالتفات إلى الكتاب والسنة، وإنما علومهم مبنية على ما قال أمير المؤمنين عليه السلام فيهم وفي أمثالهم : (**ذهب الناس إلى عيونٍ كدرة، يفرغ بعضها في بعضٍ**)[٣]، والله سبحانه ما ترك شيئاً إلّا دل عليه في كتابه .

[كيفية حدوث العالم]

وكيفيّة حدوث العالم هي بعينها كيفيّة حدوث الناس :

أتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وهو تعالى قال : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ**﴾[٤]، وقال تعالى : ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[٥]، وذلك لأن الطينة الأصليّة الّتي هي المادة، كانت تراباً، فامتزجتْ بالماء النازل من بحر صاد كما ذكرنا، وأنّ رائحته رائحة المني، فتتكوّن منهما النطفة، ثم العلقة، إلى آخر أطواره، حتّى تضع الأرض حملها، ممّا فيها من الأموات، ولهذا فسّر كثير من المفسرين أنّ قوله تعالى :

---

(١) تقدم ما يدل على معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٢٤٨) من الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٢) سورة الحج، الآية : ٧ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨٠) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) سورة الحج، الآية : ٥ .

(٥) سورة الأعراف، الآية : ٢٩ .

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾[١]، يراد من ذات حملٍ الأرض، أو بقاع الأرض، فإنّ الأَرْضَ عند النفخة تلقي ما فيها من الأموات المقبورة فيها، وهو قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[٢] .

[هل أجزاء العالم كلها زمانية؟]

وقوله : «بعد ما لم يكن بعديّة زمانيّة»، وهذا غير صحيح؛ لأن أجزاء العالم لم تكن كلها زمانيّة، إذِ العقول والنفوس ليست زمانية؛ لأنها لو كانت زمانية لما استحضرَتْ ما مضى من الزمان، كما أنّ الأجسام لا تستحْضر شيئاً من الزمان الماضي، والمصنف صرّح في الكتاب الكبير أنّ الزمان ما سبقه إلّا الله تعالى .

وصرّح في المشاعر[٣] وغيره، أن روح القدس لم تدخل تحت «كن»؛ لأنها هي «كن»، فنقول له : إذا لم تدخل تحت «كن» فهي قديمة، ومع هذا لا ينكر أن أوّل ما خلق الله العقل[٤]، والعقل إن أرادَ به روح القدس، فهو مخلوق، وإن أراد به الروح الكلّيّة، فهي مخلوقة .

هذا وقد ذكر في شرح أصول الكافي؛ أنّ العقل بل سائر المجردات، خلقها من نور ذاته، بغير توسط شيء، بل يفهم من كلامه أيضاً بغير اختيار؛ لأنه قال : «ولكن إيجاده تعالى للثابتات بنفس ذاته بلا توسط، وللمتغيّرات بواسطة العرش الذي هو واسطة فيض الرحمان، والبرزخ بين عالمي الأمر والخلق» .

ثم قال بعد كلام طويل، فنقول : «جميع ما يصدر منه في الأشياء الخارجة، لا بد أن يكون منشأها ومبدؤها حاصلاً أوّلاً في العرش، قبل صدورها

---

(١) سورة الحج، الآية : ٢ .

(٢) سورة الانشقاق، الآيتان : ٣-٤ .

(٣) كتاب المشاعر، ص١٢٤، خاتمة الرسالة، رقم : «١٤» .

(٤) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٣٩٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ووجودها، لأن الله تعالى فاعل لها بالإرادة والاختيار، وكل فاعلٍ لشيء بالاختيار لا بدّ وأن يتصوّره أوّلاً، ولأجل تصوّره إياه يشاؤه ويريده»[١] انتهى، وهو طويل هذا بعضه .

ففهم من قوله : «في الأشياء الخارجة» التي أحدثها بواسطة أنه تعالى فاعل لها بالإرادة والاختيار، إن الأشياء الغير الخارجة، التي أحدثها بذاته، من غير توسّط شيء، أنه فاعل لها بغير إرادة ولا اختيار؛ لأنها مخلوقة من نور ذاته .

قال في الشرح المذكور، بعد ما ذكرنا عنه من نوره؛ أي : «خلق العقل خلقاً من نور ذاته، الذي هو عين ذاته، -إلى أن قال- : فإن الروحانيين كلهم مخلوقة من نور ذاته»[٢] .

وقال في المشاعر : أن الأرواح القادسة، ليست من العالم، ولا ما سوى الله تعالى[٣]، وهذا كله يدلّ على أن المجردات عنده كلها ليست من العالم، ولا ممّا سوى اللّه تعالى، فإذا قال : أن العالم كله في الزمان، وأنّ الزمان لم يسبقه شيء إلّا الله، لم يضرّه كون هذه الأشياء خارجة عن الزمان؛ لأنها ليست غير الله عنده، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً .

فيكون اعتراضنا على كلامه ليس عنده في محلّه؛ لأنها ليست من العالم .

[مقصود المصنف ﷺ من الانقداح في الأصول العقلية]

وقوله : «من غير أن ينقدح به شيء من الأصول العقلية»؛ يعني بها ما تقدّم[٤]، ونحن قد بيّنّا بطلانها كلها، وأثبتنا القدح فيها، لكنه عنده لا يقدح فيها،

---

(١) شرح أصول الكافي، ص٤٠١-٤٠٢، في بيان الحديث : الرابع عشر من كتاب العقل والجهل .

(٢) شرح أصول الكافي، ص٤٠٤، في بيان الحديث : الرابع عشر من كتاب العقل والجهل .

(٣) كتاب المشاعر، ص١٢٤، خاتمة الرسالة، رقم : «١٤٧» .

(٤) راجع الصفحة رقم (١٩٩) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

قدحنا عيباً لبناء مذهبه على وحدة الوجود، وعلى أنّ الجوهر يترقّى بنفسه، وعلى أن الكثرة نقوش، والذات واحدة، وأمثال ذلك منْ قواعده .

فإذا قلت : هو تعالى كلّ الأشياء في وحدته، لا ينـثلم بـه تنـزيه الله وتوحيده، لأنك لو لم تقل في وحدته منع المصنف منه، ولكـن إذا قلـت : في وحدته، لم ينثلم تنـزيه الله، وتنـزيه صفاته، وإن كانت مغايرة له، ولبعضـها بعضاً في المفهوم، عن وصمة التغير والتكثر، لأنك إذا عرفتَ أن الله تعالى مبـدأ الأشياء منه ظهرت، فإذا أفناها عاد كل شيء إلى أصله، فتعود إليه تعالى إذا أفنى العالم، فتنطوي كثرتها في وحدته، فيظهر الحق بالوحدة التامّة .

يقول المصنف : إذا عرف العالم بهذا في البدء في القوس النـزولي، أمكن له أن يعرف خراب العالم بعكس نظامه، وعوده بعكس بدئه، وعرف زوال العالم في العود، واضمحلاله بالكلية، ورجوع الأشياء كلها إليه تعالى؛ لأنها قبل بروزهـا كانت كامنة في ذاته، كما قال الملّا محسن[1] في الكلمات المكنونة : «بأن العالم كان كامناً فيه، لكنه مستعد لقبول الكون إذا ورد عليه الأمر بـ«كن» .

قال : ولّما أمر تعلّقت إرادة الموجد بذلك، واتصل في رأي العين أمره، ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل» .

هذا في البدء، فإذا أفنى العالم في العود، رجع إلى ما منه تولّد، ولـذا قـال المصنف : «ورجوعها إليه»، لا حول ولا قوة إلّا بالله .

[هل صحيح أن الإنسان مخلوق على صورة خالقه ﷻ؟]

وقوله : «ومن أنكر هذا، فلأنه لم يصل إلى هذا المقام»؛ يعني به مقام اتّحاد الأشياء به إذا أفناها، «ولم يذق هذا المشرب»؛ يعني به مشرب الصوفيّة[2]، بذوق

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٨٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هـذا الكتاب.

العيان، يعني أنه تولّد من نور الحق تعالى، الذي هو ذاته؛ لأنه يقول : إن حقيقة زيد المحسوس صورة علمية عقلية متّحدة بذات عاقلها تعالى، وزيد المحسوس شبح لتلك الصورة المتحدة بالعاقل ﷻ ربّي، لأن الإنسان عند المصنف مخلوق على مثال الخالق، أخذ هذا الكلام من الحديث المحرّف، وهو (**أن الله خلق آدم على صورته**) .

وأصل الحديث أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول لآخر قبّحك الله، وقبّح من يشبه صورتك .

فقال ﷺ : (**لا تقل هذا، فإن الله خلق آدم على صورته**)[1] ، فحذف المجسّمون أوّل الحديث؛ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله .

والمصنف حكم بأنه تعالى خلق الإنسان على صورته تعالى، قال في شرح الكافي، في شرح حديث العقل : «والإنسان لكونه مخلوقاً على مثال الله تعالى ذاتاً، وصفة وفعلاً، وروحه الذي هو من أمر ربه، مثال ذاته، ودماغه الذي هو معدن إدراكاته، وهو ملكوته الأعلى الذي فوق قلبه، هو مثال الروحانيات التي عن يمين العرش، وقلبه الذي هو مستقر نفسه، مثال عرش الرحمان، وصدره مثال الكرسي» .

فتدبّر هذا التشبيه الذي هو بيان التوحيد عنده، ولا ينافي التّنزيه، إن نسبة دماغ زيد إلى روح زيد، كنسبة الروحَانيين إلى ذات الحقّ تعالى، فشبّه ذات الله تعالى بروح زيد، والعقول والأرواح المجردة من ذات الله تعالى، بمنزلة الدّماغ من زيد، وهذا عنده لا ينافي الأصول الّتي قرّرها وهو كذلك .

وعنده أن هذا لا ينافي تنزيه الله، وصفاته الذّاتية عن وصمة التغيّر والتكثر، ولا ينثلم به التوحيد، وإنّ ذلك ثبت عنده بذوق العيان؛ أي : شاهدَها متحقّقة

---

(١) التوحيد، ص١٥٢، ح١٠، باب : ١٢ . نور البراهين، ج١، ٣٨٧، ح١٠ . بحار الأنوار، ج٤، ص١٢، ح٧، باب : ٢ .

في الكون، وإنّ من أنكر ذلك فلأنه إمّا لعدم ذوقه لتلك المشاهدة، أو لم يثبت له تلك بالمقدّمات القطعية، أو أنه قد اغترّ بما فهم بعقله الناقص، الذي لم يتكمل بحكمة ابن سينا(١)، والفارابي(٢)، ولا بعلم مميت الدين(٣)، والبسطامي، وعبد الكريم الجيلاني(٤)، وابن عطاء العَازمي(٥)، ولا برابعة العدويّة، وأمثالهم .

أو أنّه شاكّ فيما جاءَتْ به الأنبياء، لأنه إنّما اعتمد عَلَى ما أتَى به محمّد بن عبد اللّه، وأهل بيته صلى الله عليه وآله، فإنّه مخالف لعلم أولئك وحكمتهم، فاعتبروا يا أولي الأبْصار .

[قول المصنف قدس سره : أن من تنور قلبه بنور اليقين يشاهد تبدل أجزاء العالم وأعيانها ...إلخ]

قال : «ومن تنوّر بيت قلبه بنور اليقين، شاهد تبدّل أجزاء العالم، وأعيانها وطبايعها، وصورها ونفوسها، في كل حين إلى أن تزول تعيّناتها، وتضمحلّ تشخّصاتها، ومن شاهد حشر جميع القوى الإنسانية، مع تباينها في الوجود، واختلاف مواضعها في البدن إلى ذات واحدة، بسيطة رُوحانيّة، حتّى تزول وتضمحل بالكلّيّة، وتفنى فيها راجعة إليها، ثم تنبعث من تلك الذات تارة أخرى في القيامة، بصُوَر تحتمل الدوام والبقاء، هان عليه التّصديق، برجوع الكلّ إلى الواحدِ القهّار، ثم صدورها وإنشاؤها منه تارة أخرى، من النّشأة الباقية .

واعلم أنّ النفخة وإن كانت واحدة، ضرباً من الوحدة من جانب الحق، لاحاطته بجميع ما سواه، لكنّها بالإضافة إلى الخلائق متكثّرة حسب كثرتها

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٤٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٥٦) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٥) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

العدديّة والنوعيّة وغيرهما، كما أن الأزمنة والأوقات بالقياس إليه ساعة واحدة، ضرباً آخر من الوحدة، والساعة أيضاً مأخوذة من السعي؛ لأن جميع الأشياء الكونية الطبيعيّة، ساعية إليها من جهة نحوها، من باب الحيوانية، ثمّ الإنسانيّة .

وتحقيق هذا المرام يطلب من أهل هذا الكشف، بكثرة المراجعة إليهم، وطول الصحبة معهم»[١] .

[تنور القلب بنور أهل التصوف عند المصنف ﴿﴾]

أقول : يريد أنّ من تنوّر بيت قلبه بنور اليقين، المستفاد من طريقة مَن أشرنا إليهم بذكر بعضهم، وهم الصوفيّة[٢]، لأنه عناهم بقوله : «وتحقيق هذا المرام يطلب من أهل هذا الكشف، بكثرة المراجعة إليهم، وطول الصحبة معهم»، ونحن نعتقد أنّ من كثّر المراجعة إليهم، وطوّل الصحبة معهم، مائلاً إليهم، أنّه يشرب من زقّومهم وغسلينهم .

وأمّا من تنوّر بيت قلبه بنور اليقين المستفاد من طريقة أهل الحق عليهم السلام، فإنه يشاهد تبدّل أجزاء العالم، وأعيانها وطبايعها، وصورها ونفوسها، في كل حين إلى أن تزول تعيّناتها الوضعية، وتلبس أوضاعاً غيرها، إنْ تغيّرت في الأعمال، وإلّا فتدور على أوضاعها الأولى، حتى تستقرّ على فطرتها الأولى، التي خلقه الله عليها، وهي كناية عن إجابة داعي الله في قوله : بلى بقلبه ولسانه وأركانه .

ومن شاهد حشر جميع القوى الإنسانيّة، مع تباينها في الوجود؛ يعني مع تقدّم بعضها على بعض، منها ملكوتية، ومنها طبيعية، ومنها عنصرية، واختلاف مواضعها التي تتعلّق بها؛ كالحواس الباطنة الخمس، فإنها تتعلّق بالدماغ في بطونه الثلاثة كما تقدم .

---

(١) كتاب العرشية، ص٦٩ .

(٢) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وكالحواس الظاهرة الخمس؛ أعني حاسة اللّمس والذوق، والشم والسمع والبصر، كما ذكرناه سابقاً من قوله وقولنا، لأنّه يريد أنّها كلها برزت من النفس، وانبعثت عنْها كما تقدّم، فإذا رجعَتْ إليها اضمحلّت كلّيتها، وانمحت صورها، وعادت النفس على حال بساطتها ووحدها، فإذا نفخ في الصور نفخة الفزع، انبعثت من النفس تارة أخرى، كما انبعثت منها أوّل مرة، بصور محكمة، كاملة لرجوعها إلى النفس الكاملة، فشاهتها في البقاء .

يقول المصنف : من شاهد تلك القوى النفسانيّة، في رجوعها إلى النفس الكاملة واتّحادها بها، هان عليه التصديق بما قلنا : من أن المراد بفناء الأشياء، رجوعها إلى الخالق المُشَيِّء، واتّحادها به كما كان قبل النشأة الأولى، ثم يحشرها يوم القيامة للجزاء، فتخرج بصورٍ كاملة محكمة، تَقتضي من ذاها البقاء لرجوعها إلى الباقي تعالى، واتّحادها به، لأن مسألة النفس وقواها دليل على هذا المدّعى .

ونحن قد بيّنا فيما سبق بطلان هذه الدَّعاوَى في النفس وقواها، وفي الخالق تعالى وخلقه، بأنّ هذا إنما يصحّ في المقامين، إذا كانت الأشياء المنبعثة عن الشيء، أجزاء مقتطعة من ذات، كالقطرات المأخوذة من النهر الماء، فإذا عادت إلى الماء اضمحل تركيبها وصورها، واتّحدت بالماء حتى لا تبقى لها إنّيّة أصلاً، فإذا أخذت منه مرّة ثانية، كان حكمها حكمه، والقول بهذا كفر وجحود .

وأمّا إذا لم يقل بأنّها أجزاء من الشّيء من ذاته، فلا بدّ بأنْ يُقَال : أنّها أحدثت بفعله لا من شيء، وهي إنّما هي آثار فعله، وآثار الفعل لا تكون من الفعْل، ولا تعود إليه، ولا تتّحد به، وإنّما تجاور الفعل؛ بمعنى أنها تقوم به قيام صدورٍ، أو يقال : أنّها إشراق منه، والإشراق ليس من ذات المشرق، ولا يعود إليه، بل يعود إلى رتبته التي ابتدأه المشرق منها أو فيها، فإن نور الشمس وإن كان يصير حيث صارت، إلّا أنه إذا غربت لا يتّحد بها، وإنما هو في رتبته ومقامه، **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ**

مَّعْلُومٌ﴾[١]، لا يتجــاوز من موضعه الذي وضعتْه فيه، وأقامته فيه، وأَحدثتهُ فيه، وهذه **﴿آيَاتُ اللَّه نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾**[٢] .

وأمّا مثل قوله : **﴿وَإِلَى اللّه الْمَصِيرُ﴾**[٣]، **﴿وَإِلَى اللّه تُرْجَعُ الأُمُــورُ﴾**[٤]، **﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾**[٥] ونظائرها، فالمراد منها أن كل شـــيء راجــع إلى حكمه وقدره، وقضائه وتدبيره، لا يخالف شيء منها محبّته، وهي الآن في الـــدنيا كذلك، بلا فرق باعتبار الحقيقة، كما قال سيد الســـاجدين عليه السلام في دعـــاء الصباح، من الصحيفة : (**أصبحنا وأصبحت الأشياء كلها بجملتها لك، سماؤها وأرضها، وما بَثَثْتَ في كل واحد منهما، ساكنه ومتحرّكه، ومقيمه وشاخصه، وما علا في الهواء، وما كَنَّ تحت الثرى، أصبحنا في قبضتك، يحوينا ملكـــك وسلطانك، وتضمّنا مشيئتك، ونتصرف عن أمرك، ونتقلّب في تدبيرك، ليس لنا من الأمر إلّا ما قضيتَ، ولا من الخير إلّا ما أعطيتَ** ...)[٦] .

فتدبّر كلماته، وفيها بيان تلك الآيات، وما شابَهها على أكمل بيان، ولكنّ المصنّف لّما كان يعتقد أن الأشياء المجردة، أحدثها بذاته من نور ذاته، الذي هـــو ذاته، بغير واسطة، وثبت أنّ كلّ شيء يرجع إلى أصله، قال ما سمعتَ، ولو كان يعتقد أن الأشياء أحدثها لا من شيء، وإنما هي أثر فعله، وإن فعله ليس له أوّليّة حادثة، فإذا رجع كل شيءٍ إلى أصله، رجعت الأشياء إلى فعْلِه وأَمْرِه، ولكنها لا

---

(١) سورة الصافات، الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة الجاثية، الآية : ٦ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة آل عمران، الآية : ١٠٩ .

(٥) سورة هود، الآية : ١٢٣ .

(٦) الصحيفة السجادية، ص٤٨، دعاؤه عليه السلام في الصباح والمساء . وفي مصباح المتهجد، ص١٨٣، في أدعية السر القدسية، بدل كلمة : «**علا- علن**»، وكذلك بدل : «**كن- بطن**» .

تصل إلى فعله وأَمْره أبداً؛ فَلا تَفْنَى فيه، لأنّها لَمْ تبرز من ذاته لتعود إلى ذاته، وإنما بَرزت من رتبتها منه، أي : من رُتَبِ أثرِه، فيعود كل واحدٍ منها إلى رتبة كونه، ولكنه لّما كان في بقائه محتاجاً إلى المدد، ولا يمدّ بما وصل إليه ممّا هو مدد له، بل إن كان ممّا تحلل منه، فإنه إذا جدّد للامداد جُدِّد من فوق رتبته الأولى، فإذا اتّصل بالممدود كسر الممدود، وصيغ من رتبة المجدّد، فإنها أعلى من رتبتـــه الأولى، وإن كان من مدد جديد؛ بمعنى أنه وإن كان ممّا للممدود، لكنه لم يصل إليـــه؛ لأن رتبته أعلى من مبدءٍ الممدود، لأنه حين البدء لم يصل إلى رتبة هذا المدد، فـــإذا اتصل به المدد الجديد، كسر وصيغ من رتبة هذا المدد الجديد، وبمثل هـــذا وذاك يترقى الممدود في مراتب البدء السابق، إلى ما لا يتناهى من الدرجات، فلا ينقطع عن سيره في رتب البدء، ولا في ما تقتضيه من رتب العود، هذا باعتبـــار عـــدم النهاية في الأولية والأخريّة .

[سير الإنسان من طور النطفة إلى جهة مبدئه]

وأمّا باعتبار ما بينهما، فلأن الإنسان من طَوْرِ النطفة، وهو يترقى قاصداً إلى جهة مبدئه، الذي لو اتّصل به فنى فيه، أو اتّحد به، فكان علقة، ثم مضـــغة، ثم عظاماً، ثم يكسى لحماً، ثم أنشئ خلقاً آخر، فكان في الدنيا يسير سيراً حثّيْثاً إلى جهة مبدئه، لكنه لا يصل، ثم مات في تَرقّيه ليخلّص من الأعراض المانعة له مـــن السير، فإذا تخلّص منه صيغ صيغة محكمة، لا تقبل الفناء بإذن الله تعالى، وحشـــر يوم القيامة للجزاء، وليُوَفّى ما كسبَ، ويدخل الجنّة أو النار، وهو سائر إلى جهة مبدئه، فأين الفناء، أو الاتحاد المدّعى .

وإنما كسر في قبره وتفرقت أجزاؤه لأجل التصفية، لا أنّ قبره مبدؤه لينتهيَ إليه، ولا أنّ الدنيا أصله ليفنى فيها، وإنما أتى من مكانٍ عالٍ، **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾**[١] .

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

[كل شيء يرجع إلى خالقه تعالى]

فقوله : «في أنها تفنى في مبدئها، برجوعها إلى الواحد القهار»، جهل بما كانت الأشياء عليه في الدنيا، فإن تنظيره يدلّ على أنها بعد الموت في هذه الدنيا ترجع إلى خالقها، وتتّحد به، ثم يبدؤها يوم القيامة منه ويحشرها، فيصير محصّل كلامه أنه بدأها منه، وأظهرها في الدنيا، ثم يعيدها إلى نفسه، أو تعود بطبايعها إليه، وتتّحد به، ثم يبدؤها منه مرّة ثانية، ثم يحشرها .

وينبغي على كلامه أنها تعود إليه بعد الحشر، فتتّحد به، لأنها عنده تكون جميع الأشياء صُوراً نورانيّة، والصور النورانية الغير الماديّة، تتحد عنده بعاقلها، فترجع الأشياء كما هي قبل الخلق الأوّل، ونحن لا نقول : بأنه تعالى فقد الأشياء من أماكنها، بحال من الأحوال، بل هي حاضرة عنده تعالى، كل شيء في مكانه ووقته، قبل أن يكون شيء منها عند نفسه، وعند جميع الخلائق، وبعد ذلك .

فيكون قول المصنف عندنا قولاً بفناء الجنة والنار وما فيهما، وانقطاعهما من غير شك، وإن لم يرد ذلك، ولكنه لازم على كلامه .

[في معنى النفخة وبسطها]

وقوله : «واعلم أن النفخة وإن كانت واحدة ضرباً من الوحدة، ...إلخ»، صحيح على ظاهره، وإنما قلنا : على ظاهره؛ لأنه ربّما أراد أنها من جهته متّحدة به، ومن جهة الخلائق غير متّحدة به، وهذا باطل .

بل التصحيح لظاهره إنما نريد أنه تعالى بسط النفخة كما بسط فعله، فقبلت منه الأشياء بحسب قوابلها، فتقدم بعض وبعض تأخر، فكذا الصيحة والنفخة، وكما أن عنده وحدتها بالنسبة إلى فعله من حيث ذات الفعل، فهي عنده بكثرتها من حيث تعلقها بالمفعولات كما قلنا في فعله، لأن وحدة النفخة وكثرتها، كليهما في ملكه وخلقه، وكذا الأزمان والأوقات في حالتيهما عنده في ملكه وخلقه .

[السائرون في أعمالهم إلى يوم القيامة]

وقوله : «والساعة أيضاً مأخوذة من السعي؛ لأن جميع الأشياء الكونية الطبيعيّة، ساعية إليها من جهة نحوها، من باب الحيوانية، ثم الإنسانية»؛ فيه أن قوله : «الكونية الطبيعية»؛ يريد به إخراج المجردات من هذا السعي، وليس كذلك، بل النّفوس والعقول، والأرواح كلها ساعية إليها، قال تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[2]، أي : حشرت مع من شاكلها في أعمالها، تسير إلى يوم القيامة، بأرجل أعمالها، وأيدي بطشها، وألسن أقوالها، وبجميع أدَوات جميع مشاعرها، من باب الحيوانية، ومن باب الإنسانية، وما فوق ذلك .

وأمّا النباتات والجمادات والمعادن فكذلك، ولكنها في آيّام اكتساباتها، وذكرها وغفلتها، وأكثرها يحاسب في هذه الدار، ويحضر يوم القيامة البقاع التي وقعت فيها الطاعات، لتشهد لعاملها، والتي عملت فيها، والمعاصي ليشهد على عاملها، وكذلك الشهور والسنون، والأيام والليالي، والساعات، كما نطقت به الأخبار، عن الأئمة الأطهار .

والأشياء تسير إلى الآخرة، بأرجل أعمالها، وأقوالها وأحوالها، وما كان منها، ولقد شاهدت كيفيّة ذلك في المنام، وهو أني كنتُ في أيام إقبالي، رأيت في المنام كأن جميع الخلائق يسيرون في أرض واسعة، لا ترى أطرافها من جهة الشرق إلى الغرب، وكلهم صامتون، ما يسمع منهم إلّا صوت أرجلهم في المشي، ولا يلتفت منهم أحد إلى جهة، ولا توجّه لأحدٍ لشيء، إلّا بمحض لمحض سيره ذلك .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

(٢) سورة التكوير، الآية : ٧ .

[رؤية للشارح ﭬ تدل على أن جميع الخلق سائرون إلى يوم القيامة]

ورأيت كأني معهم واقف، وعندي كتاب كبير، ما رأيتُ في الدنيا كتاباً مثله، وعن يساري رجل لا أعرفه، واقف معي، وأنا فاتح لذلك الكتاب، وهو يعرّفني في معانيه في الصفحة اليمنى منه، وأنا أجد في نفسي اعتمادي على ذلك الرجل، وثقتي ببيانه، وأحسّ أني أنا والرجل، ونحن واقفان، وجميع الخلائق يسيرون سيراً حثيثاً، إني أنا والرجل، وكل الخلائق يسيرون بما ينقلني ذلك الرجل إليه، من معاني ذلك الكتاب، فانتبهت وكان نومي وقت القيلولة، فرأيت أن الشمس ما زالت، فسبغت الوضوء ونمتُ، وأوّل دخولي في النوم كنت على تلك الحال مع الرجل، وهو يعرّفني في ذلك الكتاب، ونحن واقفان، والخلائق تسير ونحن نسير بما ننتقل إليه من معاني ذلك الكتاب، لا بأرجُلنا، وأرى الخلائق تسعى بأرجلهم، وأنا أعلم أن المحرّك لأرجلهم في السعي؛ هو تنقّلنا في معاني ذلك الكتاب، فكانت عندي معاني ذلك الكتاب، وتنقّلنا فيها لنا ولسائر الخلائق كالسفينة تسير براكبيها، وهم فيها قاعدون .

فلمّا انتبهتُ ورجعتُ إلى وجداني، وإلى ما قسم لي ربّي ﷻ، من فهم كتابه، وسنّة نبيه ﷺ، وأخبار أوليائه ﷺ، وجدت أن الخلق كلهم يسيرون إلى الآخرة بأعمالهم وأقوالهم، وأحوالهم واعتقاداهم .

ثم **أقول** : روي عن جعفر بن محمد ﷺ، أنه قال : **(ما كل ما يعلم يقال، ولا كل ما يقال حان وقته، ولا كل ما حان وقته حضر أهله)**[1] .

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص٤٩٤، تتمة ما تقدم من أحاديث الرجعة . بحار الأنوار، ج٥٣، ص١١٥ .

[القاعدة الخامسة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: أرض المحشر]

قال: «قاعدة: في أرض المحشر، هذه الأرض التي في الدنيا، إلّا أنّها تتبدّل غير الأرض كما تمدّ مَدّ الأديم، وتبسط فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، تجمع فيها الخلائق من أول الدنيا إلى آخرها؛ لأنها في ذلك اليوم مبسوطة على قدر يسع الخلائق.

ومعنى بسطها لا ينكشف إلّا لذوي الأبصار النورانية، الذي أطلقت ذواتهم من أسر الطبيعة، وقيد الزمان والمكان، فيعرف أن مجموع الأزمنة وما يوازيها كلمحة واحدة وما فيها، ومجموع الأمكنة وما يطابقها كنقطة واحدة، فكانت الأراضي كلها أرْضاً واحدة، وللأرض صورة أرضيّة، وأخرى بيضاء نقيّة، فيها الخلائق كلها، والنبيون والشهداء، والكتب والموازين، وفيها الفصل والقضاء بالحقّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]»[2].

[إن الله تعالى ضرب الأمثال لخلقه]

أقول: قد بيّنا لك مراراً، أن الله تعالى قد ضرب الأمثال، وجعل بحكمته الصورة الإنسانيّة أعلى الأمثال، وأعمّها وأشملها في الاستدلال على كلّ شيء، وكلّ من طلب دليلاً صحيحاً على ما يُريد معرفته، فليس يجد مثل نفسه شيئاً إلّا مجموع العالم، ولهذا كان فيما نسب إلى علي عليه السلام:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٩.

(٢) كتاب العرشية، ص٧٠.

وأنت الكتاب المبين الذي بأحرُفه يظهر المضمرُ

أتحسب أنّك جرم صغير وفيك انطوَى العالَمُ الأكبرُ

وإذا ثبت أنّ جسدك الذي معك في الدنيا، هو المعاد بمادته، وصورة أعماله، ثبت أنّ هذه الأرض المعادة، هي هذه الأرض الموجودة في الدنيا بمادتها، والصورة المناسبة للحشر، وجمع الخلائق .

والمصنف وإن كان كلامه يوهم الموافقة لما قلنا، لكنه صرّح في غير هذا الموضع، فيما أن الموادَّ كلها تفنى وتعدم، وإنّما تعاد بصورته لا بمادته؛ لأنّ حقيقة العَوْد عنده إنّما هو للنَّفْس، واللازم للمعاد حقيقة هو الصورة .

وممّا يدل على هذا من كلامه؛ قوله : «إن المعاد في يوم المعاد هذا الشخص الإنساني، المحسوس الملموس، المركّب من الأضداد، الممتزج من الأعضاء، والأجزاء الكائنة من الموادّ، مع أنه تتبدّل عليه في كلّ وقتٍ أعضاؤه وأجزاؤه، وجواهره وأعراضه، حتى قلبه ودماغه، سيما روحه البخاري، الذي هو أقرب جسمٍ طبيعي إلى ذاته، وأوّل منزلٍ من منازل نفسه في هذا العالم، وهو كرسي ذاته، وعرش استوائه، ومعسكر قواه وجنوده، وهو مع ذلك دائم الاستحالة والتبدّل، والحدوث والانقطاع، فإن العبرة في بقاء البدن بما هو بدن شخصي، إنما هي بوحدة النفس، فما دامت نفس زيد هذه النفس، كان بدنه هذا البدن؛ لأنّ نفس الشخص تمام حقيقته وهويّته، وهذا كما يقال : أن هذا الطفل ممّن يشيب، أَو هذا الرّجل الشائب كانَ طفلاً، وعند الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطّفوليّة؛ من الأجزاء والأعضاء -إلى أن قال- : ولا يقدح في ذلك أن هذا البدن الدنيوي مضمحلّ، فاسد مركب من الأضداد والأخلاط الكثيفة العفنيّة، وأن البدن الأخروي لأهل الجنّة نوراني، باق شريف حيّ لذاته، غير قابل للفناء، والموت والمرض والهرم»[1] .

---

(١) كتاب العرشية، ص٥١ .

وقال أيضاً في جواب الاعتراض السادس للمنكرين للحشر الجسماني : «وإن هذه الأرض ليست محشورة على هذه الصفة، وإنّما المحشورة صورة هذه الأرض، إذا مدّت، وألقت ما فيها وتخلّت»[١] .

فقوله : «ليست محشورة على هذه الصفة»، لو أريد من الصفة المنفية الكثافة خاصة، لما قال : «وإنما المحشورة صورة هذه الأرض»، فافهم الإشارة .

وقال أيضاً في الأصل الأول : «أن يقوم كل شخص بصورته لا بمادّته، وهي عين ماهيته، وتمام حقيقته، ومبدأ فصله الأخير، فهو هو بصورته لا بمادته، حتّى لو تجرد صورته عن مادّته، لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرد، وإنما الحاجة إلى المادة؛ لقصور بعض أفراد الصور عن التفرد بذاته، دون التّعلق الوجودي، بما يحمل لوازم شخصه»[٢]، إلى آخر الأصل الأول .

فيلزم من كلامه أن زيداً إذا أعيدت نفسه وصورته بمادةٍ غير مادّته، كان المعاد هو زيد بحقيقته التي يترتب عليها الثواب أو العقاب، وهو مراده هنا في حشر الأرض، فلا تتوهّم أنه يريد مرادنا؛ من أنّ المعاد هي الموادّ، ولكن في صورة أعماله، فقد تتغيّر صورته، ولا تتغيّر مادّته، في حالٍ من الأحوال، بل المعاد الذي يريده ما هو به زيد من الهيئة الإنسانية الخاصة، ولهذا قال : «بل إصبعه هذا صدق أنه الإصبع الذي كان له في الطفولية، مع أنه قد عدم في ذاته مادة وصورة، ولم يبق بما هو جسم معيّن في ذاته من نوع معيّن، وإنما بقي بما هو إصبع لهذا الإنسان لبقاء نفسه، فهذا ذاك بعينه من وجه، وهذا ليس بذاك بعينه من وجهٍ» .

---

(١) كتاب العرشية، ص٦٠ .

(٢) كتاب العرشية، ص٤٦ .

ونقول : إنما هو جسم معين بمادّته وصورته، فإذا لم يبق بما هو جسم معيّن في ذاته، لم يبق للإعادة إلّا الهيئة الوجوديّة الإنسانيّة، وهي لا تكون زيداً إلّا بما هو هو من مادّته وصورته .

والمصنف بنى أمره في اعتقاده على دَعْوَيَيْنِ؛ **الأولى** : إن المجردات ثابتة، لا يمكن أَنْ يَظهر عليها التغير، والتبدّل والفناء، وهو خطأ؛ فإنه إن جعلها ممكنة فحكمها حكم الماديّات في احتياجها إلى المدد، وإن جعلها قديمة، أو من لوازم القديم، فهو أيضاً باطل؛ إذ القديم لا يتغير عن حاله، وهذه على قوله : «كانت عارية عن الصور، ثم تلبّست بها في هذا العالم، فاختلفت أحوالها، ومختلف الحالات حادث» .

وأيضاً القديم لا يكون له ظهور غير بطونه، وبطون غير ظهوره، وإن فرضها من لوازم القديم، كما صرح به في كتابه الأسفار[1]، وأنها لا يمكن تصور انفكاكها، فهو غلط من وجوه؛ منها : أن القديم لا يكون له لوازم، وإلّا كان حادثاً للزوم الاقتران الموجب للحدوث .

ومنها : أن اللوازم ليست هي المتنزلة في الأجسام، بل المتنزلة في الأجسام أشباح تلك اللوازم وأظلّتها، كما صرّح به في هذه الرسالة وغيرها .

وصرّح أيضاً على أن الثابت لا يلزم أن تكون آثاره وأظلّته ثابتة .

ومنها : أن اللوازم صرّح بأنها لا يمكن تصوّر انفكاكها، فكيف جعلها هي النازلة في صورة زيد .

الثانية : أنه بنى أمره هنا على اعتقاد أن المواد الجسمانية تفنى وتضمحلّ وتعدم، وإنما المُعاد صورها، وهذا غلط؛ لأنّها دخلَتْ في ملك الله، فلا تخرج عنه، وقد صرّح بذلك تعالى في كتابه، فقال : **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**

---

(١) راجع الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج١، ص٧٠ .

وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[٢]، لأن من في القبور لا يكون إلّا المـوادّ الجسمية، لا النفس، ولا الهيئات الوجوديّة.

وقد ذكرنا ما توهّموا منه فيما تقدّم، من أنّه لو اغتذى زيد بعمرو حتّى كان عمرو جزءاً لزيد، فإنّه لو كان الواقع إعادة الأجسام الدّنيويّة، لَتعذّرَ إعادَتُهمَا مَعاً؛ لاستلزام إعادة مادّة أحَدِهما نقصان الآخر، وقد بيّنّا علّة ذلكَ فيما سَبَقَ، مِنْ أَنّ مادة عمرو لا تكون غذاء لزيد، وزيد إنّما يغتذي بغير مادة عمرو الأصليّة.

وأمّا مادّته وطينته التي خلق منْها، فإنها لو حرقت بنيران الدّنيا، لما سَطَتْ عليها، ولا أثّرت فيها؛ لأنّها ليست من هذه العناصر، وإنما نزلت من عالم الغيب، وحيث جهلوا هذا المعنى، قالوا: بأنّها تَفنَى، وأنّها تكون جزءاً من أخر، فالأرض المحشورَة هذه الأرض بعد إزالة الأعراض الدنيويّة، لأنّ أصلها نزل من عالم الغيب، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

[رد المصنف ﷺ على من أنكر حشر الأجسام]

وقوله: «تمد مَدّ الأديم، وتبسط»؛ يشير به إلى الجواب عن الإشكال السادس لمنكري حشر الأجسام، في قولهم: «أن جرم الأرض مقدار ممسوح بالفراسخ والأميال، وعدد النفوس غير متناه، فلا يفي جرمها بحصول الأبدان الغير المتناهية».

---

(١) سورة ق، الآية: ٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧.

(٣) سورة الروم، الآية: ٦.

فأجاب هناك[1]، ونبّه هنا بهذا الكلام، ملاحظاً فيه تتمّة الجواب، من أن الأرض تمدّ مدّ الأديم؛ أي : تبسط على قدر يسع الخلائق، من أوّل الدنيا إلى آخرها، ومن فهم المراد، عرف أن الأرض ليس بسطها ومدّها مدّ الأديم؛ أي : الجلد لتسع الخلائق، إذ لو لم تمدّ لما وسعت الخلائق المحشورين، بل تسع الخلائق، وإنّما بسطت ليحضر الكل للكل، فلا يستتر أحد عن أحدٍ، بوهدة ولا تلعة، بل بسطت لتبدو الضّمائر، وتبلى السرائر، هذا ظاهر المدّ والبسط .

وأما حقيقته؛ فإنها إذا أزيل عنْها الموانع والأعراض؛ من كثافة المعاصي، اتّصفت بصفات المجردات، كما هو مقرر في العلم الطبيعي، من أنّ الأرض المقدسة ما دام فيها القوم الجبّارون، فهي ضيّقة لما فيها من الجبال والصخور، فإذا اخرجوا منها، وزالت منها الجبال والصّخور، وسعت كلّ ما يقع فيها، وإن كان غير متناهٍ، لأنّ الداخل الأوّل يشغل منها مكاناً، ويكون هو ومكانه مكاناً للداخل الثاني وهكذا، فتتّسِعُ بنسبة من يكون فيها، ويصدق على ما قلنا قوله : «لأنها في ذلك اليوم مبسوطة على قدرٍ يسعها»، وإن كان لا يتصوّر ما أشرنا إليه، وكذا قوله : «ومعنى بسطها لا ينكشف إلّا لذوي البصائر النورانية، الذي أطلقت ذواتهم من أسر الطبيعة»؛ يعني تمحّضت في تجرُّدها، وخَلَعَتْ أَحْوَال الزمان، وما يتعلّق به، وجهات المكان وما يحلّ فيه، فيعرف بصفاء حِسِّه، أَنَّ مجموع الأزمنة وما يوازيها كلمحةٍ واحدة بالبصر وما فيها، ومجموع الأمكنةِ وما يطابقها من المتحيّزات كنقطة واحدة، قد طاشت في دائرة، فكانت الأراضي السّبع؛ أرض الحياة، وأرض العادة، وأرض الطبع، وأرض الشّهوة، وأرْض الطغيان، وأَرْض الإلحاد، وأرض الشَّقاوة، كلّها أَرْضاً واحدة؛ أي : في الظهور والبروز، ليحشر في كل أرضٍ أهلها .

---

(١) كتاب العرشية، ص٦٠ .

فإذا عرفت أَنّ كلَّ أرضٍ يحشر فيها أهلها، وأن كلّ سابق هو ومكانه مكان للاحقه، وأن أجسام الآخرة لم تبق على حالتها في الدنيا، بل أُزيلَتْ عنها أعراض الدنيا، فكانت بأنفسها حيّة بإذن الله تعالى، فكانت بجعله تعالى رُوحانيّة .

[أوصاف صورة الأرض عند المصنف ﷺ]

وقوله : «وللأرض صورة أخرى بيضاء نقيّة»، توصف بالفضّة لبياضها، وصفائها وطبيعتها، لأنها من طبيعة الأرض الأولى، أرض الحياة؛ لأن الدار الآخرة هي الحيوان(١) .

وتوصف بالخُبْزةِ النّقيّة؛ لأن أهل الجمع يأكلون منها، إلى أن يفرغوا من الحساب، فيها الخلائق كلها من كل ذي روح حيوانية طبيعية، أي : من نوع الأفلاك، أو نباتيّة من نوع لطائف العناصر، أو روحٍ ظرفيّة، كأرواح الأمكنة والأزْمنةِ، أَو عَرضيّة كأرواح الأعراض من الألوان، والحركات والسكونات، والمقادير والهيئات، والأحوال والأقوال، وما أشبه ذلك .

وفيها النبيون كلهم من ذوي الأرواح الكَرُوبيّة .

وفيها الشهداء كلهم من ذوي الأرواح النورانية .

وفيها الصالحون كلهم من ذوي الأرواح الجوهريّة .

وإنما قلت : كأرواح الأعراض، لأنّ كل نوع من أنواع الأشياء، كالأعراض والطبائع، كالحرارة والرطوبة، والبرودة واليبوسة، وكالحروف والكلمات والكلام، وما أشبه ذلك مما ذكرناه، أو أدخلناه في هذه المشابهة، أمم أمثالكم، في كل أمّة ذكر وأنثى، وسعيد وشقي، ومؤمن وكافر، وتناكح وتوالدٌ، وكل ما يوجد في الأمم الحيوانية، إلّا أنّها بنسبة حالها، مثلاً لو ظهر لك كلام زيد، أو

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ . [سورة العنكبوت، الآية : ٦٤] .

طوله، أو بياضه، أو حرارته، وما أشبه ذلك، وقعَد بجنبِ زيد، لم تكـد تفـرّق بينهما، إلّا أن زيداً إذا تكلم حكى عن نفسه وكلامه، أو طُوله إذا تكلّم حكـى عَنْ زيدٍ .

وكلامي هذا تنبيهٌ لك على سرّ عظيم بالتلويح، لأن التفصيل يطـول بـه الكلام .

[كيفية كتابة أعمال بني آدم]

وفيها أيضاً الكتب؛ أي : تطائرها، وهي كتب الأعمال، والمراد بكتابـك جمع أعمالك بعد تفرّقها، وذلك لأن الإنسان أوّل ما يدخل في قبره، ويشـرج عليه اللبن، يأتيه رُومان فتّان القبور، ويضع روحه في جسده إلى حقويه، فيقـول له: اكتب أعمالك .

فيقول للملك : ما أحفظها؟ .

فيقول : أنا أُمليْها عليك .

فيقول : ليس عندي دواة؟ .

فيقول : من ريقك .

فيقول : ليس عندي قلم؟ .

فيقول : إصبعك .

فيقول : ليس عندي قرطاس؟ .

فيقول : قطعة من كفنِك .

فيكتب ورُومان يملي عليه، فعلتَ كذا يوم كذا، وفي المكان الفلاني، ويذكر له كل شيء عمله أو قاله في مكانه ووقته، حتى يذكره، ثم يطوي تلك القطعـة المكتوب فيها، ويطوّقه بها في عنقه، فيكون أثقل عليه من جبل أُحدٍ، وهو قولـه تعالى : ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ**

مَنشُورًا ۞ اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(١)، فإذا كان يوم القيامة، وكان مؤمناً أتاه كتابه الذي كتبه على نفسه، من أعماله، بإملاء الملك رُومان فتّان القبور، من أمامه، فيأخذه بيمينه .

وإن كان كافراً، أتاه من خلفه، وضرب ظهره، وخرج من صدره، فيأخذه بشماله، ثم يقوم كتاب الله الناطق عليه السلام، فينطق على الخلائق بعبارة واحدة، تطابق كلّ كتاب أملاه رومان بما فيه من خير أو شرّ، لا يخالف منها حرفاً واحداً، وهو قوله تعالى : ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢)، وهو تأويل قوله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(٣)، فيشاهدون أعمال الخلائق، فهم الأشهاد، يقول تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٥)، هذا بيانه بكلام الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله .

[كيفية كتابة الحفظة أعمال بني آدم باعتبار آخر]

وأما ترجمته بلغتكم، فكيفيّة الكتابة أنّك إذا رأيتَ زيداً يصلّي صلاة الظهر، يوم الخميس، في المسجد الفلاني، في اليوم الخامس عشر من شهر رجب مثلاً، سنة الرابعة والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة، كل ما ذكرتَ ذلك ذكرته في ذلك الوقت، في ذلك المكان، بتلك الحالة، فما دمتَ حيّاً لا تذكره ولو بعد

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان : ١٣-١٤ .

(٢) سورة الجاثية، الآيتان : ٢٨-٢٩ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ١٠٥ .

(٤) سورة غافر، الآية : ٥١ .

(٥) سورة البقرة، الآية : ١٤٣ .

خمسين سنة إلّا هكذا، لأنه لمّا صلّى كتبت الحفظة مثاله في غيب ذلك المكـــان، وفي غيب ذلك الوقت، متلبّساً بذلك العمل أبداً إلى يوم القيامة .

وإذا رأيتَ عمرواً يسرق شيئاً من السوق، من الدكان الفلاني، يوم كـــذا، كل ما ذكرته ذكرته كذلك، لأن الحفظة كتبتْ مثاله في غيب ذلك المكان، وفي غيب ذلك الوقت، متلبّساً بتلك السرقة، فما دمت حياً لا تذكره إلّا هكذا، فإذا أتاك زيد رأيته متّصفاً بذلك العمل، لابساً لذلك المثال، العامل المتلـبّس بـذلك العمل، وإذا أتاك عمرو رأيته متّصفاً بذلك العمل، لابساً لذلك المثال، العامـل المتلبّس بذلك العمل، فإن أتاك عمرو بعد أن تاب، وأنت عالم بتوبتـه، لم تـره متّصفاً بذلك، ولا لابساً لذلك المثال، العامل المتلبس بذلك العمل، ورأيت المثال غير قائم بعمرو، وإنما هو قائم بمبدئه من لوح الباطل، أعني سجّين كتاب الفجار، وهو وجه الثرى الذي لا يعلم ما تحته إلّا الله تعالى، فإذا كان عمـرو مؤمنـاً، وأخلص توبته، بقي ذلك المثال السارق إلى نفخة الصور، ثم يمحى ذلك المثـال السارق من الألواح الصغار، ألواح المحو والإثبات، كنفوس الملائكـة الحفظـة والناس، ومن ذلك المكان والزمان، ومن غيبَيْهما، وإلّا بقي متّصفاً به في الـدنيا، فإذا كان يوم القيامة، لبسه وظهر به مكشوفاً بين كل الخلائق، (**يا مـن أظهـر الجميل، وستر القبيح**)[1]، جَلّلني بسترك، واعف عن توبيخي، بكرم وجهك يا كريم .

هذه كيفية كتابة الحفظة، وما رأيته إنما تذكره لأنك تقابل بمرآة خيالـك، مثاله في مكانه ووقته، فتراه متلبّساً بذلك العمل، فتنتقش صورة ذلك بما تلبّس به من العمل أو القول، مع الهيئة في مرآة خيالك .

[أنواع الموازين للعمل الواحد والموكلين بها]

وفيها الموازين؛ وهي جمع بالنسبة إلى كل شخص، كما قال : ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ**

---

(١) مصباح المتهجد، ص٦٧، في نوافل العصر وأدعيتها . مفتاح الفلاح، ص١٤٧ .

مَوَازِينُهُ﴾[١]، وقال : **﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾**[٢]، وذلك لأن العمل الواحد له موازين متعددة، منها : ميزان القدر، بأنه مثلاً عشرة مثاقيل، أو خمسة، أو مائة، يوزن في ذي الكفتين .

ومنها : ميزان اللون؛ كما يميّز به بين الحمرة الياقوتية والعقيقية .

ومنها : ميزان القيمة؛ كأن تكون قيمته وَاحداً، أو عشرة، أو ألفاً .

ومنها : ميزان البقاء؛ بأن يبقى يوماً، أو سنة .

ومنها : ميزان التأثير؛ مثل أن يكون تأثيره قوياً أو ضعيفاً، سريعاً أو بطيئاً، يثبت أو يزول .

ومنها : ميزان الحصول؛ مثل أن يكون وقت الجزاء عليه الدنيا، أو البرزخ، أو الآخرة .

ومنها : ميزان الرتبة في الدرجات؛ بأن يبلغ أدنى الجنان أو أعلاها، أو أوسطها .

ومنها : ميزان العدد؛ بأن يكون أجره ألفاً، أو عشرة آلاف، أو أكثر أو أقل، وما أشبه ذلك .

وكل واحدٍ من الموازين، يوكّل الولي عليه السلام بإذن الله على تمييزه نوعاً من الملائكة، لا يصلح لغيره، يميّز ما وُكّل به بهداية الولي وتعليمه عليه السلام .

وفيْها أي : في الأرض، أو فيْها على الصراط، الفصل بين الخلق، والقضاء عليهم بالحقّ، فينطبق الحقّ المستقيم في طريقته على طبق استقامَته، وعلى المعوجّ في طريقته، بطبق اعْوجاجه، ولا يظلم ربّك أحداً، قال تعالى : **﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾**[٣]، أي : باهتدائه إلى الإسلام باختياره، **﴿وَمَن**

(١) سورة الأعراف، الآية : ٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٩ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٥ .

يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1]، أي : يجعله كذلك بإعراضه عن الإسلام باختياره، قال تعالى : **﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**[2]، أي : بتركهم الإيمان باختيارهم، وميلهم إلى الضلالة باختيارهم، فوهب لأهل طاعته القوّة على طاعته، بحقيقة ما هم أهله .

ووهب لأهل المعصية القوّة على معصيته، لسبق علمه فيهم، ومنعهم إطاقة القبولِ منْه .

[معنى سبق علمه على أفعال الخلق]

ومعنى سبق علمه فيهم؛ أنه تعالى أشرف على ما فعلوا حين فعلوا في مكان فعلهم، ووقته قبل أن يكونوا في أنفسهم، وقبل أن يقع منهم فعْل عند أنفسهم، وعند جميع الخلق، لأنه تعالى ليس معه استقبال، ولا انتظار لشيء، إذ لم يفقد شيئاً لذاته وأزله شيئاً ممّا سواه من ملكه، كلّ شيء من الأشياء، في مكان حدوده، ووقت وجوده، حاضر عنده قبل أن يكون ذلك الشيء عند نفسه، وعند جميع الخلق، **﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾**[3]، وذلك الفَصْل والقضاء المشار إليه بقوله تعالى : **﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[4]، هو المعبّر عنه بقوله تعالى : **﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾**[5]؛ أي : بما أظهر فيها مربّيها .

والقائم بالقسطِ فيها بإذنِ الله تعالى، من العَدْل القويم، والصراط المستقيم، ووضع الكتاب النّاطق بالحقّ على الخلق، وجيئ بالنبيّين والشهداء، عطف عام على خاص، فالشهداء هم النبيون والملائكة، وأتباع النبيين، والسّنون والشهور،

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١٢٦ .

(٤) سورة هود، الآية : ٥٦ .

(٥) سورة الزمر، الآية : ٦٩ .

والأيام والليالي، وبقاء الأرض، وقضي بين الخلق بالقَضاء الحقّ، الذي هو آثـــار ولايةِ ولي الله عليه السلام، وهم لا يظلمون، إذ لم يحكم الله بأعمالهم التي عملوهـــا باختيارهم، وهم يعلمون .



[القاعدة السادسة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في : الصراط المستقيم]

قال : «قاعدة : في أن الصراط حقّ ورد في الحديث، وقد رواه المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام، أنه قال : (**الصراط هو الطريق إلى معرفة اللّه عزّ وجلّ، وهما صراطان؛ صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة .**

أما الصراط الذي في الدنيا، فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا، واقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا، زلّت قدمه عن الصّراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنّم)[1].

وروى الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال : (**الصراط المستقيم أمير المؤمنين علي عليه السلام**)[2] .

وأيضاً عنه عليه السلام، في قول اللّه تعالى : ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[3]، قال هو : (**أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته**)[4] .

---

(١) معاني الأخبار، ص٣٢، ١، باب : معنى الصراط . وفي بحار الأنوار، ج٨، ص٦٦، ح٣، باب : الصراط، بدل كلمة : «**المفترض-المفروض**». وفي تفسير الصافي، ج١، ص٨٥، في تفسير معنى الآية : ٥ من سورة الفاتحة، باختلاف .

(٢) معاني الأخبار، ص٣٢، ح٢، باب : معنى الصراط .

(٣) سورة الفاتحة، الآية : ٦ .

(٤) معاني الأخبار، ص٣٢، ح٣، باب : معنى الصراط المستقيم . تفسير القمي، ج١، ص٤١، في تفسير معنى الآية : ٦ من سورة الفاتحة . بحار الأنوار، ج٢٤، ص١١،

←...

وفي رواية أخرى عن واحدٍ منهم عليهم السلام : (**الصراط المستقيم هو صراطان؛ صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا، فهو ما قصر عن العلو، وارتفع عن التقصير، واستقامَ فلم يعدل إلى شيء من الباطل .**

والطريق الأخر طريق المؤمنين إلى الجنّة، وهو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنّة)[1] .

وعنهم عليهم السلام : (**نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم**)[2]»[3] .

[معنى الصراط المستقيم والمعاني التي تطلق عليه]

أقول : الصراط لغة : الطريق .

وقول الصادق عليه السلام : (**الصراط هو الطريق إلى معرفة اللّه تعالى**)؛ لبيان الطريق الكامل المؤدّي إلى الله، ولهذا فسّرَهُ بمعرفة اللّه الّتي تكمل بتوحيدِ الله، وتوحيده تعالى في أربع مراتب؛ **الأولى** : توحيد ذاتِه تعالى عن التَّعدُّدِ والتركيب،

...←

ح٤، باب : ٤٤ . تفسير الصافي، ج٤، ص٣٨٤، في تفسير معنى الآية : ٤ من سورة الزخرف .

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص٤٤، ح٢٠ . وفي معاني الأخبار، ص٣٣، ح٦، باب : معنى الصراط المستقيم، بدل كلمة : «**العلو-الغلو**» وكذلك بدل : «**فأما الصراط-وأما الصراط**». وفي بحار الأنوار، ج٨، ص٦٩، ح١٨، باب : ٢٢، كلمة : «**هو**»، غير موجودة .

(٢) معاني الأخبار، ص٣٥، ح٥، باب : معنى الصراط . بحار الأنوار، ج٢٤، ص١٢، ح٥، باب : ٢٤ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٠ .

واختلاف الأحوال، قال تعالى : **﴿وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ﴾**(١) .

الثانية : توحيد صفاته، قال تعالى : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**(٢) .

الثّالثة : توحيد أفعاله، لأن الفاعل الحقيقي هو الذي يحدث مادةَ مفعوله، لا من شيءٍ، وليس لله تعالى شريك في ذلك، إذ لا يحدث شيئاً من المواد غيره، قال تعالى : **﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾**(٣) .

الرابعة : توحيد عبادته، قال تعالى : **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**(٤) .

وهما صراطان؛ صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة .

أمّا الصراط في الدنيا، فيطلق على معاني؛ **أحدها** : القيام بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، على حدّ ما أمر به على ألسنة أوليائه عليهم السلام، وذلك فروعهم واتّباعهم، والتسليم لهم، والرد إليهم، والتفويض إليهم في كل شيء، مما علمت وممّا لم تعلم، وهذه ظاهر وَلايتهم .

وثانيها : محبّتهم، والتولّي بهم، والموالاة لوليهم، والتبرئ من أعدائهم ومخالفيهم، والمجانبة لهم ولأتباعهم، وهذه أركان ولايتهم عليهم السلام .

وثالثها : الاعتقاد لما اعتقدوا له، والإيمان بما آمنوا به، والكفر بما كفروا به، وهذه أبواب ولايتهم .

---

(١) سورة النحل، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٣) سورة لقمان، الآية : ١١ .

(٤) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

ورابعها : الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا باسمه وصفته، واقتدى بهداه، مرّ على الصراط، الذي هو جسر جهنم، يمرّون عليه الخلائق، صعودهم إليه ألف سنة، وحُذَالهم ألف سنة، ونزولهم ألف سنة[1]، ويأتي بعض أوصافه .

ومن لم يعرف الإمام عليه السلام في نحو ما ذكر، زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنّم، لأنه جسر للجنّة على جهنّم، تمر الخلائق على قدر أعمالهم، لأنه صورة أعمالهم لما كلّفوا به، من القيام بأمر الله، والانتهاء عن معاصي الله، والاعتقاد لما أُريد منهم، فمنهم من يمرّ عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ عليه كالجواد السابق، ومنهم من هو كالماشي، ومنهم من يحبو حَبْواً، ومنهم مَن تأخذ النار بعضه، ومنهم من يمرّ عليه حتى يصل إلى مكانه من جهنّم، فيسقط فيه، وذلك كما قال تعالى : ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾[2] .

[معنى الصراط المستقيم على المعنى الباطني عند المصنف قدس سره]

وقوله : «وروى الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال : (**الصراط المستقيم أمير المؤمنين علي** عليه السلام)[3]»؛ يريد به ذكر معنى من الصراط في الباطن .

والمراد من كونه عليه السلام الصراط المستقيم، أنه عليه السلام هو ورسول الله صلى الله عليه وآله علّة الأشياء المادّية والصورية، بل والفاعلية والغائيّة، أمّا أنهما «صلى الله عليهما وآلهما»، العلة الفاعلية، فلأن الله سبحانه خلقهما، وألقى في هويّتهما مثاله، فأظهر عنهما أفعاله، فهو تعالى فاعل بهما، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر

---

(١) قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام واصفاً للصراط : (... **ألف سنة صعود، وألف سنة هبوط، وألف سنة حدال**) . [تفسير القمي، ج١، ص٤١، في تفسير معنى الآية : ٦ من سورة الفاتحة . بحار الأنوار، ج٨٢، ص٥٢، باب : ٢٣] .

(٢) سورة الأحقاف، الآية : ١٩ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦١) من هذا الكتاب .

العالم العلوي من المدبرات أمراً، فإن تلك الملائكة قال عليه السلام في بيان معرفتهم : (**وألقى في هويّتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله**)[١]، وذلك كما ألقت النار في هويّة الحديدة المحميّة بها مثالها، أي : أثر فعلها، فظهر بها أثر الإحراق، كما يظهر بالنار، وذلك المثال هو أمره الفعْلي، المسمى بالمشيئة، والإرادة والإبداع، فهم ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[٢] .

وإن شئتَ قلتَ : فهو تعالى بهم يفعل ما يشاء؛ لأنّ فعله متقوّم بهما تقوّم ظهور، وهما تقوّما بفعله تقوّم تحقّق، فآية فعله تعالى بهما، أي : تقوّم فعله بهما، وتقومهما بفعله، كالقائم والضارب بالنسبة إلى زيد، ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ**﴾[٣]، فإن القائم والضارب، اسما فاعل القيام، وفاعل الضرب، وليسا اسما لذات زيدٍ، ولا يحملانِ على ذات زيدٍ إلّا مجازاً، والمجاز هو الصراط، فهما بالله العلة الفاعلية؛ لأنهما محلّا فعله، الحاملان له .

[شرح معنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام العلة المادية والعلة الصورية]

وأمّا أنهما العلّة المادّية، والعلّة الصوريّة، فلأن الله تعالى [خلق] من شعاع نور محمد صلى الله عليه وآله أنوار جميع الأنبياء عليهم السلام وحقائقهم، وذلك جميع موادّهم عليهم السلام، وخلق من أشعّة أنوار الأنبياء عليهم السلام جميع أنوار المؤمنين، أي : موادّهم، وخلق من أشعة أنوار المؤمنين مواد الملائكة، وهكذا إلى رتبة الجماد، فشعاع نوره صلى الله عليه وآله، هو العلة المادّية لجميع الخلق، وهو النور الذي عناه الصادق عليه السلام في قوله : (**إن الله**

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٨٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٢٧ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٦٠ .

خلق المؤمنين من نوره)[١] .

وأمّا العلة الصوريّة، فلأن الله تعالى خلق من هيئة أعمال عليّ عليه السلام وقابليته، صور جميع الأنبياء عليهم السلام، وخلق من هيئة صور الأنبياء عليهم السلام صور المؤمنين، وهكذا إلى الجمادات الطيبة العذبة، كما خلق من هيئة صورة المقابل وهيئة حركته، الصورة في المرآة وحركتها، وكما خلق من هيئة حركة يد الكاتب هيئة الكتابة بحركة يده .

وأمّا صور الكفار والمنافقين وأتباعهم، من الحيوانات والنباتات، والجمادات، فقد خلق اللّه تعالى من عكوسات هيئات أعمال علي عليه السلام، وعكوسات قابلياته، صور الكافرين والمنافقين، وخلق من هيئات صورهم صور أتباعهم، إلى الجمادات المرّة، والسَّبخة والمالحة، وقد قال صلى الله عليه وآله : **(أنا وعلي أَبَوا هذه الأمّة)**[٢] .

[شرح معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (أنا وعلي أبوا هذه الأمة)]

وإذا فسّرنا هذه الأُبوّة على تفسير التأويل، قلنا : الأب هو المادة كما ذكرناه في سائر كتبنا، مبرهناً عليه عقلاً ونقلاً، خصوصاً في الفوائد وشرحها .

والأمّ هي الصورة، لا كما ذكره الحكماء، بل كما ذكره أئمة الهدى عليهم السلام، كما في قول الصادق عليه السلام : **(إن الله خلق المؤمنين من نوره، وصبغهم في رحمته، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوه النور، وأمّه الرحمة)**[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) الصراط المستقيم، ج١، ص٢٤٢ . نهج الإيمان، ص٦٢٥ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وقوله : (**من نوره**)، هو المادة، لأن المادة هي تدخل عليها لفظة «مـــن»، كما تقول : عملت السرير من خشب، وصُغْتُ الخاتم من فضة، فما دخلت عليه «من» فهو المادة، فدلّ على أن المادة هي الأب، فشبّه الشعاع المشتق من إشراق نوره صلى الله عليه وآله بالأب، والهيئة المشتقة من هيئة أعمال علي عليه السلام، وقابلياته التي هي الرحمة المكتوبة، الخاصة بالمؤمنين بالأمّ، لأن موادّ جميع الخلق من شعاع نور محمد صلى الله عليه وآله، وصور جميع الخلق من شعاع هيئة أعمال عليّ عليه السلام، أو عَكْسِها .

[شرح معنى أنهم عليهم السلام العلة الغائية]

وأمّا العلّة الغائيّة، فهم العلّة الغائيّة، لأنّ الله تعالى خلَق الخلق لأجلهم، كما قال علي عليه السلام : (**نحن صنائعُ اللّهِ، والخلق بعد صـــنائع لنـــا**، ...)[1]، أيْ : صنعهم الله لَنا .

وفي الإنجيل : (**خلقتك لأجلي، وخلقتُ الأَشْياء لأجلك**)[2]، فإذَا عرفتَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام علة لجميع الخلق، في إيجاد أكوانهم وأَعْيانهمْ، فهو طريقُ الله تعالى إلى خلقه، وترجُمَان إمداداته، ومؤدّيها إليهم، ومعطي كل ذي حـــقٍّ حقّه بإذْنِ الله تعالى، وهو عليه السلام الحامل لأعباء ولايَة الله، التي جعلها لنبيّه محمد صلى الله عليه وآله على جميع خلقه، وذلك في جميع ذرّاتِ ما يُنَاط بالخلائق كلهم، من أحوال أركان التكوينات الأربع، التي دار عليْها الوجود الإمكـــاني؛ الخلـــق والـــرزق، والممات والحياة، وهو طريق الله إلى خلقه في حدوده التكليفيّة والتكونيّة .

[المراد من أن معرفة أمير المؤمنين عليه السلام هي الصراط المستقيم]

وعن الصادق عليه السلام في قول الله : ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**﴾[3]، قال هو :

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص٣٩ .

(٢) الجواهر السنية، ص٣٦١ .

(٣) سورة الفاتحة، الآية : ٦ .

(أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته)[١] .

والمراد بمعرفته التي تكون هي الصراط المستقيم، الذي يكون أحدّ من السيف، وأدقّ من الشعرة، هي معرفته بالنورانية، كما رواه سلمان وأبو ذرّ عنه عليه السلام، في تعليمه لهما، المشتمل على الأسرار، ويجمعها قول الصادق عليه السلام : **(اجعلوا لنا ربّاً نؤبُ إليه، وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا .**

فقال له السائل نقول : ما شئنا؟ .

قال عليه السلام : وما عسى أَنْ تقولوا واللّهِ ما خرج إليكم من علمنا إلّا ألف غير معطوفة، ...إلخ)[٢] .

وإنما قيّد بالمستقيم؛ تنبيهاً على أنّ غيره أيضاً سبل، ولكنها غير مستقيمة، بل تهجُم بسالكها على كلّ ما يكرهه الله .

وأمّا هذا عليه السلام فإنّ الله تبارك وتعالى خلقه في أحسن تقويمٍ، وصوره على صورة مشيّئته ومحبّته، بحيث لَو تُرِكَ وميل نفسه بفطرته، وشهوة بنيتِه، لم يفعل إلّا ما يريد الله تعالى، لأنه هو وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، علّاهم الله تعالى بتَعْلِيَة محمدٍ حبيبه ورسوله صلى الله عليه وآله، وسَما بِهم إلى رتبته، وهو صلى الله عليه وآله قد خلقه الله على فطرة لا يحتمل الإمكان، فطرة لبَشرٍ أعدل من الفطرة التي فطره عليها، فلذا قال : **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[٣]، ولأجل أنّ اللّه تعالى سما به إلى رتبة المستقيم، الذي ليس في الإمكان استقامة تزيد على استقامته، أو تساويها، سمّاه بعليٍ، ووصفه بالصراط المستقيم .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦١) من هذا الكتاب .

(٢) المحتضر، ص٣١ . بحار الأنوار، ج٢٥، ص٢٨٣ .

(٣) سورة القلم، الآية : ٤ .

[معنى الصراط المستقيم واستقامته]

وقوله : «وفي رواية أخرى، عن واحد منهم عليهم السلام»، في تفسير الأميرزا القمي رحمه الله، قال : حدثنا محمد بن القاسم الأسترابادي المفسّر، قال : حدثني يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن سيّار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي، بن محمد بن علي، بن موسى بن جعفر، بن محمد بن علي، بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، في قوله : ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾[1]، قال : (**أَدِمْ لنا توفيقَك الذي به أطعناك فيما مضى من أيامنا، حتى نطيعَك كذلك في مستقبَلِ أعمارنا** .

والصراط المستقيم هو صراطان؛ صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمّا الطريق المستقيم في الدنيا؛ فهو ما قصر عن العلو، وارتفع عن التقصير واستقام، فلم يعدل إلى شيء من الباطل .

والطريق الآخر؛ طريق المؤمنين إلى الجنّة، الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنة إلى النار، ولا إلى غير النار، سوى الجنّة)[2] .

والمروي عنه هو الحسن العسكري «عليه وعلى آبائه وابنه السلام» في تفسيره .

وفسّر ﴿**اهدِنَا**﴾ بالمعنى لا باللغة، فقال : (**أَدِمْ لنا توفيقك**)، وفيه تنبيه على أن العمل الباقي هو ما دام عليه المكلف، أو أنّ الهداية إنما تكون ملكة وطبيعة بالدّوام، أو أنّ الاعتبار في الأعمال بما يكون خاتمة لها، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿**وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾[3] .

---

(١) سورة الفاتحة، الآية : ٦ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٢) من هذا الكتاب .

(٣) سورة ق، الآية : ١٩ .

[صراط الدنيا والآخرة]

والصراط صراطان؛ صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأمّا الطريق المستقيم، أعني الصراط، فإنه لغة وشرعاً وعرفاً هو : الطريق، وهو في الدنيا ما قصر عن الغلو والإفراط، وارتفع عن التقصير والتفريط، واستقام لتوسطه بين الطرفين، فلم يعدل بالسالك فيه إلى شيء من الباطل، لأن الباطل لا يكون شيء منه مستقيماً، بل إما إفراط وارتفاع، وإما تفريط وانْحِطاط .

ومعنى استقامته؛ انطباقه على ما يحب الله؛ بامتثال أوامره كما أمر، واجتناب نواهيه كما نهى .

والطريق الآخر؛ يعني الصراط الذي في الآخرة، طريق المؤمنين إلى الجنّة، الذي هو مستقيم، يعني بغير ارتفاعٍ ولا تقصير، لا يعدلون؛ يعني السالكين له عن الجنّة إلى النار، ولا إلى غير النار سوى الجنة .

[شرح معنى قوله عليه السلام : (ولا إلى غير النار سوى الجنة)]

وقوله عليه السلام : **(ولا إلى غير النار سوى الجنة)**، لا يريد به أن هناك شيئاً ليس بنارٍ ولا جنّة، ليحترز بهذا عنه، بل المراد بيان ما هو الواقع، إذ ليس شيء في الآخرة لأحدٍ من المكلفين إلّا الجنّة أو النار، كما قال صلى الله عليه وآله : **(ليس وراء دنياكم هذه بمستعتبٍ، ولا دار إلّا جنّة أو نار)** .

[شرح معنى قوله عليه السلام (أنهم أبواب الله تعالى)]

وعنهم عليهم السلام : **(نحن أبواب اللّه، ونحن الصراط المستقيم)**[1]، أمّا أنّهم عليهم السلام أبواب اللّه، فإنه تعالى حيث كان لا يدركه الأبصار، ولا تحويه خواطر الأفكار، اختار محمداً صلى الله عليه وآله وآله، من جميع خلقه، وأنهى إليهم علم ما خلق بعد أَنْ أشهدهم خلق جميع ما خلق، وأقدرهم على ما أراد منهم، ثم جعلهم أولياء على سائر خلقه، أقامهم بيوتاً، وخزائن لأسرار العبودية، وأقامهم أبواباً له تعالى

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٢) من هذا الكتاب .

في تلك الخزائن في أداء ما جعَل لخلقه، كما جعلت النار في السراج الشعلة المرئيّة، التي هي دخان من الزيت، الذي كلّسَتْه ونعّمته، فاستضاءَ بفعلِها فيه، باباً لجميع أشعة السراج في إحداثها وإمدادِها بما به هي، وبما به بقاؤها .

[مراتب الأبواب وعددها]

وللأَبْواب باعتبارٍ أربعُ مراتبَ، بل خمس مراتب؛ **الأولى** : مرتبة الأمثال العليا، وهي المقامات باعتبارِ نسبة الأفعال إليه تعالى، بمعنى أنّ الله تعالى فاعل لأفعاله بهم، وباعتبارِ أنّهم فاعلون بإذن اللّه وأمره، لا يكون ظاهراً أبواباً .

الثانية : مرتبة المشيّئة الحالّةِ فيهم، فهم أبواب ظهور آثارِها بهذا الاعتبار .

الثالثة : مرتبة الأمر المفعولي؛ أعني النور المحمدي صلى الله عليه وآله، وهذه مرتبة المعاني، فهم باعتبار أنّ الوجودات الحادثة، تشرق من شعاعهم أبواب لإشراقها .

وفي المراتب الثلاثة الغالب فيها، اطلاق غير الأبواب، ففي **الأولى** : الاطلاق الغالب عليها الأمثال العليا، والمقامات والعلامات .

وفي **الثانية** : الاطلاق الغالب عليها المشيئة، والإرادة والاختراع، والإبداع والأمر الفعلي .

وفي **الثالثة** : الاطْلاق الغالب عليها المعاني؛ أي : معاني الأفعال، والأمر المفعولي .

الرابعة : مرتبة الأبواب؛ وهي مرتبة عقل الكل، والعقل[1] قال له الله سبحانه وتعالى : (**أدبر فأدبر** .

ثم قال له : أقبل فأقبل)[2] .

---

(١) في المخطوطة القلم .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤٠) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

الخامسة : أيْضاً مرتبة الباب؛ وهي مرتبة نفس الكل، واللوح المحفوظ، قال عليه السلام : (**ظهرت الموجودات من باء بسم اللّهِ الرحمن الرّحيم**) .

[مراتب الأبواب وعددها باعتبار آخر]

وباعتبارٍ آخر، الأبواب أربعة؛ **الأوّل** : ركن العرش الأيمن الأعلى، وهو باب الرزق .

الثاني : ركن العرش الأيمن الأسفل، وهو باب الحياة .

الثالث : ركن العرش الأيسر الأعلى، وهو باب الموت .

الرابع : ركن العرش الأيسر الأسفل، وهو باب الخلق .

وأمّا أهم الصراط المستقيم، فكما مرّ عليك بعض معانيه .

[قول المصنف قدس سره : بأن هذه الأحاديث المروية متوافقة المعاني والبواطن ...إلخ]

قال : «وهذه الأحاديث المروية عن ساداتنا عليهم السلام، متوافقة المعاني والبواطن، يحتاج شرحها إلى بسطٍ في الكلام، مَن أراد الاطّلاع عليها، فليرجع إلى تفسيرنا لفاتحةِ الكتاب، والإشارة إليه أنّ للنّفس الإنسانية من مبدء حدوثها، إلى منتهى عمرها الدنيوي، انتقالات نفسانيّة، وحركات جوهريّة، لأجلها في نشأة ذاتيّة، فكل نفسٍ صراط إلى الآخرة بوجه، كما أنها سالكة أيضاً بوجه، فالمتحرك والمسافة شيء واحد بالذّات، متغاير بالاعتبار، فالنفوس صِراطات إلى العاقبة، بعضها مستقيمة، وبعضها منحرفة، وبعضها منكوسة، والمستقيمة بعضها واصلة، وبعضها واقفة، أو معطّلة، والواصلة بعضها سريعة، وبعضها بَطيئة .

وأتمّ الصِّراطات المستقيمة، نفس أمير المؤمنين عليه السلام، ثم نفوس أولاده المقدّسين عليهم السلام»[1] .

---

(١) كتاب العرشية، ص٧١ .

أقول : إنّ هذه الأحاديث وغيرها من أَحَاديثهم عليهم السلام، كلّها متوافقة في المعاني والبواطن، ولكن بيانها يحتاج في تعريفه، وفي فهمه إلى إِمْدَادٍ منهم عليهم السلام .

وقوله : «يحتاج شرحها إلى بسطٍ في الكلام»؛ صحيح .

وقوله : «من أرادَ الاطّلاعَ عليها، فليرجع إلى تفسيرنا لفاتحة الكتاب»، يريد به تفسير معنى الصراط على تفسير التأويل، كما ذكره في قوله : «والإشارة إليه».

[معنى الصراط المستقيم عند الشارح قدس سره]

وأنا **أقول** : مَن أراد الاطلاع على معنى الصراط، بتفسير الباطن، الذي هو معنى كونهم عليهم السلام الصراط المستقيم، وكون ولايتهم عليهم السلام الصراط المستقيم، فليرجع إلى شرحنا على الزيارة الجامعة الكبيرة(١)، فإنه قد حوى ما لا يحويه كتاب، ولا يجري عليه خطاب، فإني قد ذكرت فيه من أسرار معرفتهم ما هو من المكتوم المستور عن أولي الألباب، وشاهدي العيان لمن كان له عينانِ .

[كيفية ترقي النفس الإنسانية]

وقوله : «والإشارة إليه أنّ للنفسِ الإنسانيّة»، يعني بها الناطقة القدسيّة فينا، وفيهم عليهم السلام الملكيّة الإلهيّة، المعبر عنها باللوح المحفوظ، وليست هي النباتية، ولا الحيوانيّة الحسّيّة الفلكية، ولا البَرْزخيّة، وليست هي التي من عرفها عرف ربّه، لا فينا ولا فيهم عليهم السلام، لأن التي من عرفها عرف ربّه، هي وجوده من الله تعالى، المعبّر عنها بالنور التي خلق منها، وبالفؤاد، وبحجاب الجلال، من مبدئ حدوثها إلى منتهى عمرها الدنيوي، انتقالات نفسانيّة، يعني أنّها بكونها، ونفس وجودها،

---

(١) راجع شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، ج١، ٢٨٣، في شرح كلمة : «**وصراطه**» .

تتنقّل إلى جهة مَبْدئِها، بحركاتٍ جوهريّة، وهي تَنقّل نفس الشيء بكنهه، من غير موجب من خارج .

ونحن قد أبطلنا فيما سبق هذه الحركة، بأن يكون جوهر الشيء منتقلاً عن رتبةٍ إلى أخرى بنفس ذلك الجوهر، من غير داعٍ موجب للانتقال غير نفس الجوهر، وأثبتناها بالموجب الخارجي المتجدّد، مثل ما لو كان في موضع من الأرض، جزء من الزيبق الصافي، اتصل به جزءان من الكبريت الصافي، وامتزجا فإنهما لا يزالان في موضعهما كما هما، من غير تغيير ولا انتقالٍ، فإذا اتّصلت حرارة الشمس بهما مع الرطوبة الطبيعيّة، واستمر ذلك من غير عروض يبس، لقلّة التبريد والترطيب وبالعكس، فإنهما ينعقدان ذهباً، فينتقلان بالمعين الخارجي من مدد الشمس والقمر على نِسْبة الجزئَيْن، فالنَّفْس تنتقل صاعدة بمدد أعمالها الصالحة، ونازلِة بمددِ أعمالها الطّالحة، فَإثبات الحركة الجوهريّة صحيح بهذا المعنى، وهو أنّ الجوهرية تترقّى بالمدَد، وتتحرّك بالمحرِّكِ في نشأة ذاتية، لأن انتقالها بالحركة الجوهريّة، من نشأة ذاتيّة إلى نشأة ذاتيّة، ولكن المصنّف يذهب إلى أنّ النفس تترقّى بحركتها، إلى أَن تكون عقلاً، ونحن نمنعُ ذلك؛ لأنّ النّفس مادّتها التأييدات العقلية، وهي إشراقات من العقل، مَحلّها من العَقْل محلّ الإشراق من الشمس، فكما لا يكون الإشراق بترقّيه مشرقاً، ولَا النّور منيراً، كذلك لا تكون النَّفْس بترَقّيها عقلاً .

والمصنف يثبت التعقل، وإدراك المعقولات، وينفي وجود العقل، فلا بُدَّ له من أن يحكم على النفس بالوصول إلى هذه، فمراده أنّها تكون عقلاً أنّها تعقل الأشياء، لا أنّها تنقلبُ عقلاً عنده، لأنه لا يثبت العقل، ونحن نقول : النّفس تدرك الصُّور، وأمّا المعاني، فلا إذ لا يدركها إلّا العقل .

والحاصل أن النفس إذا ثَبتَ لها الحركة الجوهريّة، ترقّتْ بحركتها، سواء قيل بنفسها كما يقول، أم بموجب خارجيّ مُحرِّك كما نقول .

ولا تزال صاعدة في سيرها إلى جهة مبدئها بلا نهاية، لكنها لا تتّصل بمبدئها أبداً، وإنّما تسير في المراتب النفسانيّة، فسيرُها في نفسها صراطها، فكل نفس صراط إلى الآخرة بوجه، أي : من حيث هي سائرة فيْه، فالمتحرّك والمسافة شيء واحد بالذات، متغاير بالاعتبار، لأن السالك سائر بتنقّلِ نفسه في أطوارها، وإن كان السالك من حيث هو سالك غير مسافة سلوكه في الاعتبار، فالنفوس صراطات إلى عواقبها، ولكنها بحسب تحريك محرّكها، فإن كانت الأعمال المحركة صالحة، كانَتْ بأعمالها صراطات مستقيمة، لأن أعمالها كانت مستقيمة، لكونها مطابقة لأمر اللّهِ ونهيه، اللّذينِ هما مستقيمان، لمطابقتهما لفعل الله .

وسير النفوس إنما هو بتلك الأعمال، وإن كان سيرها في أنفسها، وبعضها منحرفة، لأن أعماله لها منحرفة، لكونها غير مطابقة لأمر اللّه ونهيه، وبعضها منكوسة، ﴿نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[1]، لأن أعمالها منكوسة، لكونها على عَكسِ ما أمر الله ونَهى، فكانت أعمالها التي هي المحركة لها، أظلّة معاكسة لأوامر الله ونواهيه .

والظل منكس من الشاخص القائم، وتلك المنكوسة تحرّك العاملين على مقتضى أوضاعها، فتحركت النفوس العاملة بحركة أعمالها، فكانَتْ صراطاتها منكوسة؛ لأن جاعلها تعالى كذلك إنّما جعلها بقَوابلها .

[معنى الصراطات المستقيمة]

وقوله : «والمستقيمة بعضها واصلة، وبعضها واقفة، أو معطّلة»، ليس بصَحيح؛ لأن المستقيمة لا تَقف إلّا إذا طرأ عليها الإعوجاج، كما لو صعدت بعمل صالح درجة، وانحطّت بعمل طالحٍ درجة، وصعدت بصالحٍ درجة، وانحطّت بطالحٍ درجة وهكذا، فإنها بتردُّدها بين الصعود والنزول ينسب إليها الوقف، لعدم تجاوزها رتبتها الأولى في الجملة، كما كانت بنوا إسرائيل في التيه،

---

(١) سورة السجدة، الآية : ١٢ .

لبثوا أربعين سنة، في ستّة فراسخ، يسيرون من الصباح إلى المساء، فإذا هم بحيث ارتحلوا عنه، فلا يتحقّق الوقف، ولا التعطيل، في شيء من الممكنات إلّا بمثل تيه بني إسرائيل ونحوه .

وأمّا الوصول، فيكون للسائرينَ إلى اللّه تعالى، في الطريق الذي أمرهم بسلوكه، وحال هؤلاء في سيرهم في كل رتبة واصلون، وغير واصلين، بمعنى ما في حديث الأسرار، حيث يقول تعالى في شأنهم في دار قربه الجنّة : (**كلّ ما وضعتُ لهم علماً رَفعْتُ لهم حلماً، وليس لمحبّتي غاية ولا نهاية، ...إلخ**)[1] .

وعدم الوصول للمحجوبين عن ربهم، فإنهم لا يزدادون بسيرهم إلّا بُعداً عن اللّه تعالى، بمعنى أنهم صائرون إلى الله تعالى حيث يكره، كما أن الواصلين صائرون إلى الله تعالى حيث يحبّ .

[كيفية وصول النفوس وعدم وصولها إلى الله تعالى وسرعتها وبطؤها]

والنفوس الواصلة إلى اللّه تعالى؛ أعني السائرات إليه حيث يحبّ، منها سَرِيعات السير إلى الله تعالى، لأنهم تخفّفوا، واجتمعت قلوبهم، وتجمّعت شؤونهم، على رضى الله تعالى، فقربوا إلى الله ﷻ، من غير أن تقصر المسافة بينهم وبينه تعالى، ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[2]، الذين بسط لهم بساط القرب في سفح رضوانه، ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[3] .

---

(١) في إرشاد القلوب، ج٩٩ . وبحار الأنوار، ج٧٤، ص٢١، باب : ٢ . ولكن بتقديم وتأخير بين كلماته .

(٢) سورة الواقعة، الآيتان : ١٠-١١ .

(٣) سورة القمر، الآيتان : ٥٤-٥٥ .

ومنها بطيئات السّير؛ لِثقَلِهم بشَوائب من أحوال الخلق، فرّقت قلوبهم، وبها تفرّقت شؤونهم، فقعدَتْ بهم تصادم الدواعي، فأبطأوا في سيرهم .

[أتم الصراطات وأكملها عند المصنف ﷺ]

وقوله : «وأتمّ الصراطات نفس أمـير المـؤمنين عليه السلام، ثم نفـوس أولاده المقدّسين عليهم السلام»، يحتمل وجوهاً، حيث لم يذكر نفسَ النبي صلى الله عليه وآله، مع أنّها أتم من نفوس آله عليهم السلام، **الأول** : أنّه ورد : (**أن الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته** عليهم السلام)[1]، فاستطرد عند ذكره ووصفه بالصراط المسـتقيم، تفسـير الصراط المطلق، المشتمل على المستقيم وغيره، وبيّن أن نفسـه ونفـوس أولاده المعصومين عليهم السلام أتمّ الصراطات المذكورة، لأن المذكور هُنَا هو وأولاده، والـنبي صلى الله عليه وآله لم يذكر في الموصوفين بالصراط المستقيم .

وإن كان فسّر مطلق الصراط، لأن الموجب لذكر المطلـق، هـو ذكـره بالصّراط المستقيم، ولعلّ المصنف لم يرد غير هذا الوجه .

الثاني : أنّه هو عليه السلام المشتهر بالولاية، والنّبي صلى الله عليه وآله أشتهر بالنبوة، والولاية فسّرت بالصراط المستقيم دون النبوة .

الثالث : أنّ نفس النّبي صلى الله عليه وآله هي الغاية، التي الصراطات كلّها تؤدّي إليهـا، لما دلّت عليه الأدلّة النقلية والعقليّة، على أن كلّ شيء فمردّه ومصيره إلى اللّـه تعالى، وقد دلّت الأدلّة عقلاً ونقلاً على أنّ الردّ إلى الله، والرجوع والمصير إليه، هو الرد والرجوع، والمصير إلى رسوله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخـرة؛ لأن الحـوادث كلها لا تنتهي إلّا إلى مثلها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى**

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٣٣، ح٩١ . معاني الأخبار، ص٣٣، ح٢، باب : معـنى الصراط المستقيم . بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٣٦، ح٥٩ . ولكن جملة «وأهل بيتـه عليهم السلام» غير موجودة في هذه المصادر .

مثله، وألجأه الطّلب إلى شكْله)[١] .

وقوله عليه السلام في شأن النّبي صلى الله عليه وآله في خطبته يوم الجمعة والغدير، قال : (**أقامَهُ في سَائر عالَمِه في الأداء مقامه، إذ كان لا تدركه الأبصار، ولا تحْويه خواطر الأفكار)**[٢] .

وإذا قطعنا النظر عن كلام المصنف وعن مراده، فلك أن تعتبر الوجه الثالث، لأنه هو الجاري على تفسير باطن الباطن، وبيان السّر المقنّع بالسّر، ولك أن تفسّر الصراطات المطلقة مطلقاً؛ يعني الشاملة لكلّ أحَد .

فإن قلتَ : أكملها، تعيّنَتْ نفس النبي صلى الله عليه وآله .

وإن قلتَ : أتمّها، فكما قال المصنف .

ولك أن تستعمل أتمّ بصيغة التفضيل المطلق، فتقول : أتمّها نفس النبي صلى الله عليه وآله، وتلك الأتميّة الحقيقيّة .

وإن أردت الأتميّة الإضافية، فكما قال المصنّف، وقد أشرنا أن تفسير المصنف للصّراط من تفسير التأويل .

وإذا فسّرناه بتفسير الباطن، فصورته الأعمال الشرعيّة، ومادته بل حقيقته الوجودات التكليفيّة، إذ بها تترقّى الذوات، لأنها هي لُبُّها .

وبيانه في المثال أن الشخص إذا قام بحدود اللّه، وفعل ما أمره اللّه، فذلك صورة صراطه إلى الجنّة، فإذا فعل ذلك واستقام عليه، كتب الله في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، يسدّده ويرشده إلى طريق النجاة، ويعينه على ما يرضى ويحبّب له ما عند اللّه، فيكون بذلك راضياً بما يرد عليه من اللّه، فيكون مرضياً عند اللّه تعالى، فتشابه نفسه أوائل جواهر عللها، فهذا مادة صراطه وحقيقته، فهذه هي

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٦) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) مصباح المتهجد، ص٥٢٥، في خطبة علي عليه السلام في يوم الغدير . بحار الأنوار، ج٩٤، ص١١٢، ح٨ .

سفينته التي توصله إلى القرب من اللّه، وتحرّك نفسه وذاته الحركة الجوهريّة الذاتية، لأنها هي أرواح نفسه، وتساقيه الكونية، كما هو مذكور في مرآة الحكماء، يشاهد عياناً هناك، بأن هذه الأرواح الشرعيّة هي تساقيه، التي لا تبلغ الكمال بدونها، وهي تبلّغ الحجر الرخيص درجة الياقوت الأحمر البَهْرَماني، العديم النظير، وإلى ما أشرنا إليه أشار الإمام الناطق، جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، بقوله : (**بالعقل استخرج غَور الحكمة، وبالحِكمة استخرَج غَور العقل**)[1]، فإن النفس تعمل الأعمال، والأعمال ترفعها إلى غاية الكمال، وتقرّبها من ذي الجلال.

[قول المصنف قدس سره : وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية، ...إلخ]

قال : «وذلك بحسب القوتين العمليّة والنظريّة، وإليهما الإشارة في الحديث بصراط الدنيا، وصراط الآخرة، **فالأول** : عن تحصيل العدالة، وملكة التوسط في الاستعمال العملي، القوى الثلاثة : الشهويّة والغضبيّة والوهميّة بين الإفراط والتفريط، لئلّا يكون فاجراً، ولا خاملاً بل عفيفاً، ولا يكون متهوِّراً، ولا جَباناً بل شجاعاً، ولا يكون جَرْبَزاً، ولا أبله بل حكيماً، لتحصل من تركيب هذه الأوساط هيئة إذعانيّة إنكساريّة للقوى، وهيئة استعلائيّة للروح عليها، والتوسّط بين الأطراف الشديدة، بمنزلة الخلو عن جنسها، فتصير النفس كأنها لا مرتبة لها من الصفات النفسانية التعلقيّة، ولا مقام لها في الدنيا، ﴿**يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا**﴾[2]، فصارت كمرآة مجلوّة، تستعدّ لأن تتجلّى فيها صورة الحقّ، وذلك لا يحصل إلّا بانقياد الشريعة، وطاعة الإمام المفترض الطاعة، وهذا معنى كون الصراط في الدنيا هو الإمام عليه السلام»[3] .

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٢٨، ح٣٤، كتاب العقل والجهل . غرر الحكم، ص٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ١٣ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٢ .

[كيفية تنقل النفوس في درجات كمالاتها بقوتين]

أقول : قوله : «وذلك بحسب القوتين العملية والنظرية»؛ يعني أنّ كون النفس هي الصراط المستقيم، لسيرها في ذاتها بحركتها الجوهرية، إنما هو بحسب قوّتيْها العمليّة والنظريّة، فعلى قدر عَملها وعِلمها تنتقل ذاتها بذاتها، ونحن نقول : كما أنّ الدخان الذي في السراج، إنما استنار بمس النّار، واستضاء بفعلها فيه لا بنفسه، وكما استضاء الجدار بإشراق الشمسِ لا بنفسه، كذلك النفس إنما انتقلت في درجاتها ومعارجها بالأسباب الخارجيّة؛ وهي العمل، فإنّه علّة النّور التشريعي، المسمى بالقوّة العملية، والعلم فإنّه علة النور الكوني، المسمى بالقوة العلميّة والنظريّة، وبالعمل يُسْتخرج غَوْرُ العلم، وبالعلم يُسْتَخْرَجُ غور العمل، وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى : (**ما زال العبد يتقرّبُ إليَّ بالنّوافِلِ حتى أحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ...**)[1] .

وإلى الثاني الإشارة بقوله ﷺ : (**ليس العلم بكثرة التعلم، وإنما هو نور يقذفهُ اللّه في قلب مَن يشاء، فينفسح فيشاهد الغيب، وينشرح فيحتمل البلاء.**

قيل : وهل لذلك من علامة؟ .

فقال ﷺ : **التجافي عن دارِ الغرورِ، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموتِ قبل نزوله، ...إلخ**)، فتنقّل النفوس في درجات كمالاتها، إنما هو بالقوّتين اللّتين هما كسبيّتا المقدّمات، موهبيّتا الذّوات، فافهم لا بذوات النفوس .

[سير النفس في صراط الدنيا والآخرة]

وقوله : «الإشارة في الحديث صراط الدنيا، وصِراط الآخرة»، يريد به أن استعمال القوّة العملية، هو سير النفس بذاتها في تعديل قواها وملكاتها، وهو

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

الصراط في الدنيا، وأن استعمال القوّة العلمية النظريّة، هو سير النفس في مراتب أطوارها، وأَطْوار الموجودات الحسّية، والنفسيّة والعقلية، وهو الصّراط في الآخرة.

[كيفية تحصيل العدالة والقوى الثلاث التي تحصل بها العدالة العملية]

وقوله : «**فالأوّل** : عبارة عن تحصيل العدالة، وملكة التَّوسُّط بين الإفراط والتفريط»، والمراد بملكة التوسط ما قرّ من مجموع الطَّرفين، كما ذكره المصنف، أَو القوّة المتوسِّطة في الذات والصفة، والفعل المقتضي للآثار الحَسَنة بين الطرفَيْنِ كذلك، فإنّ القوة المعتدلة نور، والطرفانِ ظلمة، فَلَا تتركب منهما، إذ المركب من الظلمتين ظلمة أشد منهما .

وذكر الملكة احتراز عن الحال، فإن الملكة ما قرّ من الأعمال والأحوال، حتّى كان كالطبيعة، والحال ما لم يقرّ، بل يتبدّل .

وتحصيل العدالة برياضة العقل، وحضر النفس على ملازمة آداب الشرع، من الأوامر والمندوبات، واجتناب المناهي والمكروهات، فالقوى التي تحصل بينها العدالة العملية ثلاث؛ القوة الشهويّة، فاعتدالها وحسنها أن يكون فعلها بالعقل، الذي هو شرع باطن، وبالشرع الذي هو عقل ظاهر، بأن تكون جارية على مطابقتِهما، ويكون عفيفاً متّقياً لله سبحانه .

وللنفس الأمارة وميولاتها، وللخلق وهي ملكة تحصل بالتدريج، ومداومة الأحوال الطيّبة، حتّى تثبت وتكون ملكة، وهي فطرة مطابقة لفطرة الصنع، التي فطر اللّه عباده عليها، وهي بين الإفراط بأن يكون صاحبها فاجراً، وبين التفريط بأن يكون خاملاً، والخاملِ الساقط الذي لا نَباهةَ له .

والقوة الغضبيّة، اعتدالُها وحسنُها أن يقصر انبساطها وانقباضها على موجب العقل والشرع، بأن تكون مطابقة لمقتضاهما، بأَنْ يكونَ صاحبها شجاعاً، وهي ملكة مطابقة للفطرة الإيجاديّة، وهي بين الإفراط الذي يكون صاحبه

متهوِّراً، وهو مَن لا يبالي، ولا ينظر العواقب، وبين التفريط الذي يكون صاحبُه جَباناً .

والقوّة الوهميّة حسنها واعتدالها، أن يكون بحيث يدرك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين النافع والضارّ في الآراء، وبين الحسن والقبيح في الأفعال، وهذه الملكة هي الحكمة العمليّة، وهي علة ثبات الحكمة العلمية النظريّة، وبقاؤها بين الإفراط الذي هو الجربزة، من جربز؛ أي : ذهب أو انقبض، أو سقط، معرب كربز .

وهذا الإفراط تحصل منه آثار قبيحة؛ كالدُّهاء والمكر، والخِداع والحيلة، والغواية والشيطنة، لأن قوة الإدراك إذا لم يعتدل بتأديبات العقل والشرع، تحصل منه هذه الصفات القبيحة وأمثالها .

وإذا اعتدل بتأديبات العقل والشرع، حصل منه التفرقة بين الحق فيأخذ به، وبين الباطل فيتركه، ويحصل منه جودة الذهن، والتفطّن لدقائق الأعمال، وآفات النفس الأمارة، والظن الصحيح، والرأي المصيب، ولطافة الحسّ، وذكاء الفهم .

وبين التفريط الذي يكون صاحبه أبْله؛ أي : الغافل والأحمق الذي لا تمييز له، والقليل الفطنة لدقائق الأمور، والمعجز والمتحيّر والمنخدع .

[كيفية تحصيل التركيب بين أوساط القوى]

وقوله : «ليحصل من تركيب هذه الأوساط»، أي : وسط ما بين الفاجر والخامل في الشهوية، وما بين المتهوّر والجبان في الغضبية، وما بين المجربز والأبله في الوهمية، هيئة اذْعانية، أي : سريعة في طاعة العقل، والشرع منقادة لهما، وهي العفّة .

والشجاعة والحكمة انكساريّة، أي : خاضعة ذليلة، مقيّدة بقيود تأدّباتها العقلية، والشرعيّة للقوَى الطامحة الإفراطية .

والقاعدة التفريطية من الشهويّة والغضبية، والوهميّة وهي أيضاً هيئة استعلائيّة، أي : أنّ هذه الهيئة تستَعْلي الروح بها على القوّة الشهويّة، والقوّة الغضبية، والقوة الوَهْميّة، بكسر إفْرَاطاها وتفريطاها .

وإنما ذكر الروح لأنّها قريبة من العقل، أو أنّ المراد منها العقل لاطلاقها عليه في كثير من المقامات .

[معنى التوسط بين الطرفين في القوة أنها مركبة منهما]

وقوله : «والتوسط بين الأطراف الشديدة»، أي : القويّة المتقابلة بمنزلة الخلو عن جنسها، يشعر أن القوّة المتوسطة بين الطرفين، أنها مركبة منهما، وكذا قوله قبل هذا من تركيب الأوساط، وقد نبّه بعضهم على هذا أيضاً، أخذاً من أن الشيء المتولّد من شيئين أنه مركب منهما، كتأليف العقار المعتدل في المزاج أنه من العقاقير المتضادة، كالكافور والمسك يعمل منهما كحل معتدل في الحرارة والبرودة، وقد ذكرنا بطلان هذا؛ لأن الطرفين الإفراط والتفريط في القوى الثلاث ظلمة، والوسط الاعتدالي فيها نور، ولا يكون مركباً من الطرفين، لأنّ المركّب من الظّلمتين أشدّ ظلمة منهما، وكذا قوله : «والتوسّط بين الأطراف الشديدة، بمنزلة الخلُو عن جنسها»، فإنه يشعر بأن الوسط مركب من الطرفين، إلّا أنه بمنزلة المغاير لهما .

ومراده أن النفس المتصفة بالتوسط، بين تلك الأطراف، لما كانت بمنزلة الخلو عن جنسِها، الذي هو التعليقي بالأجسام الظلمانية، صارت كأنها لا مرتبة لها من تلك الصفات التعليقية، فقد فارقت أحوال الدنيا، فلا مقام لها فيها .

واسْتشهد بتأويل هذه الآية على مفارقتها، فصارت النفس بعد مفارقتها للآفاق الضيّقة، كأنها مرآة قد استعدّت بصفاها ونوريّتها، لأن تتجلّى فيها صورة الحق تعالى، وذلك لا يحصل لها إلّا بانقياد الشريعة، وطاعة الإمام المفترض الطاعة .

[صراط الله تعالى في الدنيا والآخرة هو الإمام المعصوم عليه السلام]

وأقول : إذا ثبت أن الإمام مفترض الطاعة، وجب أَنْ يطاع في منعه، لكونه شيئاً تتجلّى فيه صورة الحق تعالى، إلّا إذا أريد بالصورة مثاله الأعلى؛ أعني صورة ظهوره بإيجاد تلك النفس، فإن صورة إيجاده لها تتجلّى فيها، فإذا تزكّتْ بما أشرنا إليه سابقاً، ألقى المثال الّذي هو صورة إيجادهَا فيها، لأنّه تعالى تَجلّى لها بها، وبها امتنع منها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**لا تحيط به الأَوْهَام، بل تجلّى لَها بها، وبها امتنعَ منْها**)[1]، ولا تتجلّى فيها إلّا الصورة ذات مقدار، ولَا تنسب إلى الحقّ تعالى إلّا مَجازاً .

[التوسط الحاصل بين طرفي القوى إنما هو بطاعة الإمام المعصوم على رأي المصنف قدس سره]

وقوله : «وهذا معنى كون صراط الدنيا هو الإمام عليه السلام»، يُريد أَنّ معنى كون صراط الدنيا هو الإمام عليه السلام، هو أَنّ كمال النفس، وحصول التوسط لها بين الطرفين، إنّما هو بطاعة الإمام عليه السلام، مع أنّه ذكر قبل هذا أنّ صراط الدنيا هو عبارة عن تحصيل العدالة، وملكة التوسّط في استعمال العمل القوى الثلاثة .

[التوسط بين القوى لا يحصل إلّا بانقياد الشريعة وطاعة الإمام المعصوم عليه السلام على رأي المصنف قدس سره]

وقوله : «إن ذلك لا يحصل إلّا بانقياد الشريعة، وطاعة الإمام عليه السلام»، يشعر بأنّ صراط الدنيا مشروط بطاعة الإمام عليه السلام، لأنّ الإمام هو صراط الدنيا بهذا المعنى، وإنّما الإمام عليه السلام هو صراط الله في الدنيا والآخرة، وهو الصراط للخلائق أيضاً في الدنيا والآخرة، إذ لا يصل شيء من الله تعالى إلى أحد من الخلق بعد محمد صلى الله عليه وآله إلّا بواسطة الإمام، إذ هو باب الله عز وجل في الخلق والرزق، والحياة

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٨٩) في الجزء الأول من من هذا الكتاب .

والممات؛ بمعنى أن اللّه تعالى أعطى الخلائق ما يستحقونه بقوابلهم، بواسطة الإمام عليه السلام، ولا يصعد عمل، ولا يقرب عامل إلى اللّه عز وجل إلّا بواسطته .

وأمّا ما في رواية المفضل بن عمر المتقدمة، التي ذكر فيها : (**أن الصراط الذي في الدنيا هو الإمام** عليه السلام)(١)، فالمرادُ منه أنه عليه السلام هو الصراط لجميع المكلّفين في الدنيا، في مقابلة أن الصراط في الآخرة جسر على جهنم، فما الصراط في الدنيا؟ .

فأما الصراط في الدنيا فإنه مثل الآخرة، وكل ما في هذه في هذه، فأخبر عليه السلام بأنّه الإمام عليه السلام، لا أن الإمام عليه السلام ليس صراطاً في الآخرة، بل هو صراط في الدارين للحقّ سبحانه، وللخلقِ أجمعين .

[قول المصنف قدس سره : بأن مرور النفس على جميع مراتب الموجودات، ...إلخ]

قال : «**والثاني** : عبارة عن مرور النفس بقوّته النظريّة، وعقله العلمي، على مراتب الموجودات، والأطوار الحسّية، والنفسية والعقلية، وخروجها من مَكامِن الحجب والغواشي، إلى أضوية أفضية الأنوار الإلهية، فللصراط المستقيم وجهان؛ **أحدهما** : أحدُّ من السيف، مَن وقف عليه شَقّه .

والآخر : أدقّ من الشعر .

والوقوف على الأول يوجب القطع والفصل؛ كقوله : ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ**﴾(٢) .

وجاء في الخبر : (**يمرّ المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف**) .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٣٨ .

والإنحراف عن الثاني، يوجب الهلاك والعقاب، **﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾**[1]»[2] .

[مراد المصنف ﵀ من القوة النظرية]

أقول : يريد بالثاني القوة النظرية؛ أي : عقله العلمي، يعني أن النفسَ إذا أدركتِ العلوم بصَدْرِها، وعقلت بعقلها المعاني، وبحواسها الباطنة، صور المحسوسات الغيبيّة، وبالظّاهرة صورها الظاهرة الشهاديّة، وشاهدت بحسّها الأطوار المحسوسة، وبحسّها الباطن أطوار الحواس الباطنة، وبصدرها أطوار جوهر هبائها، وأطوار طبيعتها النورانية، وأطوار رقائقها بروحها، وأطوار عقلها بتعقّل عقلها، وعرفَتْ آيات ربها، الّتي في ذاتها بذاتها، التي هي فؤادها، وجهتُها من ربّها، فقد مرّت على جميع مراتب الموجودات، ووقفَتْ عند تكوين كل شيء منها حين بدئه، من عالم الإمكان الراجح، إلى عالم الإمكان المساوي؛ أعني عالم الأكوان، وتحقّق حينئذٍ خروجها عن مكامن الحجب والغواشي، إلى أضوية أفضية الأنوار الإلهيّة، وهذا هو الصراط الّذي قال : أنّه في الآخرة .

ونحن قد بيّنّا فيما مضى، أن الحكمة النظريّة لَيْسَت هي الصراط الأخروي، الموصل إلى السعادة الأبديّة بنفسه، كما يظهر من كلام المصنف في سائر كتبه، تبعاً للحكماء الذين لم يبنوا ثمرات حكمتهم على مقتضى الشرائع، والكتب السماويّة، وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم، وذكرنا أن الصّراط الموصل إلى السَّعادة الأبديّة، إنّما هو الحكمة العمليّة، التي هي شرط في تحقق النظريّة وفي بقائها، كما قال ﵇ : (**العلم يهتِف بالعمل، فإن أجابه وإلّا ارتحل عنه**)[3]، وفي صحّتها

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٧٤ .

(٢) كتاب العرشية، ص٧٢ .

(٣) أصول الكافي، ج١، ص٤٤، ح٢، باب : استعمال العلم . عوالي اللآلي، ج٤، ص٦٦، ح٢٦ . بحار الأنوار، ج٢، ص٣٣، ح٢٩، باب : ٩ .

قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[١]، وقال الصّادق عليه السلام في الدعاء، كما رواه الشيخ في المصباح : (**لا علمَ إلّا خشيتُك، ولَا حُكْمَ إلّا الإيمان بك، لَيْس لِمَنْ لم يخشك علم، ولا لِمَنْ لم يؤمِنْ بك حكم**)[٢] .

نعم النّظريّة شرط في كمال العَملية أو في صحّتها، إذ قَدْ يُقْبَل العمل بدون علمٍ، ولا يُقْبَلُ العِلم بدُونِ عَملٍ .

[مراد المصنف قدس سره من أضوية أفضية الأنوار]

وقوله : «إلى أضوية أفضية الأنوار»، ليس عبارة مطابقة على ما ينبغي، إذِ القول المطابق لِلْمَعْنَى أَنْ يقال : إلى أَفْضية أنوار الأضويّة الإلهية؛ لأنّ الأضويّة جمع ضِياء، وهو المنير، والأفضية جمع فضاء، والنور شعاع الضِياء، كما قال تعالى: ﴿**جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا**﴾[٣] .

[المراد من الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر]

وقوله : «فللصراطِ المستقيم وجهان؛ **أحدهما** : أحدّ من السيف، مَن وقف عليه شَقّه»، والمراد من تشبيهه بحدّ السّيف؛ في كونه يشقّ قدم من مشى أو وقف عليه، الكناية عن دقّته، وصعوبة الثّبات، واجتماع المشاعر عليه، بل أكثر مَن يمر عليه تتفرّق مشاعره، وحواسّه الظاهرة والباطنة، ولا تكاد تجتمع المكنى عن ذلك بالشقّ، فإنه يفرّق قدم السائر عليه فرقتين، المكنى بهما عن الحق والباطل .

والوجه الآخر : أدقّ من الشعر، كناية عن كونه يمور ويضطرب بالسائر عليه، ولا يثبت عليه إلّا من ثبّته اللّه بالقول الثابت من المؤمنين .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ٢٨ .

(٢) تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٣٦٠، ح٦٩ .

(٣) سورة يونس، الآية : ٥ .

والوقوف على **الأول**؛ أي : الوجه الأوّل، يوجب القطع والفصل، أي : تفريق الإدراك والعمل، حيث لا يقدر السائر على تخليص الحقّ عن شائبة الشرك، والأغراض الباطلة، والغفلات المبعّدة عن الزلفى لديه تعالى، فيكون النظر والعمل شقّين، لأنه أحد من السيف، فيشق القدم المعبّر به عن بصيرة النظر، ونية العمل .

واستشهاد المصنف بقوله تعالى : «**﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾**[1]»، الذي يراد منه الكناية عن القعود، وطلب الراحة، وعن العجز يدلّ على أنّه لم يفهم المراد من شقّ القدم، حيث أشار إلى معناه بالتثاقل إلى الأرض، وإن كان من لوازمه .

وكذا بيانه لكونه أدقّ من الشعر، بالإنحراف عنه، لضيقه عن السلوك، وإنما هو كناية عن اضطرابه، وإن كان الإنحراف من لوازمه .

واستشهاده بقوله تعالى : «**﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾**[2]»، إنما هو للإنحراف .

[بصيرة كشفية]
[في : الصراط الموصل إلى الجنة]

قال : «بصيرة كشفية : اعلم أن الصراط المستقيم، الذي إذا سلكته أوصلك إلى الجنة، هو بعينه صورة هذي النفس الممدودة، من مبدأ الطبيعة الحسّيّة، إلى باب الرضوان، فهو في هذه الدار كسائر الحقائق الغائبة عن الأبصار، لا تشاهد له صورة معيّنة، فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت، يكشف لك يوم القيامة جسراً ممدوداً محسوساً على متن جهنّم، أوّله في الموقف، وآخره على باب الجنّة، كلّ مَن

---

(١) سورة التوبة، الآية : ٣٨ .

(٢) سورة المؤمنون، الآية : ٧٤ .

يشاهده يعرف أنّه صنعك وبناؤك، ويعلم أنه قد كان جسراً ممدوداً على متن جهنم، التي قيل لها : هل امتَلئْت فتقول : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[١]، ليزيد في طول طبيعتك، وعرضها وعمقها، وهي حقيقتك ذي ثلاث شعب، وهو ظل غير ظليل لا يغني جوهر ذاتك من اللهب، لهب جهنّم، بل هو الذي يقودُها إلى لهب الشهوات الكامنة نارها، لأن البارزة يوم القيامة لقوله : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾[٢]، إلّا أن يُطفئها ماء التوبة، المطهرة للنفس عن المعاصي، وماء العلم، المطهّر للقلوب عن رجس الجاهلية الأولى والثانية»[٣] .

[المراد من الصراط الذي يوصل الشخص إلى الجنة]

أقول : يريد أن الصراط الموصل للجنّة، هو صورة هدَي النّفس لإصابة الحقّ فيما يسلكه من العلوم النظريّة، التي من جملتها ما يحدس من معرفة النيازك والشهب، وتصوّر هالة القمر، وترتيب ألْوَان قوس السَّحَاب، ومثل معرفة طبائع الأجساد، وأمثال ذلك من الأمور الّتي لا تعلّق لها بشيء من أصول الدين، ولا فروعه، كما يذهب إليه بعض الحكماء، كما ذكرنا .

والحق أنّ الصراط الذي يوصلك إلى الجنّة، هو سيرك بأقدام أعمالك، ونظر علمك، ومعرفتك على حدود الله، وتعريفه للهدى، وتعرّفه لك بآياته التي في نفسك، فإنّ صورة هذه الحدود، والتعريفات والتعرّفات بآياته، هي الصراط الممدود يوم القيامة على جسر جهنم، وهو الكلي الجامع لجميع الصراطات الجزئيّة، وسَيْرُك على تلك الحدود والمعالم، الّتي هي الصّراط الأعظم، الممدود على

---

(١) سورة ق، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة النازعات، الآية : ٣٦ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٣ .

متن جهنّم، بأَقدام أعمالك، وبعين علمك ومعرفتك، هو صراطك الخاصّ بك، المُوصِل لك إلى ما خُلقتَ له .

[النفس الممدودة على الصراط]

وقوله : «الممدودة»؛ يعني بها أنّ النفس هي صراطها، وهي الممدودة جسراً، لأنها ممتدّة في أطوارِ تكوّناتها، من الطبيعة العنصرية، التي كنّى بأرض الموقف عنها، إلى باب الرضوان من الجنّة، يعني أعلاها الذي كنّى به عن مُرورِ النفس بعلمها النظري، عَلى خفايا الموجودات، وأطوار التكونات، وقد قدّمنا سابقاً أنّ النفس المجردة، ليست من عالم الأجسام والطبائع، وإنما هي من عالم الملكوت، موادّها من تأييدات العقل وإشراقه .

وإنّما تعلّقت بالأجسام بأفعالها، لأن عالم الأجسام مملكتها، بمعنى أن الأجسام إنما خلقت لها، فلمّا خلقت لها وملكَتْها تنزّلت إلى مملكتها، تتصرف فيها بأفعالها لا غير، وهي بريئة منها في ذاتها، إذِ الملكوت مغاير للملك .

وإنّما أَنْزله الحكيم تعالى إلى عالم الملك في الوسائط، على جهة التدريج، ليتعلّم لُغَةَ عالَمِ الملكِ وأفعاله، وكيفيّة أطواره، فيعلم علمه، فيترقّى في ثمرات أفعاله فيه، وهي ثمراتُ ما زرع فيه، صاعداً إلى أَنْ يصل إلى رتبته في الملكوت والدّهر، فيقعد على كرسيّه، ويستوي على عرشه، فإذا أخذ يترقّى مِنْ رُتبته، تترقّى في رُتَبِ آثار الجبروت، التي هي من نوع مَوادِّه، فلا يتجاوز نوعه، وإنّما ترقّيه اشتداده في نوعه .

[هل يمكن مشاهدة الصراط بالعين المجردة أم لا؟]

وقوله : «فهو في هذه الدار»، يعني الصّراط كسائر الحقائق الغائبة عن الأبصار، من حيث الصورة الصراطيّة؛ أعني أنه جسر مَمْدود على جهنّم، لا تشاهَد له صورة معيّنة، وإنما يشاهَدُ فيه الأعمال والعلوم، لأنّ المشاهِد هو النفس، ولكنها لمّا نزلت من عالمها الأعلى، وغطّتْ بصيرتَها الأجسام وأَحوالها،

قبل أن تمرّ على الصّراط، فلمّا أُمِرَتْ بالمرور على الصراط في الدنيا، لم يشَاهَدْ جسراً مَمْدُوداً على جهنّم؛ لأن بصيرها غطّتْها غشاوة الأجسام وطبائعها، فإذا أمات نفسه، وراضَها برياضة أهل الشرع، اجتمع متفرّقها، فعاينت عملها وعلمها، جسراً ممدوداً على متنِ طبيعتها، المكنى عنها بجهنّم، لأنّ سلوكَ مقتضاها مؤدي إلى جهنّم، لأنها خلقت منها، أو مُجانسة لها، وكذا إذا كشف الغطاء بالموت، وهو قوله : «فإذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت، يكشف لك يوم القيامة جسراً ممدوداً محسوساً على متن جهنّم، أوّله في الموقف، وآخره على باب الجنّة»، إن كان مستقيماً، وإلّا فآخره على باب النار .

وإنما لم يُشَاهَدْ هو وما دونه، بدرجةٍ كأحوال البرزخ، وما فيه من الذوات والصفات، والأقوال والأَفْعال، وكأَحْوَال القيامة وما فيها، كالصراط والحوض، وتطاير الكتب، والحساب، والختم على الأفواه، وانطاق الجَوارح والسلاسل والأغلال، وجميع ما أعدّ للكافرين، من أنواع العذاب، وجميع ما أُعِدَّ للمؤمنين من أنواع الثواب، وما فوق ذلك من عالم الملكوت والجبروت، وما هنالك من الصفات والأحوال، والأفعال والأقوال، لأنّ الناظر إلى شيء من ذلك بعين جسمانية، ليس معه في صقعٍ، بل هذه العين الجسمانيّة، والناظر بها في هذه الأجسام، والمنظور إليه في عالم آخر، خارجٍ عن عالم الأجسام، لأن أدنى ما ذكر إلى عالم الأجسام عالم البرزخ، وهو في الإقليم الثامن، أسفله فوق محدّب محدد الجهاتِ في الرتبة، وعالم الملكوت، خارج عن عالم البرزخ، ووراءه بين مسير ألف سنة، وعالم الجبروت وراء عالم الملكوت، بينه وبين الملكوت مسير ألف سنة.

وأمّا إذا مات أو أمات نفسه، خرج من عالم الأجسام، وشاهَدَ كلّ عالمٍ وَصل إليه .

[أول الصراط المستقم المشاهد يوم القيامة]

وقوله : «أوّله في الموقف»، يريد أوّل الصراط الصوري، المشاهد يوم القيامة، لا مطلق المشاهدة، فإن من شاهده في الدنيا شاهد أنه في الدنيا سائر عليه، فلا يكون عنده أوّله الموقف، إلّا إذا أريد بالموقف الموقف الباطني؛ أعني على مَعْنى التأويل .

[عدد الصراط المستقيم يوم القيامة والصراط الخاص لكل شخص]

وقوله : «كل من يشاهده يعرف أنه صنعك وبناؤك»، وذلك لانكشاف الحقائق يوم القيامة، يوم تُبْدَى الضّمائر .

والصراط الممدود جسراً على جهنّم واحد؛ لأنه صورة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والخلائق كلهم مكلّفون بالمرور على ذلك الجسر الواحد .

وأمّا صراطُك الخاص بك؛ فهو صورة سيرك في ذلك، أعني سيرك في القيام بأوامر اللّه تعالى، واجتناب نواهيه على النحو الذي أمرك به، وعلمك واعتقاداتك التي هي سيرك فيما يراد منك معرفته، واعتقادُك له، وهو الذي مَن رآه عرف أنّه صنعُك وبناؤُك، لأنه صورة عملك، وعلمك واعتقادِك .

ويعلم أيضاً أنّ هذا كان جسراً ممدوداً على متن جهنّم، يعني يعلم أن ما كان عليه من القوة العملية، والقوة النظريّة، هو هذا الجسر الممدود على متن جهنم، الّتي قيل لها : هل امتلئت؟ فتقول : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[1]، لأنّ عمله وعلمه المكلّف بهما ممدودان على إنيّته وطبيعته، ليصرفانِها عن مقتضى ميلها، إلى مَحبّة اللّه تعالى، وتضعفَ وتصغُرَ وتتلاشَى كثافتُها وتخفّ، فتلحق بالملكوت، فتقول : ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[2]؛ أي : هل مَن يقوّي ضعفي، ويزيدَ في كمي وكيفي، فما

---

(١) سورة ق، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة ق، الآية : ٣٠ .

ازدادت بالتّأديب والتخويف، إلّا نفوراً واستكباراً في الأرْض، ومكر السيّء، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِه﴾[(١)]، وهي ظلّ حقيقتك، يعني ماهيّتك ذي ثلاث شعب؛ شعبة النفس، وشعبة الطّبيعة، وشعبة الجسم، وهو ظلّ غير ظليل، قيل : إنّما قيل : ذي ثلاث شعب لا ظَليل، لأنّ المثلّث إذا وضع في الأَرْض قائماً على زاويةٍ مِنْ زَواياه في الشمس، لا يكون له ظلّ، وهذا إنما يتحقّق إذا كان ضلْعاهُ القائمان لا يزيد انفراجُهُمَا عن سَعة الشمس، إذا فُرِضَ قرصُ الشمس قَاعدةً لذَيْنكَ الضِّلْعَيْنِ، بل إمّا أن يساوي قاعدة المثلّث الموضوع على رَأسه في الأَرْض، أو يزيد عليها، وتكون قاعدته إلى جهة الشّمْس .

وكون الظلّ غير ظليل؛ لأنّه من سنخ النّار، ولا يُغْني من لهب جهنّم؛ لأنّه هو الجالب لها؛ أي : للهب الشّهْوة والغَضَب، لأنّ ذلك هو بذْر جهَنّم ولهبها، لأنّ جهنم ولهبها كامن في الطبيعة، وفي القوّة الشهوية، والغضبيّة إذا لم يُعدلا، وهي الآن كامنة في أهلها، فإذا كان يوم القيامة برزت ليكونوا فيها، قال الله تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[(٣)]، وقال ﷻ : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[(٤)] .

[معنى الجاهلية الأولى والثانية]

وقوله : «إلّا أَنْ يُطْفِئَها ماء التّوبة، المطهّرة للنّفس عن المعاصي، التي تنشأ عن طرفي الحكمة العمليّة، وماء العلمِ المطهّر لدنس القلوب، الناشئ عن رجس الجاهليّة الأولى، والجاهلية الثانية»، المنبعث عن طرفي الحكمة النّظريّة .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٥٤ .

(٣) سورة الانفطار، الآية : ١٥-١٦ .

(٤) سورة التكاثر، الآيتان : ٥-٦ .

والمراد **بالجاهلية الأولى** : ما قبلَ بعثة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، وما قبل التوسط بين أطراف الحكمة النظرية .

والجاهليّة الثانية : ما قبل ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وما قبل التوسط بين أطراف الحكمة العمليّة .

[القاعدة السابعة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: نشر الكتب والصحف]

قال: «قاعدة: في نشر الكتب والصحائف، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۞ اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]، وقال: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[2].

اعلم أن كلّ ما يفعله الإنسان بنفسه، ويدركه بحسِّه، يرتفع منهُ أثر إلى ذاته، ويجتمع في صحيفة نفسه، وخزانة مدركاته، آثار الحركات والأفعال، وهو كتاب مُنْطَو اليوم، غائب عن مشاهدة الأبصار، فيكشف له بالموت ما يغيب عن البصر في حال الحياة، مما كان مسطوراً في كتاب، ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾[3]، وقد مرّت الإشارة إلى أنّ رسوخ الهيئات الباطنة، وتأكّد الصفات النفسانية، وهو المسمّى عند الحكماء بالملكة، وعند أهل الشريعة بالملك، والشيطان مما يوجب خلود الثواب والعقاب، فكلُّ مَن فعل مثقالَ ذرّةٍ من خيرٍ، أو شرٍّ يرى، أثره مكتوباً في صحيفة ذاته، أو صحيفة أعلى منها، وهو عبارة عن نشر الصّحائف، وبَسْط الكتب»[4].

[معنى نشر الصحائف والكتب]

أقول: نشر الصحائف والكتب، عبارة عن تطائرها، وذلك لأنها في قبره موضوعة في أعناق المكلفين، كما تقدّم في ذكر كتابتها في قطعة من كفنه

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٣-١٤.

(٢) سورة التكوير، الآية: ١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.

(٤) كتاب العرشية، ص٧٣.

بإصبعه، وريقه بإملاء رُومان فتان القبور[1]، وكانت في الدنيا كذلك كتبها رقيب وعتيد، في ورقة من اللّوح المحفوظ، بمعنى أنه إذا عمل عملاً صالحاً مثلاً، كما إذا صلّى يوم الجمعة في المسجد ركعتين، كتبها رقيب وعتيد، كما يكتب المقابل للمرآة صورته فيها، يكتبان صلاته للركعتين بهيئة المصلّي في غيب ذلك المسجد، وغيب ذلك الوقت، ويبقى ذلك مكتوباً في غيب ذلك المكان، وذلك الزمان إلى يوم القيامة، فإذا كنت حضرته حين الصلاة في المسجد يوم الجمعة لا تزال كلّما التفتَّ بخيالك إليه رأيتَ مثاله يصلّي، في الصلاة التي حضرته فيها، وإن كان العامل قاعداً عندك، فإن مثاله لا يزال في ذلك، فإذا حضر عندك وجدته لَابساً لذلك المثال، وكذلك لَو رأيته سارقاً لشيءٍ .

وجميع الأعمال مكتوبة بهذا النحو، ولكن رُومان فتّان القبور، هو الذي يلبسه تلك الأمثال المتعددة، المتفرّقة المتباينة، بأن يلبسه الآثار القائمة بها، فإذا كان يوم القيامة تطايرت ذوات الأمثال من أمكنتها وأوقاتها، وذلك حين مُدَّت الأَرْض، وأَلْقَتْ ما فيها وتخلّت، ونشرها أن يجيءَ كُلُّ عَمَلٍ في مكانه ووقته، ومثاله متلبِّسٌ بذلك، فكلُّ مثالٍ عاملٌ بعمله، فلزيدٍ مثلاً ألف مثال في ألفِ عملٍ، بل مائة ألفِ مثالٍ في مائة ألف عملٍ، كل مثال متلبّس بعمله، فذلك نشر الكتب والدواوين، وكشف السرائر، (**يا مَن أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك السِّتْر يا الله**)[2]، قال تعالى : ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾[3]، وذلك في قَبْرِه عَلَى يدِ رُومانَ، ﴿**وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**﴾[4]، وهذا كتاب الأعمال الّتي تعمل فيها الأمثال، وآثارها ما

---

(١) راجع الصفحة رقم (٥٤) من هذا الكتاب .

(٢) جمال الأسبوع، ص١٧٨، دعاء سيدنا زين العابدين عليه السلام . المزار، ص١٧٢ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ١٣ .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ١٣ .

وضعَها رومان في عنقه، فيقال له : اقرأ كتابك، أي : الذي طوّقك به رُومـــان، فإنه لا يخالف الكتاب المنشور، الجامع للأمثال العاملة بتلك الأعْمال في أماكنها وأوقاتها، ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾[1]، لأنّه إذا رأى نفسه في أمثالـــه عاملة لأعماله، كما ترى نفسك في صورتك التي في المرآة محرِّكةً للصــورة، لا تقدر على إنكارِ ما أَقرَّ به حالة إقراره، وكفى بنفسه ذلك اليوم عليه حســيباً، وقال تعالى : ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾[2]، وهي كتب الأمثال، فإنها هي الكتب المنشورة .

[كل ما يفعله الإنسان بنفسه ويدركه بحسه يرتفع منه أثر إلى ذاته]

وقوله : «اعلم أن كلّ ما يفعل الإنسان بنفسه، ويدركه بحسِّه يرتفع منه أثر إلى ذاته»، وهو اتّصافه بذلك العمل، فالعمل متلبس به .

مثاله؛ في مكان الفعل، ووقته إلى يوم القيامة، وهو الكتاب المنشـــور يـــوم القيامة .

والأثر المرتفع إلى ذاته، هو اتّصافه بذلك العمل، وهو الطائر اللّازم لذاته في عنقه .

مثاله؛ إذا رأيتَ عمرواً يسرق من دكّان زيدٍ، في السوق يوم الخميس شيئاً، ثم أتاك بعد ذلك عمرو، فإنّك تراه متّصفاً بتلك السرقة، فتشاهد الوصف الذي هو طائره لازماً لعنقه، أي : غير منفكٍّ عنه، وترى فعله ومثاله الـــذي سَـــرق، والسرقة عند الدكان المعروف، وهو في غيب الدكّان المحسوس، وفي غيب يـــوم الخميس، فتشاهد الكتاب المنشور في غيب مكانه، وغيب وقته ومثاله يسرق أبداً لتلك السرقة، هذا وعمرو ما لم يتب تراه متّصفاً بآثار فعله، لازمة لعنقه كلزوم

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ١٤ .

(٢) سورة التكوير، الآية : ١٠ .

الظلّ للشاخص، فإذا تاب وعلمتَ بتوبته وأتاك، لم تره متّصفاً بتلك الآثار، ولكن ترى مثاله في السوق يسرق من دكّان زيد يوم الخميس، ولا ترى آثار ذلك المثال بعمرو؛ لأنها متعلّقة بمبادئها من سجّين كتاب الفجار، فإذا كان يوم القيامة، وقد تاب في الدنيا، محى الله صورة ذلك المثال السابق، من الأمكنة والأوقات، ومن نفوس الملائكة، ومدّ الله ﷻ على عمرو سرادق ستره .

وإن لم يتب بقي أثر ذلك منطوياً مدّة حياته، غائباً عن مشاهدة الأبصار، فإذا مات كشف عنه الغطاء، فعاين الأشياء كما هي، قال تعالى : ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[1]، مما كان مسطوراً في كتاب، ﴿**لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ**﴾[2]، أي : لا يكشفها في الوقت الذي تكون فيه إلّا هو تعالى .

[مفهوم الملك والشيطان عند أهل الشريعة ﷺ]

وقوله : «وقد مرّت الإشارة إلى أن رسوخ الهيئات الباطنة، وتأكّد الصفات النفسانية، وهو المسمّى عند الحكماء بالملائكة، وعند أهل الشريعة بالملك والشيطان»، نعم ولكن أشرنا إلى بطلانه .

أمّا أن رسوخها يكون ملكة ثابتة فلا كلام فيه؛ لأن الأعْمال، والواردات من الأفكار والاعتقادات، إن لم تستقرّ تسمّى أحوالاً، وإن استقرت سُمِّيَتْ مَلَكات عند الحكماء والصوفيّة[3] .

وأمّا أنّها أي : رسوخ الهيئات الباطنة، وتأكّد الصفات النفسانيّة، تسمّى

(١) سورة ق، الآية : ٢٢ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٧٨ .

(٣) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

عند أهل الشريعة بالملك والشيطان فلا؛ لأن الملك عندهم عليهم السلام، وكذلك الشيطان نفوس على حدَة ذوات شعور، وتكليف واختيار، إلّا أنّ الله سبحانه بلطيف صنعه، وكّل الملائكة بما يريد إيجاده، مثلاً إذا أراد إيجادَ زيد، أمر كلمته فقبض له عشر قبضَات، مِنْ كل فلكٍ من الأفلاك التسعة قبضة، ومن مجموع العناصر الأربعة قبضة، وجعل لكلّ قبضة من القبضات العشر ملائكة، فملائكة القبضة منهم ملائكة الدور الأول يديرون عناصرها، وملائكة الدور الثاني يديرون معادنها، وملائكة الدَّور الثالث يديرون نباتيتها، وملائكة الدور الرابع يديرون حيوانيّتها، وملائكة تألّف القبضات العشر، وملائكة تربّي المركب منها، من نطفة إلى علقةٍ، إلى مضغة، إلى عظام، إلى أن تكسى لحماً، إلى أن تنشأ خلقاً، وملائكة تصوّره على ما يشاء تعالى .

وملائكة في أكوار تلك القبضات، في تربية نفوسها، وملائكة الأحكام تربّي سعادته، أو شقاوته .

وهذه الملائكة المذكورون، محالّ أمر الله تعالى، وحملته بواسطة أوليائه عليهم السلام، فهم المدبرات أمراً، وهم حملة فعله، فهم بأمره يعملون، قال أمير المؤمنين عليه السلام، في شأن الملأ الأعلى : **(تجلّى لها فأشرقت، وطالَعها فتلألأتْ، وألقى في هويّتها مثالَه، فأظهر عنها أفعاله)**[1] .

فالملائكة في جميع ما أعطاهم من القوة والقدرة، والاستطاعة والاختيار والمعرفة، بجهات ما أمروا به، كالآلة لفعله، لأنّهم أعضاد للمسببات، يحملون الأسباب، وهي أفعاله، وبها يعملون، وليسوا قُوَى المخلوقات كما توهّموا، لأنّ القوى أجزاء المخلوق، وآلاته الصالحة لجميع إراداته، يفعل بها خيره وشرّه .

والملائكة جند الله المطهّرون، **﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم**

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٨٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ[1]، ولكن الحكيم إذا رأى السبب ضعيفاً، وضع له مقوّياً يعضده، ليقدر على مسبّبه، وإذا رأى المسبّب ضعيفاً عن مباشرة السبب، وضع له حجاباً يحجب قوّة السبب، لئلّا يحترق المسبّب، قال ﷺ : (**إنّ للّه سبعين ألف حجابٍ من نورٍ وظلمة، لو كشف حجاب منها لأحرقَتْ سُبُحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[2] .

والملائكة من القسم الثاني، فهم الحجب وسبّحات أفعاله .

فإن قلتَ : قوله : «وظلمة»، ينافي ما قلتَ : من أنها الملائكة، لأنهم كلهم نورانيون؟ .

قلت : إن ملائكة النور نورانيون، وملائكة الظلمة ظلمانيون، وملائكة النعيم في غاية الحسن والجمال؛ كرضوان .

وملائكة العذاب في غاية القبح؛ كمالكٍ ومنكر ونكير .

وأيضاً يراد بالنور الملائكة العقلانيون المجردون، وبالظلمة الملائكة الجسمانيون المادّيون .

وأيضاً وجود النور نور، ووجود الظلمة نور كوجود النُّور، فالملك والشيطان نفسانِ متحركان بالإرادة، مباينانِ للإنسان، ولسائر الحيوان، وليسا ملكة .

[خلود الثواب والعقاب على الشخص]

وقوله : «مما يوجب خلود الثواب والعقاب»، صحيح على ما بيّناهُ سَابِقاً، من أنّ الرجل إذا عَملَ عملاً، كتبَتِ الحَفَظةُ مِثالَهُ في غيب مكان عمله، وغيب وقته، فلا يزال ذلك المثال يعمل ذلك العمل، في ذلك المكان والوقتِ، وثمرات

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات : ٢٦-٢٧-٢٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٩٠) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

تلك الأَعْمَال تصل إليه، ويتّصِف بها، فإن دام على ذلك العمل، حتى حصلت له منه ملكة وطبيعة، دامت له تلك الثمرات، من ثَمرات الأعمال الصّالحة، من الثواب، ومن ثمرات الأعمال الطّالحة من العقَاب، وهذا وجه لإيجاب الخلود .

ووجه آخر أنّ أهل الجنة انطوَتْ سرائرهم، وتحقّقت نيّاتهم، وعزمهم على أنّهم لو بقوا أبد الآبدين، أَنْ يُطيعوا الله تعالى في كلّ ما يأمره، وإنّما يمنعه عن بعضها بعض الموانع، ويكون حينئذٍ ماقِتاً لنفسِه، مُعْترفاً بتقصيره في كلّ حالٍ، وذلك من أعظم الأعمال وأفضلها، ففي الحقيقة لا يفتر المؤمن عن طاعة الله طرفة عينٍ؛ لأنّه إمّا عامل، وإمّا معترف بالتقصير والذنوب، فهو بذلك عامل .

وأَهْل النّار على العكس من أهل الجنّة، في كلّ ما ذكر، ولذا ورد : (**إنّما خُلّد أهل الجنة في الجنّة، وأهل النار في النار بنيّاتهم**)[1] .

[صورة أثر عمل الخير والشر مكتوب في صحيفة ذات الشخص]

وقوله : «من فعل مثقال ذرّة من خير أو شرّ، يرى أثره مكتوباً في صحيفة ذاته، أو صحيفة أعلى منها»، نعم كل مَن فعل وجد أثر فعله مكتوباً في صحيفة ذاته؛ أي : تكون ذاته متصفة بأثر ذلك العمل، ويجد ذلك العمل مكتوباً في صحيفةٍ أعلى من صحيفة ذاته لا أثره، إذ أثر عمله لا يكون على غيره، ﴿**وَلَا تَزِرُ**

(١) عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخلود في الجنة والنار؟ .

قال : (**إنما خلد أهل النار في النار؛ لأن نياتهم كانت في الدنيا، لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة؛ لأن نياتهم كانت في الدنيا، لو بقوا أن يطعوا الله أبداً ما بقوا، فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء، ...إلخ**) . [علل الشرائع، ج٢، ص٢٣٩، ح١، باب : ٢٩٩ . أصول الكافي، ج٢، ص٨٥، ح٥، باب : النية . بحار الأنوار، ج٨، ص٣٤٧، ح٥، باب : ٢٦] .

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1]، ويجد ذلك مكتوباً في صحائف دون صحيفة ذاته، فأمّا ما في ذاته فهو لون عمله وهيئته، فتتقدّر مادَّته بصورة عمله، ويبيضّ وجهه أو يَسْوَدُّ .

وأمّا ما في صحيفة، أو صحائف أعلى من ذاته، فهو ما في ألواح نفوس الملائكة والأشهاد، من الأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين .

وأمّا ما في صحائف أدنى من ذاته، فهو ما في ألواح بقاع الأرض التي عمل فيها، والأوْقات من الساعات، والأيام والشهور، والسنين كذلك، وما على الأرض من الحيوانات، والنباتات والجمادات، وهذا معلوم إلّا أنّ ما في صحيفة ذاته أمثال أعماله، وآثارها التي هي نتائج تلك الأعمال وثمراتها، وما فيما هو أعلى من ذلك أمثال أعماله، وما فيما هو أدنى من ذاته، صُور أمثال أعماله، وعكوسات آثارِها، ولذا تقع من وجود المؤمن الصالح العامل، بركات وخصب، ورخاء في الزروع، والثمار والأسعار .

وتقع من وجود المنافق قلّة البركة، وقلّة الرَّيع والغلاء .

[كل صغيرة وكبيرة يفعلها الشخص مكشوفة بين الخلائق إلّا ما ستره الله بستره]

وقوله : «وهو عبارة عن نشر الصحائف، وبسط الكتب»، قد بيّنّا في معناه أن الآثار الّتي تلزم ذات العامل، عبارة عمّا أملاه عليه رومان، عند أوّل دخول قبره، وإن نشر الصحائف عند تطاير الكتب وليس العامل، أمثاله التي عملت به أعماله، وظهوره بها مكشوفة بين الخلائق، بحيث لا يُستتر منها شيء إلّا ما ستره الله بستره وعفوه، أو ما ستره الله تعالى بتوبة عبده، وذلك عند حضور الأشهاد،

---

(١) سورة فاطر، الآية : ١٨ .

من الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، والشهداء والصالحين، والأمكنة والبقاع، والشهور والسنين .

[الشخص الذي يأخذ الكتاب بيمينه أو بشماله]

قال : «فإذا حان وقت أن يقع بصره على وجه ذاته عند كشف الغطاء، ورفع الغشاوة، فيلتفت إلى صفحة باطنه، وكتاب نفسه، فمن كان في غفلة عن ذاته، وحساب حسناته وسيئاته، يقول عند ذلك : **﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾**[١]، وذلك أن نشأة الآخرة نشأة إدراكية حيوانية، كل من فيها حديد البصر، لقوله : **﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**[٢]، فمن كان من أهل السعادة، وأصحاب اليمين، أوتي كتابه بيمينه من جهة عليّين، لأن معلوماته أمور كلّيّة رفيعة عالية، كما قال : **﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾**[٣] .

ومن كان من الأشقياء المردودين إلى أسفل سافلين، وأصحاب الشمال، فقد أوتي كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، من جهة سجّين، لأن مدركاته مقصورة على أغراض جزئيّة سفليّة، ولاشتمال كتابه على الكذب والبهتان والهذيان، فَحَرِيٌّ بأن يلقى في النار، وخليق بأن يحترق في الجحيم، كما قال : **﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾**[٤]»[٥] .

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة ق، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة المطففين، الآيات : ١٨-١٩-٢٠-٢١ .

(٤) سورة المطففين، الآيات : ٧-٨-٩-١٠

(٥) كتاب العرشية، ص٧٤ .

[كل شخص عند موته ينظر إلى صحيفة أعماله ومحاسبة النفس في الدنيا قبل يوم الآخرة]

أقول : يريد أنّ المكلّف الذي كتبت آثار أعماله في صحيفة ذاته، إذا قرب وقت اطّلاعِه على ما كتب في صحيفةِ ذاته، وقع بصرُهُ؛ أي : بصيرته على وجه ذاته .

والمراد بالوجه مقدّمها الذي هو متعلّق الاتّصاف بتلـك الآثـار، وتلـك المشاهدة عند كشف الغطاء، غطاء الطبيعة المادّية، أعني الجسم بأن تُلْقِيَهُ وتخرج، أي : الروح عنه .

ورفع الغشاوة، أي : رفع كدورات الطبيعة الشاغلة للروح، عَنِ الالتفـات إلى ما كتب في نفسها، فتلتَفت إلى صفحة باطنه، وكتاب نفسه، فمن كان منتبهاً حاسب نفسه في الدنيا قبل أنْ يُحاسَب، ومن حاسب نفسه في الدنيا، وقام بمـا يراد منه، المعبّر عنه بمحاسبة النفس في الدنيا، لم يحاسبه الله تعالى يوم القيامة؛ لأنه تعالى أكرم وأرحم من أن يجمع على عبده حسابَيْنِ، ومن كان في غفلة عن ذاته، وعن حساب حسناته وسيّئاته، يقول عند ذلك : **﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَـادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَـا يَظْلِـمُ رَبُّـكَ أَحَدًا﴾**[1] .

قال المصنف : «وذلك»؛ أي : كونه قد عاين ما هو مكتوب في ذاته، لأن نشأة الآخرة نشأة إدراكيّة، أي : عقليّة تعقليّة حيوانية، ليس فيها موت من جهلٍ أو غفلة، بل كلها حياة ويقظة، وتعقّل وتذكر، فيكون كل مَن فيهـا حديـد البصر، لقوله تعالى : **﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾**[2] .

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة ق، الآية : ٢٢ .

وأقول : وإن كان كلامه غير منافٍ في الجملة، لكنه ليس مبنيّاً على كون العود عين البدء، إذا أزيلت الأمور العارضة عنه، وذلك لأن العائد قبل وصوله دار التكليف على حاله، في العود بعد التخلص من الأمور العارضة له، من مراتب النزول، ومن شرائط التكليف، الجاري في استيجاب الثواب والعقاب، على مقتضى الحكمة المحفوفة بالعدل، والفضل المشفوعة بالابتلاء والاختبار، ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**﴾[١]، فالعود كالبدء، ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾[٢]، فحالته في الإدْراك والتذكر والتعقل، ومشاهدة الغيب في العود نفس حالته في البدءِ، ولكن تيقّظه في الدنيا مستور بالغواشي الطبيعيّة، والظلمات المادّيّة، فلما كشفت ظهر منها ما كانَ مَسْتُوراً فيها، فمن ساعده التوفيق، وانتبه من غفلته في هذه الدنيا، وجد ما يجده في الآخرة، وعرف ما يعرفه، وشاهَد هنا ما يشاهده هناك، فإن كانت مشاهدته هناك مشاهدة تامّة عَلَى مقتضى صحّة الحكمتَيْنِ؛ العَمليّة والنظريّة، قامت قيامته، وعرف مفصولَهُ وموصولَهُ، وإلّا فإذا ماتَ، وكشف عنه غطاءه الّذي هو جسده، كان بصره حديداً يشاهد الغيب، كما قال : ﴿**لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**﴾[٣]، فمن كان من أهل السعادة، وأصحابِ اليمين؛ يعني أصحاب علي عليه السلام، فإنه هو يمين الله، حتّى أنّه قد اتّفق أن حساب يمين، موافق لحساب اسم علي عليه السلام، بحساب الجُملِ الكبير[٤]، أوتي كتابه بيمينه، ليطابق الظاهر الباطن

---

(١) سورة الأنفال، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٢٩ .

(٣) سورة ق، الآية : ٢٢ .

(٤) حساب كلمة «**يمين**» على حساب أبجد هوز هو : ١٠+٤٠+١٠+٥٠= ١١٠ . وحساب كلمة «**علي**» لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يساوي نفس هذا العدد، وهو : ٧٠+٣٠+١٠= ١١٠ .

من جهة علّيين، وعلّيون أعالي الجنان؛ لأنه محلّ جنّة عدنٍ، التي هي مسكن الأنبياء والأوصياء، وهو محلّ كتاب الأبرار .

والمراد منه نفس فلك الثوابت، المسمّى بالكرسي، وباللوح المحفوظ، وفيه صور الأعمال الصالحة، أعني صور الإجابة حين سألهم داعي الله ﷺ عن أمر الله، يقول الله لكم : (**أ لستُ بربّكم؟** .

قالوا : بلى)[١] .

والمجيب يؤتى كتابه بيمينه من تلك الجهة، أي : الجهة العليا، لأن معلوماته أمور كلّيّة، بل وجزئيّة، كما عندنا رفيعة عالية، لأنّ اليمين تطلق على الحق، وعلى العالي، وعلى اللبّ، والباطن والغيب، فيؤتى كتابه بيمينه لذلك، كما قال تعالى : ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[٢]، وهم الرجال الكروبيّون؛ أعني ملائكة الحجب، الّذين جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم .

ولّما سأل موسى ربّه ما سأل، أمر رَجُلاً من الكروبيّين، فتجلّى للجبَلِ فجعله دكّاً، كذا رواه ابن إدريس في مستطرفات السرائر، نقلاً من بصائر الصفّار[٣] .

والكروبيون في القاموس، أنه مخفّف الراء، وبعضهم قرأ بالتّشْديد، ومعنى ذلك أنه صيغ من كرَبَ؛ بمعنى قرب[٤] .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة المطففين، الآيات : ١٨-١٩-٢٠-٢١ .

(٣) تقدم تخريج ما يشير إلى هذه الرواية في الصفحة رقم (٦٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) تاج العروس، ج١، ص٤٥٤ .

ومَن كان من الأشقياء المردودين إلى أسفل سافلين، وأصحاب الشمال فقد أوتي كتابه بشماله، أو مِنْ وراء ظهره .

وظاهر عبارة المصنف هنا، وفيما تقدّم، أنّهم فريقان؛ فريق يؤتى كتابه بشماله، وفريق يؤتى كتابه من وراء ظهره .

والذي صرّح به كثير من العلماء، أنهم فريق واحد، وإنّما ذكر في القرآن مرّة ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه**﴾[1]، لأنه تعالى يكرّر الذكر والقصّة؛ لتستقرّ في قلوب المكلّفين، وليدلّ على تعظيم الأمر في نفوسهم، فيكون أردعَ لهم عن المعاصي، ولئلّا ينسى ما هو نبأ عظيم، ويُعرَض عنه، ولو ذكر القصّة كلّها في موضع واحدٍ من كتابه، وذكرها في موضع آخر، بغير زيادة في المعنى، وبغير تغيير العبارة، لَمجَّتْها النفوس، وملّت من استماعها، فجرت عادته سبحانه أن يكرّرها ليتذكّر أولوا الألباب، بزيادة معانٍ في الثانية، ليرغب المكلّف إلى استماعها طلباً لفهم المعنى الجديد، وبتغيير العبارة لئلّا يملّ من استماعها، وليكون الذكر الثاني مغايراً للأوّل معنىً ولفظاً، ولما فيه من الأسرار الّتي لا يحيط بها إلّا هو، ومن أطلعهم عليه من أوليائه عليهم السلام، التي من جملتها أنه لم ينزل لقوم دون قوم، بل هو جارٍ لجميع المكلفين، إلى انقضاء التكليف، موافق لطباعِ كلّ طبقةٍ بما يلائم لهم، فلذا كان مرّة قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِه**﴾[2]، ومرّة قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِه**﴾، ومعناه كما قال بعضهم : أن كتاب المنافق والكافر يأتيه من وراء ظهره فيضربه، فيخرق ظهره، ويظهر من صدره، ويأخذه بشماله .

---

(١) سورة الانشقاق، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الحاقة، الآية : ٢٥ .

[المخلوق في أحسن تقويم والمردود إلى أسفل السافلين]

وقوله : «المردودين إلى أسفل سافلين»، من قوله : ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾[١]، ولكن المخلوق في أحسن تقويم، ليس هو المردود إلى أسفل سافلين؛ لأن المخلوق في أحسن تقويم؛ هو محمد، أو محمد وعلي صلى الله عليه وآله .

والمردود إلى أسفل سافلين؛ حبتر أو حبتر وزُرَيق، وهما أعرابيان من المنافقين، صُوِّرَا بصورة الإنسان، فدخلا في الإنسان بالاسم الصوري، فيكون ضمير المفعول في رددناه عائداً إلى الإنسان الصوري لا إلى المعنوي، لأنّهما ليسا من أصحابه صلى الله عليه وآله الّذين بايعوه بيعة الرضوان «رضوان الله عليهم» .

وإنّما كانا من الجنّ، و لم يحضرا بيعة الشجرة، إلّا بتلك الصورة الأولى، فإذا عاد كلّ شيء إلى أصله، عادَا إلى رتبتهما من الكون، وهو الردّ المذكور .

[معنى جهة سجين]

وقوله : «من جهة سجّين»، وهو الصخرة التي تحت الأرض السّابعة، وهي كتاب الفجّار، قال المصنف : «لأن مدركاته»، يعني من أوتي كتابه بشماله، مقصورة على أغراضٍ جزئية سفليّة، منتزعة من أمثاله العاملين لأعماله، وتلك المدركات صور قائمة بالصخرة، ومبادئها في الثرى الذي لا يعلم ما تحته إلّا الله .

وإنما اشتمل كتابه على الكذب والبهتان والهذَيان؛ لأن الصور التي كتِبت فيه من الثرى الذي هو مظهر الجهل الكلي، الذي قال له الله سبحانه : (**أدبر فأدبر** .

ثم قال له : أقبل فأدبر)[٢]، ثم لعنه وطرده من رحمته، وكلّ لما منه لاحق به، فمن كان كتابه الذي أخذه بشماله مشحوناً بذلك، فهو حَرِيّ بأن يلقى في

---

(١) سورة التين، الآيتان : ٤–٥ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤٠) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

النار، وخليق أي: حقيق بأن يحترق في الجحيم، كما قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۞ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[1]، وويل اسم وادٍ في جهنم، يرده من أوتي كتابه بشماله، ومن وراء ظهره.

(١) سورة المطففين، الآيات: ٧-٨-٩-١٠.

[القاعدة الثامنة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: كيفية ظهور أحوال يوم القيامة]

قال: «قاعدة في كيفية ظهور أحوال تعرض يوم القيامة على الإجمال، وتفاصيلها مستفادة من القرآن والحديث على أتم تفصيل وأوضحه، إلّا أنّه نبأ عظيم، والناس عنه معرضون، كما قال عز من قائل: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[1].

واعلم أن القيامة كما أشرنا إليها، من داخل حجب السماوات والأرض، ومنزلتها من هذا العالم منزلة الإنسان من الرحم، والطّير من البيضة، فما لم ينهدم بناء الظاهر، لم ينكشف أحوال الباطن؛ لأن الغيب والشهادة، لا يجتمعان في موضعٍ واحد، فلا تقوم الساعة إلّا إذا زلزلت الأرض زلزالها، وانشقّت السماء، وانتثرت الكواكب، وتساقطت النجوم، وكوّرت الشمس، وخسف القمر، وسيّرت الجبال، وعُطِّلت العشار، وبعثر ما في القبور، وحصِّل ما في الصُّدور، وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّةً واحدة»[2].

[كل عارف في هذه الدنيا تظهر له كيفية ظهور أحوال يوم القيامة]

أقول: يريد أنّ العارف في هذه الدنيا، تظهر له كيفيّة ظهور أحوال الآخرة، ويتعقّلها ويتصوّرها كلّاً أو بعضاً، وذلك يحصل في هذه الدنيا لمن أَمات نفسه حتى قامت قيامته، وظهر سلطان عقله على جميع جوارحه، فإنه لمّا قطع

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٢) كتاب العرشية، ص٧٥.

الخلائق، وصل إلى الخالق سبحانه؛ يعني انمحَى في نور أمره، واشـــتغل بطاعتـــه وذكره .

[مراد المصنف تتئل من أن العارف على الإجمال من هو؟]

وقوله : «على الإجمال»؛ يريد أن اسم العارف والواصل، يصدق على من لم يقدر على تفاصيل أحوال الآخرة، وإن كانت في جميع جهاتهـــا مفصّـــلة في الكتاب والسّنة، على أتمّ تفصيل وأوضحه، إلّا أنه ليس على نمطٍ واحدٍ، بل منها مبيّن فـــي التفسير الظاهر، ومنها فـــي غيـــره كالباطن، وباطن الباطن إلـــى سبعة .

وكالظاهر، وظاهر الظاهر، وظاهر ظاهر الظاهر، وهكذا إلى سبعةٍ .

وكالتّأويل، وباطن التأويل، وباطن باطنه، وهكذا إلى سبعة، بل إلى سبعين، ولكن لا يطّلع عليها إلّا من خوطب به، كما قال تعالى : (**لا يسعني أرضي ولا سمائي، ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، لأنه يتقلّب مَعي، وفيَّ وبي**)[1]، وذلك هو الّذي يحيط بتَفاصيلها، وتفاصيلها بعضاً أو كلّاً، مستفادة من الكتاب والسنة، وكذلك من الآفاق والأنفس، لأنّ الله تعالى قال : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَـــاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[2]، وقال الصّادق عليه السلام : (**العبوديّـــة جوهرة كنهها الربوبيّة، فما فقد في العبودية وُجد في الرّبوبيّة، وما خفـــي في الربوبيّة أصيب في العبودية ...**)[3]، وقال الرضا عليه السلام : (**قـــد علـــم أولـــوا الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك، لا يعلم إلّا بما هيهنا**)[4] .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٢٨) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٥٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وآيات الكتاب مشتملةٌ عَلَى الإشارة، إلَى أَنَّ تَفاصيلَ الأشياءِ موجــودة في الآفاق وفي الأنفس، مثل قوله تعالى : **﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَة فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**[١]، وقال تعالى : **﴿وَفِي الْــأَرْضِ آيَــاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾**[٢] وقال تعالى : **﴿وَتِلْــكَ الْأَمْثَــالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾**[٣]، وأمثال ذلك كثير، يشير إلى كلــها قوله تعالى : **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾**[٤]؛ أي : اقرءوا القرآن بالتدبر، أو انظروا في الآفاق **﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[٥] تعالى، وحَتَّى يتبيّن لكم حَقائق الأشياء، وحتى يتبيّن لكم ما يراد منكم .

[كيفية تطابق الكتابين التدويني والتكويني]

واعلم أنّ الكتاب التَّدْويني طبق الكتاب التكويني، وكُلّ مــا في الكتــاب التّكويني فهو في نَفْسك، لأنك قد انطوى فيك العالم الأكبر، فإذا أردتَ أن تعتبر في الآيات، إما في الآفاق، وإما في نفسك، فإذا ظهر لك في العالم شيء، فــانظر هل هو مطابق لما في نفسك أم لا؟ وبالعكس، فإذا تطابقا فهو الحقّ، وإنْ تَخالَفَا فهو الباطل، وإنْ لم تَقف إلّا على واحد فتأمّل وتَدبّر، فإنّهما لا يختلفان .

والمصنف إنّما ذكر هذه الآية؛ للإشارة إلى أنّ ما ذكره مأخوذ من التدبّر في الآيات، وهو ممّن يتدبّر، إلّا أن شرط الصحة، وهو المطابقة بين العــالم الكــبير، والعالم الصغير، قد لا يتوجّه له؛ لأن المهتدي إلى هذا الشرط قليل، لكثرة وقوع الخطأ في الاقتصار على أحدهما، ومع التطابق ربّما لا يقع خطأ .

---

(١) سورة يوسف، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الذاريات، الآتان : ٢٠-٢١ .

(٣) سورة العنكبوت، الآية : ٤٣ .

(٤) سورة الروم، الآية ك ٤٢ .

(٥) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

[عالم الآخرة إما جنة أو نار على رأي المصنف ﵀]

وقوله : «واعلم أنّ القيامة، كما أشرنا إليه من داخل حجب السّماوات والأرض، ومنزلتها من هذا العالم، ...إلخ»، يريد به أنّ عالم الآخرة، إمّا جنّة؛ وهي [في] غيب هذه السماوات، وإمّا نار؛ وهي في غيب هذه الأرضين، وهذا صحيح؛ لأنّ الدنيا ما نزل إليها من عالم الغيب في القوس النزولي كالأجسام الباقية؛ يعني المبعوثة يوم القيامة، فإنها باقية في القبور، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾[1]، وكالصور البرزخيّة، وكالجواهر الهبائية، والطبيعيّة والنفسانية، فإنها نزلت من المكان الرفيع، فلمّا نزلت لحِقَتْها عوارض المراتب، فلمّا عادت ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[2]، فإذا مات الإنْسان رجع إلى البرزخ في الصورة البرزخيّة، فإذا نفخ في الصّور رجع إلى الهبائية والطبيعية، في أربعمائة سنة، ويتخلص فيها من العوارض، ويرجع إلى النفسيّة يوم القيامة، لأنّه مقابل النفس، ومسامت لها في القوس الصعودي، فالجنّة في سماوات الآخرة، والنار في أرض الآخرة، وسماوات الآخرة وأرضوها في سماوات الدنيا وأرضيها، كالزجاج الشّفاف في الحجر الكثيف، وكالطير في البيضة، وكالشجرة في النواة .

وليس منزلتها كمنزلة الإنسان في الرحم، بل ولا كمنزلة الطّير في البيضة، والشجرة في النواة؛ لأنّ الإنسان متميّز في الرحم، والطّير والشجرة غير موجودَيْن بالفعل، والجنّة والنّار والآخرة ليست متميّزة كتميّز الإنسان في الرحم بالظّرفية، وليست في وجودِها بالقوة، كوجود الطير والشجرة، وإنّما وجودها بالفعل، كوجود الزجاج في الحجر، وكوجود الزبد في اللّبَن، وكبُرَادة الذهب في التراب، كما مثّل بها الإمام عليه السلام .

---

(١) سورة الحج، الآية : ٧ .

(٢) سورة الانشقاق، الآية : ٤ .

فأجسادنا هذه التي في الدّنيا، بعينها هي أجساد الآخرة، وإنّما غطّاها عن الأبصار العوارض، كما غطّى سحالة الذهب التّراب عن الأبصار، فإذا غسل التراب بالماء، أو نفخ بالهواء، ظهرت برادة الذهب، وإذا أُذيب الحجر بالنار، تخلّص الزّجاج، وكذلك الجنّة والنار .

وسماوات الآخرة وأرَضُوهَا، موجودة الآن بالفعل؛ كوجود الزجاج في الحجر بالفعل، وبرادة الذهب في التراب بالفعل .

وأمّا وجود الإنسان في الرحم فإنه متميّز، إلّا أنه مظروف، والطير وجوده بالقوة، ولا كذلك الآخرة، والجنة وسماواتها وأرضوها، [والنار] وسماواتها [وأرضوها]، فإن للنار سماوات كما للجنة، لأنها ظلها وعكسها، وهو قوله تعالى: **﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ﴾**(١)، وهي سماواتها، كما أن السماوات تظلّ من تحتها .

وإنما لم يصرّح بذلك؛ لخفائه على عامّة المكلّفين، ولئلّا يتوهّموا أنّ فيها فسحة وسعة، ولكن على نحو السماوات في الدنيا، فإن بين كل سماء فاصلة، وهي المتمّمات الحاوية والمحويّة، والأرضون ظلّها وعكسها، وليس بينها فواصل ظاهرة، ولا يتفوّه بها .

والمصنّف في قوله : «إنّ القيامة من داخل حجب السماوات والأرض»، على ما هو الظاهر، أنه عرف رتبتها، ولكنّه ما عرف آيتها ومثالها، ويحتمل أنّه أخذ ذلك من كلام القوم، ولو أخذه بالمعاينة لما أخذه إلّا من آياته في الآفاق، وفي الأنفس، ولو أخذه من آياته لمثّل بها، لأنّها هي مثاله، وهي دليله، فافهم .

---

(١) سورة الزمر، الآية : ١٦ .

[كيفية تخليص وتصفية وإعادة الجسم عند تلوثه بهذا العالم]

وقوله : «فما لم ينهدم بناء الظاهر، لم تنكشف أحوال الباطن، ...إلخ»، صحيح؛ لأن المراد بذلك هو تخليص الغيب الموجود الآن بالفعل، ولذا قال : «فلا تقوم الساعة إلّا إذا زلزلت الأرض زلزالَها، وانشقت السماء، وانتثرت الكواكب، وتساقطت النجوم، وكوّرت الشمس، وخسف القمر، وسيّرت الجبال، وعُطّلت العشار، وبُعثرَ ما في القبور، وحُصِّلَ ما في الصدور، وحملت الأرض والجبال فدكّتا دكّة واحدة»، وبيان هذه على الظاهر مذكور في التفاسير .

والمراد أنّ هذا كلّه من كيفيات التخليص والتصفية، لما تلوّث من العالم، ليلتحق بالصّافي منه، فهذه الأجسام الدنيوية المادّية، هي بنفسها تعود بعد التصفية.

فإن قلتَ : أنّك رددت على المصنف فيما تقدم، حتّى قلتَ : أنه عند أهل البيت عليهم السلام غير قائل بالمعاد الجسماني، لأنّه لا يقول بإعادة المادة، وإنما المعاد هو الصّورة، مع أنه قائل بإعادة الإنسان بعد تصفيته، لأنه لا يعاد بهذه العوارض والكثافات، وإنما المُعاد الجسم[1] النوراني؛ يعني بعد تصفيته .

ويريد بالصورة، الصورة الوُجوديّة، لأنّ الإنسان إنما هو إنسان بهذه الصورة، فقوله غير منافٍ لما تذهب إليه، وإنّما النّزاع لفظيّ؟ .

قلت : النزاع معنوي، لأنّي **أقول** : إنّ الذي يعاد هو هذا الجسد الموجود بالفعل، بعد تصفية مادته الموجودة بالفعل الآن، يعاد بمادّته هذه بعد تصفيتها، كتصفية الزجاج من الحجر الكثيف في صورة عمله، فإن عَمِلَ عَملَ الإنسان من الطاعات أعيد بمادته في صورة الإنسان، لأنها هي صورة الطاعة، وإنْ عمِلَ عَملَ الحيوان أعيد بمادته في صورة الحيوان، من حمار أو ثور، أو كلب، أو خنزير، أو غير ذلك مما اقتضاه عمله من الصور على كل تقدير .

---

(١) في المخطوطة : الجسماني .

فصورته في الدنيا لا تعود، وإنْ أُعِيدَ عليها، أُعِيدَ على صورة مثلها، لأنّ الصور التخطيطيّة ليست جزءاً من الجسد بخصوصها، كما لو كسرتَ خاتمك وصغته على صورته الأولى، فإنّه هو هو بغير تبديل، والصورة الوجوديّة ليست إلّا المادة.

والمصنّف يقول: إنّ الإنسان المُعاد بصورته لا بمادته، حتى قال فيما تقدم في الأصول السّبعة، في الأصل الأوّل: «فهو هو بصورته لا بمادّته، حتى لو فُرِض تجرّد صورته عن مادّته، لكان هو بعينه باقياً عند ذلك التجرّد، وإنما الحاجة إلى المادة لقصور بعض أفراد الصور عن التفرّد بذاته، دون التعلّق الوجودي، بما يحمل لوازم شخصه، ويحمل إمكان وقوعه، ويقرّبه باستعداده إلى جاعله، ويرجّح وقت حدوثه على سائر الأوقات.

ونسبة المادّة إلى الصورة، نسبة النقص إلى التمام، والشيء مع تمامه واجب الحصول بالفعل، ومع نقصه ممكن بالقوة»[1] انتهى.

فقوله: «حتّى لو فُرِضَ تجرّد صورته، ...إلخ»، صريحٌ في عدَمِ اعتبار المادّة في الإِعَادة، وإنّما المعتبر في الإعادة عنده الصورة الوجوديّة، مثل ما مثّلنا بالنهر، فإنه يقال لهذا الماء الجاري الذي في النّهرِ: هذا الماء الذي شَرِبْنا منه في العام الماضي، مع أنه يتبدّل ويتغير كل لحظة، ولكنّه باعتبار الصّورة الوجوديّة، هو ذلك الأوّل، وقد قال في قاعدة بعد الأصول السبعة الماضية: «إنّ المُعاد في يوم المعاد، هذا الشخص الإنساني، المحسوس الملموس، المركّب من الأضداد، الممتزج من الأعضاء، والأجزاء الكائنة من الموادّ، مع أنه يتبدل عليه في كل وقت أعضاؤه وأجزاؤه، وجواهره وأعراضه، حتى قلبه ودماغه، سيّما روحه البخاري، الذي هو أقرب جسمٍ طبيعي إلى ذاته، وأوّل منزل من منازل نفسه في هذا العالم، وهو

---

(١) كتاب العرشية، ص٤٦ . وفي هذا الكتاب، ج٢، ص٢٠٤ .

كرسي ذاته، وعرش استوائه، ومعسكر قواه وجنوده، وهو مع ذلك دائم الاستحالة والتبدّل، والحدوث والانقطاع، فإنّ العبرة في بقاء البدن بما هو بدن شخصي، إنّما هي بوحدة النفس، فما دامت نفس زيد هذه النفس، كان بدنه هذا البدن، لأن نفس الشخص تمام حقيقته وهُويّته، وهذا كما يقال : أن هذا الطفل ممّن يشيب، أو هذا الشابّ كان طفلاً، وعنْد الشيب قد زال جميع ما كان له عند الطفولية، من الأجزاء والأعضاء، ...إلخ»[1] .

فتأمّل في كلامه وما قبله، هل يدلّ على إعادة الموادّ؟، وهل يكون كما ذكرنا؟، وهل يكون النزاع بيننا لفظياً؟، وقد تقدّم هذا الكلام، وذكرنا هناك ما يرد عليه، ولكن أعدته لتتأمل فيه، في مثل قوله : «وعند الشيب قد زال عنه جميع ما كان له عند الطفولية؛ من الأجزاء والأعضاء»، فاعتبروا يا أولي الألباب .

وإنما مراده بقوله : «إن هذا البدن الملموس المحسوس في هذه الدنيا، هو المعاد»، ليس أنه بمادته، إلّا أنّها تصفى، وأن الجسم الأخروي الباقي هو هذا بعد التصفية على نحو ما بيّنّا، بل كَما مثّلْنا بالنّهر، لأنّ المعاد عنده هو الصّورة الوجوديّة، فيا ليت شعري إذا كان الطفل عند الشيب، يكون قد زال عنه جميع ما كان له عند الطّفوليّة، من الأجزاء والأعضاء، [هل تكون الأعضاء] التي له قبل الشيب، المباشرة للمعاصي، تزول وتجدّد له أعضاء غيرها تُعَذّب، ولم تعمل شيئاً من المعاصي، بل لأجل أنها جعلت عضواً للنفس العاصية، والتي عملت المعاصي، وباشرَتْ ما حرّم الله، وتلذّذت بالمعاصي، تذهب طِلْقاً سالمةً من العذاب، ويحمل عذابها على ما لم يعصِ فهنيئاً للأعضاء الفانية إذا كانت عاصية، وتعساً لها إن كانت مطيعة؛ لأنّها حُمِّلَتْ مَشَقّة الطاعات بلا عوض، فالله قال

(١) راجع كتاب العرشية، ص٥١ . وفي هذا الكتاب، ج٢، ص٢٨١ .

تعالى : ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١]، والمصنّف قال : تزرُ وازرة وزر أخرى، إذا كانت بصورتِها .

[كيفية امتداد عقل العارف من النور في هذه الدنيا]

قال : «والعارف قد يشاهد هذه الأحوال والأهوال، عند ظهور سلطان الآخرة على ذاته، فيسمع نداء ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢]، فيرى السماواتِ مطوياتٍ بيمينه، ويرى هذه الأرض عند القيامة في الزلزال، والجبال في الاندكاك، حيث لا استقرار ولا جمود لها، فإذا انكشف الغطاء بالقيامتين؛ الكبرى والصغرى، يرى كلّ على أصله، من غير غلطٍ في الحسّ، وشبهةٍ في الوهم، فيرى ذوات الأوضاع الشخصيّة المركبة، موادّ وصوراً متجدّدة، مستحيلة مع أعراضها المختلفة، التي كان يتم بها وجودها الشخص المحسوس، الّذي مظهرها آلات الحواسّ، وانفعالاتها عند الحواسّ، وانفعالاتها عند القيامة»[٣] .

أقول : العارف في هذه الدنيا، إذا ظهر سلطان الآخرة على ذاته، من جهة عقله على سائر بدنه، حتى امتثل أوامر الله، واجتنب نواهيه، كما يحبّ الله، واستقام على ذلك، كان امتداد عقله من النور، كما قال الصادق عليه السلام : **(دعامة الإنسان العقل، ومن العقل الفطنة، والفهم والحفظ والعلم،... وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره، ومفتاح أمره)**[٤]، فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالماً حافظاً، ذاكراً فطِناً فَهِماً، فعلم بذلك كيف ولِمَ وحيث، وعرف مَن

---

(١) سورة الأنعام، الآية ك ١٦٤ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٥ .

(٤) علل الشرائع، ج١، ص١٢٧، ح٢، باب : ٩١ . بحار الأنوار، ج١، ص٩٠، ح١٧، باب : العقل والجهل . مجمع البحرين، ج٢، ص٣٤ .

نصحه، ومن غشّه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه، وموصوله ومفْصوله، وأخلصَ الوحدانية لله، والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فاتَ، وواردا على ما هو آت، ويعرف ما هو فيه، ولأي شيء هو هيهنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كلّه من تأييد العقل .

فإذا كان في الدّنيا كذلك، فقد أمات نفسه، وقامت قيامته، كما قال صلى الله عليه وآله[1]، فيشاهدُ أحوال الآخرة وأهوالها؛ لأنها كلها الآن موجودة بالفعل .

وإنّما غطّاها عن أهل الدنيا الغواشي الدنيويّة، والحجب الطبيعية الماديّة .

ومن أمات نفسه فقد كشف الغواشي، وخرق الحجب؛ لأنّه قد جمع قلبه على ما يحبّ الله، فقذف اللّه سبحانه في قلبه العلم واليقين، وقد قال تعالى : ﴿**لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾[2]، فيسمع نداءَ ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّه الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ فيجيب، لأنه سمع ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾، فقال : ﴿**لِلَّه الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[3]؛ لأن اللّه أحدث الجواب في سرّه، كما أحدث الكلام لموسى في الشجرة، بل سمع نداء الله سبحانه للأرض بين النفختين، (**يا أرض أين ساكنوك، أين الجبّارون المتكبرون، أين من أكل رزقي، وعبد غيري، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾**[4]**، فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه تعالى : ﴿لِلَّه الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾**)[5]، فيسمع العارف ذلك الرّدّ، ويرى السماوات مطويات بيمينه؛ يعني حين كشطت، أي : أزيل عنها القِشر، وغسلت من العوارض، ويشاهد الأرض حين زلزلت،

---

(١) تقدم تخريج معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (١٩) من هذا الكتاب .

(٢) سورة التكاثر، الآيتان : ٥-٦ .سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة عافر، الآية : ١٦ .

(٤) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٠١) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

والجبال حين دكّت، فكانت هباء؛ لأن الأرض كانت منذ كانت في الزلـزال، والجبال في الاندكاك، والنّاس سائرون إلى أرض المحشر، منذ كانوا في النطف .

وتتم هذه الحالة الوصفيّة يوم القيامة العامّة، ويظهر ذلك لكل أحدٍ .

وأمّا الغاية الذاتية؛ أي : الحالة الذاتية لهذا الاندكاك، فلا غاية لها، إلّـا أن القيامة لّما كان فيها زيادة تصفيةٍ وما بعدها، ففي ابتداء دخول أهل الجنة، قيل : يحصل لهم بنسبة حالهم إذا دخلوا مقام الرفرف الأخضر، فينتقلون إلى مقام أرض الزعفران فيُصَفّون، ثم ينتقلون إلى مقام الأعراف فيصفّون، ثم ينتقلون إلى مقـام الرضوان، ثم لا انتقال ولا تصفية، إذ لا غاية لذلك المقام ولا نهاية هنـا، هـذا والاندكاك والتبدّل لا ينتهي؛ لأن الحادث لا ينفك عن ذلك، ولكنه في الجنّة من أعظم أنواع النعيم؛ لأن المؤمن دائماً في الجنّة بلا نهاية، يخلع مـن الامـدادات، ويلبس كما يخلع الإنسان ثوباً من ثيابه، ثم يلبس غيره، ثم يخلع الملبوس، ويلـبس الذي كان لبسه؛ أعني الأول أو غيره، فهم لا يزالون في لبس من خلق جديـد، كما في الدنيا والبرزخ، إلّا أنه في الدنيا والبرزخ تخليص من الغرائب والعَوارض، وفي الآخرة تبديل وتجديد لا تخليص .

وقوله : «لا قرار لها ولا جمود»؛ يعني أنها كما وصفها تعالى، كانت هبـاء منبثاً، وكثيباً مهيلاً، وكالعهن المنفوش، وكذلك هي في الدنيا، بل كل شيء ممّا سوى الله هكذا، وإن اختلفت الأشياء في السرعة والبطء .

وقوله : «فإذا انكشف الغطاء بالقيامتين، الكبرى العامة لجميـع الخلـق، والصغرى الخاصة بالشخص العارف، الذي أمات نفسه بالإرادة في هذه الـدنيا، يرى كلّ شيء من الأشياء على أصله وحقيقته، من غير غلـطٍ في الحـس، لأن الحقائق تنكشف لكل أحد، فلا يجهل أحد شيئاً من أحوال أهل الجمع العامّة، فلا يكون غلط في الحسّ، ولا شبهةٍ في الوهم؛ لأن في ذلك تكشف السرائر، وتبدئ الضمائر .

[ذوات الأوضاع الشخصية والمجردة مواداً وصوراً متجددة متغيرة في كل جزء]

وقوله : «فيرى ذوات الأوضاع الشخصية المركّبة، موادًّا وصوراً متجـدّدَة مستحيلةً، ...إلخ»، هذه الرؤية يراها المصنّف وأتباعه، وأمّا الذين عرفوا ونظروا بنور الله، فإنّهم يرون ذوات الأوضاع الشخصية والمجردة، موادًّا وصوراً متجددة، متغيّرة في كل جزءٍ من موادها العنصريّة، والبرزخيّة والملكوتية والجبروتيّة، في كل حالٍ من صورها وهيئاتها، إلّا أن تبدّل موادّها الذاتية، بكونها ذاهبة عنه، عائـدة عليه بعين مادتها، كما يعود كله بعين مادته يوم القيامة، في صورة أعماله، كذلك في الدنيا وما قبلها، وفي القيامة وما بعدها، فهو بما فيه من الأجـزاء، كالنـهر المستديـر عودهُ إلـى بدئه، وآخـره يصبّ فـي أوّله، فإذا ذهب عنه شـيء منه، عـاد إلـيه إمّا مجدَّداً، كما لـو وصل الذاهب منه إلـى بعض خزائـنه الكونيّة .

وإمّا جديداً، كما لو انتهى إلى خزانته الإمكانية، فالشخص أبداً يمـدّ بمـا ذهب منه وبما لَهُ .

وأمّا تبدّل صورها، فإنّها تبدّل الصورة الذاهبة، بصورة قد قدّرَتْ في قالبِ الأولى، وهذا حكم جميع الممكنات المادّيات والمجردات، إلّا أن المجردات لمّا كانت في التبدل والتغيّر أشدّ وأسْرع، بمعنى أن الماديّ إذا دار في تبدّلـه وتغيّـره دورة واحدة، دار المجرّد في تبدّله وتغيره ألفي دورة، أو ثلاثة آلاف دورة، أو أربعـة آلاف دورة، وكلما كان أشرف وأعلى كان أسرع .

وأوّل الممكنات، وأشرفها وأعلاها؛ نور محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فهـو إذا دار المـادي دورة واحدة، دار نوره صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ في التبدل والتغير ألف ألف دورة .

وربما يستفاد من بعض الروايات، سبعين ألفَ ألفِ دورةٍ؛ وذلك لشدّة فقره

إلى الله سبحانه، وشدّة اعتناء الله ﷻ به في امداده، ولكن لشدّة دورانه، قصّرت العقول والأفهام عن ذلك، حتى توهّمته ساكناً قائماً بذاته، وذلك لأن الشيء إذا كان شديد الاستدارة، يراه الإنسان بحسّه المشترك ساكناً، وليس بساكن، واعتقاد ذلك غلو وشرك بالله العظيم .

والمصنف بنى تحقيقاته هذه على منوال أقوام يقيسون الأمور بأوهامهم، وهو قد إغترّ بهم، ولو فتح عين بصيرته، لم ير منهم إلّا أنهم أشباه الرجال، ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ**﴾[١]، حيث جعلوا المجردات غنية عن الاستمداد، وأنها مجردة عن مطلق المادة أصلاً، وكل ما لها بالفعل، وليس فيها ما بالقوة، فلا تنتظر شيئاً، وتعالى الله عما يشركون .

ولأجل ذلك خصّص التجدّد والاستحالة بذوات الأوضاع الشخصيّة، مع أعراضها اللازمة للمواد، المختلفة باختلاف المراتب، والأطوار التي كانت في نزولها إلى الدنيا، وفيها يتم بتلك الأعراض وجود المركبات، الشخصيّ المحسوس المتعيّن، لأنه يتشخّص بها لا بغيرها، ومظهر تلك الأعراض آلات الحواسّ؛ أي : فعلها وانفعالاتها .

وقد قدّمنا أنّ الأعراض المشخّصة من لوازم الانفعال؛ أي : القبول عند اجتماع متمّماته، لأنّ المواد الوجوديّة، ليس مشخِّصاتها من ذاتها، كما توهّمه المصنف، وإنما هي متممات صورها وماهياتها؛ من الكم والكيف، والمكان والوقت، والرتبة والجهة، والوضع والكتاب، والأجل والإذن، التي تلزمها تلك الأعراض، والهندسة المميّزة .

---

(١) سورة المنافقون، الآية : ٤ .

[قول المصنف تتَّئُل : بأن لها نحو آخر من الرؤية، فليس لها في مشهد الآخرة ...إلخ]

قال : «ولها نحو آخر من الرؤية، فليس لها في مشهد الآخرة هذا النحو من الوجود، فيشاهد الأشياء في عرصة القيامة على حقائقها الأصلية، بمشعر أخروي، يتنوّر بنور الملكوت، فيشاهد الجبال كالعهن المنفوش، ويتحقق بمعنى قوله تعالى : **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾**[١]، ويشاهد يومئذٍ نار جهنم محيطة بالكافرين، ويراها كيف تحرق الأبدان، وتنضج الجلود، وتذيب اللحوم، **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**[٢]، ويرى الحجارة مسجورة»[٣] .

[المتخلص في الدنيا بالوجدان هو العارف الواصل المشاهد للأشياء]

أقول : إنّ العارف الواصل، متحقّق بالسير في أفعال الصنع، بأن قرأ القرآن، وكشف الله عن بصيرته الأغشية والحجب، بحقيقة ما هو أهله، وصدقه مع الله تعالى مع توفيق الله سبحانه، وسبق العناية له من اللّه تعالى، فشاهد من مضى، ومَن غبَر، وكأنما كان في الأوّلين، واهتدى للتي هي أقوم، ونظر إلى من نجا بما نجا، وإلى من هلك بما هلك، فإذا استقام على الإقبال إلى الله، والإخلاص لله، شاهد الأشياء على حقائقها الأصلية، بمشعرٍ ذاتي، بنسبة واحدة في الدّنيا والآخرة، إلّا أنه لّما كان التخلّص في الدنيا، إنّما هو بالوجدان، كان إذا نظر من حيث التخلص، نظر الأشياء على ما هي عليه، فيشاهد هذه الجبال كالعهن المنفوش، ويراها منسوفة، ويرى الأرض قاعاً صفصفاً **﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا**

---

(١) سورة طه، الآيات : ١٠٥-١٠٦-١٠٧ .

(٢) سورة التحريم، الآية : ٦ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٦ .

أَمْتًا﴾[١]، وهو ما يظهر من مرّ الريح على الرمل، وكذا من جرى المـــاء علـــى الرمل.

وإذا نظر من حيث الوجود، وجد الأشياء على ما هي عليه عند أهل الدنيا، ورأى الجبال ثابتة، ولم ير من تلك الحالة التي شاهدها من حيث الوجدان؛ لأنه الآن لم يتخلّص إلّا من الوجدان والاعتبار، لا من حيث الوجـــود، لأنّـــه مـــن حيث الوجـــود مختلط بالأعـــراض المـــاديّة الكثيفة، والأغـــراض الدنيـــوية السخيفة .

وأمّا في الآخرة؛ فإنه يشاهد الأشياء على ما هي عليه، كمـــا شـــاهدها في الدنيا من حيث الوجدان، بذلك المشعر الذاتي، لأنّ المشـــعر الـــذاتي في الـــدنيا والآخِرة وَاحد، وليس له في الآخرةِ حالة أخرى، يشاهِدُ بها الأشياء على حالـــةٍ أخرى، لأنّ مشاهدته في الآخرة بعد التخلّص الوجودي والوجداني، ومشاهدته في الدنيا بعد التخلص الوجداني، قبل التخلص الوجودي، وكذلك أيضاً في الدنيا بعد التخلّص الوجداني، يشاهد نار جهنم محيطةً بالكافرين، كما قال تعالى : **﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾**[٢]، ويراها كيف تحرق الأبدان، وتنضج الجلود، وتذيب اللحوم، **﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾**[٣]، أي حجارة الكبريت، أو القلوب القاسية، كما قال تعالى : **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِـــكَ فَهِـــيَ كَالْحِجَارَةِ﴾**[٤] .

ويرى الحجارة مسجورة على المعنيين، والمعنى الثاني كما لوّح تعالى به لأهل

---

(١) سورة طه، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة التكاثر، الآيتان : ٥-٦ .

(٣) سورة التحريم، الآية : ٦ .

(٤) سورة البقرة، الآية : ٧٤ .

الإشارة، في قوله : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[١]، لأن الحصب لغة : حبشيّة في الحطب .

وإنما عُدل عن الحطب إلى الحصب، مع أن المعنى واحد؛ للإشارة بأخذ الحاء والباء من الحطب، الذي يشتعل بالنار، وأخذ الصاد من الحصَى، فالصاد من الحصى الذي يبقى ولا يفنى، والباء من الحطب الذي يشتعل، والحاء منهما ليكون المعنى أنهم يشتعلون بالنار كالحطب، ويبقون فيها كالحصَى، فكذا الحجارة إذا كُنِّي بها عن القلوب .

[قول المصنف تَدُّسُ : بأن هذه النار التي تحرق الجلود والأبدان غير نار الله الموقدة ... إلخ]

قال : «وهذه النّار التي تحرق الجلود والأبدان، غير نار اللّه الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة، فإن تلك النار قد تنجي بالنوم وشبهه، فيخفّف ضرب من العذاب عنهم، وإن كان نومهم مما لا راحة فيه، قال تعالى : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾[٢]؛ أي : كلّ ما خبت فيهم النار الباطنة، لغفلتهم عن الحسد والحقد، والعداوة والبغضاء، وسائر النيران الكامنة التي تحرق القلوب، واشتغلوا بالأعمال البدنيّة؛ من قضاء شهوةِ البطن والفرج وغيرهما، لا على وجه المصلحة، بل على منهج البهيميّة والمعصية، فزيد فيهم قوة بدنيّة، موجبة لزيادة نار السعير فيهم، ومن هيهنا يعلم أن هذه النار محسوسة، قابلة للزيادة والنقصان .

وقال : بعض أهل الكشف، في معنى الآية وجهاً آخر؛ وهو قوله : كلّما خبت النار المسلّطة على أبدانهم زدناهم سعيراً، بانقلاب العذاب من ظواهرهم إلى

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٩٨ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٩٧ .

بواطنهم، وهو عذاب التفكر في الفضيحة، والهول يوم القيامة؛ لأن عذاب حرقة القلوب بنيران الأمور القطعية، والحجاب عن الملكوت أشدّ من عــذاب حرقــة الأبدان والجلود، فيكون عذاب تفكرهم وتوهمهم في نفوسهم، أشدّ من حلــول العذاب المقرون بتسلّط النار المحسوسة على أجسامهم، ولأجل ذلك قيل شعراً:

النارُ ناران نــارٌ كلُّهــا لَهَــبُ ونارُ معنى على الأرواح تطّلِعُ»[1].

[النار وأنواعها وأن كل ما دخل في الإمكان فهو داخل في الزيادة والنقصان]

أقول: يريد أنّ النار تكون من نوع ما يتعذّب بها، فنار الأبدان والجلــود الظاهرة المحسوسة، نار ظاهرة محسوسة، ونار القلوب والنفوس والأفئــدة؛ نــار معنويّة، ولهذا قال: إنّ النار التي تحرق الجلود والأبدان، غير نار الله الموقدة، الّتي تطّلع على الأفئدة، فإنها معنويّة من نوع الأفئدة، فإن تلــك النــار، أي: نــار الأفئدة، قد تنجي بالنوم؛ يعني يسكن لَهبُها بالنوم وشبهه، كشغل بشيء يلهيــه عن ذكر المعصية الأولى، فيخفّف ضرب من العذابِ المعنوي عنهم.

وإن كان عنهم نومهم مما لا راحة فيه، لأن الملازم للمعاصي أغلب أحواله إذا نام رأى في منامه ما هو من نوع يقظته، قال الله سبحانه وتعــالى: ﴿**كُلَّمَــا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا**﴾[2]؛ أي: كلما سكن لهب النار الباطنة، لغفلتــهم عــن معاصيهم، كالحسَد والحِقْد، والعداوة والبغضاء، وسائر النيرانِ الكامنة، الّتي تحرق القلوب، لأن ذكرى معاصيه تُأَجّجُ نيرانها في قلبه وفؤاده، وروحه ونفسه، زدناهم من ثمرات أعْمالهم البَاطلة البدنّية، التي تحرق الأبدانَ والجلود سعيراً في بَواطنهم،

---

(١) كتاب العرشية، ص٧٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩٧.

والمستعرة من أعمالهم، هي الخابية؛ أي : الساكن لهبُها، لأنّ الأعمال البدنيّة من قضاء شهوة البطن، والظهر والفرج، وغيرها ممّا ليس مباحاً .

وإنما هو في طاعة النّفس الأمّارة، تزيد في العاملين قوّة بدنيّة، موجبة لزيادة نار السّعير، لأنها لتلك النيران كالحَطب، فإن النار إنما تزيد بالحطب، وتنقص بقلّته، وليس ذلك خاصاً بالنار المحسوسة، كما توهّمه المصنف، من أن المحسوسة هي القابلة للزيادة والنقصان، بل كلّ ما دخل في الإمكان فهو داخل في الزيادة والنقصان، لا فرق في ذلك بين النار المحسوسة والمعنوية، والباطنة وغيرها، إلّا أنّ كُلّ شيء فزيادته من نَوْعه، ونقصانه من زيادته، هذا في الدنيا بأن يتألّم الباطن بنار الحسرة والفضيحة، وفقدان الخير، أو المطلوب وأمثال ذلك، ويتألّم الظاهر بإقامة الحدود فيه؛ كقطع يد السّارق، والقصاص، وبنقص العمر، وذهاب ماء الوجه، والفقر من الزاني، وأمثال ذلك .

[عذاب الأبدان والنفوس والعقول والأفئدة وغير ذلك بنيران مختلفة]

وأمّا في الآخرة؛ فعذاب الأبدان والنفوس، والعقول والأفئدة، وغير ذلك بنيران مختلفة، كلّها موجودة في أمثالها في الدنيا، وهي النار المعروفة، العنصر الحار اليابس، والزمهرير العنصر البارد، اليابس والرطب، والهم والغم، والحزن والفقر والخوف، وأنواع الأمراض، والندم والحسرة، والخزي والتأسف، وفوت المطلوب، وفراق المحبوب، ووجود المنافي، وفقدان الملائم، والضيق في المعيشة، وفي المكان، وفي النفَس -بفتح الفاء وسكونها-، وآلام الجروح والقروح، وآلام القتل، وآلام الموت، وآلام خروج الروح، ما سوى نفس خروج الروح، والدّقّ والأكل والشرب المكروهانِ، لكونهما حارّين أو باردين، بحيث لا يطاقانِ، أو للمرارة، أو الملوحة، أو مُقيِّئَيْن .

والحاصل كل ما في الدنيا مما تكرهه النفوس، وتمجّه الطباع؛ من طعام أو شراب، أو منام أو سهر، أو ثياب أو كلام، أو غير ذلك، فهو في الآخرة معدّ

لأهل النار، على كمال غايته، فكل شيء مكروه في الدنيا، يبلغ شديدُه الهلاك، وخروج الروح؛ فهو في الآخرة لأهل النار، مضاعف أربعة آلاف ضعف، وتسعمائة ضعف، ويتزايد تضاعفه على مرّ الدهور والأوقات، بلا غاية لذلك التألّم، ولذلك التّضاعف، سواء كان عذاباً للأبدان، أم للنفوس، أم للعقول، أم للأفئدة، أم لما بينها من البرازخ، ولكلٍّ منها نوع كل من كل عذاب، فللمحسوس عذاب محسوس، وعذاب معنوي، وللمعنوي عذاب معنوي ومحسوس، وللمجرد عذاب مجرّد، وعذاب ماديّ، وللمادي عذاب ماديّ ومجرّدٌ، وكلّ ذلك ثمراتُ أعمالِهم، فإنّك إذا رأيتَ شخصاً قد سرق من السوق رُمّانة، كلّ ما التفت خيالك إليه، وجد مثاله هناك سارقاً لتلك الرمانة؛ لأنّ الملائكة الحفظةَ كتبَتْ مثالَهُ، ومثالَ عمله في غيب ذلك المكان، وذلك الوقت، فهو أبداً يسرق، فإذا كان يوم القيامة ظهر ذلك المثال بعمله في مكانه ووقته، ولبسه على رؤوس الأشهاد، والمثال يسرق، لأنه في الدنيا ألقى في مثاله روحاً من روحه، وهو نيّته و(**نيّة الكافر شرّ من عمله**)، فإن كنت ممن يحلّ الرّمز، ويستخرج الكنز، فقد دللتُكَ على مكانه، وأعطيتك مفتاح فتحه، وإلّا فإن جرى لهذا ذكر في كلام المصنف، زدناهُ بياناً .

[معنى خبو النار وأن النار المعنوية تقبل الزيادة والنقصان]

وأمّا ما ذكره المصنف؛ من كون النار التي تطّلع على الأفئدة قد تخبو؛ فليس لسكونِ لهَبِها، ولكنهم عند اشتغالهم بشيءٍ آخر أموات لا تجري فيهم الحياة النّاطقة القدسية، فلا يحسّون بلهَبها، وإذا التفتوا جرت فيهم النّفس النّاطقة بإحْساسِهَا فَتألّموا .

وأمّا النار المحسوسة؛ فَإنّها قد تخبو كما تخبو النّار المعنويّة، بل قد تخبو هذه النار، ولا تكاد تخبو المعنويّة؛ لأنهم إذا اشتغلوا بالأعمال الخبيثة المحسوسة، ازدادت المعنويّة تأجُّجاً وتلهُّباً، ومن هنا تبيّن وعُلِم أن النار المعنويّة، تقبل الزيادة

والنقصان؛ كالنار المحسوسة، لابتنائها عليها وجوداً وعدماً، لا كما توهمه المصنّف؛ من اختصاص قبول الزيادة والنقصان بالمحسوسة .

[عذاب التفكر في الفضيحة]

وقوله : «وقال : بعض أهل الكشف، في معنى الآية وجهاً آخر»، يشعر بارتضائه وصحّته، وعندي أنّه مدخول في بعضه، فإنّ قوله : «كلّما خبت النار المسلّطة على أبدانهم، زدناهم سعيراً، بانقلاب العذاب من ظواهرهم إلى بواطنهم، وهو عذاب التفكّر في الفضيحة، والهول يوم القيامة، خلاف معنى الآية؛ لأن معنى الآية كلّ ما خبت النار المعنويّة سعّرناها، وهذا القائل قلَب المعنى؛ فقال معناها : إذا خبت النار المحسوسة، زدْنا النار المعنوية سعيراً، وهو خلاف المراد من الآية، وإنما المراد منها كلّ ما خبت النار المعنوية، زدناهم سعيراً منها؛ أي : نسعّرها، وإلّا لما حسن كلّما خبت، لأنّها إذا خبَت لا يقال : كلّما خبت، بل خبت مرّة واحدة وسكنت، وإنّما يقال : كلّما خبت النار الّتي إذا خبت سُعِّرَتْ، وهي جارية في المحسوسة، كلّ ما خبت المحسوسة باشتغالهم عن التألم بها بعمل خبيثٍ موجبٍ لزيادة سعيرها سعَّرناها، على أنّ هذا القائل لو عكس لم يتّجه عليه اعتراض، فقال : كلّ ما خبت المحسوسة، انبسطت عليها المعنوية، فزادهما سعيراً، وذلك بانبعاث نيّته، وميل نفسه الأمّارة، بباعث ماهيّته إلى المعاصي الّتي تأجّج النارَيْنِ معاً .

وقول القائل : وهو عذاب التفكّر في الفضيحة، والهول يوم القيامة؛ لأن عذاب حرقة القلوب، بنيران الأمور القطعية، والحجاب عن الملكوت أشدّ من عذاب حرقة الأبدان والجلود، ... إلخ؛ يريد به أنّ عذاب المعنويّة الباطنة، كالعقول والنفوس، إنّما هو بالنّار المعنوية .

وإنّما قالوا : ذلك لأَنّ النّار المحسوسة من نوع المادّيات، ولا تتسلّط عَلَى

البَسائط، كما يفهمونه في الدّنيا بالفَهْمِ الظاهري، وليس الأمر كما توهّموا، ولا كما فَهِمُوا، بل النار بجميع أبوابها السبعة، التي أُعدّت للكافرين والمشركين، والمنافقين، آيتُها ومثالُها ودليلها هذه النار الّتي في الدنيا، كما قال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ۞ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾**[1]؛ يعني جعلها تعالى تذكرة لنار الآخرة، ولا شكّ في كونها مثالاً وتذكرة لنار الآخرة، الّتي أعِدَّتْ للكفرة الفجرة، ونار الحطمة هي الّتي تطّلع على الأفئدة.

ففي تفسير علي بْن إبراهيم، (**والرابعة الحطمة، ومنها يثور شرر كالقصر، كأنّها جمالاتٌ صفر، تدقّ مَنْ صَار إليها مثل الكحل، فلا تموت الروح، كلّما صاروا مثل الكحل عادُوا** ...إلخ)[2]، فهي كما تحطم المعنويّة منها القلوب، والأفئدة تحطم الأجساد والأكباد، والنار الحسّيّة هي النار المعنوية وبالعكس، فكما أنّها تحرق الجلود والأجساد، كذلك تحرق القلوب والأفئدة.

وكما أنّ المعنويّة تؤلّم الأفئدة، والقلوب كذلك تؤلّم الأجساد والجلود وتحرقهما، وعذاب التفكّر في الفضيحة، كما يعذِّب القلوب، يعذّب الأبدان بِسرِّ ما أشرنا إليه سابقاً؛ من أنّ أهل الآخرة تدرك أجسادُهم المعقولاتِ والمحسوسات، وتدركُ قلوبُهم المحسوساتِ والمعقولاتِ، وقد أشرنا سابقاً إلى دليله مجملاً من جهة العقل والنقل، ومن جهة الآية، والمثل ما بُرهِن عليه في علم الطبيعي المكتوم، بما يوصل من فهمه إلى البديهي، فافهم.

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧١-٧٢-٧٣.

(٢) تفسير القمي، ج١، ص٣٧٨، في تفسير معنى الآية: ٤٣ من سورة الحجر. تفسير نور الثقلين، ج٣، ص١٧، ح٦٠. بحار الأنوار، ج٨، ص٢٨٩، ح٢٧.

وقول الشاعر :

النار ناران نــارٌ كلُّهَـــا لهـــبُ   ونارُ معنى علـــى الأرواح تطّلِـــعُ

جارٍ على مفهوم أهل الدنيا كما قلنا .

وقوله : «على الأرواح تطّلِعُ»، مقْتَبَسٌ من قوله تعالى : ﴿**الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾[١]، وهي كما قال تعالى : ﴿**كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ**﴾[٢]، وهـي نـار محسوسة، وإن كانت في صفة المعنويّة وفعلها، وهي نارٌ معنويّة في صفة المحسوسة وفعلها كما تقدّم، فافهم .

[قول المصنف تتنسُّ : بأن نار الآخرة غير هذه النار التي في الدنيا ...إلخ]

قال : «**أقول** : وكلتاهما غير هذه النّار الّتي في الدنيا، ولأجلِ ذلك وَصَفهَا بأنها كلّها لهب، لأن هذه النار الدنيويّة ليست ناراً محضة، بل جوهراً مركّباً فيـه نار، وغير نارٍ، ولهذا قد تنقلب إلى هواء، أو ماء، أو غير ذلـك، وأمّـا النـار المحسوسة الأخرويّة، فهي صورة ناريّة بَحْتَةٌ لا يُطفِئها شيءٌ إلّا رحمة اللّه»[٣] .

[النار الدنيوية ليست ناراً محضة بل هي جوهر مركب]

أقول : في الظاهر أن النّارين الأخرويتَيْن؛ المعنويّة والمحسوسة، غير هذه النار التي تستعملها الناس؛ لأنهما لهب بحت، كما أشار إليه الشاعر، ويدلّ على هـذا الظاهر، ما روي ما معناه : (**إنّ نار الدنيا توضع يوم القيامة في جهنم**)، بعـد سَلْبِ نورها، ورجوعه إلى أصله من نور الكرسي، لأنها عُبِـدت مـن دون اللّه تعالى، وقد حكم تعالى في قوله الحق : ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ**

---

(١) سورة الهمزة، الآية : ٧ .

(٢) سورة الهمزة، الآية : ٤ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٧ .

جَهَنَّمَ﴾[(١)]، فتصرخ حين توضع في النار، صرخة لو جاز على أهل المحشر أن يموتوا، لماتوا من شدّة صرختها، ولأنّ هذه النار الدنيويّة، ليست ناراً مَحضة، بل هي جوهر مركّب من أربعة أجزاء حرارة، وثلاثة أجزاء برودة، وأربعة أجزاء يبوسة، وثلاثة أجزاء رطوبة، ولهذا قد تنقلب إذا طُفِئَتْ هواء، كما ذكره ابن سينا[(٢)] في الإشارات .

وقد تنقلب ماء، كما لَو طُفِئت في قرع، ثم ركّب عليه الأبنيق، بحيث لا يتخلّله شيء من الهواء، إلّا الهواء المنقلب من النار، وأُوقد تحته بنار الحضانة، فإنه يعني ذلك الهواء المنقلب من النار، يقطر ماء عذباً، بخلاف النار الأخرويّة .

وقولي : في الظاهر احتراز عن النظر الباطن، فإن مقتضاه أن نار الدنيا هي نار الآخرة، وجنّة الدنيا هي الآخرة، كما أشرنا إليه سابقاً، من أنه على نحو أنّ أبدان الدنيا هي أبدان الآخرة، وكما دلّ عليه القرآن .

[حقيقة نار الدنيا واحتراقها بالاستنشاق والاستمداد من الهواء]

وأمّا نار الدنيا التي يستعملها أهل الدنيا؛ فقد روي ما معناه : **(أن آدم عليه السلام لّما هبط من الجنّة إلى الأرض هو وحواء، احتاجا إلى نارٍ لينتفعا بها في عملِ طعامهم وغيره، نزل جبرائيل عليه السلام وأخذ من جهنم جذوة، فغسلها في نهر الكوثر سبعين مرة)** .

وفي رواية : **(وضعها في الكوثر سبعين سنة)**، ولو لا ذلك لأحرقت الأرض ومن عليها، فحقيقة نار الدنيا المعروفة من نار جهنّم .

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٩٨ .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٤٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وإنّما لحقها الخلط بالماء من الكوثر، وبالهواء من هذا الهواء الذي بين الأرض والسّماء، لاستنشاقها واستمدادها منه، ولنــزولها إلى محلّهما، كما هو شأن كل نازلٍ في تلوّثه بلطخ مراتب النــزول .

وأمّا صرختها من النار واحتراقها بها، فليس لأنها ليست من النار، وإلّا لما احترقت، بل لتخليصها من الأعراض الدنيوية، وذلك الصوت صوت القلع لتلك الأعراض .

وأمّا احتراقها فلأنها من النوع الذي يأكل بعضه بعضاً، ويصول بعضه على بعض، فإن هذا النوع من النار، يشتعل بعضه ببعض، ويحرق بعضه بعضاً، فإن هذا النوع إذا ثار منه لهب، وكان قويّاً اشتعل باللهب الذي قبله، وأحرقه وتقوّى به، كما تتقوّى نار الدنيا بالحطب .

وإن كان ضعيفاً اشتعَلَ به الأوّل، وتقوّى به، وإذا جاء لهب آخر كان حاله كاللهب الأول في القوّة والضعف، وهذه التي أشار إليها علي بن الحسين عليه السلام في دعاء صلاة الليل، بعد الفراغ منها، من أدعية الصحيفة، قال عليه السلام : (**ومن نارٍ يأكل بعضها بعض، ويصول بعضُها على بعضٍ**)[1] .

[لا يطفىء النار شيء إلّا رحمة الله تعالى]

وقوله : «وأما النار المحسوسة الأخرويّة، فلا يطفئها شيء إلّا رحمة الله»؛ صحيح لكنه ليس خاصّاً بالمحسوسة الأخروية، بل المعنويّة أيضاً لا يطفئها شيء إلّا رحمة الله، وكذلك نار الدنيا لا يطفئها شيء إلّا رحمة الله .

فإن قلتَ : نار الدنيا يُطفئها الماء؟ .

---

(١) الصحيفة السجادية، ص١٦٥، دعاؤه بعد الفراغ من صلاة الليل . مفتاح الفلاح، ص٢٧٦ .

قلتُ : لأنه أثر الرحمة، وهي أثر نار الآخرة، قال تعالى : ﴿**فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾[١]، اللهم أجرنا من النار برحمتك يا أرحم الراحمين .

[قول المصنف تَتَنُّ : أن من جملة أحوال يوم القيامة أن المرء يفر من أخيه ...إلخ]

قال : «ومن جملة الأحوال يومئذ أن المرء ﴿**يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۞ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۞ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۞ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾[٢]، وذلك لأن النفس قد فارقت هذا البدن، وخرجت عن الدنيا، وكل ما فيها كما قال : ﴿**وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾[٣]، فلا يصادف الإنسان أحداً من هذا العالم، إلّا نتائج أعماله وأفعاله، وصور نياته، ولوازم صفاته وملكاته»[٤] .

[مصير المحبة والصداقة الدنيوية]

أقول : إن النفس قد فارقت هذا البدن، ويوم القيامة تعود إليه، وتجتمع به، ويكونون كما قال تعالى : ﴿**يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾[٥]، وكل ما كان لله من صداقة وصحبة، وخلّة ومحبّة، فهي لازمة للإنسان لا تفارقه كما قال تعالى : ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[٦]، فإن خلّتهم صداقة ومحبّة في الله، وهي باقية لا تفنى ولا تغيرها الدهور .

---

(١) سورة الروم، الآية : ٥٠ .

(٢) سورة عبس، الآيات : ٣٤-٣٥-٣٦-٣٧ .

(٣) سورة مريم، الآية : ٩٥ .

(٤) كتاب العرشية، ص٧٧ .

(٥) سورة يونس، الآية : ٤٥ .

(٦) سورة الزخرف، الآية : ٦٧ .

[كيف يكون فرار الأخ من أخيه يوم القيامة؟]

فقوله: «ومن جملة الأحوال يومئذٍ إنّ المرء **﴿يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾**[(١)]، ...إلخ»، يريد به ما أشار إليه من المفارقة لكلّ شيء غيره، وغير نتائج أعماله وأفعاله، وصور نيّاته، ولوازم صفاته وملكاته؛ لأنه أخذ من الآية وجه تأويلها، وإلّا ففي عيون الأخبار قال: قام رجل يسأل أمير المؤمنين عليه السلام، عن هذه الآية مَن هم؟.

قال: (**قابيل يفرّ من هابيل، والذي يفرّ من أمّه موسى، والذي يفرّ من أبيه إبراهيم**، -يعني الأب المربّي لا الوالد-، **والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والذي يفرّ من ابنه نوح، يفر من ابنه كنعان**)[(٢)].

والمراد أنّ منهم من يفرّ خوفاً، كقابيل يفرّ خوفاً من هابيل؛ لأنه يطالبه بدمه، وكموسى عليه السلام يفرّ من أمّه، خشية أن يكون قصّر فيما وجب عليه من حقّها.

ومنهم من يَفِرّ فِرَارَ تَبَرِّءٍ؛ كفِرارِ إبراهيم من أبيه المربّي له؛ أعني آزَرَ الّذي هو زوج أمّه، فإنه هو الذي قال تعالى في حقّه: **﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾**[(٣)]، وليس المراد به أبوه الحقيقي، الّذي اسمه تَارَخ.

وكلُوطٍ فإنه يفرّ من زوجته وأهلة، أَو وآلهة فِرارَ براءة، وكنوح فإنّه يفرّ من ابنه كنعان فِرار براءةٍ.

[أين تذهب النفس بعد مفارقت هذا البدن؟]

وآيات الكتاب والسنّة، والمعروف من مذهب المسلمين، وما عند العقول،

---

(١) سورة عبس، الآية: ٣٤.

(٢) علل الشرائع، ج٢، ص٣٢١، ح٤٤، باب: ٣٨٥. الخصال، ص٣١٨، ح١٠٢، باب: الخمسة. بحار الأنوار، ج٧، ص١٠٥، باب: ٢٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

تنافي ما ذهب إليهِ من كون النفس حين خرجت من البدن، خرجَتْ من الدنيا، ومن كلّ ما فيها .

ومن تأويله للآية الأولى من أن المراد من أنه لكل امرءٍ من الخلائق **﴿شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾**[1]، أنّه لا يجد إلّا نفسه، ونتائج أعماله، وصور نيّاته، ولوازم صفاته وملكاته .

وللآية الثانية في قوله تعالى : **﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾**[2]، على ذلك فإنه يلزم من مراده أنّ كل واحد يحشر وحده، فلا تكشف السرائر من أحد لأحد، فإذا كان لا يصادف أحداً من هذا العالم، ولا شيئاً إلّا نتائج أعماله، فهو يحشر وحده، ويبقى وحده؛ لأن جنّته عند المصنف قصورها وحورها، وولداها وحريرها، وطعامها وشرابها، وجميع ما ذكر مما هو معدّ للمؤمنين، عبارة عن صور نيّاته وملكاته، وهذا حال عجيب؛ لأنه يكون قوله : **﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾**[3]، يراد من أُولئك الإخوان صور نيّاته، ولوازم ملكاته، ولا يصحّ أن يحمل قوله : على أن زيداً إنما يصادِف من عمرو شأنه، وما يناط به من مطالبه؛ لأنّه لَو أرَادَ هذا لَقِال : فلا يلتفت إلى شيء، ولا يعتني به إلّا إذا كان له معه رابطة، مثل طلب حقٍّ، أو أداءِ حقّ أو شهادة، أو طلب شفاعة، أو شفاعة للغير، ونحو ذلك، لكنه قال : فلا يصادف الإنسان أحداً من هذا العالم، ولا شيئاً إلّا نتائج أعماله وأفعاله، وصور نيّاته، ولوازم صفاته ومَلَكاته .

[الإنسان يحشر مع ما يشابهه في الأعمال]

ولكن الواقع أنّ الإنسان يحشر مع ما يشابهه في الأعمال؛ كما قال تعالى :

---

(١) سورة عبس، الآية : ٣٧ .

(٢) سورة مريم، الآية : ٩٥ .

(٣) سورة الحجر، الآية : ٤٧ .

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[(١)]؛ أي : مع ما يشابههم، فالعشّار مع العشّارين، والحَاكم مع الحكّام، والعالم مع العلماء، وهكذا كلّ شخص يحشر مع أَبْناء نوعه المشابِهينَ له في صفاته وأعماله .

وتحشر الخلائق كلّهم في صعيدٍ واحدٍ، فهم على أنواعٍ مختلفةٍ، يشاهد بعضهم بعضاً، فمنهم ظالم، ومنهم مظلوم، ومنهم شاهد، ومنهم مشهود، ومنهم شافع، ومنهم مستشفع، ومنهم مفتضح يشاهد مَساويه من له به تعلّق، ومن ليس له به تعلّق .

ومنهم المتحابّون، ومنهم المتباغضون، ومنهم المذكّرون، ومنهم المتذكّرون، ومنهم المتعارفون، ومنهم المتناكرون، إلى غير ذلك .

وكل أحدٍ مما ذكر يكون يصادفه غيره غالباً؛ لأنهم مجموعون ليوم عظيم، فكيف لا يصادف الإنسان أحداً من العالم، ولا شيئاً إلّا نتائج أعماله، ولكن هذا الّذي يطابق اعتقاده، كما تقدّم في ذكر الجنّة .

[قول المصنف ﷺ : بأن الملك يوم القيامة لله تعالى ...إلخ]

قال : «ومنها أن الملك يومئذٍ للّه، وذلك لأنّ الروابط المادّيّة، والأسباب الوضعيّة، والعلل المعدّة، مرتفعة هناك؛ لأن هذه الروابط مختصة بعالم الاتفاقات، التي منشؤها انفعالات الموادّ، واستحالاتها بواسطة الجهات، والأوضاع السماويّة، كما بيّن في مقامه .

وأمّا النشأة الثانية، فالأسباب هناك ليست إلّا ذاتيّة، غير خارجة عن ذات الشيء، ومقوّم وجوده، وهذا العالم أيضاً الملك للّه، إذ الكل بإرادته وإيجاده، وتدبيره وحكمته، إلّا أن الوسائط العرضيّة، والعلل المعدّة، موجودة هيهنا، والاتفاقات واقعة بقضائه وقدره»[(٢)] .

---

(١) سورة الصافات، الآية : ٢٢ .

(٢) كتاب العرشية، ص٧٧ .

[الأشياء المملوكة خلقت لمنافع الإنسان]

أقول : يريد إنّما قيل : إنّ الملك للّه وحده يوم القيامة؛ بمعنى أن في الدنيا مَن يملك، وفي الآخرة ليس مالكٌ إلّا الله، لأنه وإن كان في الدّنيا أيضاً ليس مالك إلّا الله، كما في الآخرة على الحقيقة، إلّا أن الأشياء المملوكة، خلقت لمنافع الإنسان في هذه الدنيا، لما فيها من موافقة دار الدنيا، كما تنفع الأشياء الحارة في فصل الشتاء، والباردة في فصْل الصيف، وكما لا ينفع البارد في الشتاء، والحار في الصّيف، كذلك لا ينفع ما في الدنيا في الآخرة، وما في الآخرة في الدنيا .

والعلّة في ذلك؛ أنه خلق لخصوص الدار، فلا ينفع لضدِّها، لأن الروابط المادّية، المقرونة بالاضمحلال، وعدم الإعادة، وبالانهدام وعدم البناء، وبالذهاب وعدم العود .

وكذلك الأسباب الوضعية، والعلل المعدة المقرونة بما ذكرنا، خلقت لأمور المملوكة عليها، والآخرة وأحوالها مقرونة بالدوام والثبات، فروابطها المادّية يلزم اضمحلالها العود، والتجدد على وجهٍ أكمل من المضمحل، وانهدامَها البناء الأكمل، وذهابها العود الأتم، بحيث لا يفقد المضمحل، والمنهدم والذاهب، بل إنّما يجدون الجدّة والقوة والاشتداد، فيضمحل ضعيفها إلى القوي، ومتهافتها إلى الشدّة، وعتيقها إلى الجدّة، لا أنها لا تتغير أبداً، فإن ذلك وصف القديم الغني ﷻ، ولكنّها ضعيفها يتغيّر من الضعف إلى القوّة والكمال أبداً .

فلمّا كان ما خلقت من المملوكات في الدنيا، مقرونة بالاضمحلال والانهدام والذهاب، لأن الدار ليست دار القرار، لم يبق لأحدٍ شيء مما ملكه في الدنيا من جميع الأشياء، من أعيان أو أعراض، لم يوجد لأحدٍ من الخلائق شيء من التملّك والتسلّط على شيء مما تملّكه، وتسلّط عليه في الدنيا، ولا على ما هو من نوعه ومثله، ولم يدخل في يوم القيامة، وهو حينئذ لم يدخل الجنّة ليعطي الملك الكبير، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[1]، فخلَص الملك

---

(١) سورة الإنسان، الآية : ٢٠ .

يوم القيامة لله تعالى، هذا باعتبار الأمر الصوري الظاهري، وإلّا ففي الحقيقة وفي الواقع، وفي نفس الأمر ليس مالك إلّا اللّه ﷻ في الدنيا والآخرة عَلَى حَدٍّ سَواء، ولكنه تعالى أَعْطَى عباده في الدُّنْيَا ما يتمّ به نظامهم، وبلاغ معاشهم ومَعادِهِمْ، وهو في ملكه، وفي قبضته، لم يُخَلِّه من يده، مع أنّ الخلق ملكه، وما ملّكهم ملكه، فليس لأحد سواه ملك لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالعارف بالله لا يفرق بين الدنيا والآخرة؛ فإنّ الخلق فيهما ما يملكون من قطمير .

وأمّا العوام فإنهم يفرقون؛ لأنهم يرون أنهم مالكون في الدنيا، ويوم القيامة تنكشف الحقائق، ويشاهدون الملك خالصاً لله .

[أسباب التغيير والفناء، وأسباب التغيير الموجب للبقاء]

وقوله : «لأن هذه الروابط مختصّة بعالم الاتفاقات والحركات، الّتي منشؤها انفعالات الموادّ، واستحالاتها بواسطة الجهات، والأوضاع السماوية»، فيه أنّ هذه الروابط والإضافات، وإن كانت ناشئة من انفعالات المواد، لكنها ليست مختصة بعالم الدنيا، وليس هذا بعالِم الاتفاقات، بل أفعاله وانفعالات مفاعيله على نمط أفعال الآخرة، وانفعالات مفاعيلها، نعم قد تخلّل هذه الموادّ الدنيويّة أعراض رتبتها، فتغيرت الأوضاع، وتغيّرت التأليفات، وذلك لفائدة الانتقال، وعدم البقاء فيها؛ لأنّها دارُ اختبارٍ لا دار قرار، وإلّا فإنها هي دار التجارة والتحصيل، ودار الاكتساب، جعلها تعالى هكذا بحكمته، سُوقاً تشتري منه متاعَك لسفرك إلى دار القرار، فاقتضت الحكمة هذا التغيير والتبديل والفناء، والذهاب والاضمحلال، فسبّب الأسباب رب الأرباب سبحانه وتعالى، لتكون هذه الدار هكذا، فكان حَتماً ما أراد .

وفي الآخرة سبب أسباب البقاء، بأن رفع أسباب التغيير الموجب للفناء، ووضع أسباب التغيير الموجب للبقاء، وهو دوام الاعادة والتجديد، ومضاعفة القوة والشدّة، وليست أسباب البقاء في الآخرة، ولا أسباب الفناء في الدنيا ذاتيّة، بل كلّ منها بإعطاء الجواد، مقتضيات الاستعداد، لأنّ الحادث مطلقاً؛ يعني مادّيّاً

أو مجرداً في الدنيا، أو في الآخرة لا يقدر أَنْ يوجِد نفسَه، وكما لا يقدر أن يوجِدَ نفسه ويحدثها، لا يقدر أن يبقيها، ولا أن يُفْنِيَها، فليس لأحدٍ من الخلق من الأمر شيء، إلّا ما أعطاه الله وأقدره عليه، وليس من أسباب الإيجاد، ولا أسباب الفناء، ولا أسباب البقاء شيء ذاتي لشيء من الخلق، وإلّا لَما تَغَيّر عنه، ولا احتاج إلى غيْره فيه، ومن استغنى عن غيره في شيءٍ استغنى عَنْه في كلِّ شيءٍ، فلو كانت الأسباب غير خارجة عن ذات الشيء، لم يحتج إلى غيره في جميع مطالبه .

وقوله : «وهذا العالم أيضاً الملك لله تعالى، إذِ الكل بإرادته وإيجاده، وتدبيره وحكمته، إلّا أنّ الوسائط العرضيّة، والعلل المعدّة، موجودة هيهنا، والاتفاقات واقعة بقضائه وقدره»، أَمّا أن الكلّ بإرادته، وإيجاده وتدبيره وحكمته؛ فصحيح في الدنيا والآخرة .

[التعدد والتكثر إنما يكون بالقوابل ومتمماتها، والإتفاقات فلا توجد في حال]

وأما «أن الوسائط العرضيّة، والعلل المعدة موجودة هيهنا»، أي : في الدنيا فكذلك، وموجودة في الآخرة، كل شيء بنسبة رتبته، فليس العرضية والمعدّة مخصوصة بالدنيا، وإلّا لزم إمّا اتّحاد ما في الآخرة، وعدم تعدّده، إذ التعدّد والكثرة إنما تكون بالقوابل ومتمماتها؛ من الكم والكيف، والمكان والوقت، والجهة والرتبة، والوضْع والإذن، والأجل والكتاب، لا فرق بين المجرّد والمادّيّ، وإن كان كلّ شيء بحسبه .

وأمّا الاتفاقات فلا توجد في حالٍ، وإنّما الأشياء كلها مرهونة بأوقاتها، فإذا اقتضت الدّواعي والأسباب أمراً، جرى به القدر والقضاء، وهذا في الدنيا، وفي الآخرة، وإن اختلفت الدواعي والأسباب شدّةً وضعْفاً، وسرعة وبطء، إلّا أنّه إنّما يفعل بالأسباب .

وأمّا أَنَّ الفاعل في الآخرة هو الإنسان، وهذه المملّكات في الآخرة شؤونه وصنائعه، أَو أنّها مصنوعة من وجوده، وكلَا اللّازِمَيْنِ باطل .

ومراده أن الدنيا وإن كان فيها كون الملك للّه سبحانه، إلّا أنّ الدنيا يقع فيها اتّفاقاتٌ لأهلها، ليسَتْ بسبق العناية، ليخلُصَ الملكُ لله، وإنما تقع بدواعي الأسباب الوضعية، والوسائط العرضيّة، فيجري بها القضاء والقدر، فلم يخلص الملك لله .

وأمّا الآخرة فكلّ ما فيها بسبق العناية .

أقول : وهذا النظر ضعيف لم يصدر عن النور، وأمّا النظر الصادر عن النور؛ فهو أَنَّ كلّ الأشياء مجرّدها ومادّيّها، جوهرها وعرضها، لازمها وملزومها، دنيويِّها وأُخرويّها على نمط، وصنعٍ واحد، أَجْراها سبحانه على أسبابها، ومن الأسباب أنّ الدّار المخلوقة للفناء، كالدنيا تقتضي تغيّر ما فيها، واختْلافَه وفناءه، واضمحلاله واستتار وجوه الأشياء فيها وحقائقها، كما قال تعالى : **﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾**[1] .

وإنَّ الدّار المخلوقة للبقاء، كالآخرة يقتضي بقاء ما فيها، وعدم اختلافه من قوّةٍ إلى ضعفٍ، ومن وجودٍ إلى عدمٍ واضمحلالٍ .

ولّما كانت الأشياء كلها لا تثبت ولا تبقى إلّا بدوام المدَد، وجب أَن يكون كل ما فيها يختلف ويتجدّد، من ضعفٍ إلى قوّة، ومن عدمٍ إلى وجودٍ، ومنْ بِلى إلى جدَّة، وذلِك بإعادةِ ما فني منها بالتَّدْريج السَّيّال، بحيثُ لا يفقد شيء، ولا قوّة ولا جدّة .

وإنّما كان ما في الآخرة من الضعف إلى القوة، لكونها دائمة الترقي والقرب إلى المبدأ .

وإنما كان المعاد أقوى منه قبل فنائِه، لما بُرهِن عليه في العلم الطبيعي المكتوم، الذي هو مخ العلوم، إنّ الشيء كلّ ما كثر حلّه وعقدُه، إزداد قوّة

---

(١) سورة طه، الآية : ١٥ .

وتأثيراً، وذلك كاللبنة إذا كسرتَها ناعماً، ثم صُغتها كان أقوى من الأولى، فإذا دَقَقْتَها ناعماً وصُغتها، كانت أقوى من الثانية .

فالثالثة أقوَى من الثانية، والرابعة أقوى من الثالثة وهكذا، ولأن ما تحلّلَ خلص من التأليف، فيرجع إلى رتبةٍ أعلى من رتبته في التأليف، فإذا أُعيد مع ما دونه، أُلْحِقَ ما هو أدون إلى رتبةِ ما أعيد، وهكذا .

[قول المصنف تتَّئِنُّ : بأن الملك يوم القيامة للحق تعالى ...إلخ]

قال : «ومنها أنّ الملك يومئذٍ للحق، وأن لا ظلم اليوم لما عرفت من ارتفاع المصادمات، والمعارضات الاتفاقيّة في ذلك العالم»[١] .

[في أي مكان يسكن أهل الفضل الذاتي والعرضي؟]

أقول : في يوم القيامة يخلص الحقّ في الوجود كلّه، فينقسم ما فيه على شقّي الرحمة الواسعة، فأهل محبّة الله مغمورون بالشقّ الأيمن الأعلى، وهو الرحمة المكتوبة، ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ...﴾[٢] .

وأهل سخطِ الله جرى عليهم العدل، وهو الشّق الأيسر الأسفل، فلا يكون يومَ القيامة وما بعده إلّا فضل أو عدل، فأهل الفضل الذاتي في الجنان الأصليّة على حسب مراتبهم، وأهل الفضل العرضي في جنات الحَظائِر السبع؛ يسكنها ثلاث طوائف؛ وهم المؤمنون من الجن، وأولادُ الزنا إذا كانوا مؤمنين، وما تناسل منهم إلى سبعة أبطن، والثامن يلحق بالمؤمنين الطاهرين في الجنان الثمان الأصليّة .

والمجانين الذين لم يرشدوا في الدنيا، وليس في أقاربهم وذرّياتهم، من هو من أهل الشفاعة، وأهل العدل الذاتي في النيران السبع الأصليّة .

---

(١) كتاب العرشية، ص٧٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

وأهل العدل العرضي في نيران الحظائر والضَّحْضَاح[1] على حسب مراتبهم .

وجنان الحظائر السبع أسماؤها بأسماء أصولها، ونيران الحظائر السبع تسمى أيْضاً بأسماء أصولها، ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾[2]؛ أي : يوم القيامة، لاستيلاء العدل على جميع ذرّات الكون، وارتفاع الأعراض والأغراض المدافعة لسرّ الخليقة، الّتي ما كوِّنَتْ هيئتها إلّا على هيئة فعل الله، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها .

وما بال المصنف مع ما عنده من العلم، ومَا يدّعيه يُثْبت في خلق الله، وفي ملكه أُموراً اتّفاقيّة، لأنّه إنْ أرادَ أن العباد تفعل أشْيَاء تترتّب عليها أَسْبَاب وموانع، فصَحيحٌ، ولكن لا يُعَبر عن تلك الأفعال بالاتِّفاقات؛ لأنها لو كانت الأفعال بالاتّفاق، لَقَلّ ترتّب الأسْبَاب عليها، لعدم ايقاعها عن قَصْدٍ واختيارٍ ذاتيِّين غالباً .

وإن أراد أنّها واقعة من غير أفعالهم الاختيارية، فأسوء حالاً؛ سواء فرضت من فعله، أو من فعله بهم .

والحاصل التعبير بالاتفاقيات ليس بمستقيم؛ لأن ما يكون بقضاء الله وقدره، لا يكون اتّفاقاً على أي نحو فرض، وإن كان ما يقع اتفاقاً لا يكون إلّا بقضاء الله تعالى وقدره .

[قول المصنف ﷫ : بأن يوم القيامة يوم الجمع بأن الأزمنة والحركات علة التغاير ...إلخ]

قال : «ومنها أن القيامة يوم الجمع، لأن الأزمنة والحركات علّة التغاير والتعاقب في الحدوث والقدم، والأمكنة والجهات، علة الحضور، والغيبة في الوجود والعدم، فإذا ارتفعتا في القيامة ارتفعت الحجب بين الموجودات، فتجتمع

---

(١) الضحضاح في الأصل : «مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار» . [النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٧٥] .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٧ .

الخلائق كلّهم الأوّلون والآخرون، فهي يوم الجمع لقوله : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾[١]»[٢] .

[بيان الحق في سبب اجتماع الخلائق في يوم الجمع]

أقول : يريد أن يوم القيامة هو يوم الجمع، وإنما اقتضى الحال اجتماع الخلق، لكون الخلق بأجمعهم خلعوا الموادّ، وكانوا مجرّدين نورانيّين؛ لأن التغاير المقتضي للافتراق، والتعاقب المقتضي لعدم الاجتماع، في رتبة الحدوث والقِدم، إنّما هما لعلّة الأزمنة والحركات، ولو لم تكن في الدنيا أزمنة، ولا حركات، لم يقع بين الخلق تغاير، ولا افتراق .

وأيضاً الأمكنة والجهات علة الحضور، والغيبة في وجود الأشياء وعدمها، فلو لم تكن أمكنة، لم يحضر موجود، ولو لم تكن جهات، لم يغب معدوم، فإذا ارتفعت الأزمنة والمدد، وحركات الأفلاك، والأمكنة والجهات في القيامة، ارتفعت الحجب بين الخلائق الموجبة للغيبة، والموانع المقتضية للافتراق، فتجتمع الخلائق كلّهم الأوّلون والآخرون .

فالقيامة يوم الجمع، ويريد أن المقتضي للاجتماع هو تجرّدهم .

وإنما سمّيت القيامة بيوم الجمع؛ لانطلاق الخلائق من قيود الأزمنة والأمكنة .

وأقول : في كلامه هذا بالنسبة إلى كلامه غير هذا، تدافع وتناقض، ومع هذا معارض بالكتاب والسنة، والمذهب الحق، وعقول المليّين، وذلك لأن مذهبه «أن الزمان ظرف جميع الكائنات، لم يتقدّم عليه إلّا الباري ﷻ، وأنّه نهر يجري من تحت جَبَلِ الأزل»، كما نقله عن بعض العارفين، في شرحه لأصول الكافي، مرتضياً له .

---

(١) سورة التغابن، الآية : ٩ .

(٢) كتاب العرشية، ص٧٨ .

وقد صرّح في كتبه : «أنّ الزمان عبارة عن حركة الفلك»، فتعارض قوله: «بأن الزمان ظرف جميع الكائنات، وأنه لا يسبقه إلّا الله تعالى»، وقوله : «بأنه عبارة عن حركة الفلك»، إذ يلزم منه كون الفلك سابقاً على الزمان، مع أنه من المكوّنات .

[القصاص لكل شيء في هذه الدنيا في يوم القيامة]

وقوله هنا : «بارتفاع الأزمنة والحركات، والأمكنة والجهات يوم القيامة»، مع أن في المحشورين الحيوانات كلها، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[1]، ويقتصّ يوم القيامة للجمّاء من القرناء، وكذلك تحشر الأزمنة والأمكنة، والحركات والجهات، كما دلّت عليه الروايات بصريحها، والبقر والغنم، والجماد وأمثالها، لا تكون مجرّدات، ولا تكون خارجة عن الزمان والمكان، وإلّا لكانت غير داخلةٍ فيه قبل أن يخلق، فإنّ كونَها بعده في العود، دليل على كونها قبله في البَدْء، فتكونُ سَابقة عليه، فلا يصدق قوله : «إنَّ الزمان لم يتقدّم عليه إلّا الباري ﷻ» .

وأيضاً كون الأزمنة والحركات، من علّة التغاير والتعاقب مما لا إشكال فيه، وإن كان غيرهما علّة للتغاير والتعاقب، إذ لا تنحصر في الأزمنة والحركات، بل منها الأزمنة والحركات، ومنها غيرها؛ بمعنى أنّ علّة التّغاير مركّبة من الوقت والمكان، والجهة والرتبة، والكم والكيف، والوضع والإذن، والأجل والكتاب، وإذا ارتفع شيء منها ارتفعت كلها، فلا منافاة في ذكره للزمان خاصة، وقد قال: أنّها علّة للحدوث والقدم، ونحن نقول : كذلك، وفي الدّنيا والآخرة، فحيثما وجد الزّمان وجد التغاير، وحيثما ارتفع ارتفع، كما قال المصنّف .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

ويلزم حينئذٍ أن أهل الجنّة، والجنّة وما فيها من النعيم، لا يتغيّر ولا يتبدّل، وإن كان من ضعفٍ إلى قوّة، ومن بِلي إلى جدّةٍ، ومن تماميّةٍ إلى كماليّة، ومن كماليّة إلى أكمليّة .

والمعلوم من الكتاب والسنة، والمذهب والعقل خلاف ذلك، فإنّ أهل الجنّة دائماً يترقّون في الدَّرجات، وفي مراتب الكمال، إلى غيْر النّهاية، وليس إلّا لوجودِ الأزْمنة، والأجسام الّتي لا تنْفكّ عن الزّمان والمكان، والموادّ والصور، والجهات والرّتب، والأوْضاع ومَا أَشْبه ذلك، إذ لا تتقوّم الأجسام بدون ذلك في الدنيا وفي الآخرة، بل ولا المجردات من جميع ما ليس بمعبودٍ بالحق، وإن كانت هذه المشخصات والمتممات للقوابل، والمقوِّمات للذّوات، مجردة بحسبها .

وإنما قلت : من جميع ما ليس بمعبودٍ بالحقِّ؛ دفعاً لاحتمال اتّباع المصنّف القائلين : بأن الأرواح القادسة، ليست ممّا سوى اللّه تعالى، وإنّ روح القدس لم تَدْخل تحت حيطة «كن»؛ لأنّ الذي يشيرون إليه إن كان هو معبودهم، فما أدري ما أقول لهم، وأما أنا **فأقول** : ما يشيرون إليه عباد مخلوقون مركّبون، بنحو ما تركّبَ به سائر المخلوقات، إلّا أنّ كل شيء فمؤلّفٌ من نوع رتبته من الكون.

والحاصل معنى تسمية يوم القيامة يوم الجمع؛ لاجتماع جميع الخلائق فيه، لأنه يوم الجزاء، والتزييل في قوله تعالى : **﴿فزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾**[١] .

وإن قيل : أن المصنّف يفهم هذا، ولكنّه يريد بيان علّة اجتماعهم من باب الأسباب، كما هو طريقة الحكماء، فَلَا اعْترَاضَ عليه؟ .

قلنا : إذا أراد هذا المعنى، فإنْ كانَ أرادَ بيانه بما ينقل عن غيره فَلَا اعْتِراضَ عليه، وإنما الاعتراض على غيره .

وإنْ أرَادَ أَنَّ بيانَ هذا النَّمطِ بالحقِّ هو ما ذكره، فالاعتراض متوجّه عليه، بل

---

(١) سورة يونس، الآية : ٢٨ .

بيان الحق في سبب اجتماعهم؛ أنّ الموجب لذلك هو العدل الّذي قام نظام الأكوان، ودارت عليه رحاه .

وبلحاظ نَمط أدلّتهم، فالموجب هو معنى قوله تعالى : **﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾**[1]، وذلك ما قرّرنا في كتبنا ورسائلنا ومباحثاتنا، أنّه تعالى خلق رحمته وكانت رتبتها في أَعْلى الإمكان، وخلق من ظلّ إنّيّتها غضبَه؛ وكانت رتبته في أسفل الإمكان؛ قضاء لحكم التضادّ، فأقام كُلّاً منهما بالآخر عَلَى نحو ما ذكرنا في الكسر والإنكسار، فخلق أعلى الخيرات؛ أي : أقربها من المبدء .

وأسفل الشرور؛ أي : أبعدها منه، وظهرت آثار الاختلاط ممّا بينهما، فخلق من كل واحدٍ أهلَه، فلمّا أمر النور امتثل، ولّما أمر الظلمة لم تمتثل، فاجتمعا قبل التكليف، كما قالَ تعالى : **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾**[2] في الخلق الثاني عندما قال لهم : **(أ لستُ بربّكم)**[3]، فأخذوا في التزييل والتفريق بعد الاجتماع المسبوق بالتفريق، ويتم التفريق يوم القيامة لأخذ حقوق كل من كلّ وبكلٍّ؛ يعني حتى حقّ الفضيحة، وحتّى يعلم كل أحد بأنّ الله تعالى العدل [الذي] لا يجور، والحكيم الذي لا يلهو، والمتسلّط الذي إليه ترجع الأمور .

وأكثر الخلق لا يعرفون من معنى هذا الكلام إلّا العبارة، أو مفهومها، ولا يعلم الجاهل والغافل بذلك؛ كعلم العارف الذاكر العاقل إلّا يوم القيامة، ولا يتم ذلك كله على كمال ما ينبغي، إلّا بجمع جميع الخلق في صعيد واحد، ليشاهد كلُّ أحدٍ كُلَّ أحدٍ، وهذا الذي أومأتُ إليه من الحقوق التي يتعلّق بها العدل .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومعنى ما أردت مجملاً؛ أنهم خلقوا من حقائق متباينة، ثم جمعوا لما يراد منهم هذا في البدء .

وجمعهم لما يراد منهم، حين قال لهم : (**أ لستُ بربّكم**)؛ لأن ذلك مما تعمّ به البلوى، فيجب الاجتماع، وتنتهي ثمرة الاجتماع في يوم القيامة؛ لأنه مسامِت مشهد (**أ لستُ بربّكم**) في العود، فافهم .

ثم يتفرقون ولا يجتمعون أبداً؛ يعني لا يجتمع من كان من النور بمن كان من الظلمة أَبداً، ولو كان علّة الاجتماع ما ذكره المصنف، لما حصل افتراق أبداً؛ لأنهم بعد القيامة ترتفع عنهم تلك الحجب والموانع، أشدّ من ارتفاعها يوم القيامة، مع أنهم فريق في الجنّة وفريق في السعير .

فإن قيل : أهل الجنة لا يفترقون، وأهل النار يفترقون .

قلنا : فرفع الموانع إنّما يقتضي جمع أحد الفريقين لا الجميع، مَع أنّه جَعله علّة للجميع .

[قول المصنف ﷺ : بأن يوم القيامة يوم الفصل، لأن الدنيا دار اشتباهٍ ومغالطة ...إلخ]

قال : «ومنها أنّها يوم الفَصْل؛ لأن الدنيا دار اشتباهٍ ومغالطةٍ، تشابك فيها الحق والباطل، والخير والشرّ، يتعانق فيها الخصمان، ويتمازج فيها المتقابلان، والآخرة دار الفصل والتمييز والافتراق، فيتفرّق المختلفان، ويتميّز المتشابهان؛ لقوله تعالى : **﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذ يَتَفَرَّقُونَ﴾**[1]، وقوله : **﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...﴾**[2]، وقوله : **﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾**[3]، ولا

---

(١) سورة الروم، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الأنفال، الآية : ٣٧ .

(٣) سورة الأنفال، الآية : ٧ .

منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع، بل يقرّره ويوجبه كما قال : ﴿هَـٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾[١]»[٢] .

[من لوازم يوم القيامة أنها يوم الفصل وهو مقتضى قيام العدل]

أقول : من لوازم القيامة أنها يوم الفصل، وهو مقتضى قيام العدل، لما قلنا سابقاً قبل هذا، أنّ الخلائق إنّما جمعهم التكليف لِما بينهم من المشابهة، وهو قولي: وظهرت آثار الاختلاط ممّا بينهما، ولهذا يميل كلّ شيءٍ إلى شكله ونوعه فيتوافقان، ويحصل بينهما تنافٍ فيختلفان، فيحصل من ذلك مع التكليف الجامع لهما إحسان وعدوان، واعطاء وحرمان، وتصديق وتكذيب، واعتراف وإنكار، وطاعة وعصيان، فيحصل من التوافق والتفارق الطبيعيّيْن، مع التكليف الجامع، جميع الصفات المتضادّة .

ولمّا كان علّة إيجادهم، وتكليفهم الرحمة الواسعة، الجامعة للفضل والعدل، اقتضى ذلك الفصْل بينهم بعد جمعهم فيما كانوا فيه يختلفون، ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣]، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ﴾[٤]، وليعرفوا الخلائق أجمعون، أنّ الله تعالى هو الحق المبين، العدل الحكيم، وأنه كما وصف نفسه في كتابه المجيد، فإنه لا يعرف ذلك في الدنيا، إلّا من هو أعز من الكبريت الأحمر[٥]، وأقلّ من الغراب الأعصم .

---

(١) سورة المرسلات، الآية : ٣٨ .

(٢) كتاب العرشية، ص٧٨ .

(٣) سورة الجاثية، الآية : ١٤ .

(٤) سورة النحل، الآية : ٣٩ .

(٥) قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (**المؤمنة أعز من المؤمن، والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر، فمن رأى منكم الكبريت الأحمر**) . [أصول الكافي، ج٢، ص٢٤٢، ح١، باب : قلة المؤمن . بحار الأنوار، ج٦٤، ص١٥٩، ح٣، باب : قلة المؤمن].

وأما سائر الخلائق، فلا يعْرفون ذلك إلّا يوم القيامة، وإنما خلق الخلق على وصف معرفته، فانقسموا بما أشرنا إليه، من الاتفاق والافتراق الطبيعيَيْن، إلى المعرفة والإنكار، وإلى ما بين ذلك من المراتب .

[ولادة النفس الحيوانية الحسية الفلكية، وزمان وجود النفس الناطقة، واتيان العقل المربي لها]

والمصنف أشار إلى ذلك، فقال : «لأنّ الدنيا دار اشتباه»، وذلك لما أشرنا إليه سابقاً[١] : أن النفس الحيوانية، الحسّيّة الفلكيّة، التي شأنها الغشم والظلم، والغضب والشهوة، وما أشبه هذا من الصفات الذميمة، يكون وجودها، وولادتها الجسمانية، عند تمام الأربعة الأشهر، من حين وقوع النطفة في الرحم، وعند الولادة الدنيويّة، توجد النفس الناطقة، وقد تمكّنت الحيوانية من القوى، والآلات الجسمانية، وسرت فيها بشؤنها وصفاتها الذميمة .

والنفس الناطقة عند ولادتها غريبة، لم يأتها المربّي لها، المؤيد لما تقتضيه؛ وهو العقل، إلّا بعد أن تصرّفت الحيوانية في سائر القوى واستعبدتها، ثم أتى العقل إلى بلد قد خربها الظالمون، وتعبّد أهلها الفاسقون، فوجد النفس الناطقة، **﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[٢]، فشرع مع ضعفه وقلّة ناصريه في تأييدها، والإنسان الذي هو تلك القرية، حصل له داعيانِ متعارضانِ في كلّ فعلٍ وميلٍ؛ **أحدهما** : آمر .

والآخر : ناه، فأرسل الملك الحكيم ﷻ، إلى أهل هذه القرية رسولاً من عنده، قويّاً لا يشتبه عليه الدّاعيان «صلّى الله على محمد وآله الطاهرين» ليبيّن لهم ما يريد الله تعالى، ويحب مما يكرهه ولا يريده، فمن اتّبع رسول الله ﷺ اهتدى، و لم تشتبه عليه الأمور، فكانت الدنيا دار اشتباهٍ؛ لتعارض الداعيَيْن من نفس

---

(١) راجع الصفحة رقم (٤٣٢) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الذاريات، الآية : ٣٦ .

المكلّف إذا مالت إلى شيء لا يدري ما مراد الله تعالى منه، فعله أو تركه، ودار مغالطة، لأن النفس الأمّارَة تحسّن له مطلوبها من المعاصي، والعقل يحسِّن له مطلوبه من الطاعات، وقد اجتمعا في بيتٍ واحد؛ وهو القلب الصَّنَوْبري، وله أُذُنان؛ أذن عن يمينه، عليها مَلكٌ مُؤَيِّد، يوحي إلى العقل، أَن يبادر إلى طاعة الله تعالى، وتحت ذلك الملك جنود من الملائكة، بعدد ميولات الوجود، وعدد بَواعث وزيره العقل، يعينون الملك على وحيه، ويدفعون الشياطين عن المنع من حصول مطلوبه .

وأُذن عن يساره؛ عليها شيطان مُقَيَّض، يوحي إلى النفس الأمّارة، أَنْ تبادر إلى معصيةِ الله تعالى، قبل أن يستولي العقل على المتعلَّق -بفتح اللام المشدّدة- .

وتحت ذلك الشيطان جنود من الشياطين، بعدد جنود الملك المؤيّد، وعدد ميولات الماهية، وعدد بواعث وزيرها النفس الأمّارة، يعينون الشيطان على منعه من فعل الطاعة، ويدفعون الملائكة من حصول مطلوبهم، فالملائكة يزيّنون للشخص فعل الطّاعات، ويرغّبونه فيه، بتذكير ثواب اللّه تعالى والجنّة، ويكرّهونه فعْل المعاصي، ويخوّفونه بتذكير النّار وسَخطِ الله على العَاصين، والشياطين يزيّنون للشخص فعل المعاصي، وأنّها لذّة عاجلةٌ قطعيّة، ولا مانع منها، وأَنّ ما ذُكِر من العقوبة لا أصلَ له، ولو فرض ثبوته؛ فبعضهم يقولون له مَن له طالع ينال به شهْوته، وإن كان بعثٌ ورجوعٌ إلى الحياة، فالطالع الأول موجود .

وبعض يقول لبعض : لو فرض ذلك فتُبْ عن المعصية .

وبعض يقول لبعضٍ : لذات الدنيا يقين، ولذّات الآخرة شك، واليقين خير من الشكّ .

وبعض يقول : لذات الدنيا نقد، ولذّات الآخرة نسيئة، والنقد خير من النسيئة، وأمثال ذلك .

والحاصل لّما اشتبه المَيْلان، وتشابه الداعيان، وتشابَكَ الخير والشرّ، والحق

والباطل، لأجْل اختبار المكلّفين، كما قال تعالى : **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾**(١)، وغير ذلك من الآيات .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**لَتُبَلْبَلُنَّ بَلبلةً، ولَتُغربَلُنّ غربلةً، ولَتُساطُنّ سوطَ القِدْر، حتى يعودَ أسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلُكم، ولَيسبِقُنَّ سبّاقون كانوا قصّروا، وليقصّرُنَّ مقصِّرون كانوا سبقوا، ...إلخ**)(٢)، خفي العدل الذي وصف تعالى به نفسه، وخلقهم عليه، فبيّن لهم ما وصف به نفسه، حتّى لا يشك أحد من الخلق في شيء مما ذكره في كتابه، كما أشار إليه في قوله : **﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِينَ﴾**(٣)؛ لأنه تعالى إنما خلقهم ليعرفوه، فعرّفهم نفسه، وما وصف به نفسه بفعله في قوله : **﴿وأكثرهم﴾** ما شاهدوا فعله، في قوله : وإنّما سمعوا قوله فأحبّ أن يريَهم فعله، في قوله : **﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾**(٤)، فبلغت حجته، وتمّت كلمته، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**(٥)، فيجمعهم ويفصل بينهم بالحقّ، **﴿لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾**(٦)، ويحقّ الحقّ، ويبطل الباطل، ويتفرّقون

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٢ .

(٢) نهج البلاغة، ص٨، خطبة : ١٦ . وفي أصول الكافي، ج١، ص٣٦٩، ح١، باب : التمحيص والامتحان . وبحار الأنوار، ج٥، ص٢١٨، ح١٢، باب : ٨، هذه الكلمات غير موجودة : «**ولَتُساطُنّ سوطَ القِدْر**» .

(٣) سورة النحل، الآيتان : ٣٨-٣٩ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٧٢ .

(٥) سورة فصلت، الآية : ٤٦ .

(٦) سورة الأنفال، الآية : ٣٧ .

حينئذ؛ فريق في الجنّة، وفريق في السعير، وهو قوله : ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ**﴾(١) .

وقوله : «ولا منافاة بين هذا الفصل وذلك الجمع، بل يقرّره ويوجبه، كما قال : ﴿**هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ**﴾(٢)، فيه أنه إن أراد بهذا الفصل خصوص الحكم لا غير، فكما قال، وإن أراد به التفريق، فينافيه الجمع على ما علّله، كما ذكرنا مما يلزمه فراجع .

[قول المصنف تَدُّسُّ : بأن المتخلصين عن البرزخ والقبور يتوجهون عند قيام الساعة إلى الحضرة الإلهية]

قال : «ومنها أن المتخلّصين عن البرازخ والقبور، يتوجّهون عند قيام الساعة إلى الحضرة الإلهيّة، بلا تراخٍ وانتظار، كما لغيرهم من المقيّدين بالدنيا، المأسورين بأسر التعلقات، كما قال : ﴿**فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**﴾(٣)»(٤) .

[كل من تخلص من قيود البرزخ قبل النفخ في الصور يتوجهون عند قيام الساعة عند الحضرة الإلهية]

أقول : من جملة أحوال القيامة، أنّ الّذين تخلّصوا عن قيود البرازخ؛ كالنفوس والأرواح قبل النفخ في الصور، نفخة الصّعْق بهذه النفخة، كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ**﴾(٥)، ما معناه : (**تبقى الأرواح ساهرة لا تنام**، ...إلخ)(٦)، وعن مضيق

---

(١) سورة الروم، الآية : ١٤ .

(٢) سورة المرسلات، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة يس، الآية : ٥١ .

(٤) كتاب العرشية، ص٧٩ .

(٥) سورة النازعات، الآيتان : ١٣-١٤ .

(٦) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

المخازن والقبور، كالأرواح والنفوس عِنْد النفخة الثانية نفخة الفزع، وكالأجساد يتوجّهون عند قيام الساعة إلى الحضرة الإلهية، بلا تراخٍ وانتظارٍ، لا كما يكون منَ التّراخي والانتظار لغيرهم من المقيّدين بالدنيا، المأْسُورينَ المقيّدين بأسْرِ التّعلقات وقيدِها، بل المتخلّصون سيرهم حثيثٌ، مُسْرِعُون مُهْطِعُونَ إِلَى دَاعي الحق تعالى، كما قال سبحانه : ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[1]؛ أَيْ : يُسْرِعُونَ .

[مدة القيامة وتشبيهها بيوم من الأيام الثلاثة؛ يوم الدنيا ويوم الرجعة ويوم القيامة]

أقول : واعلم أنّ مدّة القيامة كيومٍ من الأيام الثلاثة؛ يوم الدُّنْيا، ويوم الرجعة، ويوم القيامة، والنّاس في الأيام الثلاثة، كلّهم يسيرون إلى الله تعالى، سيْراً حثيثاً، وليْس سَيْرُهم بَعْدَ النفخة الثانية مُغَايِراً لِسَيْرِهِمْ قبل ذلك، والعارفون الّذين علّمهم الله أسرار الخليقة أَو بَعْضَها، يُشاهدون ذلك، نعم هم فيما يرون من أنفسهم، يرون أن أهل الدنيا مقيمون، وأهل الآخرة يسيرون إلى الله تعالى .

وأمّا انطلاق أهل الآخرة من قيد التعلُّقات، فلا يتم إلّا بعد الفصل بينهم، وإلّا فقبله أشدّ تعلّقاً، وأعظم اختلاطاً، لأنّ أغلب التعلّقات في الدنيا معنويّ، بخلافِ الآخرة، فإن التّعلقات حسّيّة، وكثير منها لا يعتبرونه في الدنيا .

وأمّا في الآخرة، فقد قال تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2]، وكلّ هذا ممّا يمنع من سرعة السَّيْر، ولهذا كان مقداره خمسين ألف سنة، لكنّ الظاهر مع المصنف .

---

(١) سورة يس، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٤٧ .

[قول المصنف تَدُّشُ : بأن الموت عبارة عن هلاك الحيوان ...إلخ]

قال : «ومنها أن الموت لكونه عبارة عن هلاك الحيوان؛ بواحدٍ من طرفي التضادّ، يقام بين الجنّة والنار، في صورة كبش أملح، ويذبح بشفرةِ يحيى عليه السلام، وهو صورة الحياة بأمر جبرائيل عليه السلام، مبدء الأرواح، ومحيي الأشباح بإذن الله، لتظهر حقيقة البقاء والسرمد، بموتِ الموت، وحياة الحياة»[1] .

[تعريف الموت وأقسامه وهل هو أمر اعتباري عدمي غير موجود؟، أو شيء موجود ورابطته مع العقل]

أقول : أنّ الموتَ هو خروج الروح من البدن، أمّا بقتل أو موت، فأمّا القتل ففيه خلاف؛ هل هو عند انقضاء العمر المكتوب؟؛ بحيث لو ترك و لم يُقْتَلْ مات .

وقيل : لا يموت .

واختلف هؤلاء في قدر ما يبقى لو لم يقتل على أقوالٍ، لعدم عثورهم على نَصٍّ يدلّ على شيء، والنَّصُّ موجود يذكرونه في الكتب [ويقرؤُنَهُ] ولا يفهمون معناه؛ وهو أنّه يَبْقَى سَنَتَيْن ونصفاً .

وأمّا الموت فقسمان؛ مسمّى ومقضي .

فالمُسَمَّى : لا يزيد ولا ينقص .

والمَقضي : يزيد بالطاعات، ويَنْقُص بالمعاصي، وليس هذا مكان بيان ذلكَ .

واعلم أَنّ كثيراً مِنَ العُلَماء، ذهَبُوا إلى أنّ المَوْتَ أمرٌ اعتباريّ عدمي ليس بموجود؛ لأنّه عدم الحياة ممّا من شأنه الحياة .

والحقّ أنّ الموت شيء موجود مخلوق، كما قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] .

---

(١) كتاب العرشية، ص٧٩ .

(٢) سورة الملك، الآية : ٢ .

وقوله : «بواحدٍ من طرفي التّضادّ»؛ كأن تزيد حرارة الشخص على برودته فتحرقها، أو برودته على حَرارته فتُطْفئها، أو رطوبته على يبوسته فتذيبها، أو يبوسته على رطوبته فتجففّها؛ لأنه ما دامت الطبائع معتدلة، أو قريبة الاعتدال، فهو صحيح، فإذا زادَتْ واحدة على ضدّها، و لم تذهب ضدّها، تَمرّض الشخص، فَإِنْ أَذْهَبَتْه هَلك، وليس مراده أنّ الهلاك يكون من واحدة لا غير، بل مراده أعمّ وهو كذلك .

[قيام الموت بين الجنة والنار على رأي المصنف قدس سره]

وقوله : «يقام بين الجنّة والنار ...إلخ»؛ يعني أنّه إذا دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النار النار، أُقيم الموتُ بين الجنة والنار، في صورة كبش أملح، بحيث يشاهده أهل الجنّة، وأهل النار، ويعرفونه أنه الموت، فيذبح بين الجنة والنار، وينادي منادٍ يا أهل الجنّة خلود ولا موت، يا أهل النّار خلود ولا موت، فعند ذلك تشتدّ الحسرة على أهل النار .

أَمّا أنّه بصورة كبش؛ فكناية عن ذلّته وحقارته في جانب قدرة القادر عزّ وجلّ .

وأمّا أنه أملح؛ فلأن هذا اللون مركّب من بياض وسواد ممتزجين، فهو في حق المؤمن نور، وفي حق الكافر ظلمة .

ولمّا كان ذلك؛ أعني النور والظلمة كذلك، وكان فعله كذلك، و لم يكن في إحدى جهتيه مستمرّاً، حتى يفرغ منها، بل هنا اقتضى امتزاج طبعَيْه وفعليه، اختلاط لونيه، فكان أملح .

[كيفية ذبح الموت عند المصنف قدس سره]

وقوله : «ويذبح بشفرة يحيى عليه السلام»، لم يحضرني كون الذبح بسكّين النبي يحيى «على محمد وآله وعليه السلام» من طرقنا، ولعلّه من طرق العامّة .

وعلى فرضه فمعناه كما ذكره المصنف؛ من أن كون ذبح الموت بشَفرة يحيى عليه السلام، إشارة إلى ظهور الحياة يوم القيامة في كل شيء، كما قال عز من

قائل : ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[١]؛ أي : لا موت فيها، لأنّ الموت إنما يكون في مراتب الأعراض المتبدّلة المتغيّرة، لفائدة عدم البقاء فيها، كما في الدنيا .

وأما الآخرة فهي لما كانت إنما خلقت للبقاء، كانت أعراضها صافية لا تتغيّر إلّا في مراتب الترقّي والشدّة، والقوة والجِدّة، والصّفاء والحسن، فإنها لا تزال في الترقي، فتبدّلها وتغيّرها إلى جهة العلو والكمال بلا نهاية .

[الملائكة الأربعة وقيام كل ملك بوظيفته الموكل بها]

وقوله : «بأمر جبرائيل عليه السلام»؛ يعني أنه إنما قيل : بشفرة يحيى عليه السلام، لأنه كناية عن صورة الحياة، وذلك بأمر جبرائيل عليه السلام؛ لأنه موكّل بذلك، ولهذا قال: «مبدء الأرواح، ومحيي الأشباح»، ولكن الأمر أخصّ ممّا قال؛ لأن جبرائيل عليه السلام هو الموكّل بالخلق والتصوير .

وأما الأرواح والحياة؛ فموكل بها إسرافيل عليه السلام، لأنه صاحب الصور الشاخص، الذي ينبّه بالنّفخة، صرعى رهائن القبور، كما قال سيد الساجدين عليه السلام[٢] .

ولكن بعض العارفين قال : إن كل واحد من الملائكة الأربعة، يعينه ملكان منهم، كل واحد بنصف قوته، فجبرائيل يعينه إسرافيل بنصف قوته، وعزرائيل بنصف قوته، وإسرافيْل يعينه جبرائيل بنصف قوته، وميكائيل بنصف قوته، وميكائيل يعينه إسرافيل بنصف قوته، وعزرائيل بنصف قوته، وعزرائيل يعينه ميكائيل بنصف قوته، وجبرائيل بنصف قوته، فعلى هذا يتّجه قول المصنف، وجبرائيل مصوّر الأشباح .

---

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٦٤ .

(٢) راجع الصحيفة السجادية، ص٣٥، دعاءه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب .

وإنما ينفخ فيها الحياة، بما أعانه به إسرافيل؛ لأنّ إسرافيل هو المتلَقّي من النفس الكلّيّة، أعني اللوح المحفوظ .

وذبح الموت بسكّين يحيى عليه السلام؛ ليظهر للناس حكم السرمد والبقاء بذبحِ الموت وعدمه، وحياة الحياة ووجودها .

[قول المصنف قدس سره بأن : الجحيم تحضر في العرصات على صورة بعير ...إلخ]

قال : «ومنها أن الجحيم تحضر في العرصات على صورة بَعير؛ لأجل حقْده، ليتذكّر الإنسان صفاته الذميمة، الباعثة للعقاب، كما في قوله : **﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾**[١]، وهي بارزة في ذلك اليوم لا كامنة، كما في هذا اليوم، لقوله : **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾**[٢]، فيطّلع الخلائق مِن هول مشاهدتها، على فنائِهِمْ وعذابهم، فيفزعون إلى اللّه من شرّها، لو لا أنْ حبسها الله برحمته، لشردَتْ شردة احترقت بها السماوات والأرض»[٣] .

[كيف يكون حضور جهنم يوم القيامة على صورة بعير؟]

أقول : من أحوال القيامة، أن جهنّم يؤتى بها يوم القيامة، تحضر في العرصات؛ أي : عرصات القيامة، على صورة بَعيرٍ؛ لأجل أنّ طبْعَ البعير الحِقد -بكسر الحاء- لإضمارها لشدّة الانتقام -نعوذ بها من سخط الله والنار- .

وأيضاً هذا الحديث بهذا الوضع، مما رووه ما معناه، أن النبي صلى الله عليه وآله، كان قاعداً مع أصحابه، إذ عرض له حالة شديدة، فقيل : يا علي أدرك ابن عمّك، رسول اللّه صلى الله عليه وآله .

---

(١) سورة الفجر، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الشعراء، الآية : ٩١ .

(٣) كتاب العرشية، ص٧٩ .

فأتى علي عليه السلام، وشد ظهره بصدره، وقال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، ما الذي حدث؟.

فقال صلى الله عليه وآله: (نزل جبرائيل عليَّ بهذه الآية: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[١].

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، وكيف يُجاء بها؟.

قال: يؤتى بها تُقاد بسبعين ألْفَ زمام، في كلّ زمامٍ سبعون ألف حَلْقة، كلّ حلقة يمسكُها ألف ملك، فتشردُ شَرْدَةً، فتخرّ جميع الخلائق على وجوههم، فاعترضها فتقول: ما لي ولك يا محمّد، وقد حرّم اللّه جسدَك عليَّ، فأمسكها للملائكة، ولو لا أني أمسكتها لأحرقَتْ أَهْل الجمع)[٢].

ومن طرقنا ما رواه القمّي، قال: حدثني أبي عن عَمْرو بن عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **(لمّا نزلت هذه الآية ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾**[٣]**، سُئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أخبرني الروح الأمين؛ أنّ الله لا إله غيره، إذا برزَ الخلائق، وجمع الأوّلين والآخرين، أُتيَ بجهنم تُقاد بألف زمام، مع كل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشّداد، لَها هَدّة وغضب، وزفير وشهيق، وأنّها لتزفر الزّفرة، فلولا أنّ الله أخّرهم للحساب، لأهلكت الجميع.**

ثم يخرج منها عُنق فتحيط بالخلائق؛ البرّ منهم والفاجر، فما خلق اللّه عبداً من عبادِ الله ملكاً ولَا نبيّاً، إلّا ينادي رَبِّ نفسي نفسي، وأنت يا نبيّ الله تُنادي أمّتي أمّتي، ثم يوضع عليها الصراط ...)[٤].

---

(١) سورة الفجر، الآية: ٢٣.

(٢) راجع تفسير مجمع البيان، ج١٠، ص٣٥٤، في تفسير معنى الآية: ٢٣ من سورة الفجر. والتخويف من النار، ص١٦٣. وبحار الأنوار، ج٧، ص١٢٥. باختلاف.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٣.

(٤) تفسير القمي، ج٢، ص٤١٨، في تفسير معنى الآية: ٢٣ من سورة الفجر. وفي أمالي الصدوق، ص٢٤١، ح٤، مجلس ٣٣. وبحار الأنوار، ج٧، ص١٢٥، ح١، باب: ٦، ...←

[الإنسان ونظره إلى النار يذكره صفاته الذميمة التي فعلها في الدنيا]

وقوله : «ليتذكّر الإنسان صفاته الذميمة»؛ يعني إذا رأى النار ندم على ما فعل في الدنيا، من إفراطٍ أو تفريطٍ، يقول : ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾[1]، وهي بارزة في ذلك اليوم، محسوسة ظاهرة لكلّ أحَد، والآن في الدنيا كامنـة، كمـا روي عنهم عليهم السلام : (أنّها الآن فيهم، وغداً هم فيها)، وهـو قولـه تعـالى : ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۞ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿لَوْ تَعْلَمُـونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۞ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[3]، فإذا برزت غداً، كما قال تعالى : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾[4]، اطّلَعَ الخلائق من هول رؤيتها على فنائهم، وهلاكهـم وعَذابهم، فيفزعون إلى الله من شرّها، وهي محيطة بهم، لا يظنّ أحَدٌ منهم نجاة ولا ملجأ، ولا مفزع، إلّا إلى الله سبحانه، ولولا أنّ اللّه تعالى بلطفه بعباده، حَبَسَـها برحمته، وقيّدَها بقَيْد لطفه، لشرَدَتْ شَرْدة من الملائكة الموكّلين بها، احترقت بها السّماوات والأرض ومن فيهنّ -أجرنا من النار بعفوك يا مجير- .

←...

بدل كلمة : «**مع كل-أخذ بكل**»، وبدل كلمة : «**هدة وغضب وزفير وشـهيق-وهدة تغيّظ وزفير**».

(١) سورة الفجر، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الافطار، الآيتان : ١٥-١٦ .

(٣) سورة التكاثر، الآيتان : ٥-٦ .

(٤) سورة النازعات، الآية : ٣٦ .

[القاعدة التاسعة]

[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]

[في : العرض والحساب والكتب والموازين]

قال : «قاعدة في العرض والحساب، وأخْذ الكتب، ووضع الموازين :

أمّا العرض؛ فهو مثل عرض الجيش، ليعرف أعمالهم في الموقف، وقد علمت صحة اجتماع الخلائق كلّهم، على ساهرة واحدة، فيعرف المجرمون بسيماهم، كما تعرف الأجناد هيهنا، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله سُئِل عن قوله تعالى : **﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾**[1]، فقال : **(ذلك العرض)**[2]، **(فإنّ من نُوقِشَ في الحساب عُذِّب)**[3] .

وأما الحساب؛ فهو عبارة عن جمع تفاريق الأعداد والمقادير، ليعرف فذلكتها ومبلغها، وفي قدرة الله تعالى أن يكشف في لحظة واحدة للخلائق، حاصل متفرقات أعمالهم، وجمع نتائج أعداد حسناتهم وسيّئاتهم، وآثر كل دقيق وجليل من أفعالهم ونيّاتهم، وهو أسرع الحاسبين»[4] .

[المراد من عرض الخلائق]

أقول : المراد بعَرْض الخلائق إيقافهم بين يدي وليّ الله على خلقه، **﴿لِيَجْزِيَ**

---

(١) سورة الانشقاق، الآية : ٨ .

(٢) تفسير الصافي، ج٥، ص٣٠٥، في تفسير معنى الآية : ٨ من سورة الانشقاق . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٤٩٣، ح٧٦ . بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٠٥ .

(٣) تفسير الصافي، ج٥، ص٣٠٥، في تفسير معنى الآية : ٨ من سورة الانشقاق . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٤٩٣، ح٧٦ . بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٠٥ .

(٤) كتاب العرشية، ص٧٩ .

قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، كما دلّت عليه أحاديثهم وأدعيتهم، مثل ما في الزيارة الجامعة الكبيرة **(وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عَليكم، وفصل الخطاب عندكم)**[2]، وهو معرفة لغات الخلائق، ومن ذلك ما في الكافي عن الكاظم عليه السلام : **(إلينا إياب هذا الخلق، وعلينا حسابهم، فما كان لهم من ذنبٍ بينهم وبين اللّه عزّ وجلّ حتمنا على اللّه في تركه لنا، فأجابنا إلى ذلك .**

وما كان بينهُم وبين النّاس استوهبناه منهم، وأجابوا إلى ذلك، وعوّضهم الله عزّ وجلّ)[3] .

[فائدة عرض الخلائق]

وفائدة العرض؛ لتعرف أعمالهم ظاهرة عَلَى رؤوس الأشهاد، بعد اجتماع جميع الخلائق بالساهرة؛ وهي الأرض البيضاء المستوية، الّتي لَيْس فيها نبات، ولا بناء، فيعرف المجرمون بسيماهم، أي : بأمثالهم في أعمالهم، مثلاً إذا سرق زيد من دكان عمرو رمّانة، كتبت الملائكة الحفظة مثاله في صورة عمله، فإذا جاء يوم القيامة جاء لابساً ذلك المثال بعمله، فكما أنّك الآن ما دمتَ حيّاً كلّما التفتَّ بخيالك إلى ذلك، رأيتَ صورة مِثَاله يسرق الرمانة، كذلك إذا جاء يوم القيامة، جاء لابساً ذلك المثال بما هو فاعل، فتراه الخلائق مادّاً يده في دكّان عمرو، آخذاً لتلك الرمّانَة، في ذلك الوقت الّذي أخذها فيه في دار الدّنيا، وهكذا جميع الأعمال، وعلى هذا قياس شهادة الجوارح .

والمؤمنون يعرفون بسيماهم، بما ألبسوا من أمثالهم الحسنة، بما هم فاعلون من الخيرات، على حَدِّ ما ذكرنا في المجرمين، لظهور كلِّ عاملٍ بعمله، والاعتقادات

---

(١) سورة الجاثية، الآية : ١٤ .

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٢ . تهذيب الأحكام، ج٦، ص٩٧ .

(٣) أصول الكافي، ج٨، ص١٦٢ . بحار الأنوار، ج٨، ص٥٧، ح٧١، باب : الشفاعة .

الصحيحة، والنيات الصّالحة، والاعتقادات الباطلة، والنيات الطالحة، تظهر أعمالاً ظاهرة محسوسة لأهل الجمع، إذْ يَوم الْقيامة تُبْلى السرائر، وتُبْدَى الضّمائر .

[المراد من الحساب]

وأمّا الحساب؛ فهو في اللغة عبارة عن جمع متفرقات الأعداد والمقادير، الممسوحات والمذروعات، والموزونات والمكيلات .

والمراد به هنا ضبط الأعمال بأعدادها ومقاديرها، في كمّها وكيفها، ومعرفة نهاياتها، ويوم المجازاة عنها أو بها، وبما تساويه في نحو القيامة، ومدّة بقائها وصحّتها، وفسادها واختلافها، ومعرفة رُتَبِ أرْواحِها، من النيّات والمقاصد والمرادات، وبيان مَن أُريدَ بها، وأمكنتها من الأكوان وأوقاتها وأمثالها، ذلك ليتميز فَذْلكتُها، أي : نهايتها في جهة مَا طلب منها، ومبلغها من رتب الوجود على وجه لا يكون فيه خفاء، أو يجوز عليه خفاء، بحَيْث يتعلّق به متعلّل، أَو متعذّر، بل صحو قائم، وعدلٌ دائم .

[قدرة الله تعالى في كشف متفرقات أعمال الخلائق]

وقوله : «وفي قدرة الله تعالى أَن يكشف في لحظة واحدة للخلائق حاصل متفرّقات أعمالهم، ...إلخ»، صحيح؛ لأنه على كل شيء قديرٌ، إلّا أنّه لا يفعل ذلك، لأنّه مناف للحكمة، إذ مقتضى الحكمة أَنْ تجري الأشياء عَلَى مقتضى أسبابها، وهو تعالَى حافظ لها ولأسبابها بقيوميّته، ويعطي أَسْبَابَها لآثارَها الّتي اقتضتها، فلذا خلقَ ما خلق في الدنيا على مقتضى الأسباب والقوابل، ليبيّن لخلقه ليعرفوه فيطيعوه، فيستحقّوا الدرجات العاليات، من ثوابه ورضوانه، وأخبر في كتابه المجيد، أنّ سُنّته لا تتبدّل، ولا تتحوّل، وجعل ما فعل في الدنيا دليلاً ومثالاً لمن أرادَ أَنْ يعرفَه، ويعرفَ سنّته في عباده، فقال : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1]، فتستدلّون بها على النشأة الأخرَى .

---

(١) سورة الواقعة، الآية : ٦٢ .

[النية ومحل انبعاثها واستقرارها وتعريف نية الاعتقادات ونية الحسنة ونية المعصية]

وقوله : «وجمع نتائج أعداد حسناهم وسيّئاهم»، الأنسب في العبارة أَنْ يقول : وجمع نتائج حسناهم وسيّئاهم؛ لأن خصوص الأعداد ليس فيها نتائج معتدّ بها، وإنْ أمكن توجيهه مع قلّة الفائدة .

وقوله : «وآثار كل دقيقٍ وجليل، من أفعالهم ونيّاهم»، ربّما اعترض بعض على هذا، فقال : الآثار مترتّبة على الأعمال، لا على النيات، وإن كانت لا تترتّب على الأعمال إلّا بالنّيات، لأنّ أفعال القلوب لا شيئيّة لها، إلّا بأعمال الجوارح .

فأُجيبَ بأنّ المراد بالنيّات الاعتقادات، لأنّها هي التي تترتّب عليها المجازاة بالثواب، أو العقاب، وعورض بما صحّ من أن نيّة فعل الحسنة تكتب حسنة .

وأجيب بأنّه لو كان المراد من النّيات، نيات الأعْمال، لما صحّ في نيّة فعل المعصية، لما صحّ من أنّها لا تكتب حتّى يعملها، فإذا عملها كتبت سيّئة واحدة[1] .

والحقّ أنّ كلّ نيّة فلها آثار، كما أطلقه الُمصَنّف .

أَمَّا نيّة الاعتقادات فظاهر؛ لأنها هي أعمال القلوب .

وأمّا نيّة الحسنة، فلأنّ الآلات والأسْباب، وجميع ما يتوقّف عليه العمل، من

---

(١) قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : (**إذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة، فإذا عملها كتبت له عشر حسنات، وإذا هم بسيئة لم تكتب عليه، فإذا عملها أجل تسع ساعات** [وفي بعض الروايات سبع ساعات] **فإن ندم عليها واستغفر وتاب لم يكتب عليه، وإن لم يندم ولم يتب منها كتبت عليه سيئة واحدة**) . [الخصال، ص٤١٨، باب : التسعة] .

تخلية السرب، والصحة التي بها يكون العبد متحرّكاً مستطيعاً للفعل والدّواعي، وما أشبه ذلك كلّها، إنّما خُلقت للطاعة، فتكون متأصِّلة فيها، فإذا انبعثتْ النيّة من القلب بميل الفؤاد، مرّت على مراتبها التسعة؛ القلب والنفس، والتعقل والعلم، والوهم والوجود الثاني، والخيال والفكر، والحياة، وهي متفرّقة التّأثير، فإذاً تحسب بحسنة واحدة؛ لأن كلّ واحدة ناظرة إلى عَملِ الجَوارح على الانفراد، فإذا عملت الجوارح كتبت عشراً؛ لتعلق كلّ واحدة من التّسع بعمل الجسد، فإذا عمل كتب كل تعلّقٍ منها حسنة، وعمل الجوارح حسنة .

وأمّا نيّة المعصية، فلأنها لا تنبعث من القلب، وإنّما تنبعث من النفس الأمّارة، وتمرّ على المراتب التي لم تخلق لها، وإنما خلقت للطاعة، فلا قرار لها بدون العمل واستقراره، فتمرّ من النفس والعلم، والوهم والخيال، والفكر والحياة، فهي ناظرة إلى عمل الجوارح، لكنها مع تفرّقها من كون كل واحدة نظرها إلى عمل الجوارح على حدة غير متصّلة فيها، فقبل عمل الجوارح لم يكن لها ثبوت ولا استقرار؛ لأنّها مُجتثة، فإذا عملت الجوارح تلك المعصية، كانت واحدة إذا قرّت، لأنّ قرار تلك السيئة لا يتحقق لها تعلّق قبلَ فعلِ الجوارح لعرضيتها، فإذا عملت الجوارح انتظر سبع ساعات، فإن تاب لم تكتب، وإن مضت سبع ساعات و لم يتب كتبتْ سَيّئة؛ لأن الجوارح إذا عملت ومضت ساعة، قرّت في الحياة عرضيّتها، وفي الساعة الثانية تقرّ في الفكر، وفي الثالثة في الخيال، وفي الرابعة في الوهم، وفي الخامسة في العلم، وفي السادسة في النفس، وذلك بعد ساعة الجوارح، فهذه سبع ساعات، تستقرّ بعدها سيّئة واحدة .

وإن تاب مرّ ماء التوبة الذاتيّة على تلك العرضيات فغسلها، فلا يحدث من نيّة المعصية البدنيّة آثار، نعم يحدث منها إذا تكرّرت آثارٌ عرضيّة، إذا تراكمَتْ و لم يرد عليها ما ينافيها، حَدثتْ عنها بواعث وشياطين مقيَّضين يزيّنون المعاصي، ويصدون عن سبيل الله الذي أمر بسلوكه، كما قال عيسى بن مريم «على محمد وآله وعليه السلام» للحواريّين ما معناه : (**إياكم والزنا .**

قالوا : يا روح الله أنا نُهِمُّ به .

فقال : ما أريد أنكم لا تهمّون به، ولكن أريد أنكم لا تجروه على خواطرِكم، فإنّ البيوت التي توقد تحتها النّار تسودّ سُقوفها، فكذلك هذا) .

وكما نقل عن بعضِهم : (**أنّه ما من خطْرةٍ ترد على قلب بشرٍ، إلّا هي مادّة لملَك أو شيطان**) .

فميولاتٍ النفوس الأمّارة، والحيوانية الفلكية، والتفاتاها إذا تكرّرت حدثتْ عنها بواعث ودواع شيطانية، أو حيوانية، أو سبعيّة .

[مدة حساب الشخص الواحد من الخلائق]

والحاصل أن مدّة حساب الخلائق، خمسون ألف سنة من سني الدنيا، ولكنه حساب شخص واحد، فيفرغ حساب جميع الخلائق بفراغ حسابِ واحدٍ منهم، لأن كلّ وجهٍ من كتاب الله الناطق، ووليّه الصادق عليه السلام، يختصّ بشخصٍ واحد من الخلق، فإذا فرغ من حسابه، فرغت الوجوه .

وإِمَّا لطيّ الزمان بالقدرة العامّة .

وإِمّا لأن طول المدّة كناية عن عظم الشدّة .

وإِمّا لأنّ الوجوه المذكورة، عبارة عن التعلقات، والوجه الواحد كما أشار إليه الحق تعالى في قوله الحق : ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[1]، وذلك بأمره الواسع، ﴿**وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**﴾[2]، فمدّة الحساب كلمح البصر، وهو أسرع الحاسبين .

[قول المصنف قدس سره : في طول مدة الحساب ومكثهم في العذاب ...إلخ]

قال : «وأما طول مدّة الحساب، ومكثِهم في العذاب، فلأجل قصور ذواتهم عن سرعة التفطّن بجمع متفرقاتهم، والوصول إلى حاصل حسابهم .

(١) سورة لقمان، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة القمر، الآية : ٥٠ .

وأما أخذ الكتب فقد علمت أن كتب النفوس، وصحائف القلوب، بعضها علويّة، وبعضها يمينيّة، وبعضها شمالية، **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾**(١)؛ لأنه المؤمن السعيد الذي قلبه منور بنور الإيمان، مطهّر عن خبث الباطن، وذَحَل السريرة، ولا حساب له مع أحد من الخلق، ولا شاغل لذمته عن التوجّه إلى عالم القدس، ولذلك قال : **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾**(٢)، لأنه كان عارفاً بالآخرة، وبالحشر والجزاء، عالماً بأنه يلاقي حسابه وكتابه، إذ الظنّ هنا بمعنى الجزم واليقين، **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ﴾**(٣)، وذلك لكثرة اشتغاله بالدنيا ولذّاتها، وتَلهيه عن الآخرة وسرورها وخيراتها، **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾**(٤) .

أمّا دعوة الثبور، فلتعلّق نفسه بالأمور الهالكة الفانية .

وأما صلي السعير؛ فلكون كتاب الفجار المنافقين، من جنس الأوراق المسوّدة الباطلة القابلة للنسخ، والتبديل والتغيير اللائقة للإحراق بنار السعير»(٥) .

[طول مدة الحساب ومكث الخلائق فيه وعلة طوله]

أقول : أمّا طول مدّة الحساب، ومكثهم في العذاب، قدر خمسين ألف سنة، فقد ذكرنا بعض الوجوه كالمتقدمة، والمصنّف قال : إن ذلك ليس لطول المدّة في نفس الأمر، وإنما كان الطول على أهل المحشر؛ لأجل قصور ذواتهم عن سرعة

(١) سورة الانشقاق، الآيات : ٧-٨-٩ .

(٢) سورة الحاقة، الآيات : ١٩-٢٠-٢١-٢٢ .

(٣) سورة الحاقة، الآيتان : ٢٥-٢٦ .

(٤) سورة الانشقاق، الآيات : ١٠-١١-١٢ .

(٥) كتاب العرشية، ص٨٠ .

التفطّن، بجمع متفرقات أَعْمَالِهِمْ، وأحوالهم وذَواتهم، وبالوصول إلى حاصل حسابهم، لما هم فيه من الشدّة .

ويحتمل أن يكون المراد بالواحدة في قوله : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[1]، الواحدة الدهريّة، أو السرمدية، فإنه تعالى إنما قال : ﴿كن﴾، فكان كل شيءٍ بها مما كان، ومما يكون إلى يوم القيامة، وبعد القيامة بلا نهاية، فهذه الكلمة الواحدة مع وحدتها ممتدّة بلا أوَّل لها في الإمكان، ولا آخر كذلك، على أنّا قد أشرنا في ما سبق أنّ يوم القيامة في القوس الصعودي، مقابل ليوم التكليف الأول في عالم الذر، في القوس النزولي، وهو أيضاً خمسون ألف سنة .

ويوم القيامة يوم جزاء ذلك التكليف، وهو خمسون ألف سنة، فكما أن يوم التكليف بكلمة واحدة؛ وهي (**أ لست بربّكم؟** .

قالوا : بلى)[2]، مع أنّه أخذهم من أصلاب آبائهم، كما في الدنيا بالتناكح، ومن بطون أمّهاتهم بالتّوالد على التّدريج، وكلّ من حضَر كلّف، والتكليف ممتدّ بالكلمة الممتدّة؛ مثل نور الشمس لمّا طلعت، استنار بها الجدار، والموضع الّذي ليس فيه جدار لم يستنِر، فإذا بُني فيه جدار استنار، فكذلك (**أ لستُ بربكم**)، بصوت واحد، كل مَن وجد وأرشد خوطب به إلى انقضاء التكليف بخطاب واحد، بكلمة واحدة، كذلك النشأة الأخرى .

وأهل المحشر لا يخفى عليهم هذا المعنى، إلّا أنهم في شغل عن ذلك، إلّا مَنْ كَان مُكلّفاً به في الدنيا، لا بد أن يتفطّنَ في ذلك، لأنه مسؤول عنه، ولو ترك لم يُتْرَك؛ لأنه مسؤول عن التفطّن إنْ غفل عنه، لأنّه مكلّف به، إذ بعض الأشخاص

---

(١) سورة القمر، الآية : ٥٠ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

مكلّف بالعلم، كما دلّ عليه قوله عليه السلام في قوله تعالى : **﴿قُلْ فَلِلَّـهِ الْحُجَّـةُ الْبَالِغَةُ﴾**[1]، ما معناه أنّه تعالـى يقول للعبد يوم القيامة : **(ألـم ءأمُرك، ألـم أنهك؟.**

إن قال : لم أعلم .

قال تعالى : لِمَ لم تعلم، وقد جاءك المذكِّر؟ .

وإن قال : علمت .

قال : لِمَ لم تعمل)[2]، فمن غفل عن التفطّن، و لم يدرك حقائق الأشـياء، وَجَد كلّ حين تعْرض عليه أعمال من أعماله، في وقتها ومكانها، فتعرض الأعمال في أوقاتها المتعددة المتعاقبة، وأمكنتها المتجددة المصاحبة، فالغافل يرى الطُّـول في التجدّد والتعاقب، والتعدّد بالنسبة إلى تَنَقُّلِ نظره إليها، كما إذا نظرتَ إلى ورقة الشجرة، واحدة بعد واحدة، في جهة بدءِ ظهورها، من الغصن إلى نهايةِ تكوّنها، فإن مدةَ استقصائها واحدة بعد واحدة، تطول عليك، بخلاف ما لو نظـرتَ إلى مجموع الورق، من حيث تكوّنه من الشجرة، فإنه بمادّة واحدة، وسبب واحد .

وإنّما تعددت وتعاقبت من جهة أركان قوابلها، كما قرّرنا سابقاً مكرّراً .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٤٩ .

(٢) عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : **(يؤتى بعبـد يوم القيامة ظالم لنفسه، فيقول الله له : ألم آمرك بطاعتي؟، ألم أنهك عن معصيتي؟ .**

فيقول : بلى يا رب ولكن غلبت عليَّ شهوتي، فإن تعذبني فبذنبي لم تظلمني .

فيأمر الله به إلى النار، فيقول : ما كان هذا ظني بك؟ .

فيقول : ما كان ظنك بي؟ .

قال : كان ظني بك أحسن الظن، فيأمر الله به إلى الجنة .

فيقول الله تبارك وتعالى : لقد نفعك حسن ظنك بي الساعة) . [بحار الأنوار، ج٧، ص٢٨٨، ح٤، باب : ١٤ . ووسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣٢، ح٩، باب : ١٦] .

[كيفية أخذ الكتب بالأخذ الظاهري والأخذ الحقيقي]

وقوله : «وأمّا أخذ الكتب ...إلخ»، تفسير منه لأخذ الكتب، وهذا لا يصحّ إلّا إذا أراد بقوله : «وأمّا أخذ الكتب» الكتُب المأخوذة .

وأما إذا أراد أخْذَها فهو ما ذكرناه سابقاً؛ من أن أخذ الكتب في الظاهر، عبارة عن أن الكتب الطيبة، بالأعمال الصالحة، تأتي أصحابها من بين أيديهم، فيَأخذونها بأَيمانهم .

والكتب الخبيثة بالأعمال الخبيثة، تأتي أصحابَها من وراءِ ظهورهم، فتضربهم وتخرق ظهورهم، وتخرج من صدورهم، ويأخذونها بشمائلهمْ .

وأمّا أخذها الحقيقي الذي ظاهره ما ذكرنا من الأخذ المعروف؛ فهو ما أشرنا إليه سابقاً، من كون الكتب عبارة عن نسخ أمثال العاملين، بما هم عاملون له، في غيوب أمكنتها وأزمنتِها، المعبّر عن تلك الغيوب، بالألواح الجزئيّة، من اللوح الكلّي، الذي هو اللوح المحفوظ .

وأخذها عبارة عن لَبْسِ تلك الأمثال، وخروجهم بتلك الملابس بين الخلائق متلبّسين بأعمالهم؛ أي : عاملين بها، فمن لبس مثالَهُ المصلِّيَ للنافلة، خرج بين النّاس يصلّي تلك النافلة، في المكان الّذي صلّاها فيه في الدنيا، في الوقت الذي صلّاها فيه، لأنّ اللّه سبحانه يحشر تلك البقعة، وذلك الوقت، وكذلك جميع أعمال الخير، وأعمال الشرّ، إلّا العمل الخبيث، الذي تاب عنه في الدنيا، توبة نصوحاً، وأصلح بعد ذلك عمله بينه وبين الله، فإن الله ﷻ بفضله يمحوه من المكان والزمان، وينسي الملائكة الحافظين، وإلّا فكل صغير وكبير مستطر؛ **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾**[1] .

[كيفية أخذ كتب النفوس وصحائف القلوب]

وقوله : «فقد علمتَ أنّ كتب النفوس، وصحائف القلوب، بعضها علويّة،

---

(١) سورة الزلزلة، الآيتان : ٧-٨ .

وبعضها يمينيّة، وبعضها شماليّة»، ظاهره أنّ الكتب النفسانية والعقلية قسم ثالث، وذلك بناء منه على أن الكتب اليمينيّة والشماليّة، أمور حسّية؛ لأنها نسخ الأعمال الحسّية، وتؤخذ باليَد اليمني واليسرى، وهما بَدَنيّتان، بخلاف الكتب التي هي نسخ العلوم والاعتقادات، فإنّها من نوع الملكوت والجبروت، فهي قسم ثالث، وهذا ليس بصحيح .

أمّا **أوّلاً** : فلأنّ الكتاب المجيد، والسنّة النبويّة، مصرّحانِ بحصر الكتب في اليمينيَّةِ والشّماليّة، وليس ذلك عن عدم علمٍ، ولا عن غفلةٍ .

وأمّا **ثانياً** : فلأنّ ذلك كما ذكرنا سابقاً، من أن الأجسام إذا تخلّصَتْ من الأعراض الدنيوية والبرزخيّة، أدركت بذاتها الجبروت والملكوت؛ لأنها من نوعه، وإن كانت جامدة لكونها أسفلهما، وأسفل الشيء من نوعه، وإن كان الشيء الأعلى أكمل في مدركه من الأسفل، إلّا أن الشيء الواحد لا تختلف مداركه اختلافاً كثيراً .

وأيضاً يكون ملكوتها وجبروتها، يدركانِ الأجسامَ والجسمانيات بذاتهما، فتكون كتب النفوس، وصحائف القلوب، داخلة في اليمينيّة والشماليّة، **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾**[1]، بأن يبدّل الله سيّئاتهم حَسَنات؛ لأن سيّئاتهم ليسَتْ ذاتيّة، بل هي آثار اللطخ الذي لحقهم، من مجاورة طينة المنافقين، فإذا رجع كلّ شيء إلى أصله، رجعت تلك المعاصي إلى المنافقِين .

وما عمل المنافقون من حسنات، فليسَتْ ذاتيّة، بل هي آثار اللطخ الذي لحقهم من مجاورة طينة المؤمنين .

ومثاله؛ إذا أخذتَ قطعة من الصبر الاسقطري، ووضعتها في شيء من الخلّ الثقيف، فإن ذقتَ الصَّبِرَ، وجدتَ في مرارته حموضة، وإن ذقتَ الخلّ وجدتَ في

---

(١) سورة الانشقاق، الآيتان : ٧-٨ .

حموضته مرارة، فهل تنسب حموضة الصبِرِ إلى الصبر، أم إلى الخلّ؟، وهل تنسب مرارة الخل إلى الخلّ، أم إلى الصبر؟، بل تقطع بأن حموضة الصبر من الخل، ومرارة الخلّ من الصبر، فإذا عاد كل شيء إلى أصله، بحكم العدل الحق، عادت الحموضة كلها إلى الخل، والمرارة كلها إلى الصَّبِرِ، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**[1] .

وعلى هذا فوجه أحاديث الطّينة، ولا تقابلها بالإنكار مع كثرتها، وصحة أكثرها من علم .

[الحساب اليسير ووجوهه الكثيرة]

وللحساب اليسير وجوه كثيرة؛ كالشفاعة، والعَفو والفضل، وبراءة المحبة والولاية، والعفو عمّا نقصت العقوبة عليه عن حقب، وأمثال ذلك كثير، ممّا يطول الكلام ببيانه، بل بذكره **﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾**[2] .

[المراد من الأهل والإخوان في الدين؟]

والمراد من أهله إخوانه في الدين، مِنْ أَقاربِه البَدنيّين والروحانيين، الذين اتّبعوه، أو اتّبعَهم بإيمانهم، وذلك لقوله تعالى، قال نوح في سؤاله في شأن ابنه كنعان : **﴿رَبِّ إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾**[3]، قال : **﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾**[4]، وقال تعالى في تعليم إبراهيم عليه السلام : **﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾**[5]، لأنّ الأنساب والأسباب كلّها تنقطع إلّا ما كان لله تعالى، فينقلب إليهم مسروراً بما هو قادم

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الانشقاق، الآية : ٩ .

(٣) سورة هود، الآية : ٤٥ .

(٤) سورة هود، الآية : ٤٦ .

(٥) سورة إبراهيم، الآية : ٣٦ .

عليه، مما بُشِّرَ به، وأُعِدَّ له؛ لأنّه المؤمن السعيد، الّذي قلبه مُنوَّر بنُور الإيمان، لأنّه كتبَ في قلبه الإيمان، وأيّده بروح منه، وهو نور الحياة في قوله : **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾**[١]، فكان قلبه مطهّراً من الأخباث الباطنة؛ كالشرك الظاهر والباطن، والاعتقادات السّيّئة، والظنون السوء، ومن كدورات الغفلات، وذحلِ السريرة -بالذال المعجمة، والحاء المهملة- بمعنى الحقد -بكسر الحاء- بأن لا يكون في قلبه غلّاً للذين آمنوا، بل هو صافي السريرة، حسن السيرة، مع الله تعالى بالإخلاص، وذكره على كل حال، وبالرضى بقضائه، وبالصّبر على بلائه، ومع النَّفْسِ بألّا يمكّنَها من شهواها و لم يهملها، بل قيّدها بقيود الشريعة، ورَاضَهَا بالطّاعات، حتّى اطمأنّت بمتابعة العَقْلِ في جميع مطالبه، ومع الناس بألّا يكون له حساب مع أحد من الخلق، ولا تعلّق عليه لأحدٍ منهم ولا له، فيكون شاغلاً له عن التوجّه إلى عالم القدس، بالعمل الصادر عن العلم العَياني، ودوام الذكر، وكثرة الفكر في خلق الله، وفي الموت، والجنّة والنار، فإن تفكّر ساعة خير من عبادة سنة[٢]، وإدامة النّظر والاعتبار في آيات الله، التي يُري عباده إيّاها في الآفاق وفي أنْفسهم[٣]، والتدبر لكتاب الله، والعمل بما أمر الله، والانتهاء عما نهى عنه، وإدامة التقرب إلى الله تعالى بالنوافل[٤]، والتخلّق بأخلاق الروحانيّين، والتأدب بآداب الله تعالى، ولأجل كون

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٢٢ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : **(فِكْرُ ساعة خير من عبادة سنة)** . [مصباح الشريعة، ص١١٣، باب : ٥٣ في التفكر . عوالي اللآلي، ج٢، ص٥٦، ح١٥٢، المسلك الرابع . بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٢٧، ح٢٢، باب : ٨٠] .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ﴾** . [سورة فصلت : الآية : ٥٣]

(٤) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

ما عمله وصنعه في دار الدنيا، عن علم ذوقي، ومعرفة يقينية، قال للملائكة أو لأولياء الله عليهم السلام : ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ﴾[١]، فهو بأعماله التي تفضّل الله عليه، بقبولها في عيشة راضية، أي : مرضيّة، ففاعل بمعنى مفعول، مثل ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[٢]، على أحد الوجوه في جنّة عالية، وقد تقدّم ذكر الجنان، وأسماؤها وترتيبها .

[معنى الظن على رأي المصنف قدس سره وفائدة عدوله عنه]

وقوله : «إذِ الظنّ هيهنا، بمعنى الجزم واليقين»، معلوم بيانه ولا بيان نكتة فيه، وبيان النكتة في قوله : ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ﴾[٣]، مع أنه متيقّن، فينبغي أنْ يقول : إني علمت، أو تيقّنت .

وإنما عدل إلى الظن لفائدة؛ هي أنّه يريد أنّ عملي هذا الصالح الّذي هو سبب نجاتي، أَعْلَمُ وأتيقن أن التوفيقَ له نعمة من الله عليَّ، لا أقدر على أداء شكرها، وإنّ قبوله مني نعمة أخرى، وإنّ وعده تعالى لي بحسن المجازاة نعمة أخرى، وإنّي لا أستحقّ شيئاً من ذلك ولا غيره إلّا برحمة منه، وفضلٍ ابتدائي، ومع هذا كله إذا شاء أن يُعذبَني فهو غير ظالم لي، وأني مستحق لأعظم من ذلك، ولكن تصديقاً لوعده في كتابه؛ أنه لا يضيع عمل عامل[٤]، وحسن ظنٍّ به،

---

(١) سورة الحاقة، الآيتان : ١٩-٢٠ .

(٢) سورة هود، الآية : ٤٣ .

(٣) سورة الحاقة، الآية : ٢٠ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ...﴾ . [سورة آل عمران، الآيتان : ١٩٤-١٩٥]

وعظم رجاء في كرمه، ظننتُ بعظيم أملي ورجائي النجاة، وذلك كما قال زين العابدين عليه السلام في السجود بعد الثّمان من صلاة اللّيل، قال : (**إلهي وعزّتك وجلالك وعظمتك، لو أنّي منذُ بدَعْتَ فِطْرتي، من أوّل الدهرِ عبدتُك، دوامَ خلودِ ربوبيّتك، بكلّ شَعْرةٍ في كلّ طرفة عين، سرْمدَ الأبَد، بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين، لكنتُ مقصّراً في بلوغ أداء شكر خفيٍّ، نعمةً من نِعَمك عليَّ، ولو أنّي كربتُ معادنَ حديدِ الدنيا بأنيابي، وحَرثْتُ أرضَها بأشفارِ عينيّ، وبكيتُ من خشيتك، مثل بحور السماوات والأرضين دَماً وصديداً، لكان ذلك قليلاً في كثيرِ ما يجب مِن حقّكَ عَلَيَّ، ولو أنّك يا إلهي عذّبتني بعد ذلك بعذابِ الخلائق أجمعين، وعظّمْتَ للنارِ خَلْقي وجسمي، ومِلئتَ جهنّم وأطباقها منّي، حتّى لا يكون في النار معذّب غيري، ولا يكون لجهنم حطَب سواي، لكان ذلك بعَدْلك قليلاً في كثيرِ ما أَستَوْجب من عقوبتك**، ...)[1]، فتأمّل في كلامه عليه السلام هذا الّذي لا يحتمله غيرهم، إلّا من شاؤا .

ومثله ما روي عن الصادق عليه السلام ما معناه، أن النبي إلياس عليه السلام، سجد وبكي، فأوحى الله إليه أَن ارفع رأسك فإنّي لا أُعذِّبُكَ؟ .

فقال : (**يا ربّ إن قلتَ لا أعذّبك ثم عذّبتني أ لستُ عبدك؟**، ...)، رواه في الكافي[2]، والآن لا يحضرني لفظه، فتأمّل -رحمك الله- في كلام المقربين، مثل هذا وأمثاله .

---

(١) الصحيفة السجادية، ص٥٣٥، في دعاؤه عليه السلام في سجدة الشكر . مفتاح الفلاح، ص٢٤٥ .

(٢) عن المفضل بن عمر قال : أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا، فدخلنا عليه فقلت : أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك؟.

...←

ومن فهم ما ذكرنا، وما أشاروا عليهم السلام إليه، عرف أن الأنسب أن يقال : إنّي ظننتُ أنّي ملاق حسابيه .

وكقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١]، فكيف يعلمون أهم ملاقوا رهم، والله تعالى يقول : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٢]، فالظن في الظاهر؛ بمعنى الجزم، وفي نفس الأمر على ظاهره، ليستحقوا من الله عز وجل المدح بقوله : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٣]، وكم من سرٍّ في الألفاظ في القرآن، المراد منها غير ظاهرها، ولكن إذا اقتضى المقام ذكر شيء منها ذكرته، بنحو ما تفهمه الخواصّ، وربّما لا أذكره بما يفهمه الخصيصون، إلّا قليلاً على جهة الإشارة؛ لأن هذا

→...

فقال : **(نعم ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت : كما كان يقول : في سجوده،** -إلى أن قال عليه السلام- : **فقال : كان يقول في سجوده : أتراك معذبي وقد أظمأت لك هواجري، أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي، أتراك معذبي وقد أجتنبت لك المعاصي، أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي.**

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فإني غير معذبك .

قال : فقال : إن قلت : لا أعذبك ثم عذبتني ماذا؟ أ لست عبدك وأنت ربي؟ .

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، إني إذا وعدت وعداً وفيت به) . [أصول الكافي، ج١، ص٢٢٧، ح٢، باب : أن الآئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها . قصص الأنبياء للجزائري، ص٣٥٩ . بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٩٣، ح١، باب : ١٦] .

(١) سورة البقرة، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة المطففين، الآية : ١٥ .

(٣) سورة المؤمنون، الآية : ٦٠ .

الزمان زمانُ دَوْلةِ الباطل «عجّل الله فرجَ»، مَنْ يملأها قِسطاً وعدلاً، كما مُلئت ظلماً وجوراً، فحينئذٍ أَكُون إنْ شاء الله كما قلت في قصيدة رَثَيْت بها الحسين عليه السلام[١] :

هُناك ابنُ زين الدين أحمدُ يشتفي وذلِك أمرٌ في أحاديثكم سِرُّ

[بيان معنى من يأتى كتابه بشماله]

وقوله : «في قوله تعالى : **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ﴾**[٢]»، فقد مَضَى ما يبيّنه، والآية نزلت في الرابع، ولم أدر ما حسابيه، بل كنتُ تراباً، أو لم أُخْلَق، ويا ليتَ ما جرى عليَّ من شتات الموت، وسؤال القبر، وعذاب البرزخ، كانت قاضية في العقوبة والمجازاة، عن هذه الأهوال، وشتات الحساب، والعذاب في الجحيم .

وإنما كان ذلك منه وجرى عليه، لَيْسَ لكثرة اشتغاله بالدنيا ولذّاهّا، وتلهّيه عن الآخرة وسرورها وخيراهّا، بل لعدم إيمانه بالآخرة، حتى أنّ من نزلت هذه الآية في حقه، لّما حضرته الوفاة، قالت له زوجته : إنّي لا أتزوّج بعدك، وهي تريد حتى تكون أنت زوجي في الآخرة، فانشأ يقول :

إذا مُتُّ يا أُمَّ الحُمَيرِ فأَنكحي فليس لنا بعد الممات تَلاقيا

وإنْ كنتِ قد خُبِّرْتِ عن مَبْعثٍ لنا أَحاديث لهو تجعل القلبَ واهِيَا

ومثله قال أبوه : وقد دخل على الثالثِ في أول خلافته في المسجد، فقال : يا ابن أخي [هل] علينا [من] عين؟ .

قال : (لا .

---

(١) ديوان الشيخ الأوحد الأحسائي قدس سره، ص٤٠٣، القصيدة : ١١، بيت : ٦٤ .

(٢) سورة الحاقة، الآية : ٢٥ .

قال : تداوَلوا الخلافة يا فتيان بني أميّة، فوالذي نفس أبي سفيان بيده، ما من جنّةٍ ولا نار[١]، فإذا كان لا يؤمن بالآخرة ولا يخافها، لم يعمل لها، فكان جميع أعماله للدّنْيا على مقتضى شهوة نفسه وهواها، فاقتضى العدل الذي جرت عليه الخليقة، إعطاء كلِّ [ذي] حَقٍّ حقّه، على حسب القوابل، فأعمال الآخرة بالعقل الذي هو الجانب الأيمن، يأخذها العامل لها بيمينه، ومن أَمامه .

وأعمال الدّنيا بالنفس وهواها، التي هي الجانب الأيسر، فيأخذها العامل لها بشماله، ومن وراء ظهره، كما ذكرنا سَابقاً .

والدّنيا ممَرٌّ، والآخرة مقرّ، والمقرّ أطول من الممَرّ وأدوم، فإذا كانت الآخرة جاء من لم يعمل لها شيئاً، لأنّها عنده عدم، وليس عنده شيء من الزاد لدارِ مقرّه، الذي لا نهاية له ولا غاية، ويرى ما أعدّ له من لوازم أعماله ومسبّباتها، من العذاب الأليم الدائم الذي لا ينقطع، وكان قد هُدِي إلى النجاة، والنعيم الدائم، فاستحبّ العمى على الهدى، والهلاك على النجاة، مع قدرته على ما ينجيه، وتمكّنه منه، فلذا قال : ﴿**يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ ...**﴾[٢] .

[أقسام أخذ الكتاب ومعنى الكتاب]

وقوله : «﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَى سَعِيرًا**﴾[٣]»، قد قدّمنا عليه أنّ كلامه يحتمل أن الأقسام في أخذ الكتاب ثلاثة؛ مَن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله، ومن أوتي كتابه وراء ظهره، وقد تقدّم رَدُّهُ .

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص٤٠٩ . وفي بحار الأنوار، ج٤٤، ص٧٨، مثله .

(٢) سورة الحاقة، الآيات : ٢٥-٢٦-٢٧ .

(٣) سورة الانشقاق، الآيات : ١٠-١١-١٢ .

ولو أراد أنّ مَن أوتي كتابه بشماله؛ قسمان : قسمٌ يؤتى كتابه بشماله لا غير، بأن يؤتي كتابه من أمامه أو مطلقاً، فيأخذه بشماله .

وقسم يأتيه من ظهره، فيضربه ويخرق ظهره وصدره، فيأخذه بشماله، لكان محتملاً، إلّا أنّي لم أقف صريحاً، أو احتمالاً راجحاً ما يدلّ عليه .

وأما ذكره من توجيهه فيما بعد هذا، فتخريج صوفي[1]، لا يدلّ عليه كتاب ولا سنّة .

ثمّ أنّ من أوتي كتابه بشماله لا يقدر على أن يأخذَهُ بيمينه؛ لأن يمينه مغلولة إلى عنقه، حيث لم يُطْلِق جِهَتَها في دار الدنيا بالعمل الصالح .

[معنى الثبور الوارد في الآية الشريفة]

وقوله : «﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾[2]»، أما دعوة الثبور؛ فلتعلّق نفسه بالأمور الهالكة الفانية، فيعني به أن اعتمادَهُ في دار الدنيا كان على شهوات نفسه، واتّباع هواها، وحظّ ذلك وأمثاله من التحقق والبقاء مدة تمّتعه بها، فإذا كان توهم أنه أحسن الصنع، وهو قد طلب الرِّيَّ من السراب، جاءه يوم القيامة و لم يجده شيئاً، وذلك وقت انقطاع التدارك والتلافي، ولم يبق إلّا الندم والحسرة، دعوا وا ثبوراه، وا هَلاكاه، وا حسرتاه .

[معنى صلي السعير]

وقوله : «وأمّا صلي السعير، فلكون كتاب الفجّار المنافقين، من جنس الأوراق المسوّدة الباطلة، القابلة للنسخ والتبديل والتغيير، اللائقة للاحتراق بنارِ

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الانشقاق، الآيات : ١٠-١١-١٢ .

السَّعير»، فما أدري ما يفهم من الكتاب، وظاهر كلامه أنّه يريد أنّ الكتاب شيء من نوع القراطيس، ولهذا قال : «من جنْسِ الأوراق»؛ يعني شيئاً تكتب فيه الأعمال، كتابة من جنس كتابتِنا لكلامنا، فتأمّل في فهم مدّعي الأسرار، والاطلاع على حقائق الأشياء، مع أنّ الكتاب هو ما يكتب في القرطاس، لا القرطاس، كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۞ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[2] .

وكلامه هذا في الكتاب كلام عوامّ النّاس وفهمهم، ومع هذا فهو عنده غير معلوم؛ لأنه قال : «من جنس الأوراق المسوّدة»، ولأجل أنه ما يفهم من معنى الكتاب إلّا ما تفهمه العوام، قال : «القابلة للنسخ والتبديل»، أخذه من لفظ قوله تعالى : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، «والقابلة للتبديل والتغيير، تليق للاحتراق»؛ أي : الكتب، مع أنّ المراد من الآية؛ أن صاحب الكتاب هو المحترق بنار السعير لا الكتاب، فانظر هذا الخبط العظيم، من هذا العالم الحكيم، الّذي يدّعي أن جميع نتائج علومه من عند الله، من باب الاختصاص، لا من باب التعلّم.

[قول المصنف تَدَّسُّ بأن : الكافر المحض فلا كتاب له والمنافق سلب عنه الإيمان ...إلخ]

قال : «وأما الكافر المحض، فلا كتاب له، والمنافق سلب عنه الإيمان، ولا تقبل منه صورة الإسلام، كما يقبل من العوام والضعفاء، ويقال في حقّه : ﴿كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾[4]، فيدخل فيه المعطّل، والمشرك والجاحد؛ لأن المنافق في

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٧ .

(٢) سورة الطور، الآيتان : ٢-٣ .

(٣) سورة الجاثية، الآية : ٢٩ .

(٤) سورة الحاقة، الآية : ٣٣ .

باطنه واحد من هؤلاء الثلاثة، إذ لا تنفع له هناك صورة الإسلام الظاهري كما مرّ .

واعلم أن هذا الكتاب غير كتاب أعمال الفجار؛ لأنه كتاب الذين أوتوا الكتاب، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، وهو الكتاب المنزل عليه، لا كتاب الأعمال، فإنه حين نبذه وراء ظهره، ظنّ أن لن يَحُور؛ أي : جزم كما في قوله : ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ**﴾[١] .

فإذا كان يوم القيامة، قيل له -أي للمنافق- خذ كتابك من وراء ظهرك؛ أي : من حيث نبذته في حياتك الدّنيا، كما في قوله تعالى : ﴿**قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾[٢]»[٣] .

[الفرق بين الكافر والمنافق]

أقول : قوله : «وأمّا الكافر المحض فلا كتاب له»، غلط؛ لأن الكتاب إن أراد به كتاب الأعمال، فإن الكافر إنسان، وقد قال سبحانه : ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ**﴾[٤]؛ يعني كتابه .

وإن أراد به الكتاب الذي أنْزَله على رَسُولٍ من رُسله، فلم يهلك الله ﷻ أمّة من الأمم إلّا بعد أَنْ يأتيهم نذير، وبَعْدَ أَنْ ينبذوا كتابه وَراء ظهُورهم .

فالكافر بكل اعتبار له كتاب، والمنافق؛ من أظهر الإسْلام، وأبطن الكفر، فمِنْ حيث كونه مُنْكِراً هو كافر، ومن حيث كونه مُظْهِراً للإسلام، حينئذ لا تنفعه هذه الصورة، من حَيْث أنه معتقد خلاف ما يظهر، ولهذا كذّبهم الله فيما يظهرون من الإسلام، فقال : ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[٥] .

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٢٣ .

(٢) سورة الحديد، الآية : ١٣ .

(٣) كتاب العرشية، ص٨١ .

(٤) سورة الإسراء، الآية : ١٣ .

(٥) سورة المنافقون، الآية : ١ .

ولو كان ظاهر الإسلام الذي تلفّظ به، فيه شيء من النفع الأخروي، وإنْ قلّ لَما كذّبهم ﷻ .

والمنافق أيضاً يقال في حقه، أي : يصدق أنه كان لا يؤمن بالله العظيم، بل إنّما نزلَتْ هذه الآية في منافقٍ رابعٍ، فيدخل في هذه الآية المعطّل والمشرك والجاحد .

والمنافق واحد منهم، بل صادق عليه كل واحد من الثّلاثة، فإنّه معطّل وجاحد؛ لإنكاره المرسل والرّسالة، ومشرك لجعله إلهه هواه، وهذا المعنى الّذي أشارَ إليه المصنّف، من أنّ المنافق واحد من هؤلاء صحيح .

وأمّا أنّه ليس له كتاب فليس بصحيح .

وأمّا أنّ الكتَاب الّذي يؤتى من وراء ظهره؛ فهو الكتاب المنزّل لا كتاب الأعْمال، فليس بصحيح .

وإنّما هذا المعنى من تَخْرِيج الصُّوفيّة[1]، المنهي عن اتّباعهم، وتصحيح كلامهم وتأويله .

[المراد من الكتاب الذي يؤتى به من وراء الظهر]

وقوله : «واعلم أنّ هذا الكتاب»؛ يعني به الذي يؤتى من وراء ظهره ...إلخ، يريد به بَيان هذا المعنى المخرّج من قوله تعالى : **﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ كِتَابَ اللّهِ وَرَاء ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[2] .

فالمصنّف يريد أن الكتاب الذي يؤتى الإنسان وراء ظهره، هو كتاب الله، الذي أوحاه إلى نبيّه ﷺ؛ لأنّه لّما أعرض عن قبول مَا أنزل الله تعالى فيه، من أوامره ونواهيه، ونبذه وراء ظهره؛ أي : رماه خلفه، بأن جعله نسياً مَنْسِيّاً، و لم

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠١ .

يعمل بشيء يؤتى له به من المكان الذي رماه فيه، ليكون حجة عليه، وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه، إلّا أنّه ليس هو المراد من قوله : ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ**﴾[١]؛ بل المراد به كتاب الأعمال، كما ذكرنا سابقاً في قول كثير من المفسّرين : أنّ المنافق والمشرك، يؤتَى له بكتاب أَعْماله، فيأتيه من خَلْفِه، فيضرب ظهره فيخرقه، ويخرق صدره، ويأخذه بشماله .

ومعنى كلام المصنف، وإن كان غير ما نحن بصدده، يقال للمنافق : خذ كتابك الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله، الذي أرسله إليك، ليهديَك به، وبكتابه إلى صراطٍ مستقيم، فخذ ذلك الكتاب من المكانِ الّذي جعلتَهُ خلف ظهرِك فيه، وفي ذلك الوقت، وكان قد حشر الله الأمكنة والأوقات، لتشهد بما فيها على العاملين فيها أولهم، كما ذكرنا سابقاً على حدّ ما حكي سبحانه عن المنافقين، حين سلبت عنهم أنوار الإيمان، فكانوا يوم القيامة في ظلمة النفاق، فيقولون للمؤمنين، الذين كانوا معهم في الدنيا ويعرفونهم : ﴿**انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ**﴾[٢]، فيقول لهم المؤمنون أو أولياؤه عليهم السلام، أو الملائكة، ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ**﴾[٣]، حيث قُسِمت الأنوار، ﴿**فَالْتَمِسُوا نُورًا**﴾[٤]، ولم يقولوا لهم : فالتمسوا أنواركم، إذ لا نورَ لهم أصلاً، بخلاف المؤمنين، فلذا قيل : نقتبس من نوركم؛ لأن تلك الأنوار أنوار المؤمنين، أنوار اعتقاداتهم ومعارفهم، وإيمانهم وأعمالهم .

(١) سورة الحاقة، الآية : ١٠ .

(٢) سورة الحديد، الآية : ١٣ .

(٣) سورة الحديد، الآية : ١٣ .

(٤) سورة الحديد، الآية : ١٣ .

[قول المصنف تتئرل : وأما وضع الموازين، فالميزان عبارة عن معيار صحيح ...إلخ]

قال : «وأمّا وضع الموازين، فالميزان عبارة عن معيارٍ صحيح، يعرف به قدر الشيء ووزنه، سواء كان آلة محسوسة مخصوصة أو غيرها، وميزان كل موزونٍ من جنسه، وإن لم يساو ميزان الآخرة لميزان الدنيا، ولا موازين العلوم والأعمال لموازين الأجرام والأثقال، كما لا يساوي ميزان الحنطة والشعير، والإقط والدبس، لميزان الشعر، كالعروض .

وميزان الفكر كالمنطق، وميزان الإعراب والبناء كالنحو، وميزان مقادير الساعات كالاسطرلاب[1]، أو الارتفاعات والأعمدة، كالشاقول والدوائر، والاستدارات كالپركار، والأضلاع والاستقامات كالمسطرة، والعقل ميزان الكل»[2] .

[معنى وضع الموازين وتعريف الميزان عند الشارح تتئرل]

أقول : وضع الموازين إنزالُهَا وإظهارها لإقامة العدل بين الخلق، والمراد بوضعِ الموازين الموازين الموضوعة، ليطابق التّفسير المفسّر، كما هو عادته في أغلب عباراته .

والميزان آلة يُسْتَعْلَم بها الرّاجح من المرجوح، من أفراد الأجناس والأنواع، والأصناف والأشخاص، وتلك الآلة تكون من جنس الموزون بها، والشيء الواحد الموزون إذا أريد بوزنه كمال الإحاطة به، وجب تعدّد موازينه، فيوزن في كمّ مادته، بأنها خمسة أمنان، أو عشرة، وجوهرها بأنّها ذهب أو فضة، أو خشب أو

---

(١) **الاسطرلاب** هو : «الآلة التي يعرف بها الوقت» . [معجم لغة الفقهاء، ص١٩، مادة : «اسطرلاب» .

(٢) كتاب العرشية، ص٨١ .

تراب، وفي صفة نفسها، بكونها صافية أو لا، وببقائها وعدمه، وفي رتبتها في الأكوان من الملك، أو الملكوت، أو الجبروت، وفي وقت تكوّنها، ومدّة بقائها .

وكذلك موازين ألوانها، كحجري ياقوت، كلّ منهما أحمر، وكل واحد منهما مثقال، **وأحدهما** : قيمته عشرة دنانير، **والآخر** : قيمته ألف دينار .

وكذلك موازين صورته وهندستها، وحدودها ومتمماتها، فإن موازينها متعددة كموازين المادة .

وكذلك موازين هذا الشيء المذكور، في كونه ذاتاً، أو ذاتَ ذات، أو عرضاً، أو عرضَ عرضٍ، وهكذا كلّ عمل تجري فيه هذه الموازين المتعددة، وهو السر في أفراد العامل، وجمع موازينه في قوله : **﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾**[١]، **﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾**[٢] فافهم، وذلك قول المصنف : «معيار صحيح، يعرف به قدر الشيء ووزنه، سواء كانَ آلةً محسوسة مخصوصة أو غيرها، وميزان كلّ موزُونٍ من جنسه»، وهو صحيح .

[هل أن موازين الدنيا والآخرة شيء واحد أم لا؟، وكيفية وزن الأعمال؟]

وقوله : «وإن لم يساو ميزان الآخرة لميزان الدنيا»، هذا في الظاهر لا بأس به، وأمّا في الحقيقة الكونية، وفي نفس الأمر، فهما متساويان، ليس بينهما فرق في الوجود والعدم، نعم بينهما فرق في الشدّة والضّعف، والظّهور والخفاء، ويشير إلى هذا قوله تعالى : **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾**[٣] .

وقوله : «ولا موازيْن العلوم والأعمال، لموَازين الأجرام والأثقال»، هذا صحيح لتغاير الميزانَيْن، فينبغي أن يفصل بين تغاير ميزاني الآخرة والدنيا، وبين

(١) سورة الأعراف، الآية : ٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٩ .

(٣) سورة الإسراء، الآية : ٢١ .

تغاير ما ذكر؛ لأن التغاير بين ميزاني الدنيا والآخرة صوري، وإلّا فهمـا شـيء واحد، لا تغاير بينهما، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله : (**حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا**)[1]، إذ لو تغاير الميزانَانِ، لَما كان حساب الدنيا كافِياً عـن حسـاب الآخرة .

وباقي كلامه في اختلَافِ صور الموازين، بـاختلاف الموزونـات، ظـاهر كموازين العلوم بالقواعد والضوابط، وموازين الأعمال الإتيان بها علـى طبـق حدود الله، من أوامره ونواهيه .

وموازيْن الأجرام الفلكيّة، بالأبعاد المقداريّة، والموازاة والخطوط المسـتقيمة، وما أشبه ذلك .

وموازين الأثقال بالمعايير الصنجيّة، لمحض الأثقـال كمـا في وزن الحنطَـة والشعير، أو لتعديل الطبائع، كما قلنا : أن الحاجة إلى الماء أكثر من الحاجـة إلى الطعام، فإذا أريد ذلك أخذ من النار جزء، ومن الهواء جزء، ومن التراب جزء، ومن الماء جزءانِ .

وميزان الشعر بضبط الحركات، كما هو مذكور في علم العروض، في دوائر البحور؛ كالطويل والبسيط والكامل، وما أشبهها .

وميزان النحو بمعرفة العامل، وما يقتضيه من الإعْراب .

وميزان الفكر والنظر في المعاني والمفاهيم، بما قرّر في علم المنطق .

وميزان الساعات والارتفاعات بالآلةِ المعروفة؛ كالاسـطرلاب[2] والربـع المُجَيَّبِ والكرة .

---

(١) مصباح الشريعة، ص٨٦، باب : ٣٨ . بحار الأنوار، ج٦٧، ص٧٣، ح٢٦، باب : ٤٥ . وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٨٠، ح٩، باب : ٩٦ .

(٢) راجع معناه الصفحة (١٨٦) من هذا الكتاب .

وميزان الأعمدة في تقوّمها واعوجاجها؛ كالشاغول المستعمل لتعديل الأرض، وإجراء الأنهار .

وميزان الدوائر والاستدارات؛ كالپركار المعروف بالفرجار .

وميزان الأضلاع والاستقامات في الخطوط، والاعوِجَاجات؛ كالمسطرة والبصر، ومسقط الحجر، وما أشبه ذلك، والعقل هو ميزان الموازين، إذ لا يعرف صحيحها من سقيمها، ومعوجّها من مستقيمها إلّا بالعقل؛ لأنه في كل شيء نور الهداية، وباب الدراية .

[قول المصنف ﷳ : بأن ميزان الآخرة نوع آخر من الموازين ...إلخ]

قال : «وبالجملة؛ ميزان القيامة، نوع آخر من الموازيْن، فتوزن به الكتب والصحائف، وتجعل فيه، وممّا ورد في هذا الباب عن أئمتنا عليهم السلام، ما رواه عن محمد بن علي بن بابويه، أنه سئل هشام بن سالم، عن قول الله عز وجل : ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾[1]؟ .

قال : (**هم الأنبياء والأوصياء** عليهم السلام)[2] .

واعلم أن كل عمل بدني أو قلبي، وكل ذكر أو نيّة، يوضع في الميزان، ويدخل فيه، ويقابله شيء إلّا كلمة التوحيد، من قول : لا إله إلّا الله مخلصاً؛ لأن كل عملٍ له مقابل في هذا العالم، عالم التضادّ .

وليس للتوحيد مقابل إلّا الشرك، وهما لا يجتمعان في ميزان واحد؛ لأنّ اليقين الدائم لا يجامع مع نقيضه في قلبٍ واحد، ولا يتعاقبانِ على موضوع، كما أومأنا إليه من أن نَفْس المؤمن الموحّد بحسب الجوهر، والذات تخالف نفس الكافر، مخالفة نوعية، فضلاً عن الشخصية، فليست للكلمة ما يقابلها في الكفّة

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٤٧ .

(٢) أصول الكافي، ج١، ص٤١٩، ح٣٦، باب : في نكت ونتف من التنزيل في الولاية. معاني الأخبار، ص٣٢، ح١، باب : الموازين التي توزن بها أعمال العباد .

الأخرى، من قول أو عملٍ، أو نيّة، فضلاً عن أن يرجح عليها، كما يدلّ عليه حديث صاحب السِّجلّات، ولهذا روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : (**كما لا ينفع مع الكفر شيء، لا يضرّ مع الإيمان شيء**)[1] .

وروى أبو الصامت عنه عليه السلام : (**أن الله يغفر للمؤمن، وإن جاء بمثل ذا، ومثل ذا، وأومأ إلى القباب .**

قلت : وإن جاء بمثل تلك القباب؟ .

فقال : أي والله، وإن كان بمثل تلك القباب، إي والله مرّتين)[2] .

وفي رواية عن النبي صلى الله عليه وآله فقال : (**وإن زنا، وإن سرق**) .

واعلم أن أعمال الجوارح خيرها وشرّها، كلها مما يدخل في الموازين، وأمّا الأعمال الباطنة، فلا يدخل الميزان المحسوس، لكن يقام فيه العدل، وهو الميزان الحكمي المعنوي، فالمحسوس يوزن بالمحسوس، والمعنى بالمعنى، فلذا توزن الأعمال من حيث ما هي مكتوبة .

وآخر ما وضع في هذا الميزان، قول الإنسان : الحمد لله، وبه يملأ الميزان، وإليه الإشارة فيما قال صلى الله عليه وآله : (**الحمد لله يملأ الميزان**)[3] .

ومن اللطائف الكشفيّة، أنّ كفّةَ ميزانِ كل أحدٍ، بقدر عمله، لا زيادة، ولا نقصان»[4] .

[رد الشارح قدس سره كلام المصنف قدس سره]

أقول : قوله : «ميزان الآخرة نوع آخر من الموازين»، قد ذكرنا قبل هذا، أنّ موازين الدنيا وموازين الآخرة شيء واحد، لا اختلاف فيه، إلّا في الشّدة

(١) بهامش الإفصاح، ص٣٠ . والخرائج والجرائح، ج١، ص٣٣١ . وسائل الشيعة، ج٣، ص٢٣ .
(٢) كتاب المؤمن، ص٢٣، ح٦٦ .
(٣) وسائل الشيعة، ج٧، ص١٨٥، ح١، باب : ٢١ .
(٤) كتاب العرشية، ص٨٢ .

والضّعف، والظهور والخفاء، والكبر والصغر؛ لأن الميزان المحسوس في الدنيا، عين المحسوس في الآخرة، والمعنوي عين المعنوي، فلا فرق بينها في النشأتين، وتعدّدها في الدارين، إنما هو لاختلاف الموزونات وتعددها، كما ترى ذلك في الدنيا .

[معنى الأعمال عند المصنف ﵀ ورد الشارح ﵀ عليه]

وإنما قال : «فتوزن به الكتب والصحائف»؛ لأن الأعمال عنده أعراض، فلا توزن بنفسها، بل تكتب في صحائف، وتوزن تلك الصحائف، وأنت خبير بأنّ وزن صحائف الأعمال، لا يُستعلم منه وزن الأعمال على مراده، إلّا مجازفة لا تليق بالعدل المستقيم، إلّا أنّه لّما لم يقل بتجسيم الأعمال بأنفسها، كما قاله بعضهم، أو توزن هي بلحاظ الأمر أو النهي، مطابقة أو مخالفة، كما هو مختارنا .

وقد ثبت وزن الأعمال، ووضعها في كُفّتي الميزان، لم يجد له بُدّاً من القول، بأن وزنها في صحائفها، ومنشأ الاختلاف الآيات الدالّة على أنّ الثواب والعقاب هي الأعمال؛ مثل ﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[١]، ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾[٢]، ومثل ﴿**إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ**﴾[٣] .

وعلى أنّ الأعمال سبب الثواب والعقاب، مثل ﴿**كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾[٤] .

وكذلك اختلاف ظاهر الروايات، وأيضاً اختلاف ظاهرها في ميزان الأعمال، وأنه هل هو ذو كفّتين أم لا؟، وإنما هو ولاية أمير المؤمنين ﵇، أو الأنبياء والرسل والحجج ﵈، وذكر ذلك كله و تفصيله مما يطول به الكلام، بل لا يقتضيه المقام؛ إلّا أنه لا بدّ من التلويح إلى ذلك، بذكر كلماتٍ من باب

(١) سورة الصافات، الآية : ٣٩ .

(٢) سورة النجم، الآية : ٣٩ .

(٣) سورة الدخان، الآية : ٥٠ .

(٤) سورة الحاقة، الآية : ٢٤ .

دليل الحكمة، يعرف بها الحق من كان ﴿لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[١]، وذلك أنه قد ورد : (**أن الأعمال صور الثواب والعقاب**)، فتتفاوت صورة صلاة ركعتين من زيد، ومن عمرو تفاوتاً أبعد مما بين الأرض والسماء، وإن كانت المادة واحدة، كما تتفاوت صورة السرير من الخشب الواحد من نجّارين، بحيث تكون قيمة **أحدهما** : خمسة، **والآخر** : خمسين .

[معنى أحسنية العمل]

ولو كان ما قيمته خمسة من الخشب، وما قيمته خمسين من الحديد أو النحاس، لكان تفاوت القيمة منسوباً إلى المادّة، فلا يصدق قوله : ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢]، إذ معنى أحسنيّةِ العمل، ليس إلّا من جهة الصورة الّتي هي عمل المكلّف مع وحدة المادّة، فإذا كانت المادة واحدة، وعمِل المكلّفون فيها، صحّ ابتلاؤهم بالأحسنيّة في أعمالهم، ولم يوجّه إليهم إلّا الأمْر والنهي، الحاملانِ للمادّة التي يكون عمل المكلف صورة لها، وهذه المادّة التي وردت بها الأوامر والنواهي؛ هي المعاني الّتي دلّت عليها ألفاظ الأوامر والنّواهي، أو ما يقوم مقامها، فالأعمال الموافقة لتلك الأوامر والنواهي، في انطباقها على المعاني المشار إليها، هي صور الثواب، والأعمال المخالفة لتلك الأوامر والنّواهي، لعدم انطباقها عليها؛ هي صور العقاب، والموادّ هي تلك المعاني .

[من أي شيء خلق الثواب والعقاب؟]

فالثواب خلقه الله تعالى من مادة؛ هي تلك المعاني، ومن صورة؛ هي عمل المكلّف بموافقة الأمر .

والعقاب خلقه الله تعالى من مادة؛ هي مخالفة تلك المعاني، ومن صورة؛ هي عمل المكلّف بمخالفة الأمر .

---

(١) سورة ق، الآية : ٣٧ .

(٢) سورة الكهف، الآية : ٧ .

[الأوزان أنواعها وشرح كل نوع]

فللوزن يومئذٍ أحوال، ينقسم بسببها وزن العدد، ووزن القيمة، ووزن الرتبة، ووزن الجهة، ووزن الوقت، ووزن مدّة البقاء والابتداء والانتهاء، ووزن المكان، ووزن الكيف، ووزن الكم في المقدار، وفي إيجاد الثواب والعقاب .

فوزن العدد؛ معرفة عدد الأعمال الحسنة والسيّئة .

ووزن القِيْمة -بكسر القاف، وسكون الياء- استعلام مقدار ما يستحقّ العامل بعمَله؛ من الحسنات والدرجاتِ، أو من السيّئات والدركات .

ووزن الرتبة؛ استعلام رتبة العمل من الدرجات أو الدركات .

ووزن الجهة؛ استعلام جهة العمل من العامل، مثل ما يستحق بفعل الطاعة جنّة عن يمينه، وبترك المعصية جنّة عن يساره .

ووزن الوقت؛ استعلام وقت جزاء العمل، هل هو الدنيا، أم البرزخ، أم الآخرة .

ووزن مدّة بقاء العمل؛ يعني بقاء جزائه، هو استعلامه، هل هو يوم مثلاً؟، أم سنة؟، أم ألف سنة؟، أم هو دائم .

ومدّة وزن ابتداء جزاء العمل، هَلْ هو أوّل التكليف؟، أم أوّل البرزخ، أم أوّل القيامة؟، أمْ غير ذلك .

ومدّة انتهائه؛ هل هو في الدنيا؟، أم في البرزخ؟، أم غير متناه .

ووزن المكان؛ استعلام مكان جزاء العمل، هل هو في العامل، كبياض وجهه، أو اسوداده، أم في قلبه؛ كنور الإيمان، ونور العلم، أم ظلمة الكفر، وظلمة الجهل، أم في داره في الأرض والدنيا، أم في الآخرة، في الجنّة أو النار .

ووزن الكيف؛ استعلام نوريّة العمل، ونوريّة جزائه أو ظلمتهما، في أيّ رتبةٍ من مراتب أجزاء النور أو الظلمة .

ووزن الكم في المقدار؛ استعلام مقدار العمل في الكمّ، والحجم الصوري والمادّي في غيبه وشهادته .

ووزن الكم في المقدار الركني في الإيجاد؛ استعلام مقدار العمل بالنسبة إلى المعنَى الذي منه، ومن العمل يركّب الثواب أو العقاب؛ لأنّ العمل فصل وصورة للحصّة المعنويّة، التي ورد بها أمر الشرع ونهيه، التي هي مادة الثواب أو العقاب، كما ذكرنا سابقاً، فإن كل شيء مركب من مادة وصورة، وفي كل مرتبة من مراتب التزويج الأربع، يؤخذ جزء من الصورة؛ أعْني الفصل والماهية، وجزءان من المادّة؛ أعني الحصّة النوعية، التي أُخِذَتْ من الجنس؛ كالحصّة المأخوذة من الحيوان للإنسان، وكالحصّة المأخوذة من الإنسان لزيد، فإنها جزءان، والفصل المأخوذ للإنسان؛ أعني الناطق جزء، وحصة الفصل المأخوذة من النّاطق لزيدٍ، فإنها جزء، وذلك هو ما أشرنا إليه؛ من أن المعنى الذي أتى به الأمر أو النهي الشّرعيان للتكليف، الذي هو مادة الثواب مع الموافقة، ومادة العقاب مع المخالفة، يؤخذ منه جزءان، كحصّة الحيوان في خلق الإنسان .

وإن عمل المكلف في الموافقة أو المخالفة، يؤخذ منه جزء في خلق الثواب والعقاب؛ لأنه هو الصّورة، ويؤخذ جزءان من المعنى الّذي دَلّ عليه لفْظُ الأمرِ والنَّهي؛ لأنّه هو المادة .

[الأعمال التي يعملها المكلفون إما مطابقة للأمر أو مخالفة]

والموزون الذي يوضع في الميزان في كُفّتيْه؛ هي الأعْمال الّتي يعملها المكلّفون، مطابقة للأمر أو مخالفة؛ وهي الحسنات والسيّئات، لأنّ الأعمال حال تعلّقها بموادِّها المعنويّة، التي أتت بها ألفاظ الأوامر والنواهي، تكون حسنات وسيّئات، وتُوزن الحسنات والسيّئات بتلك الموازين المتعددة، التي أشرنا إلىً أنواعها، وبها تعرف جهات العمل الواحد .

[معنى صحائف الأعمال]

فالأعمال أنفسها هي الموزونة لا صحائفها، ولا في صحائفها؛ لأن صحائف الأعمال هي غيب أماكنها، وغيب أوقاتها، التي تكتب الحفظة الكرام أعمال

العاملين فيها، ومن ذلك الرِّقّ والقرطاس قطعة من كفن العامل، يكتب أعْماله فيها، بإملاءِ رُومان فتّان القبور، عند أوّل دخُوله في القبْر، قبل مجيئ منكر ونكير إليه، كما أشرنا إليه سابقاً[1] .

فإن قلت : يلزم على هذا أيضاً أنّ الوزن مجازفة لا تحقيقاً؛ لأن الأعمال على ظاهر قولك : إنما توزن مع المعاني؟ .

قلت : لا تلزم المجازفة؛ لأنّا نريد أنها هي الموزونة لا المعاني، فلا يحصل اشتباه على المكلّفين؛ لأنها ثلث المجموع، والمعاني ثلثان، هذا على فرض أن الوزن بعد التركيب .

وأمّا إذا كان قبل التركيب فلا إشكال، ولا يقال أنّها أعراض لا قيام لها بدون معروضاتها؛ لأنّ الأعراض تستقلّ في العلم بدون معروضاتها، إذا لم يلحظ فيها كونها عارضة، فتستقلّ في الميزان وتتقوّم به، كما تستقل حمرة الثوب في الخيال إذا تخيَّلْتَها، فإنّ الأعمال قائمة في كتاب الأبرار علّيّين، وفي كتاب الفجّار سجّين؛ أعني صحائفها، كما أشرنا إليه قَبْلَ ذلك، بمُثُلِ العاملين -بضم الميم والثاء- بمعنى أنّ قيامها بمُثُل العاملين في تلك الصحائف، الّتي هي غيب مكان ايقاعها، ووقتِه به تتحقّق، وفيه توزن، وهو غير قيامها بتلك المعاني، الّتي هي موادُّ الثّوابِ والعقاب، فافهم .

[كل نوع من أنواع الموازين له كفتان، والمراد من الكفتين]

واعلم أن كل نوع من أنواع الموازين، له كفّتان بحسبه، تسمّيان باسم الكفّتين المعلومتين عند العوام؛ وهما كفّتان حقيقة في ذلك الميزان، لأن المراد من الكفّتين شيء يحيط بالموزون من الجهات الخمس، فالكفّتان في ميزان مثل الحنطة معلومتان، لأن الكفّة محيطة بالحنطة في الجهات الخمس .

---

(١) راجع الصفحة رقم (٥٤) من هذا الكتاب .

وأمّا جهة العُلو في الثقيل والسفل في الخفيف، فغير مفيدة، إذِ المقصود والفائدة رفع الثقيل بالأثقل، ووضع الخفيف بالأخفِّ .

ومثل الكفّتين المعلومتين، مع الكفّتين الغير معلومتين؛ كمثل اليدين المعلومتين في الصنع مع اليدين، بمعنى القدرة .

وحقيقة الصنع إنما هو بيدي القدرة، وأمّا الصنع بيدي الجسم، فتابع لما هو بيدي القدرة، فافهم الإشارة من العبارة .

وقوله : «ومما ورد في هذا الباب عن أئمتنا عليهم السلام، ما رواه عن محمد بن علي بن بابويه -إلى قوله- : قال : (**هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام**)»؛ يعني أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لّما دعوا إلى الله، أَطاع بعض الناس، وعَصَى بعض، فطاعتهم كفّة يوزن فيها المؤمنُون، ومعصيتهم كفّة يوزن فيها الكافرون، ومحبّتهم كفّة يوزن فيها المؤمنون، وبغضهم كفة يُوْزَن فيها المنافقون، وولايتهم كفة يوزن فيها التّابعون، ومُجَانَبَتُهُمْ كفّة يوزَن فيها المخالفون، وهكذا .

والمراد من الكفتين هنا في هذا المقام وغيرِه واحد، وكل شيءٍ بحسبه، فما كان من عالم الغيب، وزن في كفّة من عالم الغيب، وما كان من عالم الشهادة وُزِنَ في كفّةٍ من عالم الشهادة .

[كل عمل بدني أو قلبي يجري عليه الموازنة]

وقوله : «واعلم أن كل عمل بدني أو قلبي، ...إلخ»، يريد به أن جميع الأعمال البدنيّة، ممّا جرت به الشريعة الغراء، وكلّ عمل قلبي من سائر الاعتقادات والنّيّات، وسائر المطالب النفسانيّة، تجري عليه الموازنة، ويصح دخوله في الميزان، ويوجد له ما يقابله إلّا كلمة التوحيد، إذ لا شيء من الأعمال الجزئيّة، يصلح لمعادلة كلمة التوحيد ليوزن معها إلّا الشّرك؛ فإنّه يصلح لمعادلة التوحيد، إلّا أنه لا يجتمع معه في قلب؛ لأن الشرك إذا وُجِد في قلب المكلف، لم ينصب له ميزان، ولا يرفع له ديوان، حيث أنّ الشرك يمحق كل عمل، إذ لا يتحقّق مع

الوحدة الحقيقية، فقوله : «لأن كل عمل له مقابل في هذا العالم، عالم التضادّ»، يريد به أن العالم الزماني، الذي هو عالم التضاد، كلّما وجد فيه شيء، وجد له ضدّ، فيكون قول : «لا إله إلّا الله مخلصاً»، يعني كلمة التوحيد من عالم التضاد؛ أي : عالم الحوادث، إذ الحوادث عنده في الزمان، ولم يتقدّم على الزمان إلّا الباري تعالى عنده، كما صرّح به في كتابه الكبير الأسفار، وقد تقدّم ما يلزمه على ذلك .

[بحث حول كلمة التوحيد وكلمة الشرك وأنهما لا يجتمعان في قلب واحد ولا يتعاقبان]

فإذا كانت كلمة التوحيد من عالم التضاد حيث كانت، فضدّها الشرك، فعلى كلامه : «لا يجتمعان في قلبٍ واحدٍ، ولا يتعاقبان»، أمّا أنهما لا يجتمعان فلما قال : «لأن اليقين الدائم لا يجامع مع نقيضه في قلب أحدٍ»، وفي هذا أن التوحيد الذي هو من عالم التضاد، عالم الزمان، يجتمع مع ضده، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّه إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1]، وبقوله تعالى : ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[2]، ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّه رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3]، لاعتقادهم أنهم مُوَحّدون، وهم مشركون، فلذا كذّبهم فقال : ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[4] .

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٦ .

(٢) سورة القصص، الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٢٣ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ٢٤ .

وقال الصادق عليه السلام : (**هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا، وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون**)[١] .

فقد اجتمع التوحيد والشرك، لكونهما من عالم التضادّ، وإنّما يجتمع المتضادان في هذا العالم، من جهة اختلاف الجهة والحيثية والاعتبار، أو على التعاقب، ولو كان التوحيد أريد به اليقين الدائم، امتنع أن تكون من عالم التضادّ؛ لأن وصف الوحدة الحقيقيّة لا ضدّ له، إذ من شرط كونه وصفاً للوحدة الحقّية، أن لا ضدّ له، ولا ندّ، ولا يلاحظ فيه الدوام ولا عدمه، فلا يجامعه ضد، ولا ند؛ لأنه عنوان لمعرفة المعبود تعالى وآيته، وذلك هو نفس العارف وفؤاده، فمن عرفها فقد عرف ربّه .

وإنما يعرفها، بأن يجرّدها من جميع سبحاتها .

وأمّا أنهما لا يتعاقبان على موضوع واحد؛ ففيه أيضاً أنهما إذا كان من عالم التضادّ، لا يكون يقيناً دائماً، بل يتعاقبان كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا**﴾[٢]، وهم عضل، والفأرة يعني عضل بن الهون بن خزيمة، أخو الرّيش، وهما الفأرة كفروا مرّتين بعد إيمانَيْنِ .

وإنْ كانت المسألة على خلافٍ بين المتكلّمين، إلّا أن الآية صريحة في وقوع الكفر بعد الإيمان، وما حكى سبحانه عن قوم صالحين، علموا بأن القلوب قد تزيغ أنهم قالوا : ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾[٣]، ظاهر في ذلك، بل ربّما لا إشكال في وقوع التعاقب وصحّته، وإنّما يمتنع التعاقب في عالم الوحدة والبساطة، وهو عالم الثبات، لأن شرط تحقّقه نفي الغير عنه، وبذلك يحصل اليقين الدائم، المانع من النقيض اجتماعاً وتعاقُباً .

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٨١، ح٦، باب : معرفة الإمام والرد عليه . بحار الأنور، ج٦٦، ص١٠، ح١٢، باب : ٢٨ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٣٧ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ٧ .

[علة تخالف نفسي المؤمن والكافر مع كونهما في الأصل شيء واحد]

وما أوْمَأ إليه المصنّف، «من أنّ نفس المؤمن الموحِّد بحسب الجوهر، والذات تخالفُ نفسَ الكافر، ...إلخ»، مع كونهما معاً في عالم التّضادّ، ومن ثبت فيه التوحيد وتحقّق فهو المؤمن، ومن ثبت فيه الشرك فهو الكافر .

والمؤمن من حيثُ هو مخالف في ذاته الكافر، لا يحلّ الشرك في قلبه .

والكافر من حيث هو كافر، لا يحلّ في قلبه التوحيد، إنّما يصحّ إذا كان كلّ واحد منهم في عالم البساطة على جهة الإنفراد، بمعنى كون كلٍّ واحد منهما متّصفاً بصفة قد اعتبر فيه نفي ضدّها، أمّا المؤمن فقد تحقّق في وجدانه شيء ليس كمثله شيء؛ أعني معرفة نفسه، لا إثبات شيء غير شيءٍ بحتٍ، فإنّه منافٍ للتوحيد، فلا يعرف الله به .

وأمّا الكافر فقد تحقق في وجدانه شيء له ضد، أو ندّ، أو حَدّ، فإنه منافٍ للتوحيد .

وأمّا إذا فرضه في عالم التضادّ، فإنهما يجتمعان فيه ويتعاقبان، كما أشرنا إليه، لأن رتبة الخلط واللطخ، هي محلّ الاجتماع والتعاقب .

وأمّا تخالف نَفْسَي المؤمنِ والكافر، مع كونهما في الأصْلِ منْ شيء واحد، كما تشهد به الآيات القرآنية؛ مثل قوله تعالى : **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾**[1]، والآيات الآفاقية، كما نرى في المداد، فإنَّ الاسم الشّريف، والاسم الوضيع من مدادٍ واحد، وإنما تخالفا وتمايَزا بالقابِليّة، فمِن تَخَالُفِ القوابلِ الوُجُوديّة والشرعية، كما قال الشاعر :

أرَى الإحْسان عند الحُرِّ دَيْناً ... وعند النّذلِ منقصَةً وذَمَّا
كقطرِ الماءِ في الأصْدَاف دُرٌّ ... وفي بطن الأفاعي صَار سَمّا

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

لأن المراد بوجودات الأشْياء مَوادّها، وطيب المادّة إنّما هو من الصورة، وكذا خبثُها كما ترى في الباب والصنم، فإن كلّاً منهما عُمِلَ من الخشب، وخبث مادة الصّنم، وطيب مادة الباب، إنما هو من الصورة التي هي الماهيّة .

ومراده من كون نفس المؤمن مخالفة لنفس الكافر، حتى في النوع، أن نفس المؤمن خلقت ابتداء من شيء، غير ما خلقت منه نفس الكافر، بل أصل مادّة نفس المؤمن من نور، وأصل مادة نفس الكافر من ظلمة، ولا ريب أن التوحيد نور فلا يقع في الظلمة، والشرك ظلمة فلا يقع في النور، ولهذا علّل عدم اجتماع التوحيد والشرك في قلب واحد؛ لتضادّهما، وإن كانا في عالم التّضادّ، ولا تعاقبهما لتضادٍّ أَصْلَيْ النفسَيْن والقلبَيْن، وليس كما توهّمه، بل أصل نفسَيْ المؤمن والكافر شيء واحد، كما أشرنا إليه .

وبقبول المؤمن خلق ذلك الأصل الذي خلق منه من نور، أي : غُمِس في نور الإجابة والرحمة، وهو الإيمان المكتوب في القلب، وبإنكار الكافر خلق ذلك الأصل الذي خلق منه من ظلمةٍ؛ أي : غمس في ظلمة الإنكار والغضب، وهو الطبع على قلوبهم بكفرهم .

فأصل المؤمن نور بإجابته، لا من ذلك الأصل نفسه .

وأصل الكافر ظلمة بإنكاره، لا مِن أصله، فبعد استقرار الإجابة والإنكار، يكون صاحب ذلك الاستقرار من عالم البساطة، لا من عالم التّضادّ، فلا يجتمع فيه التوحيد والشرك، ولا يتعاقبان، وقبل الاستقرار قد يجتمعان مع اختلاف الحيثيات والاعتبارات، مثل أن يشرك مع ظنه أنه موحّد، وقد يتعاقبانِ لصلوح المحل للمتنافيين على التعاقب، والاجتماع مع اختلاف الجهات .

وقوله : «وليست للكلمة ما يقابلها أو يعادلها في الكفّة الأخرى، من قول أو عملٍ، أو نيّة، -إلى قوله- : حديث صاحب السّجلات»، هذا إنما يتمّ بعد استقرار الإيمان أو الكفر كما بيّنّا .

وما رواه صاحب السِّجلّات غير منافٍ لما ذكرناه، والحديث من طرقهم .

وقوله : «ولهذا روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : (**كما لا ينفع مع الكفر شيء، لا يضر مع الإيمان شيء**)[١]» .

[المراد من أن الكفر إذا أتى به المرء يوم القيامة لا ينفعه شيء من الأعمال]

والمراد أنّ الكفر إذا أتى به المرء يوم القيامة لا ينفعه شيء من الأعمال، بأن يدخله الجنّة، أو ينجيه من النار، وإن كان ينفعه؛ بأن يدفع به عنه بعض أنواع العذاب في البرزخ، أو يخفّف به بعض عذاب النار يوم القيامة، بحيث لا يحسّ بالتخفيف، كما لو كان مستحقّاً لمائة نوعٍ من العذاب بكفره، وكان له عمل صالح لم يجاز به في الدنيا، ولا في البرزخ، جعل عليه عند أوّلِ دخوله النّار خمسين نوعاً من العذاب، مدّة ما يقابل عمله الصالح، ثم يجعل عليه مائة نوع من العذاب، فلا يحسّ بالتخفيف الأوّل .

ورُبَّما يُجازَى به في الدّنيا، وإذا أتى المرء يوم القيامة بالإيمان الصحيح، لا يضرّه شيء مما عمله من المعاصي، بأن يمنعه من دخول الجنّة، وإن كان يعاقَب عليه في الدنيا، أو عند الموت، أو في البرزخ، أو يوم القيامة، إلّا أنه لا بد وأن يدخل الجنّة بعد ذلك .

وكذا قوله : «روى أبو الصامت عنه عليه السلام أيضاً : (**أن الله يغفر للمؤمن وإن جاء بمثل ذا، ومثل ذا، وأومأ إلى القباب .**

قلت : وإن جاء بمثل تلك القباب -يعني بمثل السماوات والأرض، أو الجبال؟- .

فقال : إي والله، وإن جاء بمثل تلك القباب، إي والله مرّتين)[٢]» .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٩٠) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٩٠) من هذا الكتاب .

والمراد بالمؤمن هنا؛ هو المتوالي لمحمد وأهْل بيته الطاهرين صلى الله عليه وآله، والمتبرئ من أعدائهم .

والكافر هو من أنكر ذلك من بعد ما تبيّن له الهدى، وأمّا مَن أنكر ذلك قبل أن يتبيّن له الهدى، أو أنكر ذلك متابعة لغيره، من غير بصيرةٍ ولا علم، فإن مثل ذلك ممّن يجدّد له يوم القيامةِ التكليف، وربّما يدخل بإيمانه ومعرفته الجنّة، ولا فرق في السيّئات بين الكبيرة والصغيرة، في كونها غير مانعةٍ من دخول الجنّة، لمن لم يبلغ بمعاصيه الشرك، ولا بين الحسنات في كونها غير موجبةٍ لدخول الجنّة، لمن أتى بالشّرك .

ومثله قوله : «وفي رواية ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : **(وإن زَنَا، وإِنْ سَرَق)**»، يعني أن المؤمن يدخل الجنّة بولايته لهم صلى الله عليه وآله، وإن زنَى، وإنْ سرق .

ومثله قول الصادق عليه السلام، حين سئل عن محب عليّ عليه السلام، حين سئل أنه يدخل الجنّة وإن زنا، وإن سرق، وهذا إن شاء الله تعالى ظاهر .

[نوع الميزان الذي توزن أعمال الجوارح الظاهرية والباطنية خيرها وشرها]

وقوله : «واعلم أنّ أعمال الجوارح خيرها وشرّها، كلها ممّا يدخل في الموازين، ...إلخ»، يريد أنّ أعمال الجوارح توزن بذي الكفّتين، لأنّها محسوسة، فتوزن في الميزان المحسوس، ولأنّها مقداريّة، تدرك بالحواسّ الظاهرة .

وقوله : «وأمّا أعمال البواطن»، فإنها معنويّة لا توزن بالموازين الصوريّة، وإنما توزن بميزان العدل، وهو الميزان الحكمي، بأَنْ يحكم على هذه بالرّاجحيّة، وعلى هذه بالمرجوحيّة، ولأجل هذا قال : «لا توزن بنفسها، وإنّما توزن بصحائفها وكتبها» .

وأقول : قد مضى الكلام على هذا المعنى، وأن أعمال الجوارح، وأعمال البواطن، كلّها توزن بميزان ذي كفّتين، إلّا أنّ ذلك من نوع الموزون، كلّ ميزان فكفّتاه بحسبه، وأن الموزون هو العمل، وهو يوزن بنفسه لا في صحائفهِ وكتُبه، ولكنه بنى معرفة الأعمال على ما تفهم منها العوامّ، وإن الصلاة مكتوبة في

صحيفتها، هكذا صلاة صاد لام واو هي ألف هاء، كما لو كتبنا نحن «زيد يصلّي نافلة»، فإنا نكتبها في القرطاس كما ترى، والملكان الكاتبان عنده يكتبان الأعمال كلها بهذا النمط، وليس كذلك، وإنما يكتبان الأعمال بمُثُلها -بضم الميم والثاء- ألا ترى أنّك إذا رأيت زيداً يصلّي يوم الجمعة في المسجد ركعتين، فما دمتَ حيّاً متى ذكرتَ ذلك، رأيتَ مثال زيد يصلّي تلك الركعتين، في غيب يوم الجمعة، وفي المسجد في غيبه، فالذي يشاهده خيالك في غيب يوم الجمعة، وفي غيب المسجد، يصلّي تلك الصلاة هو مثاله، وهو الذي كتبه الملكانِ من عمله، فهو باقٍ في مكانه ووقته إلى يوم القيامة، حتى يبعث صاحبه زيد ويلبسه، ويحضر يوم الجمعة متّصفاً به، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[2].

[آخر ما يوضع في الميزان عند المصنف تدّس]

وقوله: «وآخر ما وضع في هذا الميزان؛ قول الإنسان: الحمد لله، وبه يملأ الميزان، ...إلخ»، هذا الكلام وهو أنّ آخر ما يوضع من الأعمال «الحمد لله»، وإنها تملأ الميزان، ليس الآن على خاطري من هذا شيء، بمعنى وروده في رواياتنا بهذا النمط، وليس في العقل ما ينافيه، ولست نافياً له، وإنما الذي ببالي ما في الدعاء: (**الحمد لله يملأ الميزان**)[3]، ومنتهى العلم، وهو معنى غير ما ذكره.

[هل صحيح أن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله؟]

وقوله: «ومن اللطائف الكشفية، إن كفّة ميزان كل أحد بقدر عمله، لا زيادة ولا نقصان»، يريد به أن المراد من كفة الميزان؛ أنهما آلة وزن العمل، ووزن كل عمل هو قدر وزنه، وهذا على المعنى ظاهر؛ لأنه لا يتعلّق به من الاختبار

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٩٠) من هذا الكتاب.

أزيد من اختباره، وما زاد عن اختباره واستعلامه، فهو استعلام لغيره، كما أن استعلام العشرة وعدّها، لا يصلح لاستعلام الإحد عشر وعَدِّها، نعم لو زيد الموزون أُمِدّت الكفّة بنسبة الزيادة، فكفّة كلِ عملٍ بهذا المعنى، لا تزيد عليه ولا تنقص، وهذا الاعتبار راجع إلى خصوص الاعتبار، لا إلى نفس ما يعتبر به، فافهم .

[القاعدة العاشرة]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: الجنة والنار]

قال: «قاعدة في الجنّة والنار، يجب أن تعلم أنّ الجنّة التي خرج عنها أبونا آدم عليه السلام وزوجته، لأجل خطيئتهما، غير الجنّة التي وعد المُتّقون؛ لأنّ هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا، وبوارِ السماوات والأرض، وانتهاء مدة عالم الحركات، وإن كانتا متّفقتَيْن في الحقيقة والرتبة والشرف، لكونهما جميعاً دار الحياة الذاتيّة، ودارُ البقاء غير متجددّةٍ، ولا متبدّلةٍ، ولا دائرة، ولا فانية، ولا زائلةٍ.

وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادي متحاذية متقابلة، وأن الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله تعالى، كما أن الحياة الطبيعيّة ابتداء حركة النزول من عنده، فكلّ درجةٍ من درجات القوس الصعوديّة، بإزاء مقابلتها من درجات القوس النّزوليّة، وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرتين، إشعاراً بأنّ الحركة الثانية الرجوعية، انعطافيّة لا استقاميّة»[1] .

[هل الجنة والنار موجودتين الآن في الدنيا أم في الآخرة؟ وقول الحق فيهما]

أقول: إنّ الناس اختلفوا في الجنّة والنار، هل هما موجودتانِ في الدنيا؛ يعني الآن أم ليستا بموجودتين؟، وإنما توجدان في الآخرة أم هما موجوداتان بمكانهما خاصّة وحائطهمَا، وإنّ الملائكة تصنع فيهما المنازل، والدرجات والدركات، بمدد أَعْمَالِ العَاملينَ، فيكون وجودهما في الدنيا، أي: قبل يوم القيامة بالتَّدْريج، ومنشأه الاختلاف من اختلاف ظواهر الآيات والروايات .

---

(١) كتاب العرشية، ص٨٣ .

والحقّ أنّهما موجودتان الآن، بل منهما بُدئت الخلائق، وإليهما تعـود، إذ كل شيءٍ يعود إلى ما منه بُدِئ، والكتاب والسُّنّة متطابقان ناصّان على وجودهما الآن، والمعروف الدائر بين النّاسِ تعدّدها، فجنّة الدنيا غير جنّة الآخرة، ونار الدُّنيا غير نار الآخرة، ولذا صرّح المصنّف بأنّ الجنّة التي خرج عنها أبونا آدم وزوجته، لأجل خَطيئتهما، غير الجنّة التي وُعِد المتّقونَ، ثم علّل هذا المعنى بقوله : «لأن هذه -يعني جنّة الآخرة- لا تكون إلّا بعدَ خَراب الدنيا، وبوار السماوات والأرض، وانتهاء مدّة الحركات»، مع أنّه قال في كتاب المبدء والمعاد، في فصل : أن الجنّة والنار حق، قال : «فإذا ثبت وتحقّق ما ذكرناه، اتّضح واستبان فساد بعض مـن المذاهب السخيفة، والآراء الباطلة في هذا الباب، مثل رأي مَن زعـم أن الجنّـة والنار لم توجدا بعد، ولا توجدانِ إلّا بعد بوار العالم، وهلاك السـماوات، و لم يعلموا أن هذا الاعتقاد يبعّد صاحبه عن طريق الآخرة، ويقلّل رغبته في ثـواب أعماله، وجزاء إحسانه، ويقلّل خوفه ورهبته عن عقوبة معاصيه وسـيئاته»[1]، انتهى .

[المراد من الجنة التي وعد الله تعالى عباده المتقين بها، وهل جنة الدنيا هي بعينها جنة المتقين؟]

فإن قـوله هنا فـي : «الجنة التي وُعِدَ المتقون، لأن هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنـيا، وبـوار السماوات والأرض، وانتـهاء مدة عالم الحركـات»، انتهى .

هو بعينه قول من أفسد مذهبه ورأيه في كِتاب المبدء والمعاد، كما سمعـتَ قوله هناك، فإن قوله هناك صحيح، ومراده كما تقدّم أوّلاً؛ أنّ الجنّة وما فيهـا جواهر عقليّة، لا تحتمِل الدثور، ولا البوار، ولا التغير، ولا التّجدد، ولا التبدّل،

(١) المبدأ والمعاد، ص٥٨٣، المقالة الثالثة، فصل : في أن الجنة والنار حق .

بخلاف الدنيا وما فيها، وهذه السماوات والأرض، فإن ذلك كلّه جار عليها، فلا تكون جنّة المتقين إلّا بعد ذلك كلّه، فلا يصلح أن تكون في شيء من ذلك .

وأمّا جنّة الدنيا، فظاهر كلامه أنها كجنّة المتّقين، لاتفاقهما في الحقيقة والرتبة والشرف، لكونهما دار الحياة الذاتية، ودار البقاء .

وظاهر كلامه أنّهما اثنتان في الآخرة، جنّة المقرّبين؛ وهي لا تكون إلّا بعد فناء عالم التغيير، والتبدّل والتجدّد لما بينهما، من كمال التباين .

وجنّة أصحاب اليمين، وهي المدهامّتان، وهي جنّة الدنيا، التي خرج عنها آدم وزوجته، وهي تجامع عالم التغير والتبدّل في حال، ولا يخفى ما في كلامه من الاضطراب والتنافي، فإن كونهما متطابقتين في الحقيقة، والرتبة والشرف، يقتضي تساويهما .

وكونهما دار الحياة الذاتية كذلك، ويلزم من ذلك أن يكونا معاً متأخرتَين عن عالم التجدد والتبدّل، ويلزم من ذلك كله عدم وجودهما الآن، فيكون كلامه منافياً لكلامه، ومقتضى ظاهر الأدلّة على رأي الأكثر، أنّ ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾[1]؛ وهما ذواتا أفنان، وهاتان للمقربين، وإنّ من دون تَيْنك جنّتان؛ وهما المدهامّتان، لأصحاب اليمين، وإنّ للمؤمنين الذين محضوا الإيمان محضاً إذا ماتوا جنّةً تأوي إليها أرواحهم، وأنّ هذه جنّة الدنيا، وهي جنّة آدم عليه السلام، وفيها البكرة والعشيّ .

والكلام في النيران، مثل الكلام في الجنان، هذا ملخّص ما فهموا، والذي ثبت عندي ممّا فهمته من الكتاب والسنّة على سبيل القطع، بحيث لا ارتياب فيه، ولا مرية عندي تعتريه، أنّ جنّة الآخرة خلقت قبل سائر الخلق، وأنّ المؤمنين خلقوا منها، وإليها يعودون .

---

(١) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

[متى خلقت جنة الدنيا وجنة الآخرة، وهل هناك اختلاف بينهما؟]

وإن جنّة الدّنيا خلقت بعد خلق الأجسام، خلقت من تنــزّل جنة الآخرة، كما خلقت الأجسام من تنــزّل النفوس، والأرواح والعقول .

وإنّ جنّة الدّنيا هي بعينها بعد التصفية جنّة الآخرة، كما أنّ أجسام النـــاس الآن هي بعينها أجسام الدنيا، وهي بعينها بعد تصفيتها أجسام الآخرة، والقرآن ناطق بذلك، لمن كان له قلب، قال في حق الجنّة : **﴿فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۞ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾**(١) .

فقوله : **﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾**(٢)؛ يعني جنّة الدنيا، لأنّ الآخرة ليس فيها بكرة وعَشِيّ .

وقوله : **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾**(٣)؛ يعني جنّة الآخرة، وهـــذا صريح في أن جنّة الدنيا هي بعينها جنّة الآخرة .

وقال : في شأن النار : **﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُـــوءُ الْعَـــذَابِ ۞ النَّـــارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾**(٤) .

فقوله : **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾**(٥)؛ يعني نـــار الـــدنيا، لأن الآخرة ليس فيها غدو وعشيٌّ .

---

(١) سورة مريم، الآيات : ٦٠-٦١-٦٢-٦٣ .

(٢) سورة مريم، الآية : ٦٢ .

(٣) سورة مريم، الآية : ٦٣ .

(٤) سورة غافر، الآيتان : ٤٥-٤٦ .

(٥) سورة غافر، الآيتان : ٤٦ .

وقوله : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾[١]؛ يعني بالنار المعروض عليها يوم تقوم الساعة، نار الآخرة، وقد اتفق القرّاء على الوقف على تقوم الساعة، ويلزم منه اتّحاد النار المعروض عليها، وهذا ظاهر .

فإنّ جنّة الدنيا تنزّل جنّة الآخرة، ونار الدنيا تنزّل نار الآخرة، كما أن أجسام الدنيا تنزّل أجسام الآخرة، فتُصَفّى أجسام الدنيا، وتكون بعينها أجسام الآخرة، كذلك تصفّى جنّة الدنيا، وتكون بعينها جنّة الآخرة، وتصفّى نار الدنيا التي عند مطلع الشمس، وتكون بعينها نار الآخرة؛ لأن الله تعالى قد بيّن لنا آية ذلك، بل آية كل شيء في أنفسنا، فقال : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٢] .

وأيضاً قال الله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٣]، وقال : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٤] .

[المراد بالدون والجنتين في الآية الكريمة ومكان وجود هاتين الجنتين]

والمراد بالدون هنا القَبل والقلّة والضعف؛ أي : ولمن خاف مقام ربّه قبل يوم القيامة، وأقل من جنة الآخرة جنّتان، فيصير المعنى ومن دون جنّتي الآخرة، أي : من قبلهما، ومن دونهما؛ أي : مِنْ أَنْزلَ منهما جنّتان في الدنيا، إذا ماتوا تأوي إليهما أرواحهم، وهما الآن في المغرب، في الإقليم الثّامن، والفرات والنّيل، وسيحان وجيحان، تجري من الجنّتَيْن اللّتين في المغرب، وهما المدهامّتان .

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام، ما يدلّ على أنّهما في الدنيا، وهو قوله

---

(١) سورة غافر، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٣) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

عليه السلام في الرَّجْعة : (**وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان عند مسجد الكوفة، وما حوله بما شاءَ الله**)[١] .

والرجعة من الدّنيا، وظهورهما في الدُّنيا، دليلٌ على أنّهما، أي : المدهامّتان من جنانِ الدُّنْيا .

[جنة أبينا آدم عليه السلام التي خرج منها، ومدة بقائها، وبحث حول جنان الحظائر وسكانها]

وجنة آدم عليه السلام هي من جنان الدنيا، فيها البكرة والعشيّ، وهي المدهامّتان، فقد ظهر لمن نظر أنّ جنّة آدم عليه السلام التي خرج منها هو وزوجته حواء؛ هي من جنان الدنيا، وهي الجنّتانِ المدهامّتان، وأنها موجودة الآن، وأنّها هي بعينها جنّة الآخرة، إلّا أنّها تصفى بمعنى أنّها تطهّر من أعراض البرزخيّة سبعين مرة، فتكون هي بعد التطهر جنّة الخلد، كما أن أجساد المؤمنين تطهّر في البرزخ للآخرة، وفي الدنيا للبرزخ، فتصفّى سبعين مرة في الدنيا، فتكون أجساداً للبرزخ؛ لأنها تطهّر من أعراض الدنيا سبعين مرّة، فتكون برزخيّة، وتطهّر في البرزخ من أعراض البرزخ سبعين مرّة، فتكون أخرويّة، فما بين الدنيا والآخرة في كل ما في الدنيا من الأحوال من النعيم والعذاب، أربعة آلاف رتبة، وتسعمائة رتبة، وما بين البرزخ والآخرة سبعون رتبة، فما بين جنّة آدم الّتي هي جنّة الدنيا، وجنّة الآخرة سبعون رتبة، وبهذا يتبيّن لك خطأ المصنف، حيث جعل جنّة آدم عليه السلام، وجنّة الآخرة متفقين في الحقيقة والرّتبة والشرف، وعلّل ذلك بكونهما جميعاً دار الحياة، ودار البقاء، ونحن قد نبّهناك على أنّ جنّة الدنيا، أعني جنّة آدم عليه السلام، لا تبقى إلى يوم القيامة، بَلْ تَفْنَى عند نفْخَة الصور .

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص١١٥، ح٣٧، باب : الكرات وحالاتها . بحار الأنوار، ج٥٣، ص٤٣، ح١٢، باب : ٢٩ .

وأنّ مَنْ جعل المدهامتين، هي جنّة الآخرة لأصحاب اليمين، فقدْ أخطـأ، كما هو أكثر المفسّرين، لعدم ذكر ذلك في السنّة، إلّا أَن يراد منها جنان الحَظائر، الّتي يسكنها في الآخرة، ثلاث طوائف لا غير؛ المؤمنون من الجنّ، وأولاد الزّنا من المؤمنين إلى سبعة أبْطن، ثم يلحق البطن الثامن منهم بجنّة المؤمنين، والمجانين الذين ليس لهم مِن آبائهم، مَن هو من أهل الشفاعة، و لم يبلغوا الحلم، قبل أن يُجَنُّوا، وهي أي : جنان الحَظائر سبع جنان، كلّ جنّة تسمى باسم أصلها وموصوفها، وجنّة عدنٍ، وهي أعلا الجنان الثمان، ليس لها حظيرة، فليس في جنان الحظائر ما تسمى بجنّة عَدْنٍ، نعم جنان المقربين ومنازلهم، أعلى من جنان أصحاب اليمين ومنازلهم، وإن كان الفريقان في جنّة واحدة؛ لأنهم يتفاضلون في الدرجات والمراتب، كما قال تعالى : **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾**[1] .

[جنة الدنيا متجددة متبدلة وداثرة وفانية وزائلة]

والحاصل أن قوله : «لكونهما جميعاً دار الحياة الذّاتيّة، ودار البقاء غير متجدّدَة، ولا متبدّلة، ...إلخ»، غلط؛ لأن جنّة الدنيا متجدّدة ومتبدّلة، وداثرة وفانية، وزائلة بزوال عالم البرزخ، بمعنى أنّ المؤمنين ينتقلون عنها إلى جنان الآخرة، وبمعنى عدم وجودها يوم القيامة، وإنّما توجد الجنان التي في باطنها، لأنّها تصفّى كما تصفّى الأجساد، فإنّ جَسدك الآن في الدنيا، لا يوجد في البرزخ بأعراضه الدنيويّة، بل يصفّى منها، فيكون في البرزخ برزخيّاً لا دنيويّاً، ولا يوجد جسدك البرزخي في الآخرة، بل يصفّى من الأعراض البرزخيّة، فيكون في الآخرة جسداً أخرويّاً لا برزخيّاً، فكذلك جنان الدنيا تصفى يوم القيامة، فتكون هي جنان الآخرة لا جنان البرزخ .

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٢١ .

[هل كل شيء يشابه مراتب بدئه أم لا؟]

وقوله : «وبيان ذلك أنّ الغايات كالمبادئ متحاذيةً متقابلة»، صحيح لمشابهة مراتب البدءِ للعود والنــزول للصعود، بعضها لبعضٍ، ولتشابه الــذبول للنمــو والتحلّل، والتفكّك للتأليف والتركيب .

وبالجملة؛ كلّ شيءٍ يشابه ضدّه وعكسه، ويقابله فيما ضادّه وعاكسه فيه، سواء كان جوهراً في جوهريته، أو معروضيّته، أم عرضاً في عرضيته، أو عارضيّته.

[حقيقة بدء نزول الأشياء]

ولّما كان مبدأ كلّ شيء من العلو نازلاً إلى غاية قوس نزوله، كان بدؤ سيره في صعوده ورجوعه إلى جهة مبدئه، من غاية قوس نزوله، وكان متشابه الحركة في القوسين متقابل الأحوال، وقد أخبر تعالى عن القوس النــزولي بقوله : **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾**[1]، وهذا وإن كان مما لا إشكال فيه، ولا منكر له، إلّا أن الاشتباه وقع في ابتداء الحركــة النّزوليّــة، وفي ابتداء الحركة الصعوديّة .

والمصنّف طوّل القوس النــزولي من طرفيه، وقصّر القوس الصعودي مــن طرفه الأسفل، وطوّله من طرفه الأعلى، فلزمه عدم صدق قوله : «أن الغايــات كالمبادئ متحاذية متقابلة» .

وبيان ما أشرنا إليه على جهة الاختصار والاقتصار والإجمال؛ أنّ المصــنف ذهب إلى أن الأشياء منْحطة عن حقائقها الأزليّة، التي هــي في الــذات بنحــو أشرف؛ كانحطاط الأظلّة والأشعة عن حقائقها، كما ذكره في هذا الكتاب فيما تقدّم، وفي غيره من سائر كتبه، وقد بيّنا أنّ الأشياء لا ذكر لها هناك، ولا اسم، ولا رسْم، فلمّا شاء امكانها ذكرها بما هي به ممكنة، ولَيْست هي حينئذٍ أشــياء،

(١) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

بمعنى التكوين؛ أي : مكوّنات، وإن كانتْ أشياء إمكانيّة، فحقيقة بدءِ نزولها من التكوين بالفعل، فهذا أوّل ذكر وجودها بالقوة، ومنه ابتدأ القوس النـــزولي، وهو طرفه الأعلى، وآخره انحلال الغذاء في الكيلوس، وآخر القوس النـــزولي هو الكيلوس، وهو طرفه الأسفل، وأوّل القوس الصعودي، هو كون صفوة الكيلوس كيموساً، ثم نطفة، وهي بمنـــزلة المعدن، ثم علقة، وهي أوّل مراتب النبـــات، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم تكسى لحماً، وهي آخر مراتب النّبات، ثم ينشأ خلقاً آخر، وهو أوّل مراتب الحيوان، وهي الولادة الجسمانية، عند تمام الأربعة الأشـــهر، ثم الولادة الدنيوية؛ وهي خروجه إلى الدنيا، فمن الكيموس إلى خروجه من الدّنيا، من مراتب الرجوع إلى الله، بدعوته حين قال للعقل : (**أَقبِل فأقبَـــلَ، أو أَدبِـــر فأدْبَر**)[1]، على اختلاف الاعتبارين .

والمصنف نقّص القوس الصعودي من طرفه الابتدائي، مـــن الكيمـــوس إلى الموت، والخروج من الدنيا، وزاده في الطرف الأسفل من القَوْس النُّـــزولي، وزاد في الطرف الابتدائي من القوس النـــزولي، حتى أنزله من الأزل، وفي الانتهائي من القوس الصعودي، حتى وصله بالأزل، وقد أخطأ إذ يلزم منه في ابتداء النـــزولي الولادة، والأزل تعالى لا يلد، إذ لا يخرج منه شيء، ولا يعود إليه شيء، وإنمـــا ينتهي المخلوق إلى مثله، كما أنه يبْتدئ من مثله، فافهم وذلك هو قوله : «وأنّ الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله»، كما أن الحياة الطبيعيّـــة انتـــهاء حركة النـــزول من عنده .

[تشابه درجات القوس النزولي والقوس الصعودي]

وقوله : «فكل درجةٍ من درجات القوس الصـــعوديّة، -إلى قولـــه- : لا استقاميّة» يشير به إلى تشابه القوسين وتحاذيهما، وهو كذلك .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤٠) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم؛ بأن القوس الصعودي، لو كانت حركة سيره استقامية، لكان الإنسان يرجع من هذه الدنيا إلى اللحم، ثم إلى العظام، ثم يكون مضغة، ثم علقة، ثم نطفة، ثم كيموساً، ثم كيلوساً، ثم طعاماً، ثم نباتاً، ثم ماء وتراباً، وترجع نفسه إلى الفلك، وما فيها من النفس إلى اللوح، ومنه إلى المدد العقلي، ومنه إلى الإشراق النوراني، والهيئات الإراديّة، ثم إلى الإمكان .

ويلزم من هذا الرجوع فناء الأشياء، وهو خلاف ما خلقت له؛ لأنّها إنما خلقت للبقاء، نعم يكون القوسان متقابلَيْن متحاذيَيْن، وتمام الصوغ الأول في القوس النزولي، تحت النّفس الكلّيّة، عند قوله : (**أ لستُ بربكم**)[1]، ويحاذيه ويقابله يوم القيامة في القوس الصعودي، وبعد مقام (**أ لستُ بربّكم**)، في القوس النزولي، الكسر في عالم الطبيعة النورانية، ويحاذيه ويقابله ما بين النفختين؛ نفخة الصعق، ونفخة الفزع، وذلك في مدة أربعمائة سنة، وبعد ذلك في النزولي عالم الهباء، وعالم المثال، إلى وقت الولادة الجسمانية، ويحاذيه ويقابله الموت الطبيعي، فإنّ إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه الحياة إذا تمّت له الأربعة الأشهر، وعزرائيل عليه السلام يقبضها في مقابلة ذلك .

ويشير المصنّف بهذه الكلمات، من قوله : «لأن هذه لا تكون إلّا بعد خراب الدنيا، وبوار السماوات والأرض، وانتهاء مدّة عالم الحركات، -إلى قوله- : لا استقاميّة»، إلى أن الجنّتين جنّة الآخرة، وجنّة الدنيا مُتَساويتين، وأنّهما وَراء عالم الملك، وأنهما باقيتان .

ويلزم من كلامه أنّ الدُّنْيا لَا جَنّةَ فيها، وأنّ عالم الملك يفنى في الآخرة، فلم يبق في الآخرة شيء، مع أنّهُ يَذْهب إلى أن جميع الأشياء في الزّمان، وأن الزمان لا يسبقه شيء، ولا يتقدّم عليه شيء؛ إلّا الباري تعالى، وقدْ صرّح هنا بقوله : «وانتهاء مدة عالم الحركات»، وقد ذكر بأنّ الزمان عبارة عن الحركة الحادثة عن

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

الفلك، وحينئذٍ لا يصدق قوله : «محسوسة»، كما يأتي في تقسيمه، إذ الجنّة المحسوسة لا توجد إلّا بالأجسام الزمانية .

[مراتب النزول ومراتب الصعود]

وقوله : «وقد شبّهت الحكماء والعرفاء هاتَيْن السلسلتين بالقوسين من الدائرتين»؛ يراد من السلسلتين مراتب النزول، ومراتب الصعود، فإن كل مرتبة مرتبطة بما فوقها، وبما تحتها، كحلق السلسلة، وكل مرتبة منها مستديرة على قطب علّتها، استدارة صحيحة، كما نبّهنا عليه في الفوائد، فشبّهوها بالسّلسلة لهاتين العِلّتَيْنِ، ولأجْل كونِ العَوْدِ على غير طريق البدءِ، وكون السّير إلى جهة المبدأ في النزول والصعود، كانت الحركة انعطافيَّة .

[قول المصنف تتئن : بأنه إذا تقرر هذا فاعلم أنّ الجنة جنتان؛ محسوسة ومعقولة ...إلخ]

قال : «وإذا تقرّرَ هذا، فاعلم أنّ الجنّة جنّتان؛ محسوسة ومعقولة، كما قال تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١]، وقوله : ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾[٢]، المحسوسة لأصحاب اليمين، والمعقولة للمقرّبين؛ وهم العلّيّون .

وكذا النار ناران؛ محسوسة ومعنويّة كما مرّ، وكل من الجنّة والنار المحسوستين عالم مقداري؛ **إحداهما** : صورة رحمة الله .

والأخرى : صورة غضبه لقوله : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[٣]، ولذلك تصول على الجبّارين، وتقصم المتكبّرين، وكما أن الرحمة ذاتيّة، والغضب

(١) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الرحمان، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة طه، الآية : ٨١ .

عارض، كما برهن عليه لقوله : (**سبقت رحمتي غضبي**)[١]، وقوله : ﴿**عَـذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[٢]، فلذلك خلق الجنّة بالذات، وخلق النار بالعرَضِ، وتحت هذا سرّ»[٣] .

[الأجسام المحسوسة لا تكون إلّا زمانية، وما هو الزمان والمكان]

أقول : ذكر هنا أن الجنّة جنّتان؛ جَنّة محسوسة، ولا بدّ أَنْ تكون جسمانيّة، وقد قرّرنا في كتبنا أن الأجسام المحسوسة، لا تكون إلّا زمانيّة، والأجسام الزمانيّة من عالم الملك، فالجنّة المحسوسة من عالم الملك، إلّا أنّها صفّيَتْ من العوارض الدنيويّة، والعوارض البرزخيّة، ولمّا صُفِّيت من أعراض الدارين؛ دار البرزخ، ودار الدنيا، كانت من نوع الآخرة، وهي على تماسُكِها، بل هي أقوى من تماسكها في الدنيا، وقد مثّلنا لهذه التصفية، وبقاء التّماسُك بالحجر، فإنّه إذا ألقي عليه القلي، ووضع في كورة النّار، تخلّص زُجاجاً، وهو كتخلص الأجسام من النباتات، والفواكه والمطاعم، مع بقاء تماسكه، ولكنه لم يتصفَّ في ذاته، بالنّسبةِ إلى الأصلين اللّذين تكوّن منهما، وهما الكبريت والزيبق، اللذان هما أصل لكل المعادن، فإذا أذبت الزجاج وألقيتَ عليه الإكسيرَ الأبيض، إكسير الفضّة، فإنّه يكون بَلّوراً، يجمع البَصر، ويحرق في الشمس، لأنّه يجمع الأجزاء النّارية المنبثّة في نور الشمس، وتخلّصه بلّوراً بالإكسير الأبيض، مثل تصفية الأجسام من الأعراض الدنيوية، وكونها من أجسام البرزخ، والبلّور متماسك كتماسك الزجاج وأبْقى، فإذا أذبتَ البلّور، وألقيتَ عليه الإكسير الأبيض مرّة ثانية، تَخلّصَ ألْماساً، يثقب

(١) تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٩٨، ح٨ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

(٣) كتاب العرشية، ص٨٤ .

الأحجار الصلبة، وإذا كسر بالأسُرب انكسر مثلّثاً، ولا ينكسر بغيره، بل لو وضع على السندان[1]، وضُرِب بالمطرقة، غاصَ فيهما، ولم ينكسر، ولو لم يكن أَلْماساً حقيقيّاً لما حصلَتْ فيه صفات الألماس المعدني، بل يكون أعلى من المعدني بكثير، وهو من الحجر، وصفّى مرات ثلاثاً، فبلغ هذا الصفاء والصلابة والتماسك، كذلك الأجسام صفّيت مرّاتٍ ثلاثاً؛ **أحداهنّ** : من الأغذية للدنيا .

وثانيتهنّ : من هذه الدّنيا للبرزخ .

وثالثتهُنّ : من البرزخِ للآخرة .

وهذه الأجسام الأخرويّة من عالم الملك، وهي في الآخرة متقوّمة بما تقوّمت به في الدّنيا، من المكان والزّمان .

وأمّا المكان ففيه خلاف كثير، هل هو الفراغ المتوهّم، الذي تشغله الأجسام بالحصول فيه، أم هو الفراغ المخلوق، ...إلخ، أم هو البُعد المجرّد، أم هو السطح الحاوي للجسم المحوي، أم غير ذلك، وحَيرهم في مكان الفلك الأطلس .

والحق أنّه الفراغ المخلوق الذي يشغله الجسم بالحصول فيه، فإنّه مساوق للجسم في الوجود والظّهور، وشرط في تحقّق الجسم، فلا يكون شيء من الجسم ليس في مكانٍ، ولا شيء من المكان، لا جسم فيه .

وأمّا الزمان؛ فليس هو عبارة عن حركة الفلك، كما توهّمه المصنّف تبعاً لغيره، وإنّما هو المدَد وامتداد مكث الجسم وانتقاله .

[الحكماء الأولون وذكرهم لحركة الفلك]

والحكماء الأوّلون إنما ذكروا حركة الفلك، لبيان تصوره، فإنّ السائر السريع الذي يقطع فرسخين في ساعة، والسائر البطيء الّذي يقطع فرسخاً واحداً

---

(١) **السندان هو** : «من آلات الحدادين، وهو ما يطرق عليه الحديد» . [المنجد في اللغة، ص٣٥٤، ماد : «سَنَدَ»] .

في ساعة، إذا ابتدأ دفْعة في مسافةٍ هي فرسخ، وصل السريع آخرها في نصف ساعة، وبقي لابثاً نصفَ ساعةٍ، ينتظر البطيء، فمدّة بقائه زمان قطع البطيء نصف الفرسخ، وزمان مكثٍ السريع، فيتصوّر الزمان بالحركات، لا أنّ الحركات هي الزمان، وإلّا لكانت المتحركات قبل الزمان، وهو عنده ليس قبله إلّا الباري تعالى.

وأيضاً يلزم أن توجد المتحركات بدون الحركات، كما سيكون بعد فناء الخلق بين النفختين، فإنّ الحركات كلّها تبطل مع وجود السماوات والأرض أربعمائة سنة، ولهذا يخاطب الله سبحانه الأرض بما معناه : (**يا أرض أين ساكنوك؟، أينَ المتكبّرون؟، أين من أكل رزقي؟، وعبد غيري؟، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾[١]، فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه، ويقول : ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢]**)[٣].

والحاصل الجنّة المحسوسة جسمانيّة من عالم الملك، وفيها النمو الاستغنائي الامْدادي، والذّبول أي : التحلّل الافتقاري، إلّا أنّ ذلك تَرَقٍّ في مراتب الكمال، والقوة والجدّة، كما ذكرنا سَابقاً.

وقوله : «ومعقولة»؛ يعني نفسانيّة، ورُوحانيّة وعقليّة، وتنعّماهما ولذّاتُهَا، المعارف والخطابات الرّبانية، والمناجاة الأحدية، والمشاهدات القدسيّة، واستمتاعهم فيها بالانكشافات والتجلّيات، والامدادات الرحيمية، والفيوضات الرضوانية، وما يصل إليهم من آثار الحياة والعلم، والقدرة والملك، والتسلط القدسيّة، وما أشبه ذلك.

---

(١) سورة غافر، الآية : ١٦.

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٠١) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

[الجنة المحسوسة والجنة المقولة لمن تكون؟]

وقوله : «والمحسوسة لأصحاب اليمين، والمعقولة للمقربين»، واستدل على هذا التقسيم بقوله تعالى : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١]، وهو غلط؛ لأن المفسّرين وغيرهم من أكثر العلماء، يذهبون إلى أنّ المراد بمن ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ هنا المقرّبون، وإنّ الجنتين لهم، بمعنى أنّ كل واحدٍ من المقربين له جنّتان؛ جنّة عن يمين قصره، نالها بفعل الطاعات، وجنّة عن يسار قصره، نالها بترك المعاصي .

ولا يبعد أن تأوّل اليمنى بالمعقولة، واليسرى بالمحسوسة، وإلى أن المراد بأهل قوله : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٢]، هم أَصْحَاب اليمين؛ بمعنَى أَنّ كُلَّ واحدٍ من أصحاب اليمين له جنّتان؛ جنّة عن يمين قصرِه، نالَها بفعل الطَّاعات، وجنّة عن يسار قصرِه، نالَها بتركِ المعاصي، وكذلك أيضاً لا يبعد أن تأَوّل اليمنى بالمعقولة، لأهل اليمين، واليُسرَى بالمحسوسة، وهذا التأويل في الموضعين، هو الحقّ الذي يشهد له الاعتبار الصحيح، والنص الصريح .

وأما أنّ ما في قوله : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٣]؛ للمقرّبين يوم القيامة .

وما في قوله : ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾[٤]؛ لأصْحاب اليَمين، فالّذي يُفيدُه أحاديث أهل العِصمة عليهم السلام، أنّ قوله : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٥]، يراد منه أن من خاف مقام ربه من المقربين، وأصحاب اليمين؛ فله في الآخرة جنّتان،

---

(١) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

(٢) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

(٤) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

(٥) سورة الرحمان، الآية : ٤٦ .

جنّة معقولة، وجنّة محسوسة، إلّا أن كلتا الجنتين لكل واحدٍ من المقربين، وأصحاب اليمين بنسبة رتبته في الشرف، كما أشار تعالى إليه بقوله : **﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ** -يعني في الدنيا- **وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾**[1]، ولم يرد تعالى أنّ المقربين لا محسوسة لهم، وأصحاب اليمين لا معقولة لهم، بل لكل من النوعين معقولة ومحسوسة .

وأنّ قوله : **﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾**[2]؛ يراد منه أن لكل واحدٍ من النوعين، جنّتين مدهامّتين إذا مات في البرزخ، لأن الجنّتين المدهامتين من جنانِ الدنيا، ولهذا يخرج في الرجعة قبل القيامة الكبرى، كما في حديث أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال : (**وعنْد ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان، عند مسجد الكوفة، وما حوله بما شاء الله**)[3]، وأنهما جنّة آدم عليه السلام، فيكون قوله : **﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾**[4]؛ أي : من قبلهما، يعني في الدنيا، أي : في البرزخ، **﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾**[5]؛ أي : أقلّ وأضعف من جنّتي الآخرة .

والحاصل لأصحاب اليمين جنّة معقولة، وجنّة محسوسة، كما للمقربين، وإن كان كلّ بنسبته، والآية ليس فيها دلالة على مدّعاه؛ إلّا إنْ أراد تأويلها، فإن التأويل طريق واسع .

[المراد من العليين في كلام المصنف قدس سره]

وقوله : «وهم العلّيون»، يريد بهم أنّ المقرّبين في تلك الحال، أي : حال كونهم أهل الجنة المعقولة، فإنهم هم العلّيون، أي : ملائكة كروبيّون، وهو

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٢١ .

(٢) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢١٠) من هذا الكتاب .

(٤) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

(٥) سورة الرحمان، الآية : ٦٢ .

صحيح على ما نريد نحن؛ من كونهم ذوي حالات، هذه إحدى حالاتهم، لا على ما يريد من كونهم ذوي حالةٍ واحدة، قد انخلعوا عن الحالة المحسوسة، وكذا الكلام في قوله : «وكذا النار ناران؛ محسوسة ومعنويّة»، بمعنى أن المتبوعين؛ أعني الأئمة الذين يدعون إلى النار، لهم نار معقولة، ونار محسوسة، وللأتباع نار معقولة، ونار محسوسة بنسبتهم، وذلك كما قال تعالى : ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾[1] .

[مراد المصنف ﵀ من الجنة والنار المحسوستين]

وقوله : «وكلّ من الجنّة والنار المحسوستين، عالم مقداري»، إنْ أراد به أنّ الجنّة المحسوسة، والنار المحسوسة، من عالم الأجسام المعروضات، وإنّما الجواهر الجسمانية، صور للنفوس، ولم يرد أنّهما أعراض مقدارية، بل ذوات قائمة بنفسها؛ كالطعام والشراب، والحور والولدان والقصور، فهو كذلك .

وأمّا إن أراد أنّها صور وأعراض؛ بمعنى أنّها تصوراتٌ خياليّة، وتخيّلات نفسانيّة، كما ذهب إليه بعضهم؛ فهو باطل، وقد تقدم ما يشير إلى هذا في قوله ما معناه : «أن جميع ما في الجنّة من النعيم، من القصور والولدان والحور، والمأكل والمشارب والمناكح، وغير ذلك كلّها موجودة بوجود المؤمن، لأنها كلّها من نوع النيات والاعتقادات»، وقد ذكرنا هناك ما يلزمه فراجع .

[صورة رحمة الله تعالى وصورة غضبه]

وقوله : «**إحديهما** : صورة رحمة الله»، وهي جميع الجنّة المحسوسة، وما فيها من النّعيم، بل المؤمن نفسه في الدنيا والآخرة صورة رحمة الله، لأنّ مادّته من نور الله، وهو أثر فعله، وصورته من رحمة الله؛ لأنّ حدودها هيئات طاعته .

---

(١) سورة الأحقاف، الآية : ١٩ .

والأخرى : صورة غضبه؛ أي : النار المحسوسة، لأن مادّته من الماء الأجاج، وصورها من صورة غضب الله، لأنّ حدودها هيئات معصيته .

وقوله : «لقوله : ﴿**وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى**﴾[1]»، بمعنى أنّ حلول غضب الله -أعوذ بالله من غضب الله- محسوس؛ لأنه يفنى من وقع عليه ويقصمه، فاستدلّ على المحسوسيّة بالحلول المحسوس، فافهم .

وقوله : «وكما أن الرحمة ذاتيّة، والغضب عارض، كما برهن عليه [لقوله] : (**سبقت رحمتي غضبي**)[2]، وقوله : ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[3]، يشير به إلى ما ذكروه، من كون الرحمة ذاتيّة، والغضب عارض، حيث أنه تعالى قال : (**سبقت رحمتي غضبي**)، لأن الرحمة خلقت أوّلاً وبالذات، لأنها مطلوبة له تعالى لذاتها، ومحبوبة عندَه، لأنها عالم فأحببتُ أن أعرف، بخلاف الغضب .

ولّما كانت هذه الرحمة، أعني التي وسعت كل شيء مخلوقة، والمخلوق لا يكون بسيطاً، إذ لا يتحقق إلّا باعتبارين؛ اعتبار من ربّه، واعتبار من نفسه، وجب أن يخلق له دعامة يتقوّم بها، ولا تكون من نوعه، وإلّا لما تحقّق الاعتباران، فوجب أن تكون من خلافه، وخلاف الرحمة لا يكون رحمة، فكان غضباً، والغضب ليس مراداً لله تعالى لذاته، بل لتقوّم المحبوب عند الله، وهو الرحمة، فخلق الغضب ثانياً وبالعرض، فلذا قال : (**سبقت رحمتي غضبي**)، فكان كلامه تعالى في كتابه جارياً على طبيعة الإيجاد، فينسب الرحمة إليه، وإن كانت من فعله، لأجل محبّتها بالذات .

---

(١) سورة طه، الآية : ٨١ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢١٦) من هذا الكتاب .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

ونسب العذاب إلى فعله؛ لبيان العرضيّة، قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)، فلذلك خلقت الجنّة بالذات، لأنها خلقت من الرحمة، ودار الرحمة وأهلها، وخلقت النار بالعرض، لأنها خلقت من الغضب، ودار الغضب وأهله .

[ملك الله تعالى لا يزيد بالعقوبة ولا ينقص بالعفو]

وقوله : «وتحت هذا سرّ»، يريد به أن تحت كون الرحمة خلقت أوّلاً وبالذات، والغضب خلق ثانياً وبالعرض، وأن الجنّة خلقت بالذات، والنار خلقت بالعرض، سرّاً مكتُوماً عن عوام الناس، وهو أنّ الأمر الذي يتعلّق بالتكليف، وبالعقاب على المخالفة، أسهل ممّا يظهر، فإنهم يقولون : إنا تتبّعنا كتاب الله العزيز، ووجدنا كل موضعٍ ذكر فيه الرحمة والغضب، أو العذاب، يكون جانب الرحمة راجحاً على جانب العذاب، وجهة العَفْو أرجح من جهة العقوبة، مع ما ثبت من غناه سبحانه عن عذاب عباده العاصين، وحاجتهم إلى عفوه ورحمته، وأن ملكه لا يزيد بالعقوبة، ولا ينقص بالعفو .

وإنّما أظهر لهم هذه التشديدات؛ تخويفاً للعاصين، ليرتدِعوا عن المعاصي، كما قال تعالى : ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾(٢) .

وأيضاً إذا كان النار خلقت بالعرض، لا يدوم عذابها، بل يؤل حال أهلها إلى النعّيم، بما فيها من أنواع العذاب .

[كيفية إباحة ترك العبادات وفعل المحرمات عند الصوفية]

وأقول : اعلم أنّ الصّوفية(٣) ذهبوا إلى هذا ومثله، ليهوّنوا على أنفسهم

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٥٩ .

(٣) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

الخطب، وليتوصّلوا إلى الراحة من مشقّة التكليف، حتى أن كثيراً منهم أباح كلّ ما منع الله تعالى منه، فتركوا العبادات كلها، وفعلوا المحرّمات كلها، وأقسموا بالله العظيم، إنّ مآل أمرهم مع فعلهم هذا إلَى النّعيم المقيم، ويكفيهم من جميع ما يريد الله منهم، قولهم : «لا إله إلّا الله»، ويأوّلون على مطلبهم هذا، قول النبي صلى الله عليه وآله : **(من قال : لا إله إلّا الله مخلصاً دخل الجنّة)**[١] .

وأقول : أمّا ما وصفوا من غنى الله تعالى عن عبادة عباده، وعن تعذيبهم، وأن ذلك لا يزيد في ملكه بالعقاب، ولا ينقص بالعفو والثواب، فهو فوق ما ذكروا، وأعلى وأجلّ بما لَا يدخل تحت وهمٍ من الأوهام .

وأمّا ما ذكروا من تهوين الخطب في نفس التكليف، وما يترتّب عليه، فهو مبطل لأحكام الكتاب والسّنة، وإخبارهما، وذلك تقوّل على الله سبحانه، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله، والله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله منهم بريئان، بل كذبوا ولعنوا بما قالوا، بل قد يقع بأهل المعاصي ما لم يذكر ظاهراً، لا في الكتاب، ولا في السنّة، كما أشار تعالى إليه في قوله : **﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾**[٢]، لأنه وإن كان الله عزّ وجلّ لا يجازيهم إلّا بأعمالهم السيئة، إلّا أن الخلق لا يكادون يحيطون بشيء من علمه؛ لأنّ اللّه تعالى يعاقبهم إن لم يعف بما يترتب على معاصيهم في علمه، **﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾**[٣] أن يعلموه من ذلك، وما شاء منه أظهره لهم في ظاهر كتابه، وظاهر سنة نبيه صلى الله عليه وآله، وما أخفاه في الكتاب والسنة أكثر مما أظهره فيهما وأعظم، فلا يخرج أحد من خلق الله عزّ وجلّ عن قصور وتقصير في حق الله تعالى؛ لأنّ كل ما في الإمكان قاصر عن كل ما ينسب إلى

---

(١) بحار الأنوار، ج٨، ص٣٥٩، ح٢٤، باب : ٢٧ . وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٥٦، ح١٢، باب : ٢٣ .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٤٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

الأزل، ومقصّر عن أداء ما هو أهله تعالى، إذ كل ما في الإمكان من الأداء والوفاء، نعمة من أثر ما لله على خلقه، ومن ذلك الأثر ذوات العاملين المؤدّين والموفين، والأداء والوفاء صفاتهم، فكيف يصحّ مقابلة المؤثّر بصفة الأثر، فافهم .

[قول المصنف ﷺ : بأنه قد علمت أن ليس لهما مكان في ظاهر هذا العالم ...إلخ]

قال : «وقد علمتَ أن ليس لهما مكان في ظاهر هذا العالم، لا في علوه ولا في سفله؛ لأن جميع ما في أمكنة هذا العالم متجدّدة، داثرَة مستحيلة فانية، وكل ما هو كذلك فهو من الدنيا، والجنّة والنار، من عالم الآخرة، وعقبي الدار، نعم لكل منهما مكان في داخل حجب السماوات والأرض، ولكن لهما مظاهر في هذا العالم، بحسب نشأتهما الجزئيّة، وعليه تحمل الأخبار الواردة في تعيين الأمكنة لأحدهما، كما في قوله ﷺ : (**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**)[١]، وقوله : (**قبر المؤمن روضة من رياض الجنّة، وقبر المنافق حفرة من حفر النار**).

وما روي : (**أنّ في جبل أروند عيناً من عيون الجنّة**)[٢] .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام : (**أنّ للّه جنّة خلقها في المغرب، وماء فراتكم هذه يخرج منها**)[٣] .

وروي : (**أن برهوت وادٍ من أودية جهنم**)[٤] .

---

(١) معاني الأخبار، ص٢٦٧ . وسائل الشيعة، ج١٤، ص٣٦٩، ح٤، باب : ١٨ .

(٢) بحار الأنوار، ج٥٧، ص١٢١، ح١٣ . معجم البلدان، ج١، ص١٦٣ .

(٣) فروع الكافي، ج٣، ص٢٤٦، ح١، باب : جنة الدنيا . الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج١، ص٣٣٨، ح٨، باب : ٧٢ . بحار الأنوار، ج٦، ص٢٨٩، ح١٤، باب : ٩ . تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٥٦١، ح١٥٠ .

(٤) بحار الأنوار، ج٨، ص٢٨٦، ح١٤ .

والروايات فيها كثيرة متخالفة الظواهر، ذكرنا وجه التوفيق بيْنها في كتابنا المبدأ والمعاد[١]»[٢] .

[مكان وجود الجنة والنار في هذا العالم على رأي الشارح تتمُّ]

أقول : قد ذكر فيما تقدم؛ أن الجنّة والنار ليس لهما في هذا العالم مكـان؛ لأن السماوات متطابقة، ليس فيها ولا بينها فضاء بناء منه، على أنّ ظاهر هـذا العالم العلوي منه والسفلي، متماسك بعضه على بعض، مـن محـدب الفلـك الأطلس، إلى أسفل التخوم، وعلى أنّ الجنان والنيران ليست مـن نـوع هـذه الأجسام، وإنما هي معنوية إن كانت معقولة، وصوريّة إن كانت محسوسة، فهي من الجبروت والملكوت، فيكون لكلٍّ منهما مكان في داخل حجب السـماوات والأرض، فإن كانت جنّة معنويّة، فمكانها في باطن حجـب السـماوات، وإن كانت جنّة محسوسة، فمكانها في ظاهر حجب السماوات، وإن كانـت نـاراً معنويّة، فمكانها في باطن حجب الأرضين، وإن كانت ناراً ظاهرة، فمكانهـا في ظاهر حجب الأرضين .

وأقول : قد تقدّم ذكر هذا، وذكرنا عليه أن الجنّة جنّتان؛ أمّـا المعنويّـة فمكانها الجبروت، ووقتها أعلى الدهر، ومنها ما هو في عالم اللاهـوت؛ أعـني الوجود الراجح، وقته السرمد .

وأمّا المحسوسة فمكانها الملك، ووقتها الزّمان، ومنها ما هـو في الملكـوت الأعلى، ووقته أسفل الدهر، وأوسطه .

وأمّا النار المعنويّة، فمكانها الملكوت الأسفل، وما تحته كذلك .

وأمّا النار المحسوسة، فمكانها الملك كذلك؛ يعني أن وقتهما بنسـبتهما في الرتبة .

---

(١) راجع المبدأ والمعاد، ص٥٨١، فصل : في أن الجنة والنار حق .

(٢) كتاب العرشية، ص٨٤ .

[العوالم الثلاثة وأوقاتها باقية أبد الآبدين ومعنى بقائها]

واعلم أنا ذكرنا مراراً؛ أن عالم الملك باق أبداً لا فناء لـــه، ولا نفـــاد، ولا دثور، وكذا عالم الملكوت، وعالم الجبروت، وأمّا عندهم فلا إشكال في الجبروت والملكوت .

وإنّما يمنعون بقاء الملك ووقته؛ أعني الزمان، وقد ذكرنا أن هذا القول إنكار للبعث، وأنّ الحقّ أن العوالم الثلاثة باقية أبد الآبدين، هي وأوقاتها، وأن بقاءهـــا على حدٍّ واحدٍ، بمعنى أنها باقية بإبقاء الله تعالى، بدوام امدادها متصلاً لا ببقائه، كما توهمه المصنّف وأتباعه .

[كيفية امداد الله تعالى لابقاء هذه العوالم الثلاثة]

وأن كيفيّة امداده؛ أنه تعالى يُمِدّها مما خلقها منه .

وبيانه : أن ما تحلّل منها، وفني بالفقر والإمكان، أعاده لها بحالٍ أكمل منـــه قبل الفناء والتحلّل، وكسره به، وصاغه به صيغة أكمل مـــن الصـــيغة الأولى، وأقوى وأصحّ، وأحدّ وأبقى، وأصفى وأعلى، وأنور وأغلى، وهكذا بلا نهايـــةٍ، كلّ ثانية أعلى وأجلّ، وأكمل من الأولى .

والتحلّل والتبدّل في الملك والملكوت والجبروت، على حدّ سواء كلّ بنسبته في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا حال الممكن، إذ كل ما سوى الأزل ﷻ متجـــدّد متغيّر، والباقي على حالٍ واحدة، لا يتغيّر ولا يتبدل، ولا يتحوّل، هو الواحـــد ﷻ.

[جنان المقربين وأصحاب اليمين]

فلكل من المقربين، وأصحاب اليمين، جنان معنويّة، ملكوتيـــة وجبروتيـــة، ومحسوسة جسميّة ذاتية، وصوريّة وصفيّة، ولكل مـــن الجاحـــدين الكـــافرين، والمنافقين وأتباعهم، نيران معنويّة، تطّلع على الأفئدة ملكوتية، وما تحت ذلك .

ونيران محسوسة ملكيّة، كما أن المؤمنين لهم في هذه النشأة الدنيوية؛ أعني النشأة الأولى، أجسام ملكية، وأوصاف جسمانية، ولهم نفوس وأرواح، وعقول ملكوتية وجبروتية، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذكَّرُونَ﴾[1]، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾[2]، والأخرى كالأولى، مَن عقل الأولى، عرف الأخرى.

وهذه السماوات والأرض، اللّتان في الدنيا، هما اللتان في الآخرة، كما أن الأجساد التي في الدنيا، هي التي في الآخرة، ولكنها تصفّى وتطهّر، ويبرز باطنها القوي المتماسك، كما تصفى الأجساد وتطهّر، ويبرز باطنها القوي المتماسك.

والجنان تبرز فوق هذه السماوات، بعد تصفيتها وتطهيرها، والسماوات وإن كنّا الآن قائلين بأنها دخان كالبُخار، ويوم القيامة كذلك، فإن الجنان وأجساد أهلها فوقها، ولا يذهب عليك أنه كيف يحمل ما هو كالبخار الأجسام الثقيلة، فإن الأرض لا تحمل الأجساد الثقيلة بتماسكها، وإنما الحامل لها هو الحي القيوم تعالى، فإن الله تعالى يحملها على ما هو كالبخار وألطف، ألا ترى أن المؤمن إذا طهر ظاهره وباطنه من الذنوب، مشى على الماء، وعلى الهواء، والله سبحانه يقول: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّهُ﴾[3]، وقال: ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[4].

ولو أراد المصنّف أنّ الجنان والنيران ليس لهما مكان في ظاهر هذا العالم؛ بمعنى أنّ هذا الظّاهر متغيّر بالتّصفية، وإنّما مكانهما فيه بعد التصفية، كما يقال: أَنَّ هذا هو مراده لكان صحيحاً، ولكنه يلزمه مساواة الأشياء قبل التّصفية، وبعدها في الافتقار إلى المدد في بقائها، وإن كان كلٌّ بنسبته في التّحقق.

---

(١) سورة الواقعة، الآية: ٦٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٩.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢.

ولمّا جعل المجردات القادسة باقية ببقاء الله تعالى لا بإبقائه، وجعل أهل الجنّة عليّين، وإنّ ما وَصل هناك كلّه من الجبروت والملكوت، وأَخْرج الملك من عالم الآخرة، قلنا عليه : ما سمعتَ .

وعباراته موهمة لخلاف ما قلنا، ولكن إذا تَتَبّعْتَ كتبه؛ رأيتَ أنّه قائل بما نسبنا إليه .

[المراد من أن كل جنة فوق سماءٍ]

واعلم أن الجنان المحسوسة، كل جنّة فوق سماءٍ، وفي خلال ما فوقه، فالجنّة السفلى فوق السماء الدنيا السفلى، وفي خلال الثانية .

والجنّة الثانية فوق السماء الثانية، وفي خلال الثالثة .

والجنّة الثالثة فوق السماء الثالثة، وفي خلال الرابعة، وهكذا إلى الجنة السابعة فوق السماء السابعة، وفي خلال الكرسي .

والثامنة فوق الكرسي، وفي خلال العرش، وذلك مثل ما كنا الآن فوق الأرض، وفي خلال الهواء .

فكلّ جنّة فوق سماء، وإليه الإشارة بقوله تعالى : **﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾**[1]، وقد تقدم أن السماوات والأرض تبدّل وتكشط، وأن معنى كشطها وتبديلها تصفيتها، وأن أهل الجنّة المحسوسة على أرضٍ تقلّهم، كما قال تعالى حكاية عنهم : **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّه الَّذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء﴾**[2]، وتحت سماء تظلّهم، كما في الحديث : **(إن الجنة أرضها الكرسي، وسقفها عرش الرحمان)** .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الزمر، الآية : ٧٤ .

[هل للجنان والنيران مظاهر محسوسة أم لا؟]

وقوله : «ولكن لهما مظاهر في هذا العالم بحسب نشأتهما الجزئيّة»؛ أي : للجنان والنيران المحسوستان مظاهر في هذا العالم، وهذا صحيح .

وأمّا قوله : «بحسب نشأتهما الجزئيّة»، ليس على اطلاقه بصحيح؛ لأنّ المحسوسة جزئيّة في النشأة الآخرة كما في الدنيا، وما سمعتَ من أن المؤمن إذا أخذ الحوريّة، أو الرمانة، من غصنها، نبت مكانها غيرها، بحيث لا يخلو مكانها من بدلها، فإنه إحداث بَدَلها من أمكانه منها .

ومثاله في الدنيا إذَا أشْعَلْتَ سراجاً من سراجٍ، فإنه يكون عندك سراجٌ كالأوّلِ، والأوّل على حاله .

وإن أراد بذوات المظاهر الجنان المعنويّة أو الأعم، اتّجه بعض معاني كلامه على اصطلاحهم في الجزئي والكلّي، بمعنى أن هذا المظهر فيه شيء من الجنان المعنويّة، يظهر أثره في الدنيا، بلذّة الإقبال على الله، ولذّة مناجاته، وانشراح الصدر بالإسلام، وبرد القلب بالإيمان، وحُبّ المعرفة في الفؤاد .

[معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : (ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)]

وقوله صلى الله عليه وآله : **(ما بين قبري ومنبري، روضة من رياض الجنّة)**[1]، لَهُ مَعْنى ظاهر، كما أَشَار إليه المصنف .

ومعنى باطن بَيَّنَه الصّادق عليه السلام بما معناه، : **(المراد من القبر؛ علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن المنبر القائم «عجل الله فرجه»، وما بَيْنَهُمَا الأئمّة عليهم السلام)**، وهم الروضة الّتي أشار إليها صلى الله عليه وآله .

وأَمّا جَنّة القبر، وكونه روضة من رياض الجنة، وكونه حفرةً من حُفَر النّارِ، فالمراد بهذه الجنّة الّتي قبر المؤمن، روضة منها جَنّة الدُّنْيا، التي هي المدهامّتان .

والنّار الّتي قبر المنافق، حفرة من حُفَرِها، نار الدّنيا الّتي في المشرق .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٢٥) من هذا الكتاب .

وهذه المواضع، أعني مواضع الجنّة، ومواضع النّار، من جنّة الدّنيا، ونار الدّنيا، بمنزلة الأعضاء من الإنسان؛ أي : من جسده أو روحه، فافهم .

ومثل ما روي : (**أنّ في جبَل أروند، عَيْناً من عيون الجنّة**)[1] .

وما روي عن أبي جعفر عليه السلام : (**أنَّ للّه جنّة خلقَها في المغرب، ومَاءُ فراتِكُمْ هذهِ يخرجُ منها**)[2] .

وروي : (**أنّ الفرات والنّيل، وسَيْحان وجَيْحان، تخرُجُ منها**)، والأحاديث في ذلك كثيرة .

وهذه الجنّة، أعني جنّة الدُّنْيا التي هي جنّة آدم عليه السلام المدهامّتان، كما مر في الإقْليم الثامن، عند مغرب الشمس، أسفلها على محدّبِ الفلك الأطلس رتبةً لا مكاناً، إذ لا مكان، ولا شيء خارج فلك المحدّد؛ لأن جميع الأكوان غيبها وشهادتها فيه، وما ثبت أن هذه الأنهار الأربعة، تجتمع من الأمطار، والسيول من الجبال، ومن ينابيع تجري من الأرْضِ، لا ينافي كونها خارجة من الجنّة، فإن الملائكة حملت تلك المياه الأربعة، اغترفتها من البسملة .

[بيان الأنهر الأربعة وينابيعها]

فماء الفرات غرفته ملائكة الماءِ، ماء من ميم بسم من بسم الله الرحمن الرحيم .

وماء سيحان اغترفته ملائكة اللبن من هاء الله ماء .

وماء جيحان اغترفته ملائكة العسل من ماء ميم الرّحمن .

وماء النّيل اغترفته ملائكة الخمر من ماء ميم الرحيم .

وهذه الأنواع الأربعة من الملائكة، أَلْقَتْ ما اغترفته على الرياح، والرياح ألقته على السحاب، والسحاب ألقاه على الأرض، فمنه ما سلكه ينابيع في

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٢٥) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٢٥) من هذا الكتاب .

الأرض، ومنه على الجبال، فسالت السيول، ونبعت العيون، وجرت المياه الأربعة في الأنهار الأربعة المذكورة .

فجرى ماء الفرات، من ماء الميم، وهو الماء في أنهار الجنّة يوم القيامة .

وجرى ماء سيحان، من لبَنِ الهاء، وهو نهر اللبَن في الجنّة يوم القيامة .

وجرى ماء جيحان، من عسل ميم الرّحمان، وهو نهر العَسل في الجنّة يوم القيامة .

وجرى ماء النيل، من خمر ميم الرحيم، وهو نهر الخمر في الجنّة يوم القيامة .

وما سمعت من هذا التّفصيل، أخذناه كله من معاني الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام، على سبيل الاقتصار .

وأما برهوت[1]؛ فهو وادٍ من أودية جهنم، في حضرموت من اليمن، وفي برهوت عين تسمى ببلهوت، وتلك البئر أحرّ ماءٍ على وجه الأرض، تأوي إليه الهام، وأرواح الكفار تعذّب فيه إلى قيام الساعة .

وتصدر تلك الأرواح الخبيثة، إلى النار التي في المشرق عند مطلعِ الشمس، وفيها يعذّب قابيل بن آدم عليه السلام، وقد وكّلَ به عشرة رجالٍ، إذا مات أحدهم قام غيره مقامه، يصبّون على قابيل في الشّتاء الماء البارد، وفي الصيف الماء الحارّ، وهكذا إلى يوم القيامة، وقد تقدّم فيما ذكرنا سَابِقاً، مَعَ هذَا ما فيه توفيق بين ظواهر الأخبار، وبين المعروف عند الناس .

---

(١) قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : **(شر ماء على وجه الأرض، ماء برهوت؛ وهو الذي بحضرموت، ترد عليه هام الكفار)** . [فروع الكافي، ج٣، ص٢٤٦، ح٤، باب : في أرواح الكفار . الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٣٣٨، ح٧] .

[قول المصنف ﵀ : بأن العجب من عاقل يشك في النشأة الآخرة والجنة والنار ...إلخ]

قال : «والعجب من عاقل يشكّ في النشأة الآخرة، والجنّة والنار المحسوستين، ولا يشكّ فيما يراه في المنام .

وأيضاً الدنيا والآخرة داخلتان تحْت مقولة المضاف؛ لأن أحدهما مأخوذة من الدنو، والثانية من التأخر، وهما حالَتان للإنسان، أدناها : الدنيا، والأخرى : الآخرة .

والمتضايفان يعرفانِ معاً، فمن لم يعرف الآخرة، ولم يصدّق بوجودها بالحقيقة، ما عرف الدنيا أيضاً، كما قال : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١] .

وكذلك إني لا عجب من أكثر الفلاسفة، أتباع أرسطو طاليس[٢]؛ كأبي علي[٣]، ومن يحذوحذوه، حيْث أنكروا غاية الإنكار؛ أن للنفس كينونة أخرى قبل البدن، مع اعترافهم بأن لها كينونة، وبقاء بعد البدن، ومن هذا القبيل من يشكّ في حشر هذه الأجساد، وعودها إلى الآخرة، ويقول : أين تذهب هذه الأجسام بعد خراب الدنيا؟، ولا يشكّ في حدوثها، ولا يقول : من أين جاءت هذه الأجسام»[٤] .

[الاستدلال بالرؤيا على البعث]

أقول : تعجّب المصنّف من عاقل له بصيرة في العلوم والحكمة، يتوقّف في شيء من أحوال الآخرة، مذكور عند أهل المِلَل، وفي الجنّة والنار المحسوستين، ولا

---

(١) سورة الواقعة، الآية : ٦٢ .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٦٨) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٤٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) كتاب العرشية، ص٨٥ .

يتوقّف ولا يشك فيما يراه في المنام؛ في أنه رأى أشياء في نشأةٍ غيرِ نشأة يقظته، حتى أنه رأى من ماتَ من أسلافه، وأحوالهم الماضية، كما هي قبل ذهابها، فإنّ العاقل العارف، يستدلّ بعودها في المنام بعد ذهابها، على عودها بعد ذهابها يوماً، لأنّ عودهم في المنام بعد عدمهم، وفقدانهم دليل لمن له قلب، ممّن يشاهد ما غاب عنه عياناً، فيما حضر عنده، أو ألقى السمع وهو شهيد؛ أي : استمع ممّن له قلب، وهو حاضر القلب، مُصْغٍ إصغاءَ تفهّم، قد اجتمع قلبه لذلك، وهما اللذان ينظران بالفُؤاد، ويستدلّان بدليل الحكمة، ولقد روي ما معناه : (**أنّ نبياً من أنبياء الله، دعا قومه إلى عبادة الله، والإقرار بالتوحيد، والعدل والنبوة، والإيمان باليوم الآخر، فأنكروا البعث، وقالوا : إن كنتَ صادقاً فائت بآبائنا الذين ماتوا؟، فألقى الله عليهم المنام والرؤيا، فرأوا آباءهم أحياء، وتلاقوا معهم في المنام وتعارفوا .**

فاستدلّوا بذلك على البعث، فنبّه على عموم جهات الاستدلال بذلك، فقال : كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون) .

[المراد من تسمية الدنيا دنيا؟]

وقوله : «الدنيا والآخرة داخلتان تحت مقولة المضاف»، يريد أن الدنيا إنّما سُمِّيت دنيا من الدنو، وهو القرب، وذلك يستلزم ضدّه، وهو التأخر، فالدنيا يعني المدّة الدنيا، أو الحالة الدنيا، أو النشأة الدنيا، تستلزم المدة الأخيرة، أو الحالة الأخيرة، أو النشأة الأخيرة، فإذا لوحظ في النشأة الأولية، أن بعدها نشئات تُنسَب إلى الأولية، قيل : النشأة الأولى بصيغة التفضيل؛ لأن بعدها أحوالاً كالشيب بعد الشباب، تكشف له عن وجوه العِبَر، فكالبرزخ وكالرجعة، وقيام الحجة عليه السلام .

وإذا لُوحِظ أنه ليس بعد يوم القيامة حالة ترجَى غير ما كان، أتى بصيغة التفضيل، فقيل : النشأة الأخرى .

ولا ريب أن تسميتهما من مقولة المضاف، كما أشار إليه المصنف، فمن عرف ذلك مؤمناً به، اعترف بالآخرة على حدّ ما مُثّل له، وعاينه من النشأة الأولى، ومن ذلك ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[١]، ضرب مثلاً لمن أنفق ماله في سبيل الله.

[هل صحيح بأن من لم يعرف الآخرة ولم يصدق بوجودها بالحقيقة لم يعرف الدنيا؟]

وقوله : «فمن لم يعرف الآخرة، و لم يصدّق بوجودها بالحقيقة، ما عرف الدنيا»، صحيح، ويؤيده قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ**﴾[٢]، فإنه تعالى عتب على من علم النشأة الأولى و لم يتذكر، فيعرف بها النشأة الأخرى، قال تعالى : ﴿**قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ**﴾[٣]؛ أي : اقرأوا القرآن، وتدبّروا آياته، أو انظروا في الآفاق وتدبّروا، ﴿**فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ**﴾[٤]، وما أعمى البصائر عن الآخرة إلّا حبّ الدنيا، كما قال تعالى : ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[٥] .

[تعجب المصنف تَتُّنُ من أكثر الفلاسفة الذين ينكرون وجود النفوس قبل الأجسام]

وقوله : «وكذلك وإني لأعجب من أكثر الفلاسفة، وأتباع أرسطوا

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٦١ .

(٢) سورة الواقعة، الآية : ٦٢ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ١١ .

(٤) سورة العنكبوت، الآية : ٢٠ .

(٥) سورة غافر، الآية : ٧ .

طاليس[١]، ...إلخ»، يريد إني أعجب من إنكارهم وجود النفوس قبل الأجسام، على نحو ما تقدمت الإشارة إليه، مع اعترافهم بوجودها بعد الأجسام، وما هذا إلّا مثل من أنكر النشأة الأخرى، أو شك فيها، وهو يرى النشأة الأولى، فإن ثبوت كينونتها بعد البدن، دليل على ثبوت كينونتها قبل البدن، وعجبه في محلّه، في حقِّ مَنْ يَدّعي العلم .

وكذا قوله : «ومن هذا القبيل، من يشكّ في حشر هذه الأجساد، وعودها إلى الآخرة، ...إلخ»، فإن مَن عرف هذه الأجساد في الدنيا، ومن أين أتت، فإنها لم تكن شيئاً، ثم جعلها بمشيئته شيئاً مذكوراً، ولم تكن مذكورة قبل مشيّئته بحالٍ، فمن جعلها بمشيئته شيئاً لا من شيء قادر على أن يعيدها، وهو أهون عليه، أي : هيّن عليه، ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢] .

وللمصنّف في هذه الكلمات الأخيرة؛ أغلاط عظيمة، ذكرنا بعضها فيما تقدم، منها : أنّ قوله : «من أين جاءت»، لا يريد بها أنها جاءت اختراعاً لا من شيء، بل يريد أنها انحطّت من وجوهها التي في ذاته الأزلية، انحطاط الظل من الشاخص؛ لأنه يقول : معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته، وعلى قوله : يكون انحطاطه عنه ولادة، فلا يصح أن يقال : لم يلد بل يلد، ولو قال : أنه ليس فاقداً لها في ملكه، لكان موحِّداً، قائلاً بقول المسلمين، ولكن ضاع الكلام، فلا كلام، ولا سكوت مُعجِب .

[قول المصنف تتنّ : بأننا قد جئنا إلى هذا العالم من جنة الله التي هي حظيرة القدس ...إلخ]

قال : «فاعلم يا حبيبي، أنا جئنا إلى هذا العالم من جنة الله التي هي حظيرة القدس، التي قدّس بها المقدّسون، ومنها إلى دار الحيوان، وجنّة الأبدان،

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٦٨) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الروم، الآية : ٢٧ .

ومنها إلى هذا العالم، دارِ العمل بغير جزاءٍ، ونذهب من هذا العالم إلى دار الجزاء، من غير عمل، فمن سلمت منّا فطرته، وحسنت أعماله، فإلى جنة الله، إن كان من المقربين الكاملين في العلم، أو إلى جنة الحيوان، إن كان من أصحاب اليمين .

ويبقى من ساء عمله، واسودّ قلبه، تحت نارِ غضب الله، في جهنم خالداً فيها، **﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾**[١]»[٢] .

[طلب الشارح تتمُّ من الناظر في كلامه بأن الله تعالى ضرب الأمثال لعباده، وأن المادة تقلب المادة إلى حقيقتها]

أقول : اعلم يا حبيبي أنّ الله تعالى ضرب الأمثال لعباده، وقال : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[٣]، وقال الصادق عليه السلام : (**العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، فما فقد في العبودية، وجد في الربوبيّة، وما خفي في الربوبيّة، أُصيبَ في العبوديّة ...**)[٤] .

وقال الرضا عليه السلام : (**قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هيهنا**)[٥]، ومن الآيات المداد فإنه مادّة صالحة للاسم الطيب؛ مثل الله، وللاسم الخبيث؛ مثل إبليس، لم يتميّز الخبيث والطيب إلّا بالصورة، وكالخشب صالح للباب، والسرير وللصنم، لم يتميّز الطيب والخبث إلّا بالصورة،

---

(١) سورة هود، الآية : ١٠٧ .

(٢) كتاب العرشية، ص٨٥ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٢٨) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٥٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وهذه آيات الله التي ضربها في الآفاق، ونحن خلقنا هكذا من مادة واحدة، كما قال تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[١]، ومن هذا إذا رأيتَ رجلين قاعدين، فنسبتهما قبل الاختبار إليك واحدة، فلمّا أمرهما وأطاع واحدٌ باختياره، وعصى واحد باختياره، كان المطيع بطاعته مطيعاً مقرّباً عندك طيّب الأصل، طاهر القلب، ولم يكن شيئاً من هذه الأحكام إلّا بطاعته مختاراً .

وكان العاصي بعصيانه عاصياً مبعّداً عندك، خبيثَ الأصل، نجس القلب، ولم يكن شيء من هذه الأحكام إلّا بعصيانه .

فالمادّة بالطاعة التي هي صورة من صور الرحمة، ومن الجنّة تكون طيبة منيرة، وبذلك تكون من النور، لا بمعنى أن الطاعة كاشفة عن كون المادة طيّبة، بل بمعنى أنّ الطاعة تقلب المادة إلى حقيقتها، بمعنى أن الله تعالى يقلب المادة بالطاعة نوراً، ويجعلها بها طيّبة، ويقلب المادةَ بالمعصية مظلمة، ويجعلها بها خبيثة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾[٢] .

وليس كما توهّمه المصنف والأكثر؛ من أن المادّة الطيبة، خُلِقت من النور ابتداء واختراعاً، لا من حيث قابليتها .

وإن المادّة الخبيثة، خلقت من الظلمة ابتداء واختراعاً، لا من حيث قابليّتها، بل لا مدخل لشيء في طيب الطيبة، وخُبث الخبيثة، سوى نفس فعل الله تعالى، ومشيئته خاصة، وقد ملئوا من هذا المعنى الكتب، والدّفاتر والسطور، والقلوب والخواطر والصدور، وهو غلط لا يأول إلى شيء من الحقّ، بل الحق ما أشرنا إليه.

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٥٥ .

[التحقيق في أن كل ما خلقه الله تعالى فمن مادة متماثلة]

والتحقيق ما نبّهناك عليه؛ من أن كل ما خلقه الله تعالى، فمن مادة متماثلة في أجناس الجواهر، وفي أنواع الأجناس، وفي أفراد الأنواع، فميّز بين أجناسها بالمميّزات الجنسيّة، وأبان بين أنواعها بالمميزات النوعيّة، وعيّن بين أشخاصها بالمميزات الشخصيّة، وكل شيء من المميزات في المراتب الثلاث، أمرٌ وجودي، حقيقي لا اعتباري، وهي حدود قابليات الأشياء للإيجاد، وبها ميّز بينها وبين أضدادها وبها أحدثها، وبطيّبها جعل المميّز بها طيّباً، وبخبيثها جعل المميّز بها خبيثاً؛ لأنه تعالى خلق المادة صالحة لكلٍّ من الأمرين، بما جعل فيها من التمييز والاختيار، فجعل ﷻ ما أجاب دعوته الإجابة الحسنى، طيّبًا بإجابته، ونوراً بقبوله، وجعل ما أجاب دعوته الإجابة السوءى خبيثاً بإنكاره، وظلمة بعدم قبوله، وما تسمع من أحاديثهم عليهم السلام، من أنه تعالى خلق ذلك الشيء من النور، فمعناه أنه خلق مادته بقبولها الدعوة التي أمر بها من النور، وخلق صورته من الجنّة بما اختار من لباس التقوى، وخلق ذلك الشيء من الظلمة؛ بمعنى أنه خلق مادته بعدم قبولها للدعوة التي أمر بها من الظلمة، وخلق صورته من النار بما اختار من لباس المعصية .

وحيث أن المصنف لا يفهم إلّا أن الطيب خلق ابتداء واختراعاً طيباً، والخبيث خلق ابتداء واختراعاً خبيثاً، قال مشيراً إلى أصل الاختراع : «يا حبيبي إنا جئنا إلى هذا العالم من جنّة الله، التي هي حظيرة القدس، التي قدّس بها المقدّسون» .

[المراد من حظيرة القدس في كلام المصنف قدس سره]

والمراد بالحظيرة القدس الجنة، والقدس الطهر، بمعنى أنها مقدسة هي وما فيها من الموت والفناء، والهرم والسقم، والغم والهمّ، والجهل والدثور، والزوال والتغيير، والانتقال والتعب، والنصب واللغوب، وعن كل ما لا تشتهيه الأنفس، وتلذّ الأعين .

وعنده أنهم جاؤوا منها في أصل الاختراع، وعندنا أنهم جاؤوا بحقيقةِ ما هم أهله، وإن كان كلّ نعمه ابتداء .

وبيان السرّ دقيق يحتاج إلى تطويل كلامٍ، وقد أشرت إليه سابقاً .

[المراد من كلمة «المقدسون» في كلام المصنف ﷺ]

ومراده بقوله : «المقدّسون»؛ أن أهل الجنة من المقربين، مجرّدون عن المـوادّ والصُّور، لاحقون بالأرواح القادسة، التي لم تدخل تحت «كن»، بل وليسوا من سوى الله تعالى، وهذا كثيراً ما يلوِّح به ويصرّح .

ونحن قد بيّنّا بطلان هذا كلّه فيما مضى، من هذا الكتـاب، وفي شـرح المشاعر وغيره، بل هم كغيرهم من أصحاب اليمين في التركيب، مـن المـواد والصور، والافتقار إلى المدد، وإن كانوا بنسبة حالهم .

[إظهار الشارح ﷺ مراد المصنف ﷺ من كلامه]

وقوله : «ومنها إلى دار الحيوان، وجنة الأبدان»؛ يعني بهـا رتبـة الـنفس الحيوانية، الحسّاسة الفلكيّة، أو النفس الناطقة القدسيّة، التي هي صدر العقل، لا النفس العليا، الّتي هي رتبة الفؤاد، فإنها الرتبة الأولى السابقة، وهـم أصـحاب اليمين، في الجنة الّذين نعيمهم في لذّات المطاعم، من المآكل والمشارب، والملابس والمناكح .

ومنها إلى هذا العالم، وهو دار العمل بغير جزاء، وهذا يريد منه بيان القوس النـزولي إجمالاً، والرجوع في القوس الصعودي على عكس الترتيب، على نحو ما أشرنا إليه سابقاً، وهو قوله : «ونذهب من هذا العالم إلى دار الجزاء»، ويريد أن الدنيا دار تكليف، وعمل بغير جزاء، ...إلخ .

وهو في الظاهر لا بأس به على نحو الإجمال، وإلّا ففي الحقيقة أن هذه الدار دار التكليف بما تكره النفوس، وقد يقع الجزاء فيها لبعضِ الأعمال؛ لأنّ جـزاء الأعمال يقع في دار نوع الأعمال، فإن كانت دنيويّة وقع جزاؤهـا في الـدنيا؛ كدفع البلايا، وإِدْرار الرزق، ودفع الآلام والفقر، وبالعكس في عقوباتها .

وإن كانت برزخيّة وقع جزاؤها في البرزخ؛ كنعيم الروح، ونعيم الأجساد في القبور، وبالعكس في عقوباتها .

وإن كانت أخرويّة، وقع جزاؤها في الآخرة، بأنواع النعيم في الجنّة، وأنواع العذاب في النار .

وأمّا الآخرة ففيها تكليف بما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين، وذلك لما برهن عليه في محلّه؛ أن المخلوق لا يتعلّق به الإيجاد والتكوين، والتمكين من التكوين، والتمكين من البقاء، ولا البقاء إلّا بالتكليف، وهذا مما لا ريب فيه عند أولي الألباب .

[المراد من جنة الله تعالى وبطلان القول بوحدة الوجود]

وقوله : «فمن سلمت منا فطرته، وحسنت أعماله، فإلى جنة الله إن كان من المقرّبين الكاملين»؛ يريد بجنة الله تعالى التي يكون نعيمهم فيها، بمناجاته ولذيذ كلامه، وسكر معرفته، لأنهم حينئذٍ مقدّسون مجردون عن جميع الأكوان، وهذا بناء منه على مذهبه من وحدة الوجود؛ لأنهم حينئذٍ ليسوا غير الله، وقد بيّنه في باب اتحادِ المعقول بالعاقل، والمفعول بالفاعل، والمحسوس بالحاس .

ونحن قد بيّنا مراراً بطلان هذا القول، وبطلان أصل هذه المسألة رأساً، وأيضاً لو كانت الأشياء قبل التكليف، وقبل ما يترتّب عليه مخلوقة من الجنّة ابتداء، لعادت إلى الجنّة من دون أن تتّصف نفسها وفطرتها، بالسلامة من التقصيرات، وحسن الأعمال، إذ كل شيء يعود إلى ما خلق منه .

ولمّا ثبت أنها لا تعود إلى الجنّة إلّا الجنة إذا سلمت فطرتها، وحسنت أعمالها، دلّ على أنّها لم تخلق من الجنّة إلّا بسلامة فطرتها، وحسن أعمالها، فافهم .

[أفضل النعم ولذة المقربين وحالات أصحاب اليمين]

وقوله : «فإلى جنّة الله»؛ يعني به أن المقربين يرجع أمرهم إلى جنّة الله التي يكون نعيمهم فيها، ولذّاتهم وشهواتهم بلذيذِ مُنَاجاتِه، والنظر إلى وجهه لا غير ذلك .

ونحن قد بيّنا أنّ المقربين أفضل نعيمهم ولذاتهم؛ المناجاة والذكر والنظر، ولهم تنعّم بالمآكل والمشارب والمناكح، وإن كانت قرّة أعينهم وتنافسُهم في المناجاة، بأن يسمعوا كلامه وخطابه، ويسمع دعاءهم، وذكرهم بما يذكرونه، ويراهم بما يرونه، ولأجل ذلك قال : **﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾**[1]، وهذه الآيات نزلت في سادات المقربين، وأنّ أصحاب اليمين لهم حالات كحالات المقرّبين؛ من المناجاة والاستماع، والرؤية بنسبة حالهم، لاشتراك الفريقين في أحكام العبوديّة، وفي الظهور في مظاهر الربوبيّة، كما أشار إليه تعالى بقوله : **﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾**[2]، إلّا أن كل طائفة تقبل بنسبة جوهرها وطينتها .

[بقاء من ساء عمله واسود قلبه تحت نار غضب الله تعالى]

وقوله : «ويبقى من ساء عمله، واسودّ قلبه، تحت نار غضب الله في جهنّم خالداً فيها، ...إلخ»، يعني أنّ من حسن عمله، وابيضّ قلبه، رفعته أعماله إلى علّيين .

ومن ساء عمله، واسودّ قلبه، بقي في سجن طبيعته، لثقل أغلال أعماله، فحطّته إلى أسفل سافلين، الذي هو محل غضب الله .

وظاهر كلامه في قوله : «ويبقى من ساء عمله»، أنّ الكلّ مخلوقون في البعد، فرفعت المقرّبين أعمالهم إلى علّيّين، وبقي الذين هم في مقام البعد مَن ساء عمله، أي : لم ترفعه أعماله، وليس الأمر كذلك .

ويحتمل أنّه أراد بقوله : «يبقى» معنى يمكث، كما تفيده القرائن .

---

(١) سورة الإنسان، الآيات : ١٥-١٦-١٧-١٨ .

(٢) سورة الإنسان، الآية : ٢٠ .

والمراد بقوله : «تحت نار غضب الله»، تحت قاهرية غضب الله، الّتي يظهر عنها العذاب بنار جَهنّمَ، وقد أشرنا سابقاً، ويأتي إن شاء الله إلى أَنّ الثواب والعقاب متقوِّمان بالأعمال؛ لأن الأعمال صور الثواب والعقاب، ومادّة الثواب والعقاب إشراق من أمر الله الذي به قامَ كلّ شيء، تَحَصَّصَ ذلك الإشراق بصور الأعمال، وهذا الإشراق يحمله أمر الله ونهيه القوليّان المتعلقان بأفعال المكلّفين، فإذا وافق عمل المكلّف أمر الله ونهيه، خلق تعالى منهما الثواب، وإن خالف خلق منهما العقاب .

فالعمل كالفصل لحصَص الجنس، وكالمشخصات، بل هو المجنّس والمنوّع والمشخّص؛ لأنه في الحقيقة هو الصورة، ولأجل كون الأعمال صور الثواب والعقاب، قال تعالى : ﴿**وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[1] .

[المدد والإمداد اللذان لا يستغني عنهما المخلوق]

وأصل ذلك أن الإمداد والمدد اللذانِ لا يستغني المخلوق عنهما، لا في التكوين، ولا في البقاء، منحصران في الرحمة والغضب، وامتثال أمر الله، واجتناب نهيه طريق رحمته، ومخالفتهما طريق غضبه، فمن أطاع دخل باختياره الرحمة؛ لأنّ ذلك ثمرة عمله، ومن عصى دخل في الغضَبِ باختياره؛ لأنه ثمرة عمله، وليس في الدنيا والآخرة إلّا دار الرحمة، أو دار الغضب، فمن خرج عن إحديهما دخل في الأخرى، وهذا حكم الدارين، وأهلهما خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض .

[نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار، وهل النعيم والعذاب دائم لهم أم لا؟]

أمّا أهل الجنّة فمنعّمون فيها أبداً، ويشتدّ نعيمهم فيها على مر الدهور المتطاولة بلا نهاية، لزيادة النعيم، واشتداده ودوامه .

---

(١) سورة الصافات، الآية : ٣٩ .

وأمّا أهل النار فمعذّبون فيها أبداً، وأهل التّصوف[١]؛ كابن عربي[٢]، وعبد الكريم الجيلاني[٣]، وأتباعهم من العامة، وابن عطاء الله[٤]، والبسطامي، وأمثالهم من العامة والخاصّة؛ كالمصنف على ما نصّ عليه في الشواهد الربوبيّة[٥]، والملّا محسن[٦] على ما ذكره في النّوادر[٧] وغيره، وأمثالهم قائلون : بانقطاع التألّم عنهم، ورجوع أمرهم إلى التنعّم بالعذاب، وهو خلاف نصّ الكتاب، والسّنة والإجماع، كأنّهم ماقرأوا قول الله : **﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾**[٨]، أو قرأوه وما فهموه .

وأصل هذا توهّم أنّ الله تعالى عدل لا يجور، ولا يظلم العباد، ومقتضى العدل أنّه لا يعذّب العاصي أكثر من جزاء معصيته، فإذا عصى عشر سنين، لو عذّب إحدى عشرة سنة مثلاً، كان قبيحاً، وكان الظالم بمعصيته مظلوماً، بمعاقبته أكثر من معصيته، ولأن العاصي إذا طال مكثه في الجحيم، كانت طبيعته ملائمة لطبيعة النار، فكان معتاداً بها، فيتلذّذ بالعذاب كالجمرة، فإنها كانت خشبة فأثّرَتْ فيها النار وأحرقتها، حتى كانت من نوعها، فأنست بها، بحيث لو أتاها ما ينافي النار والإحراق كالماء، أطفأها وأفسدَها .

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في ا لصفحة (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٥) راجع الشواهد الربوبية، ص٣١٣، المشهد الرابع، الإشراق السادس عشر : في كيفية خلود أهل النار الذين هم أهلها فيها .

(٦) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٨٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٧) راجع نوادر الأخبار، ص٣٦٩، باب : من لا يدخل النار ومن يخلد فيها .

(٨) سورة النساء، الآية : ٥٦ .

وكذلك أهل النار بعد تطاوُل الدهور، وانقلاب طبائعهم، كطبيعة أهل النار، لو أُدخلوا الجنّة تألّموا بها، وأضَرَّتْ بهم، كما تضرّ النار أهل الجنّة لو كانوا فيها، ولأنّ الله تعالى قال وهو أصدق القائلين : ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[١].

ولا شكّ أنّهم حينئذٍ من الأشياء، فتسعهم الرحمة الواسعة، ولأنّهم خلقوا من النّار، فإذا عادوا إليها عاد البعض على كلّه، والشيء لا يحرق نفسه.

وأمّا تألّمهم في أوّل دخولهم، مع أنهم أشياء، والرحمة تسع كلّ شيء، وأنهم من النار خلقوا، والشيء لا يحرق نفسه، فقد خرج بدليل خاصّ، وقضاء مبرم، وأمثال هذه التوهّمات.

[النيات والعزيمات أعمال حقيقية وأعمال الجوارح آثارهما]

وهذا أصل منتقض، وأساس منهدم، وقد أجبنا عن هذه، وأَمْثَالها في رَسَائلنا ومُبَاحَثَاتنا، بما لا مردّ لَهُ عند كلّ من له أدْنَى عقل، وأقرب فهم، ومنه على جهة الاقْتصار، أَنّ العَدل الحق تعالى ﴿**لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[٢]، فإنّ النِّيَّاتِ والعزيمات، أعمال حقيقيّة، وأعمال الجوارح آثارها، فإنّ مَنْ نَظر أَحاديث أهْل العصمة عليهم السلام، وعرفها ظهر له أن الأخبار الدالة على أنّ نيّة المعصية، إنّما لم تكتب معصية إذا نواها و لم يفعل، وكانت النيّة نيّة أعمال الجوارح، وتركها و لم يعملها، فإنّها لا تترتّب عليها أحكام الشرع في الدنيا.

أمَّا لو كان المانع له من الفعل عدم التمكن منه، فإنه يكون يوم القيامة فاعلاً لها، ومؤاخذاً بهَا، وهذا ممّا لا ريبَ فيه، كما صرّحت به الأخبار، واتفقت عليه

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦.

(٢) سورة يونس، الآية : ٤٤.

الفرقة المحقّة، من أنّ القائم عليه السلام يقتل قتلة الحسين عليه السلام، ومَن رضِيَ بأفعالهم، إلى يوم القيامة قصاصاً .

وقد ورد ما معناه : (**لو أنّ رجلاً قتل رجلاً بالمشرق، ورضي بذلك رجل في المغرب كان شريكاً في دمه، ويؤاخذ به، ويجري عليه حكم القاتل**)، ولأجل ذلك ورد : (**أنه إنّما خُلِّد أهل الجنّة في الجنّة، وأهل النار في النار بنيّاتهم**)[١]؛ يعني أن أهل الجنّة في نيّاتهم، أنهم لو بقوا في الدنيا أبد الآبدين، أنهم لا يعصون الله ويطيعون الله ولا يعصونه .

وأهل النار في نياتهم أنهم لو بقوا في الدنيا أبد الآبدين، أنهم يعصون الله ولا يطيعونه، وبذلك العزم، وتلك النيّة خلّدوا، وذلك حيث ساوت النية العمل، وقامت مقامه، وكذا ما مثّلنا به من مثال الأعمال المنقوش في غيب مكان الفعل ووقته، كما تقدم فراجع .

فعلى هذا لا فرق بين أوّل دخولهم الجنّة، وبين ما بعده، وأمّا ملائمتهم للنار، وانقلاب طبائعهم بطبعها، حتّى كانوا بعضاً منها، فليس بصحيح؛ لأنهم لو كانوا كذلك لم يكونوا إيّاهم؛ لأنّهم إنّما تميزوا منها بالمميزات الّتي هي جزؤهم، فإنهم مركّبون من مادة جنسية، أو نوعية، أو شخصيّة، ومن صورة صبغهم فيها بصبغ الغضب، ولو كانوا بعضاً منها، لما تمايزوا منها، ولا في أنفسهم، بل مقتضى حكم بقائهم لا يموتوا، ولا يخفّف عنهم من عذابها، تمايزهم دائماً، وعدم اتحادهم بها أبداً، بل كلما تطاولت الدهور، قويَتْ إنّيّاتهم التي هي المميزة لهم، فلا اتّحاد بينها وبينهم أصلاً .

وأمّا أنّ رحمته وسعت كلّ شيء فحقّ، ولكنها تسع كل شيء بقسميها الفَضْل والعدل، فتسع المؤمنين بقسم الفضل الذي هو الرحمة المكتوبة،

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٠١) من هذا الكتاب .

﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1]، وتسع المنافقين والمشركين بقسم العدل، على أنّها لو أريد منها معنى ما أرادوا لما تألّم أَحدٌ لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ولما أصاب أحداً من الخلق شيء من المكاره، لأن المكاره بجميع أنواعها من فيح النار، كما أشرنا إليه سابقاً.

[الدليل الدال على التألم في النار]

وقولهم: إنّ تألّم أهل النّار عند دخولها، إنما هو لدليل خاص غلط، فإن الدليل الدال على التألّم أوّلاً، دالّ على التألم آخراً، بل جميع الأدلّة من الكتاب والسّنّة والعقل، دالّة بصريحها عَلَى دوام التّألّم، واستمرار اشتدادِه على مرّ الدّهور.

[هل أن أهل النار بعض من النار؟]

وأمّا إنّ الشيء لا يحرق نفسه؛ فأَوّلاً: أهل النّار ليسوا بعضاً منها، وإن كانَتْ صورهم من صبغ جهنّم، كما أنّ الإنسان خلق من التراب، وليس بعضاً من الأرض، مع أنّ الأرْض تبليه، فكما أَنّ الأرْض تأكل مَن خُلِقَ منها، كذلك النّار تأكل أهلها، وإن كانوا مخلوقين منها، ولو كان الأمر كما توهموه، لَما أحرقتهم أوّل دخولهم.

[كيف تبدل السماوات والأرض والجواب عنه]

وقوله: «خالداً فيها ما دامت السماوات والأرض إلّا ما شاء ربّك، إن ربّك فعّال لما يريد»، يشير إلى ما ذكر الله تعالى، وفي الآية توهّمان؛ **الأوّل**: قد توهّم قوم أن السماوات والأرض تبدّل وتغيّر وتكشط، فما معنى ذكرها لأهل الجنّة والنّار، في تعليق دوامهما على دوامها.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

والثاني: فتوهّم أنّ الاستثناء ينافي الدَّوام.

والجواب؛ أنّ السماوات والأرض، إنّما يبدّلان تبدّل تصفية، كما تبدّل أجساد المكلّفين بالكسر والتصفية من غير أنْ ينقص منها شيءٌ، أو يبدّل شيء منها بشيء آخر، بل هي بعينها تعود، وكذلك السماوات والأرض لقوله تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[1]، وقد ثبت بالأدلّة القطعية عقلاً ونقلاً؛ أن أجساد أهل الدنيا هي بعينها أجساد أهل الآخرة؛ لأنها بنفسها تعاد لا بصورها، كما توهّمه المصنّف ولا ببدلها، وإنّما تعاد عين موادّها بنفسها، من غير تبديل في نفس المادة، وإنْ تغيّرت الصُّوَر عند كسرها، وتصفيتها وصوغها، فكذلك السَّماوات والأرْض.

والجَواب عَنِ الثاني؛ أن الاستثناء قيل فيه: أنّه جار على جهة التّعليم للعباد؛ بأن لا يقولوا إلّا مع الاستثناء، كما قال سبحانه لنبيّه: **﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾**[2]، إلّا أن يشاء الله.

وقيل: أنه تأديبٌ للعباد.

والفرق بينه وبين الأول؛ أنّ هذا محض تأديب ليتأدّبوا، والأوّل إرشاد لهم ليتم لهم مرادهم.

وقيل: بل هو تعليق الخلود والدوام على مشيّئة الله ﷻ، لأنه تعالى لو شاء أفنى الجنّة والنار ومَنْ فيهما.

وقيل: أنّ الجَنةَ منذ خُلقَتْ لم تَخْلُ من أرواح المؤمنين، ولم تخرج روح من الجنّة إلّا عند معصيتها، فإنّها حال المَعصية خارجة من الجنّة داخلة في النار حتى تتوب، فتخرج من النّار، وتدخل الجنّة، وكذا النار.

فاستثنى حال معصية أهل الجنة، وحال طاعة أهل النّار.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٣.

وقيل : الاستثناء لحالهم في الدنيا، فإن المؤمنين في الدنيا لم يكونوا في الجنة، والمنافقين في الدنيا لم يكونوا في النار .

وقيل : أن الجنّة في الحقيقة هي الطاعة في الدنيا، والنعيم في الآخرة، والنار هي المعصية في الدنيا، والعذاب في الآخرة .

وقيل : المراد بالجنة في الآية؛ جنّة الدنيا، والنار فيها نار الدنيا .

والذي أفهمه من آثار أهل العصمة عليهم السلام، أن الثلاثة الأُوَل كلها مرادة في الآية، والثلاثة التي تليها مرادة من الآية، ومآل معناها واحد، والسابع مراد ظاهره في البرزخ، وباطنه في الآخرة، فلاحظ .

[قول المصنف تَتَّئُ : بأن بعض أهل الكشف قال : أن النار من أعظم المخلوقات ...إلخ]

قال : «قال بعض أهل الكشف : اعلم عصمنا الله وإيّاك، أن النار من أعظم المخلوقات، وهي سجن الله في الآخرة .

وسُمِّيَتْ جهنّم لبُعد قعرها، يقال : بئر جهنامٌ إذا كانت بعيدة القعر، وهي تحوي الحرور والزمهرير، ففيها الحرّ على أقصى درجاته، والبرد على أقصى درجاته، وبين أعلاها وأسفلها مسافة خمسٍ وسبعين مائة من السنين، وهي دارٌ حرورها هواء محرق، لا جمر لها سوى بني آدم، والأحجار المتخذة آلهة، والجنُّ لهَبُها، كما قال تعالى : ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[1]، وقوله : ﴿**فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ**﴾[2] .

ومن أعجبِ ما رُوِي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه كان قاعداً مع أصحابه في المسجد، فسمعوا هدّة عظيمة فارتاعوا، فقال صلى الله عليه وآله : **(أتعرفون ما هذه الهدّة؟** .

---

(١) سورة التحريم، الآية : ٦ .

(٢) سورة الشعراء، الآيتان : ٩٤-٩٥ .

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال ﷺ : حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة، وصل الآن إلى قعرها، وسقوطه فيها هذه الهَدَّة، فما فرغ من كلامه ﷺ إلّا والصراخ في دار منافقٍ من المنافقين قد مات، وكان عمره سبعين سنة[١]، فقال ﷺ : اللّه أكبر، فعلمت الصحابة أن هذا الحجر هو ذاك، وأنه مذ خلقه الله يهوي في جهنم، فلما ماتَ حَصَل في قعرها، قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[٢])، فانظر ما أعجب كلام الله، وما أحسن تعريف النبي ﷺ لأصحابه»[٣] .

[هل صحيح أن النار أعظم المخلوقات؟، وذكر أسماء أبوابها؟]

أقول : هو كما قال : إن النار من أعظم المخلوقات، ولكن ليست أعظم المخلوقات؛ لأنّها خلقت من غضبه -أستجير بالله من غضب الله- وغضب الله أعظم من النار، وأن جهنم لا تزال خائفة وجلة من غضب الله، ورحمته تعالى أعظم من غضبه، كما قال تعالى : **﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[٤]، وقال تعالى : **(سبقت رحمتي غضبي)**[٥]، نعم النّار من المخلوقات العظيمة، فأعظم في كلام المصنف صفة مضافة إلى موصوفها، والنار -أستجير بالله منها- لها سبعة أبواب؛ كل بابٍ يسمّى باسم مخصوص كما تقدم، من أن

(١) إلى هنا من الرواية مذكورة في المصدر المذكور، والباقي غير موجود، راجع التحفة السنية، «مخطوط»، ص١٧ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٤٥ .

(٣) كتاب العرشية، ص٨٦ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢١٦) من هذا الكتاب .

الله سبحانه جعلها سبع درجات؛ **أعلاها** : الجحيم، يقوم أهلها على الصفا منها، تغلي أدمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها .

والثانية : لظى، ﴿**نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۞ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۞ وَجَمَعَ فَأَوْعَى**﴾[1] .

والثالثة : سقر، ﴿**لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۞ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۞ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[2] .

والرابعة : الحطمة، ومنها يثور شرر كالقصر، ﴿**كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ**﴾[3]، تدقّ من صار إليها مثل الكحل، فلا تموت الروح كلّ ما صاروا مثل الكحل عادوا .

والخامسة : الهاوية، فيها ملوك يدعون يا مالك أغثنا، فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نارٍ، فيه صديد ما يسيل من جلودهم، كأنه مُهْل، فإذا رفعوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم فيها من شدّة حرّها، وهو قول الله تعالى : ﴿**وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾[4] .

ومَنْ هوى فيها، هوى سبعين عاماً في النار، كلّما ما احترق جلده بُدِّل جلداً غيره .

والسادسة : هي السعير، فيها ثلاثمائة سرادق من نار، في كل سرادق ثلاثمائة قصرٍ من نار، في كل قصر ثلاثمائة بيت من نار، في كل بيْت ثلاثمائة لونٍ

---

(١) سورة المعارج، الآيات : ١٦-١٧-١٨ .

(٢) سورة المدثر، الآيات : ٢٨-٢٩-٣٠ .

(٣) سورة المرسلات، الآية : ٣٨ .

(٤) سورة الكهف، الآية : ٢٩ .

من عذاب النار، فيها حيّات من نار، وعقارب من نار، وجوامع من نار، وسلاسل من نار، وأغلال من نار، وهو قول الله : **﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾**[1] .

والسابعة : جهنم، وفيها الفلق؛ وهو جُبٌّ في جهنم، إذا فتح أسعر النار سعراً، وهو أشد النار عذاباً .

[تعريف الشارح ﷳ جبل صعود، ووادي آثام]

وأمّا صعود؛ فهو جبل من صفر، من نارٍ وسط جهنم .

وأما آثام؛ فهو وادٍ من صفرٍ مُذَابٍ يجري حول الجبل، فهو أشدّ النار عذاباً، وقد تقدم من تفسير القمي، وإنما أعدت ذكره لما فيه من الموعظة لمن كان حيّاً.

فجهنم أعظم الأبواب السبعة، وأسفلها وأشدّها وأوْلاها بأهلها، وأبعدها قعراً .

[سبب تسمية جهنم بهذا الاسم]

وإنما سمّيت جهنم بهذا الاسم؛ لشدة عمقها، وبعد قعرها .

وفي اللغة يقال : بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر[2] .

[كل شيء مكروه في الدنيا إذا اشتد وتناهى بحيث يكون قاتلاً في الدنيا]

وقوله : «وهي تحوي الحرور والزمهرير»؛ يعني أنّ النار -أجارنا الله منها- تجمع جميع المكاره، ومن جملتها المكاره المتقابلة المتضادّة؛ كالحرارة والبرودة في آخر مراتبها الممكنة، فتحرق بحرارتها الناريّة والزّمهريريّة .

---

(١) سورة الإنسان، الآية : ٤ .

(٢) لسان العرب، ج١٢، ص١١٢، مادة : «**جهنم**» .

وضابط العبارة عن مراتب مكارهها؛ أنّ كلّ شيء مكروه في الدنيا إذا اشتدّ وتَناهَى، بحيث يكون قاتلاً في الدنيا، كالحرارة والبرودة، والمرارة والملوحة، والضيق والخوف، والهم والغم، والوحشة والفراق، والجوع والعطش، والفقر والخزي والنّدامة، وأَمْثَالِ ذلكَ من المكروهات، إذا تناهَى وضُوعفَ اشتدادُه القاتلُ أَرْبَعة آلاف مَرّةٍ، وتسعمائة مرّة، كانت شدّتُهُ مُسَاوية لما يماثله في النار، وقس على هذه النّسبة جميع مكاره الآخرة، إلى أمثالها من مكاره الدنيا .

وقول المصنّف : «ففيها الحر على أقصى دَرجَاته، والبرد على أقصى درجاته»، يصدق على ما أشرنا إليه في الجملة .

وأمّا التقدير الّذي ذكرناه، فشيء لا يعرفونه، وإِنْ مرّوا عليه في أحاديث أهل البيت عليهم السلام .

[عمق النار وعمرها وجمرها وأنواع حجارتها]

وقوله : «وبين أعلاها وأسفلها مسافة خمسٍ وسبعين مائةً من السنين»، يدلّ على أنّ عمقها الأعظمَ هذه المَسافة، وهذا ومثله لا يعلم إلّا من الأحاديث، وأنا إلى الآن ما وَقَفْتُ على ما يَدُلّ عَلَى هذَا الخصوص، ولَا أنكرُ ما لا أعلم، ولكن المستفاد من الخبر المذكور، بعد هذا الكلام مع ما ذكره، أنّ عمقها يتقدر بقدر مبلغ الهاوي فيها، بحركة أعماله، لا بقدر عمره، كما هو ظاهر الخبر المذكور، إذ لو عملنا بظاهره، لزم أنْ تكون رتبة ذلك اليهودي دَرَكه من النار، لا يبلغها مَن نقص عمره عن السبعين السنة، وإن كان أعظم جُرماً، وأشدّ معصية منه، وهذا مخالف للواقع، فإن بعض المنافقين مَن دلّت الأخبار المتّفق على صحّتها، وصحة معناها، على أَنّ لَهُ دركاً في جهنّم، لم يكن فيها درك أبعد منه، مع أن عمره لم يبلغ السبعين، ولكنه تكلّف المعاصي بما لا تقتضيه طبيعته، كما أشار تعالى إليه في قوله في حقّه : ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب، الآية : ٧٢ .

واليهودي المذكور في الحديث الآتي، جرى في معاصيه على مقتضى طبيعته، فساوَى سيرُه عمرَه، كما يساوي هويّ الصخرة ثقلها، فإنّك إذا ألقيتَ صخرتين كبيرة وصغيرة من أعلى المنارة، وصلت الكبيرة الأرض قبل الصغيرة، لأنّ سيرهما في النزول بمقتضى طبيعتهما، ولو أنّك ألقيتهما معاً دفعة، إلّا أنّك دفعتَ الصغيرة بيدك بقوتك، والكبيرة دفعت بغير دفعٍ، وصلت الصّغيرة الأرض قبل الكبيرة؛ لأن الكبيرة نزلت بطبعها، والصغيرة نزلت بتكلّفٍ من دفع يدك .

فمن نظر بفؤاده بدليل الحكمة، فهم من حديث الهدّة حديث اليهودي، وحديث المنافق الظلوم الجهول، أن عمق النار قدر سير الواقع بمعاصيه، وأعماله السيئة فيها، فكلّ واحد من أهلها بلغ قعرها في حقّه، ولا تقدّر في نفس الأمر بسبعين عاماً، ولا بخمس وسبعين مائة سنة، على أنّ أهلها يتضاعف عذابهم على ممرّ الدهور، فيتغيّر قعرها لكل واحدٍ منهم في كل وقت، وليْس لهذا الامتدادِ انقطاع أبداً .

وكذلك حكم الجنّة مع أهلها في نعيمهم، فهنيئاً لأصحاب النَّعيم، وسحقاً لأصحاب السعير .

وقوله : «وهي دار حرورها هواء محرق لا جمر لها»؛ يريد به بيان حقيقة ذاتها، أنّها هواء محرق كالسَّمُوم، والسَّمُوم إنّما صار حارّاً؛ لأنّهُ هواء مرَّ علَى أَوْدِيَة النَّار، فَكَانَ حَارّاً، وإلّا فهُو الهواء الذي إذا مر على الزمهرير كَانَ بَارِداً .

وإنّما هي عنصر برأسه خلقه الله من غَضَبه، كما أَنَّ النَّار العنصريّة خلقَها من حَرَكة فعْله وإيجاده .

والنار المذكورة -نستجير بالله منها- على أنواع مختلفة؛ منها : نار لا تنطفئ أبداً؛ لأنها تأكل من نفسها، فبعضها يأكل بعضاً، فيظهر جزء فيشتعل في الجزءِ الذي قبله، وهذا الأكل يأكله غيرُه وهكذا، فإذا التقى الجزآن، طلب كل واحدٍ منهما أكْلَ الآخر، فيأكل القوي الضعيف، والثاني الأول، وهذه شدّة لا يوصف وحدّة لا تكيّف، وجمرها الذي يشتعل منه فيه الناس العاصون لله والحجارة .

والمراد بالحجارة التي توقد بها حجارة الكبريت، لأنّها نار جامدة، إذا مسّتها النار ذابت ناراً .

وأيضاً المراد بها قلوب المنافقين، والكفار والمشركين، فإن حقيقتها حجارة من نارٍ تصلّبَتْ بطبخ حرارة النار، ورطوبة الحميم .

وقد أشار إلى معنى ما قلنا قوله تعالى : **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾**[١]، بلحاظ ما ذكرنا سابقاً إشارة إلى ما ذكره بعض العلماء؛ من أن المشبَّه عين المشبّه به في القرآن .

وفي الأحاديث المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله باللفظ، وقد أقمنا عليه البرهان في محله في بعض كتبنا، فعلى هذا يصير المعنى في الآية فهي الحجارة، أو أشدّ قسوة؛ أي : بل أشدّ قسوة، وذلك لأن تلك القلوب الخبيثة، هي مَنْشأ النّار، وهي المؤجّجَةُ لها، وهي طعامها، وقد أشار تعالى في قوله : **﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾**[٢]، إلى نكتة عجيبة، حيث قال : **﴿حَصَبُ﴾**، ولم يقل حطب، مع أَنَّ المراد به الحطب كما في لغة الحبشة[٣] .

[المراد من الحصب في اللغة]

وعن الفراء[٤]؛ أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب[٥]؛ لأن الحاء والصاد من اسم الحصى، أعني الحجارة، والحاء والباء من اسم الحطب، والحاء مشتركة

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٧٤ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٩٨ .

(٣) لسان العرب، ج١، ص٣٢٠، مادة «**حصب**» .

(٤) **الفراء هو** : «أبو زكريا، يحيى بن زياد، إمام نحاة الكوفة، وأشهر تلامذة الكسائي، أخذا النحو عن يونس بن حبيب، وكان يقال عنه : «الفراء أمير المؤمنين في النحو»، من أشهر مصنفاته : «معاني القرآن»، مات سنة : «٢٠٧هـ»» . [بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج٢، ص٣٣٣] .

(٥) تفسير القرطبي، ج١١، ص٣٤٣ . جامع البيان، ج١٧، ص١٢٥ .

بين الاسمين؛ لأن المشركين ومَا يعبدون من الأصنام الظاهرة، والمنافقين وما يعبدون من الأصنام الباطنة، صفتهم وحالهم في النار، كصفة الحطب وحاله في النار في الاشتعال، بمعنى أنها تشتعل فيهم، كاشتعالها في الحطب، وكصفة الحصى وحاله في النار من البقاء، وعدم الفناء، فلا يكونون رَمَاداً فيفنون، وينقطع عذابهم، بل يبقون كالحجارة، وتشتعل بهم النار كالحطب، بناء على أن الألفاظ بينها وبين المعاني مناسبة ذاتيّة، كما هو الصحيح .

ويتناول اسم الأحجار أيضاً الأصنام المتّخذة من الحجارة، كما ذكره المصنف .

[الأصنام المتخذة من الحجارة، والأصنام المتخذة من المعادن]

وأما الأصنام المتخذة من المعادن، فيمكن إدخالها في الأحجار من حيث أنها لا تجيب داعيها، ولا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضرّ، فهي كالأحجار وإن كان بعيداً من مفاد كلامه .

وأما إذا أريد بالأحجار المعنى الأول أو الثاني؛ صدق على الكل بلا منافاة .

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام : (**لقد مررنا معه بجبلٍ، وإذا الدموع تخرج من بعضه، فقال له النبي** صلى الله عليه وآله : **ما يبكيك يا جبل؟** .

فقال : يا رسول الله كان المسيح مرّ بي وهو يخوّف الناس بنارٍ وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة .

قال له : لا تخف تلك حجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن وهَدأ)[1] .

وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال : (**إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وقد أُطْفِئَتْ سبعين مرّة بالماء، ثم التهبَتْ، ولولا**

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص٢٢٦ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٨، ح١، باب : ٢ . تفسير نور الثقلين، ج١، ص٤٤، ح٥٨ .

ذلك ما استطاع آدميّ أنْ يطفئها، وأنّها يُؤتَى بها يوم القيامة حتى توضع على النار، فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، إلّا جَثا على ركبتيه فزعاً من صرختها)(١) .

أقول : وهذا الحديث الأخير يشير إلى العدد الذي أشرنا إليه، في نسبة مكاره الدّنيا، إلى مكاره الآخرة، وأن رتبته ما يبلغ حد القتل منها في شدّته إذا ضوعف اشتداده أربعة آلاف مرة، وتسعمائة مرّة، ساوَى نظيره من مكاره الآخرة؛ لأن قوله عليه السلام : (**جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم**)؛ يراد منه الشعاع المعبر عنه بالفاضل في بعض الأخبار .

وقوله عليه السلام : (**وقد أطفئت سبعين مرة بالماء**)؛ إشارة إلى شعاع الشعاع، وفاضل الفاضل، فالأصل في الآخرة، وشعاعه في البرزخ، وشعاع الشعاع في الدنيا، فافهم .

[مآل الحطب بعد احتراقه بالنار]

ولما كان الجمر المعروف، هو الباقي من الحطب بعد ما تحرقه النار، فهو ميراث الحطب بعد ذهاب صورته النوعيّة، وكان حطب جهنم الناس والحجارة، وقد تمت عليهم كلمة الله، بأن يعيد منهم ما أكلته النار، ليذوقوا العذاب، كانت أجسامهم وأجسادهم، وأفئدتهم وقلوبهم، الّتي هي حَطب جهنّم في الحقيقة هي جمرُها؛ لأن أجسامهم بعد حرقها تؤرّث أجساماً لهم بإعادتها، لأنها عين الأولى، وكذلك الأجْساد تؤرّث أجساداً، والأفئدة تؤرّث أفئدة، والقلوب تؤرّث قلوباً، كذلك أي : هي عين الأولى، فهم الحطب، وهم الجَمْر .

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص٣٦٧، في تفسير معنى الآية : ٣٥ من سورة الرعد . تفسير الصافي، ج٥، ص١٢٨ . وفي بحار الأنوار، ج٨، ص٢٨٨، ح٢١، باب : النار، بدل كلمة : «**يطفئها-يطيقها**»، بدل : «**وأنها-وأنه**» .

والذي تفيده الأدلّة النقلية عنهم عليهم السلام ، أنّ لهم حالتين؛ حالة الحطب، وحالة الجمر، على التعاقب من غير فصل ولا استقرار، ففي حالة الإعادة، هم حَطَبُها، وفي حالة الإحالطة والإحتراق هم جمرها .

[تنبيه من الشارح قدس سره على نكتة لطيفة]

وقولي : من غير فصل ولا اسْتقرارٍ؛ تنبيهٌ على نكتةٍ، وهي أنهم لو حصل لهم استقرار في الإحتراق آناً ما لَأَدْركوا التخفيف، ولو حصل لهم استقرار في حال الإعادة، لانقطع عنهم التألّم آناً ما؛ لأن تألّمهم إنما هو بتقطيع أعضائهم، وإذابة أوصالهم، فلو فقدوا التقطيع والإذابة، انقطع عنهم التألّم، ولو فقدوا الإعادة لاستراحوا في العدم، ولكن الإعادة والإحراق والتقطيع تجري عليهم على نحو السيلان والاتصال، من غير فصل ولا استقرار، وإن كانا على التعاقب .

ومثاله في الشاهد تعاقب الليل والنهار، فافهم .

[أيهما أقوى في الأحوال النارية الناس أم الجن؟، والمراد من اللهب]

وقوله : «والجنّ لهبُها»، يشير به إلى أصل ذلك عنده، من جهة أنّ الجن خلقوا من مارج من نار، وهو النّار الخالصة من الدّخان، فكما أن عصاة بني آدم هم جمر النّار، كذلك عصاة الجنّ، هم لَهُبَهَا، فأمّا كون عصاة بني آدم جمرَ النار، فيتّجه في الاعتبار على نحو ما ذكرنا، من أن الجمر ما بقي من الحطب المحترق بالنار، وهو هم حال التقطيع والاحالة، وهم الحطب حال الإعادة والتّبديل، وهنا شيء يشكل، وهو أنّ اللهب أقوى أجزاء النار، وأشدّ أحوالها، وهو المحْرق لا المحترق، فاللّهب أقوى من الجمر؛ لأن الجمر بقيّة المحترق، والناس في الأحوال الناريّة، أقوى من الجن؛ لأنّ النّاس جامعون لمراتب الملائكة، والشياطين والجنّ، ولهذا كان الإنسان أكمل المخلوقات وأشرفها إذا أطاع، وأخبثها إذا عصى،

وأشرّها كما قال تعالى : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۞ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾**(١)، فالمناسب في التأويل العكس .

والجواب؛ أن المراد باللهب هنا الناشئ المتفرع من الجمر، لا اللّهب الذي هو أصْل النّار، فإن ذلك هو الكامن في الجمر، وذلك هو الجنبة اليسرى من الإنسان، واللهب المأوّل من الجنّ، متفرع من الجمر، فلا يكون هذا اللهب الثاني أشدّ من الجمر، بل هو لهب الجمر، كما ورد في ردّ مغالطة إبليس، حين قال : **﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾**؛ أي : من آدم **﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**(٢)، بأنه كذب، ففي تفسير علي بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام : (**كذب إبليس ما خلقه الله إلّا من طين، قال الله عز وجل : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾**(٣)**، قد خلقه الله من تلك الشجرة، والشجرَة أصلها من طين**)(٤)، فالمارج الذي هو اللهب من النار الخالص من الدّخان، الذي خلق الله منه الجانّ، خلقَه الله من الشجر الأخضر، وتلك الشجرة التي خلق منها النار، الّتي خلق منها الجان، خُلقَتْ من الطين، فالجمر هو الخازن للنار وللّهب، فهو الإنسان المأجِّج لها؛ لأنها خلقت من غضب الله، يعني مادّتها وصورتها من عمل الناسِ العاصين، واللهب المذكور، خُلقَتْ منها مادته، وخلقت صورته من عمل الجِنِّ، فارتفع الإشكال، وضعف الاحتمال، هذا على فرض صحة الوصفين، من أَن بني آدم جمرها، والجن لهبها، كما يدلّ عليه الاعتبار والتأويل .

---

(١) سورة التين، الآيتان : ٤–٥ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٢ .

(٣) سورة يس، الآية : ٨٠ .

(٤) لم نجد الرواية في المصدر المذكور، ووجدناها في تفسير الصافي، ج٢، ص١٨٣، في تفسير معنى الآية : ١٢ من سورة الأعراف .

وقول المصنف، وقوله : «﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۞ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[1]»، استشهاد بالآيتين على كون الناس والجن وقود النار، لا على خصوص كون بني آدم جمراً لها، والجنّ لهبها .

[ثلاثة أحاديث متباينة ظاهرة وردت حكاية عن واقعة واحدة في نفس الأمر]

وقوله : «ومن أعجب ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه كان قاعداً مع أصحابه في المسجد، فسَمعُوا هدّة عظيمةً فارتاعوا، فقال صلى الله عليه وآله : (**أتعرفون ما هذه الهدة؟.**

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة، والآن وصل إلى قعرها، وسقوطه فيها هذه الهدّة، ...إلخ)[2] .

اعلم أنّ المصنف عجب من ظهور وصول اليهودي إلى نهايته في المحسوس، مع كون الوصول معنى مصدريّاً معنويّاً، وإنّما كانت له هدّة، لسرعة ذلك الهُويّ، بسبب قوة ميل إنّيّته وطبيعته، إلى مَعَاصي الله الكبائر، الّتي هي ثمرات النّار، وسخط الجبّار بما هي عليه من العذاب .

وإنما كان سريعَ الهُويِّ؛ لثِقَل إنيّته، وإنما ثَقُلَتْ إنّيّته لخلوصها في إرادة المعاصي، وتبذّخه بها، وعدم التفات نفسه إلى الله، وإلى جهة طاعته، فلهذا كان بغفلته وإهماكه في معاصيه حجراً ثقيلاً، لاجتماع مشاعره في جهات المعاصي .

واعلم أنه روي ما معناه : (**إن النبي صلى الله عليه وآله كان يرعى الغنم قبل النّبوة، فسمع هدّة عظيمة، وحضلت الغنم، ولَمّا نزل عليه جبرائيل عليه السلام بعد النّبوة، سأله عن تلك الهدّة؟** .

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان : ٩٤-٩٥ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٤٩) من هذا الكتاب .

فقال : هذه صوت وقع صخرة ألقيتُها في جهنم، منذ سبعين سنة، والآن وصلت إلى قعر جهنّم، وأخبر عليه السلام أنه يهودي مات، وعمره سبعون سنة) .

والرواية التي ذكرها المصنّف أنه منافق، ويحتمل الاتحاد بالتجوّز في أحد الوَصفين .

وفي العيون في حديث المعراج أنّه صلى الله عليه وآله قال : **(ثم سمعتُ صوتاً أفزعني، فقال لي جبرائيل : تسمع يا محمد؟ .**

قلت : نعم .

قال : هذه صخرة قذفتها على شفير جهنم منذ سبعين عاماً، فهذا حين استقرّت قالوا : فما ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى قبض)[1] .

فهذه ثلاثة أحاديث، وردت في ثلاثة أوقات متباينة ظاهراً، وفي نفس الأمر كلّها حكاية عن واقعة واحدة، سمعها صلى الله عليه وآله في وقتٍ واحد قبل البعثة، وبعد البعثة، وفي ليلة المعراج قبل أن يصل السماء الدنيا، فإذا أراد أحد أن يعجب فليعجب من هذا، لا مما ذكره المصنف .

[تشريف النبي صلى الله عليه وآله من قبل الله تعالى وعروجه إلى ملكوته عز وجل]

وإنما العجب من هذا الفعل الربوبي، حيث شهد كل شيء مما كان، ومما يكون، منذ خلق الله القلم، الذي هو عقل الكل، إلى ما لا نهاية له، فيما يكون كل شيء في وقته، بل وما قبل العقل، فإن الله تعالى شرّفه صلى الله عليه وآله، وعرج به إلى ملكوته، فأشهده خلق السماوات والأرض، وخلْقَ نفسه التي هي قبل العقل، بما لا يكاد يتناهى، لأنه حين كان في مقام قاب قوسين في عروجه، أشهده العقل حين خلقه الله، وأنهى إليه علمه، ثم حين كان في مقام أو أدنى أي : بل أدنى أشهده خلْقَ نفسه، وعرّفه إيّاها، هناك عرف ربّه .

---

(١) لم نجد الرواية في المصدر المذكور، ووجدناها في تفسير الصافي، ج٣، ص١٦٨، في تفسير معنى الآية : ١ من سورة الإسراء . وبحار الأنوار، ج٨، ص٢٩١، ح٣٠ .

وبالجملة، أشهده تعالى ليلة المعراج كل شيء في أوّلِ وقتِ كونه إلى آخر انتهائه، وأنهى إليه عِلْمَهُ من جميع ما كان وما يكون، مما هو محتوم الكون من الدنيا والآخرة، إلّا أنّه في جريتين، كما أشار صلى الله عليه وآله في حديث العيون، المذكور في المعراج، قال في شأن البراق حين سار عليها ليلة المعراج : **(فلو أن الله تعالى أذنَ لها لجالت الدنيا والآخرة، في جرية واحدة)**[1]، فلمّا لم يأذن لها إلّا في جريتين، جالت الدنيا في جرية، والآخرة في جريةٍ، فافهم الإشارة .

وأعجب إن كنتَ تعجب من شيء، مما أشرنا إليه في وقوفه صلى الله عليه وآله على كونِ كلِّ شيءٍ، وبدئه حين أنشأه تعالى من عالم الغيب والشهادة، من جميع ذرّات وجودات الممكنات، الكائنة والمحتومة، مما لم يكن .

[هل كل منافق وصل إلى الدرك الأسفل من النار أم لا؟]

وقوله : «قال تعالى : **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾**[2]»، يشير به إلى الاستشهاد على أنّ ذلك المنافق بلغ أسفل قعر النار .

والحق أنّ المنافقين الذين بلغوا الدركَ الأسفلَ من النارِ، على جهة الحقيقة، ليس كلّ منافق، بل هم منافقون مخصوصون، والآية نزلت فيهم، وسائر المنافقين دخلوا فيها بالتبع، ودركهم أسفل من النار إضافي، وليس السّبعون السنة غايةَ أسفل النّار، إذْ أَسْفلها غير متناهٍ .

وقوله : «فانظر ما أعجبَ كلام الله، ...إلخ»، بيانه كما في دعاء النبي إدريس عليه السلام : **(يا عجيب فلا تنطق الألسن بكلّ آلائه وثنائه)**[3] .

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٣٥، ح٤٩، باب : ٣١ . تفسير الصافي، ج٣، ص١٦٧، في تفسير معنى الآية : ١ من سورة الإسراء . بحار الأنوار، ج١٨، ص٣١٦، ح٢٩ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٤٥ .

(٣) مصباح المتهجد، ص٤١٩، في دعاء نبي الله إدريس عليه السلام في السحر . إقبال الأعمال الحسنة، ص٣٥٠، في دعاء نبي الله إدريس عليه السلام في السحر .

وأمّا التّعجب من حسن تعريف النبي ﷺ، فكيف لا يكون كذلك، وأعظم من أثنى الله عليه في كتابه، في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]، وقال : ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2] .

(١) سورة القلم، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب، الآية : ٤٦ .

[القاعدة الحادية عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: حقيقة الجنة والنار، والإشارة إلى أبوابهما]

قال: «قاعدة في أنّ أيّ حقيقةٍ إلهيّة أظهرت الجنّة والنار، والإشارة إلى أبوابهما.

اعلم أنّ لكل معنى من المعاني الذاتيّة، حقيقة أصليّة، ومثالاً ومظهراً، فالإنسان مثلاً حقيقة كليّة، وهو الإنسان العقلي، مظهر اسم الله وكلمته، والروح المنسوبة إليه في ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[1]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2]، ولها أمثلة جزئيّة، وأفراد شخصية؛ كزيد وعمرو.

وله أيضاً مظاهر؛ كالمشاعر والألواح الذهنية، فكذلك للجنّة حقيقة كلّيّة؛ هي روح العالم، مظهر للاسم الرحمان، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[3]»[4].

[أن لكل شيء حقيقة ومظهراً ومثالاً]

أقول: يريد أنّ لكل شيء حقيقة ومظهراً ومثالاً، فالحقيقة يطلق على ما به الشّيء هو، وعَلى معناه العقلي؛ أعني حقِيقَته في مرتبة العقول، لا المعنى التعقلي الانتزاعي، وعلى حقيقة الشيء من ربّه، وهو المُسَمَّى بالوجودِ عند الحكماء والعَارِفين، وبالنُّورِ وبالفؤاد في أَخْبارِ الأئمة عليهم السلام.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨٥.

(٤) كتاب العرشية، ص٨٧.

والظّاهر أنّه يريد بهذه الحَقيقة؛ حقيقته العَقْلية لا التّعَقُّليّة، ولهذا قَالَ : «وهو الإنسان العقليّ» .

والمظهر معناهُ عنْد كثيرٍ أنّ الظّاهر أشرق عليْه، والحقّ أنّ المظهر هو ما يظهر به الظاهر، فمعْنَى حقيقة الإنسان؛ هي مظهر اسم الله، أَنّ اسم الله الّذي هو أثر فعلِ الله، وتأكيدُه ظَهَر بتلك الحَقيقة، أي : أشرق نوراً هو تلك الحقيقة .

وإنْ أَراد بتلك الحقيقة الحقيقة الأولى؛ أعْني النّور المُحمَّدي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فمعنى كونه مظهراً لاسم الله، أنه أثر فعل الله وتأكيده، ويراد بالاسم الفعل .

[كيف يكون نور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو خير خلق الله؟]

فإن قلتَ : كيف يكون نوره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خير خلق الله، وهو أثر فعله، والفعل من الخلق، والمؤثّر أفضل من الأثر؟ .

قلت : إنّ مادة النور الذي نوّر الأنوار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، اخترعها الله بفعله لا من فعله، وصوّره بصورة فعله، كما أنك إذا كتبتَ كلمة، فمادّها من المداد الذي عملته بفعلك، لا من فعلِك، وفعلُكَ إنّما أحدثْتَهُ بنفسه، لأجل إيجاد الكلمة، وإيجاد مادها، فهي علّة غائيّة لفعلك، وإن صدرَتْ بفعلِك، وكونها متوقفة على فعلك لا يَستْلزم أفضليّته عليها، وكذلك تصويرها بصورة فعلك؛ لأنك صوّرت الفعل لغايةِ ما ينبغي لتصوير مفعولك، لأن الفعل إنّما هو لأجل المفعول، ففي الحقيقة وإن كانت علة إيجاده نفسه، فهو في نفس الأمر مقصود لغيره، ولهذا ورد في الحديث كما في تفسير العياشي، عن محمد بن عذافر الصيرفي، عمّن أخبره عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال : (**إن الله تبارك وتعالى خلق روح القدس، ولم يخلق خلقاً أقرب إلى الله منها، وليست بأكرم خلقه عليه، فإذا أراد أمراً ألقاه إليها، فألقاه إلى النجوم فجرت به**)[1]؛ يعني أَنّ روح القدس أقرب خلق الله إليه من جهة

---

(١) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٩٢، ح٧٠، في تفسير معنى الآية : ١٠٢ من سورة النحل . تفسير البرهان، ج٤، ص٤٨٥، ح٣، في تفسير معنى الآية: ١٠٢ من سورة النحل .

←....

الوحي؛ لأنها كالآلة، وفي خلق الله مَن هو أكرم على الله منها؛ كمحمد وآله ﷺ.

فعلى رأي المصنف، كما ذكره في المشاعر[1]؛ أن المراد بروح القدس فعل الله، فيتّجه على تفسيره ما وجّهناه.

وعلى رأينا أن المراد بروح القدس؛ الملك الذي هو من أمر الله، أعني عقل الكل، أو جبرائيل، فيكون هذا الحديث شاهداً لما وجّهناه، من أفضليّة المفعول على الفعل، وإن كان الفعل أقرب لكونه مقصوداً بالعرض، والمفعول بالذات.

والظاهر أن المراد بالنجوم في هذا الحديث الأئمة عليهم السلام، وسيّدهم جدّهم ﷺ؛ يعني أن الله يأمر الملك أن يلقي إليه ﷺ ما شاء من أمره، ويأمره عن الله تعالى أن يلقي ذلك إلى أهل بيته عليهم السلام؛ لأنهم الحفظة.

[المراد من اسم الله تعالى]

والمراد من اسم الله، اسم فعله؛ لأن ذاته مقدّسة، لا تسمّى، ولا فائدة في التسمية؛ لأنه تعالى لا يشتبه على نفسه، فلا يحتاج إلى أن يميّز نفسه بعلامةٍ، ولا يدركه ما سواه، ليُسمِّيَ له نفسه، وإنما سائر أسمائه لتمييز جهات أفعاله، وهيئات مفعولاته؛ كالحيّ لتمييز الإحياء من سائر أفعاله، والحياة من سائر مفعولاته، والقيّوم لتمييز الإقامة من سائر أفعاله، والمتقوّم من سائر مفعولاته، وكذلك كلمته التي هي مشيئته وإبداعه.

...←

وفي تفسير الصافي، ج٣، ص١٥٦، في تفسير معنى الآية : ١٠٢ من سورة النحل.

وبحار الأنوار، ج٢٥، ص٧٠، ح٥٨، باب : ٣، بدل كلمة : «**إلى الله منها- إليه منها**».

(١) راجع كتاب المشاعر، ص١١٧ وما بعدها، في المشعر الثاني : في فعله تعالى.

ومعنى كون الإنسان مظهراً لَهَا، مثل ما تقدّم .

ومعنى كونها كلمته، أنّها مفهمة لمطلوبه ﷻ، إذ معنى الكلام ذلك .

[المراد من الروح المنسوبة إليه في الآية]

والمراد من الروح المنسوبة إليه في الآية؛ الروح التي خلقها وقدّسها من الرذائل، وطهّرها من الأرجاس، ونسبها إليه تعالى تشريفاً لها، فقال : **﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾**[1]؛ أي : في آدم وعيسى وغيرهما، **﴿مِن رُّوحِي﴾**[2]؛ وهي المسماة بروح القدس، وبروح من أمره؛ وهي عندنا روحانٍ؛ روح من أمر الله؛ ونعني به عقل الكل .

ونعني بأمر الله؛ النور الذي نوّر الأنوار ﷺ، إن أريد أن تقوّم الروح بالأمر تَقوُّماً ركنيّاً، وإن أريد ما تقوّم به تقوّمَ صدورٍ، فالأمر فعل الله، وروح القدس وهو النور الأصفر، الثاني من أركان العرش؛ أعني روح الكل .

فمعنى كون الإنسان مظهراً؛ كونه إشراقاً، وكونه مشتقّاً .

[معنى كون رتبة الشخص مثالاً]

ومعنى كونه في رتبة التشخّص مثالاً، أنّه كان صورة ومركباً للإنسان العقلي، كما قال علي عليه السلام في بيان معرفته بالنورانية لسلمان وأبي ذر -إلى أن قال عليه السلام- : (**وأنا تكلمتُ على لسان عيسى بن مريم في المهد، وأنا آدم، وأنا نوح، وأنا إبراهيم، وأنا موسى، وأنا عيسى، وأنا محمد، أنتقل في الصور كيف أشاء، مَنْ رآني فقد رآهم، ومن رآهم فقد رآني، ولو ظهرتُ للناس في صورة واحدة؛ لهلكَ فِيَّ الناس، وقالوا : هو لا يزول، ولا يتغير، وأنا عبد من عباد الله، ...**)؛ يعني أنهم أمثاله ظهر فيهم كل واحدٍ من الأنبياء، ظهر فيه بوجهٍ

(١) سورة الحجر، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٢٩ .

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[١]؛ أي : مثلاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي الكافي عن أبي بصير، قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يومٍ جالس، إذْ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : **(إن فيك شبهاً من عيسى بن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمّتي ما قالت النّصارى في عيسى بن مريم، لقلتُ فيه قولاً لا تمرّ بملأٍ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحتِ قدمَيْك، يلتمسون بذلك البركة .**

قال : فغضب الإعرابيان والمغيرة بن شعبة، وعدّة من قريش معهم، فقالوا: ما رضي أن يضرب مثلاً لابن عمّه إلّا عيسى بن مريم؟ .

فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا -إلى قوله- : **لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾[٢]؛ يعني من بني هاشم ملائكة في الأرض يخلفون، ...)**[٣] .

فعيسى هو مثل علي عليه السلام، كما قال تعالى : **﴿إِنْ هُوَ﴾**؛ أي : عيسى **﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[٤]، لا كما توهّمه مَن فهم العكس من قوله صلى الله عليه وآله: **(إنّ فيك شبَهاً من عيسى بن مريم)** .

والحاصل المثال للإنسان الحقيقي؛ هو الإنسان الظاهري المحسوس، وهو قول المصنّف، ولها أمثلة جزئيّة؛ أي : لتلك الحقيقة، وأفراد شخصيّة، كزيد وعمرو، لكن هُنا شَيْءٌ يجب التنبيه عليه؛ وهو أنّ الشيء الجزئي كزيد وعمرو، وهو الإنسان المحسوس، له حقيقة جزئيّة عقليّة ذاتيّة، غير التّعقّليّة، وتلك الحقيقة

---

(١) سورة الزخرف، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة الزخرف، الآيات : ٥٧-٥٨-٥٩ .

(٣) فروع الكافي، ج٨، ص٥٧، ح١٨ . تفسير الصافي، ج٢، ص٢٩٩ . بحار الأنوار، ج٣٥، ص٣٢٣، ح٢٢، باب : ١٠ .

(٤) سورة الزخرف، الآية : ٥٩ .

الجزئيّة لزيد، غير الحقيقة الجزئيّة الّتي لعَمْرو، متميّزة منها بمشخِّصَات عقليّة وجوديّة، كالحِصَّة المأخوذة من الخشب للسرير، والحصّة الأُخْرَى للباب .

وأمّا قبل الأخْذ فليس ثَمّ حصّة من الخشب للسرير والباب، وإنّما الموجود الخشب الصالح لِكلّ شيءٍ .

والحقيقة الكلية لا يكون مثالها جزئيّاً؛ لأن الجزئي مثال للحقيقة الجزئيّة، أو لوَجهٍ من وجوه الكلّيّة، فإنّ زيداً الجزئيّ حقيقته جزئيّة لا كلّيّة؛ لأنّ حقيقتَه حصّةٌ من الكلّيّة، متميّزة عن غيرها من الحصَص .

وأمّا قوله تعالى : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1]، فإنّهم متمايزون فيما بينهم، وإنما الاتّحاد قبل بعث النبيّين في جهات التكليف، وقبول موجبات السعادة والشقاوة في الخلق الثاني .

وقوله : «وله أيضاً مظاهر؛ كالمشاعر والألواح الذهنية»؛ يعني للإنسان الجامع للإنسان العقلي والحسّيّ مظاهر، كالمشاعر التي يشعر بها .

[أن المشاعر منها مظاهر ومنها ذاتية وأعلاها وأوسطها وآخرها]

أقول : الحق أن المشاعر منها ذاتيّة، وهي حقائق مراتبها، ومنها مظاهر لتلك الحقائق، فأعلى المشاعر الفؤاد، وهو الوجود، والنور الذي خلق منه الإنسان؛ أعني مادته الأولى، وذلك حقيقة الإنسان في البدء، والذكر الأول، وهو مدرك المعرفة، ومظهر إدراك الشيء بلا كيف، ولا إشارة .

وأوسط المشاعر؛ القلب، وهو العقل الجوهري، وهو حقيقة معنى الإنسان، وهو مدرك المعاني، ومظهره تعقّل المعاني المجردة عن المدة الزمانية، والمادة العنصرية، والصورة الجوهريّة والمثالية .

وآخر المشاعر؛ النّفس والخيال، وهو مدرك الصُّور، ومظهره تخيّل الصور الجزئيّة، المجردة عن المدة الزمانية، والمادة العنصريّة .

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢١٣ .

فالمظاهر إدراكات المشاعر لا نفس المشاعر كما توهّمه .

[حقيقة النار الكلية عند المصنف ﷺ]

وقوله : «فكذلك للجنَّة حقيقة كلية، هي روح العالم» .

أقول : أمّا استدلاله بالإنسان فحق؛ لأنّه الآية التي جعلها تعالى دليلاً على ما يريد معرفته، كما قال : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾**[1] .

وأمّا تحصيل الدليل منه، فموقوف على التوفيق الإلهي .

[حقيقة الجنة الكلية عند الشارح ﷺ]

وأقول : إنّ حقيقة الجنّة، هي الولاية، والحقيقة المحمديّة، وهي متعلق المشيئة، والاسم الرحمان من المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ظهر بها، فهي روح العالم وحقيقته، فهي أحد معاني العرش .

واستدلاله بقوله تعالى : **﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾**[2]، لم يقع على نفس الحقيقة، وإنما وقع على مستوى الرحمان الذي أَحَدُ أفرادِه الحقيقة، وأحَدُ أفراده جنان الصاقورة، وأحدُ أفرادِه التي أرضُها الكرسي، وسقفها عرش الرحمان، وأَحَدُ أفرادِه السماواتُ السبع، وأحدُ أفرادِه ما فوق الأرض، وتحت السماء؛ لأنّ الحَظَائر من الجنان بين الأرض والسماء، يحشر إليها المؤمنون من الجن، وأولاد الزنا، من المؤمنين المطيعين، والمجانين الذين لم يعقلوا في دار التكليف، وليس لهم أقارب من أهل الشفاعة، وهم يحشرون .

[حشر أهل الجنان]

وأهل الجنان السبع في السماوات السبع، يحشرون إلى الرحمان .

وأهل جنة عدن التي أرضها الكرسي، وسقفها عرش الرحمان، يحشرون إلى الرحمان .

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة مريم، الآية : ٨٥ .

وأصحاب اليقين، أصحاب جنان الصاقورة، يحشرون إلى الرحمان .

وأولوا الحب والمعرفة، يحشرون إلى الرّحمان، وهم الذين قال تعالى في شأنهم في حديث الأسرار : (**يا أحمد إن في الجنّة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلـؤة، ودرّة فوق درّة، ليس فيها قصم ولا وصل، فيها الخواصّ، أنظر إليهم في كل يـوم سبْعين مرّة، وأكلّمهم كلّما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضـعفاً، وإذا تلذّذ أهل الجنّة بالطعام والشراب، تلـذّذوا أولئـك بـذكري وبكلامـي وبحديثي**)[1] .

[مراد المصنف تتش من روح العالم في كلامه]

فَإِذَا أرادَ المُصَنِّفُ بقوله : «روح العالم» ذات العالم وكنهه فصحيح .

فإنّ أصل الجنّة كنه العالم، لأنّ أَصْل العَالم، وكنهه الرحمة، والرّحمـة كنـه الجنة، والرحمن هو الظاهر بالرحمة، فتصدق الآية على كلّ مرتبةٍ من مراتب الجنّة كما مَثّلْنا .

وإن أراد بقوله : «روح العَالَم»، الرّوح المتعارف، أعني المتوسِّط بين الْعقل والنفس، فلا يصْدق إلّا على الجنّة التي أرضها الكرسي، وسقفها عرش الرحْمان، لَا على ما فوقها، فلاحظ ما ذكرنا .

وقوله : «ولها مثال كلّي»، إذا أريد بالمثال الجنّة التي سقفها عرش الرحمان، وأَرْضها محدّب الكرسي، وأرادَ بها جنّة عدنٍ فحسن، وإلّا فالمثال في غير جنّـة عدنٍ، الجنان السبع التي في السماوات السبع .

[قول المصنف تتش : بأن للجنة مثال كلي هو العرش الأعظم ...إلخ]

قال : «ولها مثال كلي، هو العرش الأعظم، مستوى الرحمان، وصورته كما

---

(١) الجواهر السنية، ص١٩٣ . وفي بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢٣، ح٦، باب : ٢، بـدل كلمة : «**وأزيد- أزيد**» .

ورد : (**أرض الجنّة الكرسي، وسقفها عرش الرحمان**)، وأمثلة جزئية، كقلوب أهل الإيمان، كما ورد : (**قلب المؤمن عرش الله، قلب المؤمن بيت الله**)[١]، ولها مشاهد ومظاهر كلية وجزئيّة، هي طبقات الجنة وأبوابها»[٢] .

[تصحيح الشارح ﵀ قول المصنف ﵀ في كلامه والمراد من المثال]

أقول : الصواب أن يقال : أن المثال الكلّي، هو الجنان المحسوسة؛ لأن المحسوسات أمثال المجردات وصورها، نعم إن كان يريد بالمثال الدليل، فقوله صحيح هنا، وغير صحيح في قوله قبل :

«ولها أمثلة جزئيّة، وأفراد شخصيّة؛ كزيدٍ وعمرو»، فإنه جعل زيداً وعمرواً، والذي هو الإنسان المحسوس مثالاً للإنسان العقلي؛ يعني أنه ظاهر له، لا أنه دليل عليه .

وإذا أراد هنا بالمثال الظاهر لم يصح؛ لأنّ العرش ليس هو ظاهر الجنّة الكلي، ولا قلب المؤمن ظاهر الجنة، كما أن زيداً ظاهر الإنسان العقلي، نعم العرش الأعظم الذي هو ذو الأركان الأربعة؛ النور الأحمر الذي احمرت منه الحمرة، والنور الأصفر الذي اصفرت منه الصفرة، والنور الأخضر الذي اخضرت منه الخضرة، والنور الأبيض الذي منه البياض، أو ابيضّ البياض، على الروايتين[٣]، ومنه ضوء النهار، وهي الملائكة الأربعة العالين، الذين لم يسجدوا لآدم ﵇ .

---

(١) راجع بحار الأنوار، ج٥٥، ص٣٩، باب : ١ . وكشف الخفاء، ج٢، ص١٠٠، ح١٨٨٦ .

(٢) كتاب العرشية، ص٨٧ .

(٣) قال مولانا أمير المؤمنين ﵇ : (**إن العرش خلقه الله تعالى من أنوار أربعة : نور أحمر منه احمرت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة، ونور أصفر منه**

....←

[المراد من العرش الباطن الكلي والجزئي]

والعرش الباطن الكلي، الذي أشار إليه تعالى في الحديث القدسي، في قوله : (**مَا وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن، فإنّه يتقلّب معي وفِيَّ وبي**)[1]، وهو قلب محمد صلى الله عليه وآله، وقلوب أهل بيته الطاهرين عليهم السلام .

والعرش الباطن الجزئي، وهو قلوب من سواهم من المؤمنين، هي كلها أمثال للجنان، بمعنى الأدلّة كلّيّها لِكُلّيِّها، وجزئيّها لجُزئيِّها .

وقوله : «كما ورد : (**قلب المؤمن عرش الله، قلب المؤمن بيت الله**)[2]»، ليس ذلك من طرقنا فيما وقفتُ عليه، وإنما هو من طرق العامّة .

[مشاهد ومظاهر أبواب الجنة السبعة]

وقوله : «ولها مشاهد ومظاهر، ...إلخ»، يريد به أنّ ما فيك مثلاً من الحواس الظاهرة الخمس، والخيال والنفس، أو الحواس الخمس، والنفس والجسد، على الاحتمالين؛ هي أبواب الجنّة السبعة إذا استعملتَها فيما خُلِقَتْ لأجله، والعقل هو الباب الثامن، المسمّى بجنّة عدن .

والظاهر من هذا أنّها طرق لتلك الأبواب، وأن الأعمال الطيبة الصادرة عن هذه المشاهد الثمانية، صور لما في أبواب الجنانِ الثمانية، من النّعيم، والثواب الدائم المقيم .

←...

اصفرت الصفرة، ونور أبيض منه ابيض البياض، ...) . [أصول الكافي، ج١، ص١٢٩، ح١، باب : العرش] .

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤٧) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٧٣) من هذا الكتاب .

ولعل المصنّف إنّما رأى أنّ هذه المشاعر هي أبواب جهنّم وطبقاها؛ لأنه يرى أن الجنّة وما فيها من النعيم، والقصور والحور والولدان، من نوع النيّات والاعتقادات، كما تقدّم من كلامه، وقد بيّنّا هناك بطلانه .

[قول المصنف رحمه الله : بأن النار لها حقيقة كلية هي البعد من رحمة الله ...إلخ]

قال : «وكذلك النّار، لها حقيقة كلّية، هي البعد من رحمة الله، وهي صورة غضبه، ومظهر اسم الجبّار والمنتقم، ولها مثال كلي، هي نار جهنّم، ولها مظاهر كلّيّة وجزئيّة، هي طبقات جهنّم وأبوابها، وطبقاها سبعة، تحت الكرسي، وفيه أصول السّدرة، ومنها منبت شجرة الزقوم، **﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾**[1]، **﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾**[2]، وهناك تنتهي أعمال الفجار والمنافقين، وهي محيطة بالكافرين، وكذا سرادقها، ولها أمثلة جزئيّة، هي أهوية النفوس، بل النفوس الهاوية المظلمة، والصدور الضيّقة الحرجة»[3] .

[حقيقة النار الكلية والمراد بالكلية في مذهب الحق]

أقول : للنار حقيقة كلّيّة، ولا شكّ أنّ كل شيء فله حقيقة كليّة، أو هو حقيقة كلّيّة، وليس المراد في المذهب الحقّ بالكلّيّة المعنى المصطلح عليه، فإن المعنى المصطلح معنى ذهني، ظلّيّ صوريّ، منتزع من الخارج الموجود في أفراده، لأنه في الحقيقة منتزع من القدر المشترك بين الأفراد، مع قطع النظر عن مشخّصاها؛ كالخشب المشترك في السرير والباب .

---

(١) سورة الدخان، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٦٥ .

(٣) كتاب العرشية، ص٨٧ .

والكلّيّ المراد هنا على المذهب الحق، هو الذات الجامعة الظاهرة بإشراقاها، المتمايزة بالمشخصات، بل هو ظهور تلك الذات، الجامعة بتلك الإشراقات المتمايزة، إذ المراد بذلك الظهور تلك الإشراقات نفسها، فإنا إذا قلنا : العقل الكلّي، فأفراده العقول الجزئيّة، وليست أجزاء من ذاته، ولا أن كل واحدٍ من تلك الجزئيّة، نفس عقل الكل، تنقّل فيها على جهة البدلية، أو تجزّأ فيها، بل هو واحد بسيط ليس فيه كثرة، وإنما الجزئيّة إشراقاته وتأييداته، تكثّرت بمشخّصاهما .

[حقيقة النار والجنة عند الشارح تَدَّسَّ]

وقوله : «هي البعد من رحمة الله صورة غضبه»، ظاهره أن حقيقة النار أي: النار المعنوية العقليّة، هي البعد من رحمة الله، والحقّ أنّ حقيقة الجنّة الرحمة، وحقيقة النار الغَضب .

وقوله : «صورة غضبه»، صحيح .

وأمّا البعد فهو من لوازم الغضب، وكما أن الجنّة باعتبار كون ما فيها من الأمور المحبوبة المطلوبة صورة الرحمة، وظاهرها ولازمها، كذلك النار باعتبار كون ما فيها من الأمور المكروهة المنافية، هي صورة الغضب، وظاهره ولازمه، ومظهر اسم الجبار، والجبار يطلق على الله تعالى باعتبار معنى القهر والسطوة .

ويطلق على الله تعالى باعتبار كونه جابراً للكسر، والمراد هنا المعنى الأول، وإضافة اسم إليه بيانيّة؛ لأن الغضب أثر الاسم ذي السطوة، والقهر والانتقام، وهذه من فعله بداعي العدل الّذي هو جزء الرحمة الواسعة، وقسيم الرّحمة المكتوبة.

[المثال الكلي ومظاهر الكلية للنار]

وقوله : «ولها مثال كلّيّ»؛ يعني أن لها ظاهراً كلّيّاً، بمعنى ما تقدّم من الكلّيّ، أي : شاملاً واسعاً، وهو نار جهنم .

والمراد بجهنّم هنا مطلق النار الجامعة للأبواب السبعة، لا خصوص الباب السابع الأسفل كما مر تفصيلها .

[وقوله] : «ولها مظاهر كلية»، أي : آيات كلية، هي طبيعة الجهل الكلي، المسماة بالطمطام، ونفسه المسماة بالقرى، وروحه المسماة بما تحت الثرى، وهي مشاعر أئمة المنافقين، وصاحب راياهم الذي فيه شركاء متشاكسون، تدّعيه أهل النحل والملل المنحرفة عن الحقّ، فالنّصارى تدّعي إمامته، واليهود تدّعي إمامته، والصابئة[(١)] والمجوس[(٢)]، والدّهرية[(٣)] والثنوية[(٤)]، والمانويّة[(٥)] والمزدكية[(٦)]، وكل طائفةٍ غير المؤمنين الاثني عشريين، يدّعون أنه إمامهم، فظاهر مشاعرهم آيات النّار، وأفئدتهم مظاهر غضب الجبار، المؤجّجة للنار في جميع الأطوار في الأدوار والأكوار، ولها مظاهر جزئيّة، وكلّيّة إضافية، هي طبقات جهنّم وأبْوابُها .

---

(١) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (٢٩٣) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) **المجوس** هم : «أتباع النبي زرادشت الموحد، لكنهم حرفوا دينه وقالوا : بأصلين للوجود، إله الخير وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة، مع أن النور والظلمة مخلوقتان لله» . [معجم الكلام، ص٣٤٧، حرف : الميم، رقم : ٣١] .

(٣) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (٣٧٣) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) الثانوية هم : «أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا : بحدوث العلم» . [الملل والنحل، ص١١٥، الفصل : الثاني] .

(٥) **المانوية هم** : «أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير، وقاله بهرام بن هرمز بن شابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام» . [الملل والنحل، ص١١٥، الفصل : الثاني] .

(٦) **المزدكية هم** : «أتباع مزدك المجوسي الذي حرف دين زرادشت النبي عليه السلام، وقال : بإلهين إله خير وإله شر، أو إله نور وإله ظلمة، مع أن النور والظلمة مخلوقتان لله الواحد الأحد، وقد ابتدع الإباحية بين المجوس ونكاح المحارم» . [معجم الكلام، ص٣٥٦، حرف : الميم، رقم : ٦١] .

ولهذه الطّبقات أمثلة جزئيّة، ومظاهر هي آيات وظوَاهر، فالآيات أهوية النفوس المعبودة من دون الله، والظواهر هي النفوس الهاوية المظلمة العابدة، والصدور المضيّقة الحرِجة، الّتي كأنها تصَّعّدُ في السماء[1]؛ لشِدَّةِ غليانها بلهب أعمالها الباطلة، واعتقاداتها الفاسدة .

[مراد المصنف ﷺ من الكرسي]

وقوله : «وطبقاتها سبعة تحت الكرسي»، غلط على ظاهر مراده؛ لأنه يريد بالكرسي الذي هو أرض جنّة عدن، والذي تحت هذه الجنّات السبع، جنة دار المقامة، وجنة الخلد، وجنّة المأوى، وجنّة دار السّلام، وجنّة النعيم، وجنة العالية، وجنّة الفردوس .

ولو أراد الكرسي الباطل؛ الذي هو الثور الحامل للعرش، صح كلامه، بل لو أريد مطلق التحتيّة، صحّ في الجملة؛ لأنّ النيران السبع تحت الأرضين السبع، كما أن الجنان السبع فوق السماوات السبع، وحقائق النيران السبع تحت الثور، وهو تحت الحوت، وتحت البحر، وتحت الريح العقيم، ومنشؤها من الطمطام والثرى، وما تحت الثرى، والجهل الكلي، ومأخذ هذا الترتيب إن كتاب الأبرار وهو في عليّين، وهو نفس الكرسي، والكرسي أرضه، مقابل لكتاب الفجار، وهو في سجّين، وهو الصخرة التي ذكرها الله حكاية عن لقمان، وهي التي تحمل الملك الحامل للأرض، وهي طينة خبال .

وفي نهاية ابن الأثير، وفيه : «مَنْ شَرِب الخمر سقاه الله من طينة الخبال يوم القيامة»[2] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾** . [سورة الأنعام، الآية : ١٢٥] .

(٢) النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٨ . بحار الأنوار، ج٢٥، ص٨، ح١٠، باب : ١ .

وجاء تفسيره في الحديث : «أنّ الخبال عصارة أهل النار، والخبال في الأصل الفساد»[١] .

وفي مجمع البحرين؛ يعني طينة خَبال، قال : «وفسّرت بصديد أهل النّــار، وما يخرج من فروج الزناة، فيجتمع ذلك في قدر جهنم، فيشربه أهل النار»[٢] .

[أصول السدرة]

وقوله :«وفيه أصول السدرة»؛ أي : في الكرسي، أمّا كون الكرسي قــد يستعمل للكرسي الأسفل، المعبر عنه بالثور، فلا محذور في الاستعمال .

وأمّا أنّ فيه أصول السدر؛ فإن كان على معنى أنه أرض الجنّة، وفيها سدر مخضود؛ أي : لا شوك فيه فظاهر .

وأمّا أَنَّ أُصول السدر، هو شجرة الزقّوم، فشيء لم أعرفه، و لم أقف فيه على خبر، ولا سمعته من أحد، ولَا وَقَفْتُ عليه في كتابٍ إلّا هُنَا .

وفي كتابِه الأسفار أيضاً قال فيه : «والكرسيٍ موضع القدمَيْنِ، يفترقان بعده قدم الجبار، وهي لأهل النار، وقدم صدق عند ربك، وهي لأهل الجنّة .

وفيه أصول السدر الّتي هي شجرة الزقوم طعام الأثيم، وهناك تنتهى أعمال الفجار والمنافقين»[٣] .

ولا أَدْري هل كان هذا شيئاً عند أهل التّصوف[٤] أَمْ لَا؟، لأنّي قليل التفتيش في كتبهم، مَعَ أنّه ليس عندي منْها شيء، فربّما هو مذكور في رواياتهم، أَو في اختراعاتهم .

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٨ . بحار الأنوار، ج٢٥، ص٨، ح١٠، باب : ١.

(٢) مجمع البحرين، ج١، ص٦٢١ .

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٢٩، فصل : ٢٥ في الإشارة إلى مظاهر الجنة والنار ومشاهدهما .

(٤) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

ويحتمل أنّهم أرادُوا به الرمز؛ بمعنى أن سدرة المنتهى شجرة الزقوم، كلّ أحدٍ له فيها ورقة، هي وجهه الّذي يبقى، وأصله الّذي منه يستمدّ النــور، وتكــون أصولها الّتي هي عبارة في الشاهد عن العروق، كناية عن أسفلها المعبّر به عــن عَكْسِها، الّذي هو الشجرة الخبيثة .

وعلى ما هو من هذا النوع، يمتنع التصريح به؛ لأنّ ظاهره يعارض مثل هذا التأويل .

وبالجملة؛ هذا شيء لا أعرفه .

[بحث حول شجرة الزقوم ومعنى الزقوم]

وقوله : «ومنها منبت شجرة الزّقوم طعام الأثيم»، وهي شجرة مُرَّة كريهة الطعم والرائحة .

وعن ابن عباس لما نزلت هذه الآية، قال أبو جهل : (**إن محمّــداً يخوّفنــا شجرة الزقوم، هاتوا الزبد والتمر وتزقّموا؛ أي : كلوا**)[1] .

وفي النهاية وقيل : (**أكل الزبد والتمر بلغة أفريقيّة الزقّوم**)[2] .

وقال ابن الزِّبَعْرَي : الزقوم بكلام البربر التمر والزبد[3] .

وفي رواية بلغة اليمن[4]، طعام الأثيم الثابت الإثم، ومنبت شجرة الزقّوم في الجحيم، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ**﴾[5]، والجحيم أعْلَى النيران .

---

(١) النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٣٠٧ .

(٢) النهاية في غريب الحديث، ج٢، ص٣٠٧ .

(٣) تفسير الصافي، ج٤، ص٢٧٠، في تفسير الآية : ٦٢ من سورة الصــافات . بحــار الأنوار، ج٨، ص٢٥٧ .

(٤) تفسير الصافي، ج٤، ص٢٧٠، في تفسير الآية : ٦٢ من سورة الصــافات . بحــار الأنوار، ج٨، ص٢٥٧ .

(٥) سورة الصافات، الآية : ٦٤ .

والظاهر عندي وهو ما استفدته من آثارهم عليهم السلام؛ أنّ شجرة الزّقوم في طرف أسفل سافلين، في مقابلة شجرة المزن، الّتي هي في علّيين.

وفي الكافي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (**إنّ في الجنّة لشجرة تسمّى المزْن، فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً، أقطر منها قطرة، فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكلها مؤمن، أو كافر؛ إلّا أخرج الله عزّ وجلّ من صلبه مؤمناً**)[1]؛ لأن قوله عليه السلام: (**إن في الجنة لشجرة**)، إن أريد بالجنّة عليين، كان مقابلها سجّين؛ وهي الصخرة التي على قرن الثور أو على سنامه، على اختلاف الروايتين.

وإن أريد غير علّيين، كان ما يقابلها فوق الصخرة؛ لأن مقابل الأعلى أسفل، ومقابل الأسفل أعلى.

وشجرة الزقوم لا تكون أسفل من سجين، وهي على العكس من شجرة المزن، إذ منها تصعد أبخرة، وتصيب البقول والتمر، فمن أكل ما أَصابه منها قطرة خرج من صلبه كافر.

وسدرة المنتهى مقابلة لها في طرف علّيين، فإن أريد من شجرة المزن سدرة المنتهى، كما يفهم من بعض الأخبار، لم يكن أصلها سجّين؛ لأن سجّين تخرج في أصل الجحيم.

والسدرة في أعلى علّيين؛ أي: أعلى الجنان، أو في سائرها، فلا تكون منها لما بينهما من التباين.

وإن أريد غيرها؛ فالسدرة فوق شجرة المزن، إذ ليس وراءها نهاية.

وفي العلل عن الباقر عليه السلام -إلى أن قال-: (**إنما سمّيت سدرة المنتهى؛ لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة، والحفظة الكرام البررة دون السدرة، يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة، من أعمال العباد في الأرض**.

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٥١) من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

قال : فينتهون بها إلى محل السدرة، ...)[١] .

وهذا الحديث مما يدل على اتّحاد محَلِّ السدرة مع علّيّين كتاب الأبرار .

وبالجملة؛ لم أجد لكلامه، من كون أصل السدرة شجرة الزقوم، محملاً يليق إلّا ذلك الاحتمال المرجوح .

[بحث حول الشيطان ورؤوس الشياطين]

وقوله : «**﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾**[٢]»؛ يعني حمل تلك الشجرة **﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾**، كناية عن تناهيه في الكراهة، وقبح المنظر لما في النفوس، من استكراه الشيطان، واستقباحه لما في الطباع، من أن الشيطان شرّ محض، فيشبّهون كل مكروه في طباعهم، وكل قبيح برأس الشيطان، كما كانوا يشبّهون كل حسن جميل بالملك، كما قال تعالى : **﴿إِنْ هَـذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾**[٣]، لما في طباعهم ونفوسهم، من أن الملك خير محض، لا كراهة في شيء منه أصلاً، وهذا تشبيه تخييلي .

وقيل : أن التشبيه على حقيقته، فإن الشيطان حيّة عَرْفاء، لها صورة قبيحة المنظر، هائلة شديدة الكراهة والوحشة .

وقيل : إنّ شجراً اسمه الأسْتَن، حشِفاً منتِناً مُرّاً، منكر الصورة، يسمّى ثمره رؤوس الشياطين[٤] .

والعرب سمّوا هذا الثمر برؤوس الشياطين؛ لما فيه من الصفات المكروهة، من جهة تخيّلهم لشدّة القبح والكراهة في الشياطين، ثم بعد استقرار التسمية، كان عندهم أصلاً يشبّهون به كلّ مستقبح .

---

(١) علل الشرائع، ج١، ص٣٢٢، ح١، باب : ١٨٥ . المحاسن، ج٢، ص٣٣٤، ح١٠٣ . بحار الأنوار، ج٣، ص٣١٦، ح١٤ .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٦٥ .

(٣) سورة يوسف، ألآية : ٣١ .

(٤) راجع فتح الغدير، ج٤، ص٣٩٨ .

وأنت إذا لاحظتَ ما ذكرناه مراراً؛ من أن جماعة من العلماء العارفين، صرّحوا بأن المشبه عين المشبّه به في القرآن، وفي الأحاديث المرويّة عنهم عليهم السلام باللفظ، ظهر لكَ من ذلك تفسير باطن التأويل، بأنّ طلع شجرة الزقوم، وثمرها رؤس الشياطين، الذين هم شياطين الإنس، وأئمة الضلال، الداعون إلى النار في جميع الأحوال، فافهم .

[أين يكون منتهى أعمال الفجار؟]

وقوله : «وهناك تنتهي أعمال الفجار»؛ يعني به أنّ أعمال الفجار ينتهي إلى منبت شجرة الزقوم، الذي هو سجّين كتاب الفجار، كما تنتهي أعمال الأبرار إلى منبت شجرة المزن؛ أعني سدرة المنتهى على الظاهر من كثير من أخبارهم عليهم السلام، الذي هو علّيون كتاب الأبرار، إذ ليس وراء ذلك في المقامين إلّا مبادئ الأعمال ودواعيها، فإنها في الأعمال الصالحة في الأفئدة، ثم في القلوب، ثم في النفوس، وفي الأعمال الطالحة القبيحة، فإنّها في الإنّيّة الأُولى الكلّيّة، ثمّ في الجهل الكلّيّ، ثم في النفوس الأمّارة بالسوء، فإنها في الأولى مقوّمة منعّمة، وفي الأخرى مفرّقة مؤلّمة .

[النار موجودة في الدنيا في أهلها ويوم القيامة أهلها فيها]

وقوله : «وهي محيطة بالكافرين»؛ أي : النّار بجميع أبوابها، أو جهنم على جهة العموم، اقتباس من الآية، فإنها كما أشار إليه الكتاب، وصرّحوا عليهم السلام به؛ من أن النار موجودة في الدنيا في أهلها، ويوم القيامة أهلها فيها .

ولّما طلب السّائل من الإمام زين العابدين، بيان ذلك من القرآن، أجاب عليه السلام بما معناه : (**أنّه موجود في نحو ثلاثين آية، منها قوله تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[1]؛ **يعني في الدنيا،**

(١) سورة العنكبوت، الآية : ٥٤ .

وقوله تعالى : ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾[(١)]؛ يعني الآن، وقوله تعالى : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[(٢)]، وأمثال ذلك كثير، حتّى أن السائل قال له : لم لا يتألّمون إذاً؟ .

قال عليه السلام : **أنّهم أمواتٌ، ولو كانوا أحياء لتألّموا) .**

ومعنى كونها فيهم، أنّ مَظاهرَها أي : محالّ ظهورها، صور أعمالهم، ومنشؤها مضمرات اعتقادهم، وكذا سرادقها .

والسرادق كلّ ما أحاط بشيء من حائطٍ، أو مضرب، أو خباءٍ؛ يعني أنّ سرادقها محيط بالكافرين .

وقيل : السرادق ما يحيط بالخيمة، وله باب يدخل منه إلى الخيمة[(٣)] .

وقيل : هو ما يُمَدُّ فوق البيت[(٤)] .

وسرادق النار بالمعاني الثلاثة -نعوذ بالله من النار- .

[قول المصنف رحمه الله : بأن أبواب النار لها سبعة أبواب ...إلخ]

قال : «وأبوابها سبعة؛ لقوله تعالى : **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾**[(٥)]، وهي عين أبواب الجنّة لأهْلها؛ فإنها على شكل الباب الذي إذا فتح على موضع انسدّ به موضع آخر، فعينُ غَلْقِ هذه الأبواب على الجنّة، فتحها إلى النار، إلّا باب القلب؛ فإنه أبداً مطبوع على النار، لا يفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجَنّة، **﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾**[(٦)]؛ لأن صراط الله كما مرّ

---

(١) سورة الإنفطار، الآيتان : ١٥-١٦ .

(٢) سورة التكاثر، الآيتان : ٥-٦ .

(٣) راجع تفسير غريب القرآن، ص٤١٨ .

(٤) راجع مختار الصحاح، ص١٥٨ .

(٥) سورة الحجر، الآية : ٤٤ .

(٦) سورة الأعراف، الآية : ٤٠ .

أدقّ من الشعر، فيحتاج من يسلكه إلى كمال الدِّقّة واللطافة، فأنّى يتيسّر سلوكه للحمقاءِ الجاهلين، سيّما مع العناد والاستكبار .

فأبواب النار سبعة، وأبواب الجنّة ثمانية»[١] .

[المراد من أن للنار سبعة أبواب وأن المعذبين تختلف مراتبهم في أعمالهم]

أقول : للنار سبعة أبواب، فيحتمل أن يكون المراد بالأبواب طبقاتها وأصنافها، ويحتمل أن يكون المراد بالأبواب سبعة لكل طبقة منها .

والاحتمالان جاريان حتى في الآية في قوله تعالى : **﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾**[٢]، وإن كان الظاهر من الآية، وكلام المفسرين الاحتمال الأول .

وقوله : **﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾**؛ يعني أنّ المعذّبين تختلف مراتبهم في أعمالهم، بحسب اختلاف ذواتهم، فإن كل جزءٍ خُلِق من طبقةٍ يعود إليها لا إلى غيرها، فمن خلقت طبيعته وصورته من الجحيم، لا يعود إلى لظى التي هي تحتها، ومن خلقت طبيعته وصورته من لظى، لا يعود إلى سقر التي هي تحتها، ولا إلى الجحيم التي هي فوقها، ومَن خُلقَتْ طبيعته وصورته من سقر، لا يعود إلى الحطمة، ولا إلى لظى، ومن كانت من الحطمة لا يعود إلى الهاوية، ولا إلى سقر التي هي تحتها، ولا إلى الجحيم التي هي فوقها، ومن خلقت طبيعته وصورته من سقر لا يعود إلى الحطمة، ولا إلى لظى، ومن كانت من الحطمة وإلى الهاوية، ولا إلى السعير، ومن كان من الهاوية، لا يعود إلى السعير، ولا إلى الحطمة، ومن كان من السعير، لا

---

(١) كتاب العرشية، ص٨٧ .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٤٤ .

يعود إلى جهنم، ولا إلى الهاوية، ومن كان من جهنم، لا يعود إلى غيرها، فلكل نار منهم قوم هم أولى بهما، وهي أولى بهم .

[هل صحيح أن مظاهر أبواب النار السبعة في الإنسان هي الحواس الخمس؟]

وقوله : «وهي عين أبواب الجنة لأهلِها»، يريد أنّ أبواب النار السبعة، مظاهرها في الإنسان حواسّه الخمس؛ اللمس والشمّ، والذوق والسمع والبصر، والخيال والوهم .

وقيل : الحواس الخمس، والجسد والنفس، إذا استعملها في غير ما خلقت لأجله، بل استعملها فيما نُهي عن استعمالها فيه، كانت أبواب النار السّبعة، لكل بابٍ منها جزء من أعماله القبيحة، خرجت منه، وتدخل فيه، أو منه، كما أنّها أبوابٌ مشاعر ذلك المكلّف .

وإذا استعملها فيما خلقت لأجله ومنها، من غير ما لم تخلق لأجله، كانت أبواب الجنّة السبع، لكل واحد منها جزؤ من أعماله الصّالحة، خرجت منه، وتدخل منه؛ بمعنى أن هذه السبعة طرق لتلك الدركَات، وهذه الدرجات .

وأمّا الجنّة الثامنة؛ جنة عدنٍ، فبابُها وطريقها العقل، وهو لا يصلح لاستعمال الأعمال السيئة، فلهذاً كانت الجنان ثمان، والنيران سبع .

[أصل خلقة الإنسان]

وأصل ذلك أن الإنسان خلق إنموذجاً من العالم كلّه، كما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام :

أتحْسب أنك جرمٌ صغير — وفيك انْطوى العالم الأكبر

فكل ما يوجد في العالم الكبير، يوجد نظيره في العالم الصغير، الذي هو الإنسان، والذي في الإنسان الصغير، آياته وأمثاله، ونظائره التي يستدلّ عليه بها، لا أن تلك السبعة الأعضاء هي حقائق أبواب الجنان، وأبواب النيران، كما

اعترف به في الأسفار في الجواب، فقال : «قلنا : السمع والبصر وغيرهما، الـــتي لأهل السعادة والهدى، مباينة بالحقيقة والنوع عندنا، للّتي لأهل الشقاوة والهوى، وإن وقع الإشتراك بينهما في أصل الإحساس والشعور»(١) .

نعم هي أدلّة ذلك، وطريق تلك المسالك .

[معنى الباب في كلام المصنف ﵀ والمراد من أبواب الجنان والنيران]

وقوله : «فإنها على شكل الباب»، ليس على اطلاقه؛ لأن كونها على شكل بابٍ واحدٍ بين مدخلَيْن، إنما يجري في الأفئدة وضدّها، إذ لا ســـهو، ولا فتـــور بينهما، بل كما ذكر إذا فتح على موضعٍ انسدّ به موضع آخر، وذلك إذا كـــان باب الخشب بين مَدْخلَيْن، فإنه إذا فتح باب مدخلٍ سدَّ بابُه المفتـــوحُ المـــدخلَ الآخرَ وبالعكس، بخلاف مداخل القلوب والنفوس، والخيال والحواس، فإنه قـــد يغلق على مدخلٍ لا ينفتح به المدخل الآخـــر؛ لوقـــوع الغفـــلات، والفتـــرات والسَّهوات، إلّا أن الفؤاد، بل القلب، ليس له وجه إلى الباطل، فـــلا يـــؤدّي إلى النار، فلذا لم تكن النيران أكثر من سبعٍ، وكانت الجنان ثمان .

وحيث جاز وقوع الغفلات والفترات، دلّ على أنّهما بابانِ متشابهان؛ باب للجنّة، وباب غيره للنار، فلا يصحّ جعل أبواب النيران، بعينها أبواب الجنان، بل هما متغايران، وإن اتّحدت في الظاهر آلات الاستعمال، لأن الآلة لم تخلق للنار، وإنما خلقت للجنّة، إلّا أنها صالحة للاستعمال في التوصل إلى النار، فهي في الحقيقة للجنان أوّلاً وبالذات، وللنيران ثانياً وبالعرض .

[الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بواحدة والسر في ذلك!]

ولأجل هذه النّكتة، كان المكلف إذا نوى خيراً كتبت له حسنة، وإن فعله كتبت عشراً، وإذا نوى شرّاً، لم يكتب عليه شيء، وإذا فعله انتظر سبع ساعات،

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٣٤، فصل : ٢٦ في أبواب الجنة والنار .

بعدد الآلاتِ الصالحة، فإن تاب لم يكتب عليه شيء، وإلّا كتبت عليه سيّئة واحدة[١] .

والسرّ فيه أن الحسنة إذا بَرزَتْ من العقل بالنيّة الصالحة، كتبت واحدة؛ لأنها برزت ممّا خلق لها، فهي متأصّلة فيه، فإذا عملها مرّت على النفس، والتعقل، والعلم والوهم، والوجود والخيال، والفكر والحياة والجسد، فكتبت عشراً؛ لأنها مرّت على عشر مراتب متأصّلة فيها، بخلاف السيّئة، فإنها إذا برزت نيتها، برزت من النفس التي لم تخلق لها، فليست متأصّلة، بل هي عارضة، فإذا عملها مرَّتْ على العلم والوهم، والخيال والفكر، والحياة والجسد، فلها سبع مراتب؛ هي عارضة عليها النفس، وهذه الستة فإذا عملها انتظرت سبع ساعات، بعدد هذه المراتب، فإن تاب محيت لعدم استقرارها، وإلّا كتبت هذه السبعة الأعراض واحدة، وليس إلّا لما قلنا، والله سبحانه أعلم بأسرار خليقته .

فأبواب طرق الجنة ذاتية، وأبواب طرق النار عرضيّة، فليس هي إيّاها، فافهم.

[معنى باب القلب عند المصنف ﵀ في كلامه؟]

وقوله : «إلّا باب القلب، فإنه مطبوع على أهل النار»، يعني أن تلك الأعضاء السبعة لأهل الجنّة، وقد تفتح لأهل النار، إلّا باب القلب، فإنّه مطبوع بأعمالهم على قلوبهم، فلا يفتح لهم أبداً؛ لأنه لا يصلح لأعمال الشرّ، وإنما هو مفتوح لأعمال الخير، ولذا قال تعالى في حق أهل النار : **﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾**[٢].

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٦٦) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٤٠ .

[معنى السماء في التفسير الباطني]

والسماء يطلق في التفسير الباطن، كما روي عنهم عليهم السلام، ويراد به رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يكنى به عن العقل، كما قال تعالى : **﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾**[1]؛ أي : عقلاً، ولأجل هذا الطبع كانت الجنان ثمان، والنيران سبعاً؛ لعدم فتح باب العقل عليهم .

[كيف يكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف؟]

وقوله : «لأن صراط الله أدقّ من الشعر، ...إلخ»، يشير به إلى أن ما أشرنا إليه؛ من كون الأبواب في الجنّة والنار واحدة، وكون الجنة ثمان، لأن باب القلب مفتوح عليهم .

وكون أبواب النار سبعة؛ لأن باب القلب مطبوع عليهم، مغلق عليهم، فلم يكن باباً للنار، هو صراط الله .

والصراط ورد في المتواتر المجمع عليه، (**أنه أدقّ من الشعر، فيمور بأقدام السائرين عليه، وأحدّ من السيف، فيشقّ أقدام السائرين عليه**) .

فكنّى بكونه أدقّ من الشعر؛ أنه يضطرب لا يثبت عليه إلّا قدم مَن ثبّته الله بالقول الثابت، وكشف غطاء بصيرته .

وبكونه أحدّ من السيف؛ أنه يشقّ قدم مَن سار عليه، عن كونه يفرّق قلبه ويقسّمه، حتى يسقط منه، وذلك لأن دقائق المعارف، وأسرار العلوم، هي صراط الله في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة عرف أن هذا الجسر الممدود على جهنم، طريقاً إلى الجنّة، هو ذلك الذي كان في دار الدنيا، من أسرار علوم الاعتقادات والمعارف، فمن ثبت عليه في الدنيا، ومَرَّ عليه، ثبت عليه في الآخرة، ومر عليه .

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ١٥ .

[هل دقائق المعارف وأسرار العلوم هي صراط الله تعالى؟]

قال فإذا كان ذلك كذلك: «في كمال الدقّة واللطافـة»، حتّـى ورد في بعض الأخبار ما معناه: (**أنّ في الصراطِ لعقباتٍ كَؤُداً، لا يقطعها بسهولةٍ إلّا محمد وأهل بيته** صلى الله عليه وآله)، «فأنّى يتيسّر سلوكه للحمقاء الجاهلين، سيّما أهل العناد والاستكبار»، وهو يعرّض بعلماء الظاهر.

ومعلوم أنّ كلامه هذا صادق على كثير منهم، وأمّا إرادة كلهم فغلط ظاهر لا يخفى، إذ ليس كلّ من لم يعرف الأسرار، ويتعمّق في المطالب الدقيقة الخفيّـة هالكاً، كما أنّ ليس كلّ مَن دقّق وتعمّق ناجياً، فإن المصنف ممّن تضـرب بـه الأمثال في التعمق، ودقّة النظر، والاستفراغ للوسع، وانظر كيف حال معرفتـه، فإذا أردتَ أَن تعرف معرفته واعتقاده، فانظر إلى شرحنا على كتابه المشاعر، وإلى شرحنا هذا على العرشيّة، وما نبّهنا عليه فيهما؛ من فساد أكثر معتقداته، وبطلان أكثر قواعده واستدلالاته.

والعلّة في ذلك أنه سلك في جميع مطالبه مسـلك الحكمـاء، وشـطحات الصوفيّة[1]، و لم يقتصر على ما دلّوا عليه أئمة الهدى عليهم السلام، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا**)[2]، وقال عليه السلام: (**ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة، يفرغ بعضُها في بعضٍ، وذهب مَن ذهبَ إلينا، إلى عيون صافيَة، تجري بأمر الله، لا نفاد لها**)[3]، فلأجل ذلك أخطأ مع بالغ تحقيقه، وشدّة تدقيقه.

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨٠) من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٧) من الجزء الأول من هذا الكتاب.

[القاعدة الثانية عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: عدد زبانية جهنم]

قال: «قاعدة في الإشارة إلى عدد الزبانية، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۞ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا...﴾[1].

اعلم أنه قد انكشف لأرباب البَصائر النوريّة، أنّ هذا القالب البشري، بحسب مشاعره، وأبوابه وروازنه، يشبه الجحيم وأبوابها، وانكشف بالبصيرة أنه جلس على أبواب هذا البيت، الذي هو مثال الجحيم، تسعة عشر نوعاً من الزبانية، وهي الحواسّ الخمس الظاهرة، والخمس الباطنة، وقوّة الشهوة والغضب، والقوى السبع النّباتيّة، وكلّ منها يجرّ القلب عن أوج القدس، إلى حضيض عالم السفل»[2].

[تعريف الزبانية وعددهم والدليل على سر خصوص هذا العدد]

أقول: الزبانية هم ملائكة النار، واحدهم زبني، مأخوذ من الزبن، وهو الدّفع؛ لأنهم يدفعون أهل النار فيها.

والزبانية في اللغة: الشرطة؛ وهم تسعة عشر.

والدّليل على سرّ خصوص هذا العدد مستنبط من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[3]، وقول الصّادق

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ٣٠-٣١.

(٢) كتاب العرشية، ص٨٨.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبيّة، فما فُقِد في العبوديّة وُجِد في الربوبيّة، وما خفِي في الربوبيّة أُصيبَ في العبوديّة، ...**)[١] .

وقال الرّضا عليه السلام : (**قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يكون إلّا بما هيهنا**)[٢] .

وحيث ثبت أنّ الإنسان هو العالم الصغير، وكل ما في العالم الكبير فهو موجود في العالم الصغير، لأنّه إنموذج له، ودليل بما حضر ووُجِدَ فيه، عَلَى ما غَاب من العَالَمِ الكبير، كما قال :

أتحسب أنّكَ جرم صغير وفيك انطوى العالَمُ الأكبرُ

فإذا أردنا أن نعرف شيئاً ممّا غاب عن حواسّنا من العالم الكبير، نظرنا نظيره فينا، الّذي هو دليله .

فإذَا أَردْنا أَنْ نَعرف الزّبانية وعددهم، طلبنا نظيره فينا، وطَلَبْنا ظاهره في العالم الكبير، وجدنا أنّ مدار التدبير في نظام العالم، على اثني عشر برجاً، وعلى سبعة نجوم سيّارة، أودع سبحانه فيها أسرار التدبير، وأحكام التقدير في العالم، كما دل عليه الحديث المتقدم من تفسير العياشي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : (**أن الله تبارك وتعالى خلق روح القدس، ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها، وليست بأكرم خلقه عليه، فإذا أراد أمراً ألقاه إليها، فألقاه إلى النجوم فجرت به**)[٣]، فإن ظاهره أن الملائكة الموكلين بالنجوم، إذا أراد تعالى إجراء شيء، أجراه بواسطة روح القدس، وروح القدس يلقيه بواسطتهم، لقوله تعالى : ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾[٤]؛ وهم الملائكة، فإلقاء الأمر إلى النجوم، لو لم يكن بواسطة الملائكة، لم يكونوا مدبّري أمرٍ .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٢٨) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة (٤٥٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١٠) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) سورة النازعات، الآية : ٥ .

وروى علي بن عيسى في كشف الغمّة، عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: **(وما عسيتُ أَن أصِفَ من محن الدنيا، وأبلغ من كشف الغطاء عمّا وكّلَ به دَوْرُ الفلك من علوم الغيب، ولستُ أذكر منها إلّا قتيلاً أفنَتْهُ، أو مغيّبِ ضَريحٍ تجافَتْ عنه، ...إلخ)**[1] .

فإذا عرفتَ مأخذ الدليل، وعرفت أنّ دليل الربوبيّة في العبوديّة، ودليل العبوديّة في الربوبيّة، وعرفت أن الاثني عشر البرج، والسبعة السيّارة، موكّل بها الملائكة الّذين يفعلون بواسطة هذه البروج والنّجوم، فإذا عرفتَ مقام تلك الملائكة، من الأمر المراد في العباد، عرفت أنّهم تلك الزبانية في الإنسان الكبير، بناء على ما ذهب إليه المصنف؛ من أن الجحيم تحت الكرسي، وعلى غير هذا الرأي المخدوش، تكون هذه الملائكة موكّلين بعالم الدنيا، الجامع لعالم الآخرة، الجامع لعالم الجنّة والنار، فتكون هذه النشأة وما فيها، دليل نشأة الآخرة وما فيها، في الدارين الجنّة والنار .

[الملائكة التي في النار مشابهين لما في الدنيا]

أمّا الملائكة الذين في النار، المشابهين لما في الدنيا؛ فهم الزبانية في النار يوم القيامة، وفي البرزخ، بل وفي الدنيا، كما في العالم الصغير، فإنّ فيه الفصول الأربعة في طبائعه، وفي كل فصلٍ ثلاثة بروج باعتبار أوّله وأوسطه، وآخره في مدة بقائه الفصول الأربعة، فصل الربيع من الطفولية إلى العشرين السنة، أو إلى ما زاد عليها إلى الثلاثين .

وفصل الصيف من العشرين إلى الأربعين، أو مما زاد على الثلاثين إلى ستين .

وفصل الخريف، أو فصل الشتاء على الخلاف، من أنّ الشتاء في العالم الصغير، مقدّم على الخريف، بعكس العالم الكبير؛ لأن الخريف فصل الموت في الصغير، وآخر العالم الكبير أقوى من أوّله، أو أن الصغير كالكبير في تقدّم فصل

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١٢) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

الخريف، وفصل الخريف في الصغير من الأربعين إلى الستين، أو من الستين إلى تسعين.

وفصل الشتاء من الستين إلى الثمانين، أو من التسعين إلى مائة وعشرين، أو ما دون ذلك على الاحتمالات.

وكلّ فصل له طرفان، ووسط على كلِ واحدٍ ملك موكل به، فهذه اثنا عشرة، وعلى عقله وعلمه، ووهمه ووجوده الحسّي، وخياله وفكره وحياته، كل واحد ملك موكّل به، فهذه تسعة عشر؛ لأنّ المشاهين لما في الدنيا مَنْ جرى تدبير أمورهم، منهم على مقتضى الفطرة التي فطر الله النّاس عليها، لم يغيّرها أهلها كانوا لهم موكّلين، بتدبير أمورهم يوم القيامة في الجنة، ومَن جرى تدبير أمورهم على مقتضى الطبيعة المبدّلة، التي نهى تعالى عنه في قوله : **﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾**(١)، فإن النفي بمعنى النهي، والطبيعة المغيّرة التي نهى تعالى عنه، في قوله حكاية عن قول عدوّه إبليس : **﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾**(٢)، كانوا لأهل التبديل والتغيير موكلين بتدبير أمورهم يوم القيامة في النار، وهؤلاء هم الزبانية.

[الزبانية الكلية والجزئية والقوى الخمسة الظاهرة والباطنة]

فالزبانيّة الكليّة، زبانية العالم الكبير، تسعة عشر.

والزبانية الجزئيّة، زبانية الإنسان الواحد، وهو العالم الصغير، لكل واحدٍ من أهل النار زبانية تَخصّه غير زبانية الآخر، هم سدنة الزبانية الكليّة، ولكن تطبيق المصنف، ومَن يقول كقوله ممن قبله أو بعده مختلف؛ لأنهم جعلوا الزبانية في العالم الصغير الحواسّ الخمس الظاهرة، والحواس الخمس الباطنة، **فالأولى** : اللمس والشم، والذوق والسمع والبصر.

---

(١) سورة الروم، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١١٩ .

والثانية : الحس المشترك، والخيال والوهم، والحافظة والمتخيّلة، وقوّة الشهوة، التي فعلها جذب الملائمات، والميل إليها، وقوّة الغضب، التي فعلها دفع المنافرات والمكروهات، وقوة الجاذبة، الحارة اليابسة، والقوة الهاضمة، الحارة الرطبة، والقوة الدافعة، الباردة الرطبة، والقوّة الماسكة، الباردة اليابسة، والقوة المغذّية، والمولّدة والمُنَمّية، وهذه التسعة عشر التي من الطبيعة الجسمانية، والنفوس الحيوانية الحسيّة الفلكية، آلاتُ الملائكة الموكّلة بها، لإثارة مقتضيات طبائعها، الذين هم زبانية نار ذلك الشخص الطبيعيّة، وهي جزئيّات لما في العالم الكبير، فلا تنطبق على ما ذكروه في العالم الكبير، لأن كثيراً من العلماء ذكروا أن النجوم السبعة، منها زحل؛ وهو نجم العقل، يعني التعقل، والعقل باب مغلق لا يفتح لأهل النار، فبقيت ستة أنجم، إذا اعتبرت الملائكة الموكلون بها، لأنّهم قالوا : أن تلك الملائكة كالنفوس، أو نفوس، وتلك الملائكة أجسام لها، أو كالأجسام على الاحتمالين .

وملائكة ستة أخرى، موكّلون بنفوس أفلاكها، أو نفوسها، وهي نفوس تلك النفوس، وكالنفوس لتلك النفوس .

[المراد من الملائكة على المذهب الحق]

والمراد أن الملائكة على المذهب الحق، غير ما وكّلوا به، فهذه اثنا عشر ملكاً، وأربعة ملائكة، موكلون بالعناصر الأربعة، وثلاثة ملائكة، موكلون بمعادن العالم الكبير، ونباتاته وحيواناته، فهذه تسعة عشر ملكاً؛ هم المدبرون أمراً في الدنيا لما في الآخرة، فمن كان منهم جارياً في تدبيره على الطبائع، والفطرة المغيّرة والمبدّلة، بحسب مقتضياها، فهم زبانية النار الكليّة للكلية، والجزئيّة للجزئيّة، ومن كان جارياً في تدبيره، على مقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها، فهم سَدَنة الجنان، وجنود رضوان .

[هل أن ما يجر القلب عن أوج عالم القدس بالفعل أم بالقوة؟]

وقوله : «وكل منها يجرّ القلب عن أوج عالم القدس»، صادر على متعارف العوام، من كونِ المراد من القلب، هذا الذي هو عبارة عن الفهم، والتمييز الذي هو مناط التكليف، وهذا المذكور ليس من عالم القدس بالفعل، وإنما هو بالقوة؛ لأنه إذا عمل بطاعة خالقه تعالى، واجتنب معاصيه، كان ذلك القلب من عالم القدس .

وأمّا قبل ذلك فليس من عالم القدس، إذ لو كان من عالم القدس، لما انجرّ من أوج عالمه المطهّر إلى حضيض عالم السفل والرجس، إذ لو كان من عالم القدس، لطهّر كل تلك القوى إلى عالمه، ولا يقابله منها شيء؛ لأنه حينئذٍ جند الله، وجند الله هم الغالبون، ولكن هذه دقيقة تخفى على المصنف وأمثاله، فإنهم يطلقونه على غير ما عُبِد به الرحمان، واكتسب به الجنان[1]؛ لأنهم يرون أنّ العقول ليس فيها قوّة استعداد، بل كل ما فيها بالفعل، وهذا شأن من لم يجر عليه الإيجاد .

[مراد الإمام عليه السلام من قوله : (صور عارية عن المواد)]

وربّما اشتبه على عارفيهم؛ بقول علي عليه السلام حين سئل عن العالم العلوي، فقال عليه السلام : (**صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد، تجلّى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، ...**)[2]، وليس مراده عليه السلام ما ذهبوا إليه، وإنما مراده بعد قبولها ما أعطاها، وقبولها عبارة عن القيام بأوامر الله، واجتناب مناهيه؛ لأن المراد بكونها عالية عن المواد العنصريّة، لا عن مطلق المادة، إذ لا يوجد

---

(١) عن محمد بن عبد الجبار، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ما العقل؟ .

قال : (**ما عبد به الرحمان، واكتسب به الجنان ...**) . [أصول الكافي، ج١، ص١١، ح٣، كتاب العقل والجهل .المحاسن، ج١، ص١٩٥، ح١٥] .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

مخلوق، بل لا يمكن إيجاد مخلوق لا مادة له، سواء كان جوهراً أم عرضاً، وإلّا لما كان شيئاً، سبحان من ليس كمثله شيء، وهو السَّميع البصير .

[قول المصنف ﷺ : وأما الكلام في أصولها وسوابقها فاعلم أن مدبرات الأمور ...إلخ]

قال : «وأمّا الكلام في أصولها وسوابقها، فاعلم أن مدبّرات الأمور في برازخ عالم الظلمات، وهي المشار إليها بقوله : ﴿**فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾[١]، فهي في باطن العالم الكبير الجسماني، الأرواح الملكوتية للكواكب السبعة، والبروج الاثني عشرية، فالمجموع تسعة عشر سرّاً، وجهاراً غيباً وشهادة، وكذا في العالم الصغير الإنسان، هي رؤساء القوى المباشرة لتدبير البرازخ السفليّة، وهي التسعة عشر المذكورة، سبع منها مبادئ الأفعال النباتيّة، واثنا عشر منها مبادئ الأفعال الحيوانية»[٢] .

[أصل الزبانية الجزئية التي في الإنسان الجزئي]

أقول : أصول الزبانية الجزئيّة؛ أي : الّتي في الإنسان الجزئي، وهي الملائكة الموكّلة بحواسّه الظاهرة والباطنة، وعناصره الأربعة؛ الجاذبة والهاضمة، والدافعة والماسكة، والمغذّية والمربّية والمولّدة، وقوة الشهوة .

وقوة الغضب، متفرعة من الزبانية الكليّة؛ أي : في العالم الكبير، بمعنى أنّها خلقت من أشعّة الملائكة الكليّة، والملائكة الكليّة الّتي في النشأة الأولى؛ أعني الدنيا، هي الموكّلة بالكواكب الستّة؛ الّتي هي المشتري والمريخ، والشمس والزهرة، وعطارد والقمر، والموكّلة بأفلاكها السّتة، والموكّلة بالعناصر الأربعة، والموكّلة بالمواليد الثلاثة؛ المعادن والنباتات والحيوانات، مَنْ كان مربّياً للطبائع

---

(١) سورة النازعات، الآيتان : ٤-٥ .

(٢) كتاب العرشية، ص٨٨ .

المغيّرة، والمبدّلة منهم، وهم جنود مالك خازن النيران، وهم زبانية جهنم، وهم الأصول للزبانية الجزئيّة، لأن الجزئيّة أمثال الكليّة وصورها، ومن كان من الملائكة الكليّة مربّياً في النشأة الأولى، للفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها، فهم جند رضوان، وسدنة الجنان .

[أصول المدبرات أمراً وعددهم]

وبالجملة؛ المدبّرات أمراً؛ أصولهم ثلاثمائة وستون ملكاً، تسعون جنود جبرائيل عليه السلام، ثلاثون يعملون له في خلق العقول، وثلاثون يعملون له في خلق النفوس، وثلاثون يعملون له في خلق الأجسام .

وتسعون جنود ميكائيل؛ ثلاثون يعملون له في رزق العقول، وثلاثون يعملون له في رزق النفوس، وثلاثون يعملون له في رزق الأجسام .

وتسعون جنود عزرائيل؛ ثلاثون يعملون له في موت العقول، وثلاثون يعملون له في موت النفوس، وثلاثون يعملون له في موت الأجسام .

وتسعون جنود إسرافيل؛ ثلاثون يعملون له في حياة العقول، وثلاثون يعملون له في حياة النفوس، وثلاثون يعملون له في حياة الأجسام .

وكل واحدٍ من هذه الثلاثمائة والسّتين تحته من الملائكة لا يحصي عددهم، إلّا الله، يخدمونه ويعينونه في الجهة الموكّل بها .

وأئمة الكلّ هذه الأربعة، لأنّهم موكّلون بالعالم كله، غيبه وشهادته، فجبرائيل عليه السلام موكّل بالخلق، وهو ربع العالم، وهو يستمد من النور الأحمر، من أركان العرش .

وميكائيل عليه السلام موكّل بالرزق؛ وهو ربع العالم، وهو يستمد من النور الأبيض، من أركان العرش .

وعزرائيل عليه السلام موكّل بالموت؛ وهو ربع العالم، وهو يستمدّ من النور الأخضر، من أركان العرش .

وإسرافيل عليه السلام موكّل بالحياة؛ وهو ربع العالم، وهو يستمدّ من النّور الأصفر، من أركان العرش .

وكل المذكورين من المتبوعين والتّابعين، مدبّرون أمراً بقولٍ مطلقٍ .

[من أي نوع من أنواع الملائكة ملائكة الزبانية؟]

والتسعة عشر الملك الزبانية، نوع خاصّ بملائكة يَدُعُّون المنافقين والكافرين إلى مراتبهم من جهنم دَعّاً، ويدفعونهم إلى النار دفعاً، وفعلهم ذلك هو صورةُ تَدْبيرهم، لدواعي طبائعهم المغيّرة المبدّلة المؤجّجة لنيران تعذيبهم .

وهذه الملائكة في النشأة الأولى، تجري فيما وُكّلوا به، كجَريان الرّوح في الجسد، ومُستَجنّون في غيبه كاستجنان المعنى في اللّفظ، وفي النشأة الأخرى يظهرون في عالَم الشهادة، لأن وجود عالم الغيب في النشأة الأولى، لعدم ظهوره في عالم الشهادة، وفي النشأة الأخرى يحضر عالم الغيب، فيكون الكل شهادةً لا غيب فيه .

[المراد من مبادئ الأفعال النباتية]

وقوله : «سبعة منها مبادئ الأفعال النباتية»، يعني أن سبعة من التسعة عشر، تظهر تأثيرها بواسطة الأفعال النباتية، وهي أفعال العناصر، وما تألّفَ منها من المعادن، والنباتات والحيوانات، إذ المراد بالحيوانات الأجسام الحيوانية لا نفوسها، لأنّ نفوسَها من نفوس الأفلاك، وهي من مبادئ الأفْعال الحيَوانيّة، فإنّ النجوم الستّة الّتي ذكرناها من مبادئ الأفعال الحيوانية، لأن أشعتها هي الملطّفة للأبخرة القلبيّة، وهي المنضجة لها نضجاً معتدلاً، وهي الحاملة للنفوس المتعلّقة بتلك الأبخرة، بعد نضجها واعتدالها في النضج، فإن اشراقات نفوس أفلاكها على تلك الأبخرة القلبيّة، إنّما تقع عليها بواسطة أشعّة تلك الأجرام النيّرة، وإن كانَتْ أيضاً مبادئ للأفعال النباتية، لتوقّف تنزل النفوس الحيوانية، على النفوس النباتيّة، فتكون هذه الكواكب السّتة مبادئ للأفعال النباتيّة في التغذية، والتربية والتوليد، لكون النفوس النباتية، مراكب للنفوس الحيوانية، إلّا أن هذه الكواكب السّتة،

أبواب لنفوس أفلاكها، فهي مظاهر الحياة؛ كالقمر، والفكر؛ كعطارد، والخيال؛ كالزهرة .

والوجود الثاني؛ كالشمس، والوهم؛ كالمرّيخ، والعلم؛ كالمشتري، فإذا كانت هذه الكواكب مظاهر النفوس الفلكيّة الحيوانية الحسيّة، كانت أحرى بأن يكون مبادئ الأفعال، نعم الأولى أن يقال : سبعة منها مبادئ لأفعال النباتات، وسابعها مشترك بين الحيوانات والنباتات، وستّة مبادئ للأفعال الحيوانيّة، وهي نفوس الأفلاك، وستّة منها مشتركة، فهي مبادئ للأفعال النباتية، ومبادئ الأفعال الحيوانيّة، وهي نفوس النجوم الستة، فافهم والله سبحانه أعلم .

[قول المصنف ﷺ : بأن الإنسان ملدام محبوساً بهذه المحابس الداخلة والخارجة ...إلخ]

قال : «فالإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس الداخلة والخارجة، مسجوناً بسجن الطبيعة، مأسوراً في أيدي هذه العُمّال الكليّة والجزئيّة، لا يمكنه الصعود إلى عالم الجِنان، ومنبع الرضوان، ودار الحيوان، فإنه لم يتخلص عن تأثيرها وتقييدها، كانت حاله كما أفصح عنه قوله تعالى : ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ۝ ...﴾[١] .

فإذا انتقل من هذا البدن بالموت، فينتقل من السجن إلى السّجّين، فيؤدّيه المالك إلى هذه الزبانية، التي هي من آثار تلك المدبّرات، فيعذّب بها في الآخرة، كما يُعَذّب بها في الدنيا من حيث لا يشعر، لكثافة الحجب وغلظتها، فإذا انكشف الغطاء، أو رَقّ الحجاب، يرى شخصه مُعَذّباً بأيدي سَدَنة الجحيم، وزبانية نار الحميم، يجرّونه إلى جهنم بسلاسلهم وأغلالهم»[٢] .

---

(١) سورة الحاقة، الآيتان : ٣٠-٣١ .

(٢) كتاب العرشية، ص٨٩ .

[محابس الإنسان والمراد من المحبس]

أقول : يريد أن الإنسان ما دام محبوساً بهذه المحابس؛ وهي جمع مَحبَس -بفتح الميم والباء- محلّ الحَبَس، ويجوز -بكسر الميم وفتح الباء- ما يحبس به من سلسلة وحبل وغيرهما .

والمراد بالْمَحبس -بفتح الميم- الطبيعة المادّية العنصرية، وما يتركّب منها، -وبكسر الميم- مُيُولها ومقتَضياتها ودواعيها، وخُصوصاً متعلّقات هذه التسعة عشر، ومحالّها التي هي مدبّرة لها، فإنّها هي المؤجّجة للنيران من دواعي الطبيعة المادّية، وميولاتها وشهواتها وهويها، وما اشتملت عليه واقتضتْه، أو ترتّبَ عليها من الغلَظ والتثاقل، والكسَل والتمطّي .

وكثافة حجب إنّيّتها مأسوراً في أيدي هذه العُمّال المدبّرة، المربّية لهذه الصفات الذميمة المنمّية لها، القائمة بمقتضاها، المتمّمة لما نقص من رذائلها ونقائصها، ولوازمها الكلّيّة والجزئيّة، لا يمكنه الصعود إلَى عالم الجنان، لأنّها في أعالي مراتب الإمكان، وذلك لثقَلِ تلك القيود الأليمة، وغلظ حجب تلك الصفات الذّميمة، وظلمة تلك الطرق المعوجّة الغير المستقيمة، لأنّ فروع مظاهر الغضب، وآثار السّخط، مقابلة لمنبع الرضوان، ومعاكسة لِدَارِ الأمان، ودواعي الهلاك والبوار معاكسة لدار الحيوان؛ التي لا موتَ في شيءٍ منها، ولا مما فيها .

[حقائق أهل النار]

وأهل النار حقائقهم ثقيلة، ولهذا يعبّر عنهم بالحجَارة، كما مرّ في حديث المنافق أو اليهودي، ولَوّحَ أمير المؤمنينَ عليه السلام، بذلكَ في إشَارَاتِ كَلامه، فقال : (**تَخفَّفُوا تَلْحقُوا، فَإِنّما يُنتَظَرُ بأوّلكمْ آخركم**)[1]، فإذَا تخَلّصَ مِنْ هذه الدَّواعي، وأطلق نفسه من هذه القيود، والصفات الذميمة، رقى إلى أعالي الجنان، ومنبع الرضوان، ودار الحيوان .

---

(١) نهج البلاغة، ص١٠، خطبة : ٢١ . بحار الأنوار، ج٦، ص١٣٥، ح٣٦، باب : ٤ .

[المراد من طول السلسة التي هي سبعون ذراعاً]

وإذا لم يتخلّص من تأثيرها وتقييدها، كانت حاله كما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا -بذراع إبليس- فَاسْلُكُوهُ﴾[1] .

وهذه الآيات نزلت في ملكٍ جبّار؛ لأن السّلسلة المشار إليها سبعون ملكاً جبّاراً، ثلاثون من ذرّيّة رجل واحدٍ، وهذا الجبّار الّذي نزلت فيه هذه الآيات منهم، وأربعون من ذرّيّة رجل واحدٍ .

والسلسلة سبعون ذراعاً بذراعٍ إبليس، كل ذراعٍ طوله سبعة أشبارٍ، والملائكة المأمورون بأَخْذِهِ هم الزّبانية .

فإذا انتقل هذا الرجل المسجون بهذه السجون، المقيّد بهذه القيود الغليظة، قبل أن يتخلّص منها، ينتقل بالموت من سجن المعاصي، والأعمال القبيحة، إلى سجّين كتاب الفجار، وهي سجن الجزاء، فيتسَلّمه مالك، فيؤدّيه إلى أيدي هذه الزبانية التسعة عشر الكلّية، الّتي هي من أتباع تلك المدبرات الكلّية، بل من أبدالهم، لا من آثارهم .

[الملائمات التي هي مقتضى الفطرة المستقيمة والتي هي الفطرة المغيرة للنفس]

نعم الزبانية الجزئيّة من آثارهم، كما أن العالم الصغير من آثار العالم الكبير، فتعذّبه الزبانية بتلك الصفات الذّميمة في الآخرة؛ لأنّ هذه الصفات الذّميمة، كانت ثمرات تغيير الفطْرة وتبديلها، المخالف لما ينبغي من الأمور الملائمة الموافقة للنفس، فإن ثمرات المنافر للنّفس غير ملائمة لها، وإنما هي ملائمة للتغيير والتبديل، مثلاً الملائم للنفس الصحّة، والغنى والأمن، لأنّه هو مقتضى الفطرة المستقيمة، التي فطر الله الناس عليها، وهي الموافقة لمحبّته ورضاه تعالى .

---

(١) سورة الحاقة، الآيات : ٣٠-٣١-٣٢ .

والمرض والفقر والخوف، ملائم للفطرة المغيّرة المبدّلة، ففي الدنيا لمّا غيّر الفطرة وبدّلها، وقع به المرض والفقر والخوف؛ لأنّه مقتضاها أي : مقتضى الفطرة المغيّرة المبدّلة، فتلائمها الصّفات الذميمة، ولأجل تلبيس النفس ودعاويها، عدم التغيير والتبديل، وخفاء الفطرة المستقيمة، حتّى كأنها عند النفس هي المغيّرة، فربّما غَفلَتْ عن التألّم بالمنافر، لحصول ملائمته للمغيّرة، ومحائلة النّفس بأنّها هي المستقيمة في بعض غفَلاتها، فلا تكاد تحسّ بالتّألّم .

وربّما ذكرت فوجدت عملها غير ملائم للمستقيمة، فتتألّم عند وجدانها للمنافر .

وأما يوم القيامة فتظهر الفطرة المستقيمة، ويتبيّن منافرة الأعمال لها، ومخالفتها لرضى الله تعالى، فيتألّم بذلك، وينظر لزوم تلك الصفات المذمومة، وعدم الانفكاك منها، فتشتدّ حسرته، وهو معنى قوله : فيعذّب بها في الآخرة، كما يعذّب بها في الدنيا، من حيث لا يشعر؛ لكثافة الحجب وغلظتها، وقد يشعر عند تذكّره فيشعر بها .

[المراد من سدنة الجحيم وزبانية الحميم]

وقوله : «فإذا انكشف الغطاء، أو رَقّ الحجاب، ...إلخ»، يعني إذا ماتَ المعبر عنه بكشف الغطاء، أو رقّ الحجاب؛ أي : أو ضعفت الموانع الطّبيعيّة، أو فإذا انكشف الغطاء؛ بأن فتحت عين بصيرته، أو رَقّ الحجاب، بأَنْ أَماتَ نفسه، واجتمع قلبه، ظهرت له حقيقة الحال، فرأى شخصه معذّباً بأيدي سدنة الجحيم، وزبانية الحميم .

والسَّدنة جمع سادن؛ وهو الخادم، مثل كفرة، جمع كافر في الدارين على الاحتمالين؛ يعني إن مات، أو أمات نفسه، أو فُتِحت عين بصيرته، رأى نفسه معذّباً بأيدي خَدَمة الجحيم .

وزبانية الحميم -عطف تفسيري- يجرّونه إلى جَهنم بسلاسلهم؛ وهي هيولات طبيعته وشهواته، وهوى نفسه، وأغلالهم بصحف أعماله، وملكات إنّيّته، وعَود صور أعماله إلى مراكزها من النيران .

[القاعدة الثالثة عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في: معنى الأعراف وأهله]

قال: «قاعدة في الأعراف وأهله، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾(١)، قيل: هو سور بين الجنة والنار، باطنه فيه الرحمة، وهو ما يلي منه الجنة، وظاهره من قبله العذاب، وهو ما يلي منه النار، يكون عليه من تساوت كفّتا ميزانِ حسناته وسيّئاته، فهم ينظرون بعينٍ إلى النار، وبعينٍ أخرى إلى الجنّة، وما لهم رجحان بما يدخلهم الله في إحدى الدارَيْن، هذا ما قيل.

وعندي أن الأعراف غير السور الواقع بين الجنّة والنار، والذي ذكروه إنما يصح ويليق في تفسير قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾(٢).

وأمّا الأعراف فأصله مأخوذ من العرفان، كما قال: ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾(٣)، وإمّا مِن عُرفِ الفرس، فهو شعر عنقه، وهو الموضع المرتفع منه، والعرفة أيضاً الرمل المرتفع، كناية عن ارتفاع مكانهم وعلو ذاتهم»(٤).

[ذكر الأقوال في معنى الأعراف]

أقول: الأعراف قيل: هو سور بين الجنّة والنار، مستعار من عُرْفِ الفرس.

وقيل: العرف ما ارتفع من الشّيْء، فإنه يكون بظهوره أعرف من غيره.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٤) كتاب العرشية، ص٨٩.

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام : **(الأعراف كثبان بين الجنة والنار)**[١] .

وفي الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام، في هذه الآية : **(نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الّذين لا يعرف الله عزّ وجلّ إلّا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يُوقِفنا الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنّة إلّا من عرَفَنا وعرفناهُ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرنا وأنكرناه)**[٢] .

وفي البصائر : **(الأعراف صراط بين الجنّة والنار)**[٣] .

وقيل : [الأعراف] سور بين الجنّة والنار، باطنه فيه الرحمة، وهو ما يلي منه الجنّة، وظاهره من قبله العذاب، وهو ما يلي منه النار، يكون عليه مَن تساوت كفّتا ميزانِ حسناتِه وسيّئاته، وهم المرجون لأمر الله، إمّا يعذبهم، وإمّا يتوب عليهم .

ويريد هذا القائل بقوله : فهم ينظرون بعينٍ إلى النار؛ وهي عين اليأس لكثرة السّيّئات، وبعينٍ أخرى إلى الجنّة؛ وهي عين الرجاء، لكرم الكريم .

وهؤلاء إن وقع منهم هذا النظر الثاني، نظراً إلى أعمالهم الحسنة هلكوا، وإن كان نظراً إلى كرم الكريم تعالى، بل ولو إلى غناه، وصدق وعده، أنّه لا يضيع عمل عاملٍ، ولم يتوعد هكذا في طرف السيئات نجواً .

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص٢٣٥، تفسير معنى الآية : ٤٦ من سورة الأعراف . بحار الأنوار، ج٨، ص٣٣٥، ح٢، باب : الأعراف . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٣٤، ح١٣٦ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) بصائر الدرجات، ص٤٥٣، ح٥، باب : ١٦ في الأئمة أنهم الذين ذكرهم الله يعرفون أهل الجنة والنار . تفسير الصافي، ج٢، ص١٩٩، في تفسير معنى الآية : ٤٦ من سورة الأعراف . بحار الأنوار، ج٨، ص٣٣٥، ح٣، باب : النار .

وقول القائل : وما لهم رجحان بما يدخلهم الله في إحدى الدارين، لتقاوم النظرين في أنفسهم؛ نظر الخوف، ونظر الرجاء .

فالمستفاد من الأدلّة، أن هؤلاء يأول أمرهم إلى النجاة، لما قلنا : من رجحان جانب الفضل على جانب العدل .

ولقد روي بعض معناه : (**أن الله تعالى يوقف رجلاً يوم القيامة، فيقول له: ألم أمُرْك، ألم أنهك؟** .

فيقول : بلى يا رب .

فيقول تعالى : فلم عصيتني؟ .

فيقول : يا ربّ غلبت عليّ شقوتي .

فيقول تعالى : يا ملائكتي مروا به إلى النار، فتأخذه ملائكة النار .

فيقول : وعزتك وجلالك، ما كان هذا ظني بك؟ .

فيقول الله تعالى للملائكة : قفوا به، فيقول له : ما كان ظنك بي؟ .

فيقول : ظني بك أن تعفو عني .

فيقول تعالى : يا ملائكتي وعزّتي وجلالي، ما كان ذلك ظنّه بي، ولو كان ذلك ظنه بي في دار الدنيا، لَما رَوَّعْتُه بالنار، ولكن أَجيزُوا له كذِبَهُ وأدخلوه الجنّة، ...)[1] .

---

(١) عن محمد ابن أبي عمير، عن عبد الرحمان بن الحجاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إن آخر عبد يؤمر به إلى النار فيلتفت، فيقول الله عز وجل : اعجلوه، فإذا أتى به قال له : عبدي لِم التفت؟ .**

فيقول : يا رب ما كان ظني بك هذا؟ .

فيقول الله -جل جلاله- : عبدي وما كان ظنك بي؟ .

فيقول : يا رب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي، وتدخلني جنتك .

فيقول الله : ملائكتي وعزتي، وجلالي وبلائي، وارتفاع مكاني، ما ظن بي هذا ساعة من حياته خيراً قط، ولو ظن بي ساعة من حياته خيراً ما روعته بالنار، أجيزوا له

....←

وذلك لأنّ الخوف من السيّئات مقو لمقتضى الرجاء ما لم يكن قنوطاً من رحمة الله .

واعلم أن بعضهم ذكر معنى آخر للأعراف، وهو أن الأعراف مقام لبعض أهل الجنة، وهو أن من عرف الله عَجَّلَ في دار الدنيا، بالعلم والعمل، إذا ورد على مقام التعارف بين الله وبينه .

ومثاله؛ رجل قدم بلداً، وفي تلك البلد شخص بينهما تعارف قبل ورود البلد، فإنه يقدم على صاحبه في بيته ممن عرف الله عَجَّلَ بالمعرفة الظاهرة، التي هي العلم بما وصف به نفسه لعباده، وبالمعرفة الباطنة التي هي الإخلاص في العمل والطاعة، إذا قدم الجنة كان له قدم صدق عند ربه، وهو الأعراف .

ومقام الكثيب في الجنة أنزل من مقام الأعراف، فإنه لمن قدم الجنة قاصراً عن رتبة الأول، فإنه كالقادم على بلد ما، كان عارفاً بأحد من أهلها، فإنه أول قدومه غريب حتى يعرف بأحد منها، وهذا مقام أهل الكثيب .

[اطلاقات الأعراف]

فتحصل من جميع ما أشرنا إليه؛ أن الأعراف له إطلاقات؛ **أحدها** : يراد منه موقف على الصراط، لمن لم يتميز لهم حاله حتى يعرف حالهم، فيلحقون بأهل الجنة، أو بأهل النار .

وثانيها : يراد منه موقف يعرف فيه أهل الجنة، وأهل النار بسيماهم بأعمالهم، أو بمرورهم على الصراط، وعبورهم إلى الجنة وعدمه .

وثالثها : يراد منه موقف المميزين للفريقين على الصراط، بين أهل الجنة والنار، للتميز بينهم .

....←

كذبه، وأدخلوه الجنة، ...) . [ثواب الأعمال، ص١٧٣، ثواب حسن الظن بالله تعالى . وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣١، ح٧، باب : ١٦]

ورابعها : يراد منه موقف ضعفاء الناجين، الذين لم يسبقوا، وكان يظن بهم أنهم من الهالكين، ثم يؤمر لهم بدخول الجنة .

وخامسها : يراد منه مقام في الجنة، دون مقام الرضوان، كما سمعت مما نقلناه عن بعضهم .

وسادسها : يراد منه المميزون لأهل الجنة، وأهل النار .

وفي الظاهر هم الأنبياء والمرسلون، والملائكة والشهداء والصالحون .

وفي الحقيقة هذا المسمى هيهنا بالأعراف؛ هم الرجال، وهم محمد وعلي، وفاطمة والحسن والحسين، والتسعة الأطهار من ذرية الحسين «صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين» .

[معنى الأعراف من جهة مفهوم المصنف تتَّئُّ]

وقوله : «وعندي أن الأعراف غير السور الواقع بين الجنة والنار، ...إلخ»، يريد أن ما ذكره هذا القائل؛ من أن الأعراف هو السور الواقع بين الجنة والنار، غير لائق؛ لأنه تعالى ذكر الأعراف، وذكر بعده ما يشير إلى المراد منه، وذكر السور ووصفه بما لا يلائم، وصف الأعراف، وهذا يدل على مغايرته له .

والقائل : فسر الأعراف بما وصف الله به السور، فإن الله تعالى قال في السور : ﴿**بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾[1]، ورسول الله صلى الله عليه وآله أشار إلى بيانه في جوامع كلمه، فقال : (**أنا مدينة العلم، وعلي بابها**)[2] .

وفي رواية أخرى : (**أنا مدينة الحكمة، وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها**)[3] .

---

(١) سورة الحديد، الآية : ١٣ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٧١، ح٢٩٨، باب : ٣١ . تحف العقول، ص٤٣٠ . الاختصاص، ص٢٣٨ . وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٤، ح١١، باب : ٥ .

(٣) أمالي الصدوق، ص٤٢٤، ح١، مجلس : ٧٩ . العمدة، ص٢٩٥، ح٤٨٩ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٣١٥، ح١١٢ .

وورد تفسير السور بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وباطنه حبه وولايته، وظاهره بغضه وعداوته[١] .

فأشار صلى الله عليه وآله إلى ذلك بقوله : (**حب علي حسنة، لا تضر معها سيئة، وبغض علي سيئة، لا تنفع معها حسنة**)[٢] .

وإن علياً عليه السلام أيضاً هو الرائد لمحبيه؛ أي : رائدهم إلى الجنة، وهو الذائد لأعدائه، يذودهم عن الجنة إلى النار، وهذه وأمثالها تصح وتليق ببيان السور؛ لأنه عليه السلام هو الحائط بين الجنة والنار، وأين هذه المعاني من معنى الأعراف، فإن الأعراف من جهة مفهومه يليق به، أنه مأخوذ من المعرفة، أو من عرف الدابة؛ وهو الشعر الذي ينبت على أعلى عنق الدابة، أو من العُرفة -بضم العين-؛ وهو الرمل المرتفع، أو من أعراف الرياح؛ وهو أعاليها .

وكني به في أهل الأعراف عن ارتفاع مكانهم، وعلو ذاهم، إذا أريد هم العارفون، أو الذين يعرفون كلاً بسيماهم .

وإذا أريد بهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أو المقصرون من الناجين، فلأن حالهم المشتبه يتبين فيه، ويظهر كما يظهر الشيء العالي .

[قول المصنف قدس سره : بأن أهل الأعراف هم الكاملون في العلم ...إلخ]

قال : «وأهل الأعراف هم الكاملون في العلم، والمعرفة الذين يعرفون كل طائفة من الناس بسيماهم، ويرون بنور بصيرتهم الباطنة أهل الجنة، وأهل النار

---

(١) راجع تأويل الآيات الظاهرة، ج٢، ص٦٦٠، ح١٠ . وبحار الأنوار، ج٧، ص٢٢٨، ح١٤٨، باب : أحوال المتقين والمجرمين في القيامة .

(٢) عوالي اللآلي، ج٤، ص٨٦، ح١٠٣ . وفي ينابيع المودة لذوي القربة، ج٢، ص٢٩٦، المودة السادسة : في أن علياً عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره وأن طاعته طاعة الله تعالى، بدل كلمة : «**وبغض علي- وبغضه**» .

وأحوالهما، كما قال النبي ﷺ : **(اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنـــور الله)**[١]، لكنهم يعد في هذا العالم من حيث أبدانهم، كما قيل : أبدانهم في العالم الأسفل، وقلوبهم معلقة كالقناديل بالملأ الأعلى، فهم بالأجساد أرضـيون، وبـالقلوب سماويون، أشباحهم فرشية، وأرواحهم عرشية، ولم يموتوا بالموت الطبيعي حـتى يدخلوا الجنة، بدناً كما دخلوها روحاً، كما قـال : **﴿لَـمْ يَـدْخُلُوهَا وَهُـمْ يَطْمَعُونَ﴾**[٢] رجاء رحمة الله .

وإذا خرجوا عن الدنيا، كان طمعهم عين الوصول، وقولهم عـين الفعليـة والحصول .

وأما قبل ذلك، فحالهم كحال برزخي بين أحوال أهل الجنة، وأهل النـار؛ لأن قلوبهم منعمة في نعيم الجنان، من الإيمان والعرفان، وأبدانهم معذبة بعـذاب الدنيا ومؤذياتها، فهم كما قال تعالى : **﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْـحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[٣]»[٤] .

[المراد من أهل الأعراف وذكر سائر أوصافهم]

أقول : أخذ يصف أهل الأعراف، وقد سمعت أن الأعراف له إطلاقات[٥]، والذي ذكرهم صنف من أهل الأعراف؛ وعنى بهم أهل الأعراف في التأويل .

والمراد من أهل الأعراف من يذكرون في التأويل، وفي الباطن، وفي الظاهر، على ما يقتضيه مقامات الاطلاقات .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٩٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٤٦ .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ٤٧ .

(٤) كتاب العرشية، ص٩٠ .

(٥) راجع الصفحة رقم (٣٠٨) من هذا الكتاب .

والمناسب لمثل كتابه، ذكر الكل لا خصوص البعض، فقال : «وأهل الأعراف هم الكاملون في العلم»، الذي هو البصيرة في الدين، وفي المعرفة بالله، وصفاته وأسمائه، وأفعاله وعبادته، وبأنبيائه ورسله، وأوصيائهم، وبأحوال الدنيا والآخرة، وهو العلم المسمى بعلم اليقين والتقوى، الذي هو الحكمة العلمية؛ أعني علم الأخلاق؛ لأن من عرف ذلك عرف كل أحد بسيماهم، أو هم الكاملون في ذلك، وفي العمل بالنوافل، والمواظبة عليها، والتقرب إلى الله تعالى به .

والمراد بالنوافل هي كل ما يحبه الله؛ من صلاة أو دعاء، أو عمل أو قول، فإن الله سبحانه يقول في ذلك : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكت عني ابتدأته**، ...إلخ)[1]، فإن مثل هذا هو الكامل في الإيمان، الذي عناهم الله تعالى بقوله : ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[2]، وعناهم إمامهم وسيدهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**)[3]، وهم الذين عناهم بقوله تعالى : ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾[4]؛ أي : المتفرسين أصحاب الفراسة، يعرفون كل طائفة بسيماهم، فإن (**يقين المؤمن يرى في عمله، ويقين الكافر والمنافق يرى في فعله**)[5] .

وهؤلاء الكاملون، يرون بنور بصيرتهم الباطنة أهل الجنة، وأهل النار، وأحوالهما في الآخرة، بل وفي الدنيا؛ لأن اختصاص رؤية الأحوال في الآخرة،

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٢) سورة التوبة، الآية : ١٠٥ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٩٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) سورة الحجر، الآية : ٧٥ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

يوجب عدم توقف الرؤية على الكمال، فإن الأحوال تبرز يوم القيامة لسائر أهل الجمع .

وأما المتوقف على الكمال في العلم والعمل، فهي رؤية الأحوال في الدنيا وفي الآخرة .

وقوله في وصف الكاملين : «لكنهم يعد في هذا العالم من حيث أبدانهم، كما قيل : أبدانهم في العالم الأسفل لما بقي فيها من الأعراض البشرية، وقلوبهم معلقة كالقناديل»؛ لتجردها من رذائل الطبيعة الجسمانية، وشدة نوريتها تضيء لأهل السماء، وأهل الأرض، وهي «بالملأ الأعلى»، أي : مع الملأ الأعلى، فالباء بمعنى «مع» لا أنها صلة لمتعلقه، كما فهمه المصنف، لأن الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي اقتبس منه فيه **(وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها، معلقة بالمحل الأعلى)**[1]، وفي بعض النقل بالملأ الأعلى، فتكون الباء في هذا النقل بمعنى «مع» كما قلنا .

وكذا قوله : «فهم بالأجساد أرضيون»؛ لما لحق أجسادهم من الأعراض العنصرية، «وبالقلوب سماويون»؛ لعدم ارتباطها بشيء من أحوال الدنيا وزينتها، وزبرجها وزخرفها .

«أشباحهم فرشية»، المراد من الأشباح هنا الأجساد، من باب تسمية المحل باسم الحال .

«وفرشية»؛ يعني أرضية من قوله تعالى : **﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾**[2]، ذكرها لأجل السجع .

«وأرواحهم عرشية»؛ كالمعنى الأول .

---

(١) نهج البلاغة، ص١٦٤، قصار الحكم، رقم : ١٤٧ . الخصال، ص١٨٧، ح٢٥٧، باب : الثلاثة . خصائص الأئمة عليهم السلام، ص١٠٦ . بحار الأنوار، ج١، ص١٨٨، ح٤، باب : ٢ .

(٢) سورة الذاريات، الآية : ٤٨ .

«ولم يموتوا بالموت الطبيعي»؛ يعني قتل النفس بالرياضات، والآداب الشرعية، حتى يدخلوا الجنة أي : بأبدانهم الجسمية المحسوسة في الآخرة، كما دخلوها .

«روحاً»؛ أي : كما دخلوا الجنة في الدنيا بأرواحهم، لأنهم دائماً في الدنيا متنعمون بقلوبهم وأرواحهم، بنعيم الإيمان والمعرفة، راتعون في رياض الحكمة، فقال المصنف استدلالاً بالآية : «﴿**لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ**﴾[1]، رجاء لرحمة الله»؛ يعني أنهم الآن لم يدخلوها، ولكنهم يطمعون أن يدخلوها برحمة الله، وإذا خرجوا من الدنيا، كان طمعهم عين الوصول؛ لأن طمعهم كان ناشئاً عن قيامهم بأوامر الله، واجتنابهم عن نواهيه، التي وعد عباده الصالحين مع القيام بها بالجنة، ولن يخلف الله وعده، ولكنهم علموا بأن القيام بأوامره، واجتناب نواهيه، نِعَمٌ من الله سبحانه يجب شكرها على من وفقه لذلك، فلا يستحق على شيء من أعماله دخول الجنة، ولكن للثقة بوعده تعالى، يطمعون أن يدخلوا الجنة بفضله وبرحمته، فلما قال ﷺ : (**ومن مات فقد قامت قيامته**)[2]، كان بناء على هذا طمعهم عين الوصول، وقوهم عين الفعلية والحصول؛ لأن ما بقوهم من دخول الجنة عين ما هو بالفعل، لأنهم منذ فارقت أرواحهم أجسادهم، دخلت أرواحهم جنة الدنيا التي هي جنة الآخرة، إذا صفيت كما تقدم من ذكر الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى : ﴿**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۞ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا**﴾[3]، فإن التي فيها بكرة وعشي جنة الدنيا،

(١) سورة الأعراف، الآية : ٤٦ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٩) من هذا الكتاب .

(٣) سورة مريم، الآيات : ٦١-٦٢-٦٣ .

وأشار إليها بأنها هي جنة الآخرة، بقوله : ﴿الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[1] .

«وأما قبل ذلك»؛ يعني في الدنيا، «فحالهم كحال برزخي»، ليسوا في ذلك كحال أهل الجنة في كل حال متنعمين، ولا كحال أهل النار في كل حال معذبين، بل حال «بين أحوال أهل الجنة، وأحوال أهل النار، وذلك لأن قلوبهم في الدنيا متنعمة بنعم الجنان؛ من طعم الإيمان، وذوق العرفان»، وأبدانهم متألمة معذبة بعذاب محن الدنيا والامتحان، ومكاره الدهر أو الزمان .

فإذا جرت عليهم بلايا الدهر الخوان، ذكروا محن الآخرة، الجارية على أهل النيران، فاستعاذوا بالله الكريم المنان، من عذاب دار الهوان، «كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2] .

فإذا اعتبرنا في أصحاب الأعراف الكمال، لأنا نريد بهم من يعرفون كلاً بسيماهم، تعين علينا أن نريد بهم محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ؛ لأن الأمر إليهم في تمييز الخلائق، ورجوعهم إليهم في الحساب، وإليهم من جميع الخلق المآب[3] .

ومما يدل على بعض ما أشرنا إليه وزيادة، مما لم نذكره اعتماداً على ما هو وارد فيما نذكره عنهم، فمنه ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[4]، رواه الشيخ أبو جعفر

---

(١) سورة مريم، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٤٧ .

(٣) تقدم ماشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (١٦٤) من هذا الكتاب .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٤٦ .

الطوسي عن رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام، وقد سئل عن قول الله عز وجل: **﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، فقال: (سور بين الجنة والنار، قائم عليه محمد صلى الله عليه وآله، وعلي والحسن والحسين، وفاطمة وخديجة عليهم السلام، فينادون: أين محبونا وشيعتنا؟.**

فيقبلون إليهم فيعرفونهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم، وذلك قوله: ﴿يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾[١]، فيأخذون بأيديهم ويجوزون بهم على الصراط، ويدخلونهم الجنة، ...إلخ)[٢].

وحديث الجوامع (**﴿وَنَادَوْاْ﴾**[٣]؛ **يعني ونادى أصحاب الأعراف، أريد بهم من كان مع الأئمة عليهم السلام على الأعراف من مذنبي شيعتهم، الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾[٤]، أي: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم، ...إلخ)[٥].**

وفي تفسير العياشي، عن كرام، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (**إذا كان يوم القيامة، أقبل سبع قباب من نور يواقيت خضر وبيض، في كل قبة إمام دهره، قد احتفَّ به أهل دهره، برّها وفاجرها، حتى يقفون بباب الجنة، فيطلع أولها صاحب قبة اطلاعة، فيميز أهل ولايته من عدوه، ثم يقبل على عدوه، فيقول: أنتم الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة، ادخلوا الجنة لا خوف**

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص١٧٤، ح٦، باب: في رجال الأعراف. بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٥٥، ح١٨، باب: أنهم عليهم السلام أهل الأعراف.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٤٦.

(٥) تفسير الصافي، ج٢، ص٢٠٠، في تفسير معنى الآية: ٤٦ من سورة الأعراف.

عليكم اليوم لأصحابه، فتسود وجوه الظالم، فيميز أصحابه إلى الجنة، وهم يقولون : ﴿لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[(١)])[(٢)] .

فإذا نظر أهل القبة الثانية إلى قلة من يدخل الجنة، وكثرة من يدخل النار، خافوا أن لا يدخلوها، وذلك قوله : **﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ﴾**[(٣)]، قالوا : نعوذ بالله **﴿لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[(٤)]، أي في النار .

وفي مجمع البيان، إن في قراءة الصادق عليه السلام قالوا : (**ربنا عائذاً بك أن لا تجعلنا مع القوم الظالمين**)[(٥)]، **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ** -أي الأئمة عليهم السلام- **رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾**[(٦)]، من رؤساء الكفار والمنافقين، **﴿مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾**[(٧)]، أي كثرتكم وجموعكم، أو جمع المال، **﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾**[(٨)] عن الإمام الحق، **﴿أَهَؤُلاء﴾**؛ يعني ضعفاء الشيعة **﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ**

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٤٧ .

(٢) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٢، ح٤٧، في تفسير معنى الآية : ٤٧ من سورة الأعراف . وفي بحار الأنوار، ج٨، ص٣٣٧، ح١٢، باب : الأعراف، بدل كلمة : «**احتف- حف**»، وبدل كلمة : «**فيميز- فيتميز**»، وبدل كلمة : «**برحمة- برحمته**»، وبدل كلمة : «**لأصحابه- يقوله لأصحابه**» .

(٣) سورة الأعراف، الآيتان : ٤٦-٤٧ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ٤٧ .

(٥) راجع تفسير مجمع البيان، ج٤، ص٦٥٤، في تفسير معنى الآية : ٤٧ من سورة الأعراف .

(٦) سورة الأعراف، الآية : ٤٨ .

(٧) سورة الأعراف، ٤٨ .

(٨) سورة الأعراف، ٤٨ .

بِرَحْمَةٍ﴾[1]، أي: أهؤلاء الذين تستحقرونهم في الدنيا، وتحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة، ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[2].

وبالجملة؛ أمثال هذا مما يدل على أن المراد من أصحاب الأعراف الذين يعرفون كلاً بسيماهم؛ محمد وأهل بيته الطاهرين كثير، وأنهم الأعراف كما تقدم.

[قول المصنف ﷺ: بأن الذي يدل على صحة ما ذكر واستدل به عدة أمور ...إلخ]

قال: «والذي يدل على صحة ما ذكرناه أمور؛ **الأول**: ما ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قالوا: (**نحن الأعراف**)[3].

والثاني: أن الآية تدل على غاية مدحهم، والمتوسطون في الرتبة التي لأجلهم، لا رجحان لواحدة من كفتي موازينهم، الواقفون في السد الحاجز بين الدارين الجنة والنار، ليسوا من المدح في هذا المحل، ومن المعرفة على هذه الدرجة، بأن يعرفوا كلاً من الطائفتين بسيماهم، ومعرفة النفوس أمر عظيم.

والثالث: أن وضع الدعاء والمناجات لطلب الحاجات، إنما هي في الدنيا، وقبل الموت.

وأما الآخرة وما بعد الموت، ففيه ميعاد الوصول والوجدان، أو حصول اليأس والحرمان»[4].

---

(١) سورة الأعراف، ٤٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٩.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) كتاب العرشية، ص٩١.

[مراد المصنف قدس سره في معنى أصحاب الأعراف في الآية الكريمة]

أقول : يريد أن يبين وجه اختياره؛ بأن أصحاب الأعراف ليس المراد بهم في الآية من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، أو الذين لم يمحضوا الإيمان محضاً، أو الكفر محضاً، وأمثال ذلك .

وإنما هم الرجال الكاملون في العلم والمعرفة، الذين يميزون بين المسلم والكافر، والمؤمن والمنافق .

[معنى الأعراف عند الشارح قدس سره]

والحق ما ذكرنا من أن للأعراف إطلاقات له[1]، ومعلوم أنه إذا أريد به المكان تكون أصحابه مختلفين، فمرة يراد منهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، كما في الكافي عن الصادق عليه السلام، أنه سئل عن أصحاب الأعراف، فقال : **(قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فإن أدخلهم النار فبذنوبهم، وإن أدخلهم الجنة فبرحمته)**[2]، وغيره من الأخبار .

ومرة يراد منهم محمد وأهل بيته الطاهرين الطيبين «صلى الله عليه وعليهم أجمعين» .

ومرة يراد بهم المستضعفون من الشيعة، الذين يقفون مع أئمتهم حتى يؤنبوا بهم أعدائهم، الذين أقسموا أن الله لا يدخلهم الجنة، ثم يدخلونهم الجنة، كما تقدم قبل .

ومرة يراد بهم مطلق من لم يمحض الإيمان محضاً، و لم يمحض الكفر محضاً، من المستضعف والطفل، والشيخ الكبير الهرم والمجنون، ومن مات في الفترة بين

---

(١) راجع الصفحة رقم (٣٠٨) من هذا الكتاب .

(٢) أصول الكافي، ج٢، ص٣٨١، ح١، باب : أصناف الناس . تفسير الصافي، ج٢، ص٢٠٠، في تفسير معنى الآية : ٤٦ من سورة الأعراف . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٣٥، ح١٣٧ .

النبوتين، وهم الذين يجدد لهم التكليف؛ لأن المراد من الأعراف محل المعرفة والتميز بأي طور كان .

والمصنف حيث كان مطمح نظره، سلوك طريق القوم؛ من الحكماء والصوفية[1]، الذين إذا تكلموا في أحوال المعاد، تكلموا بطريقة التأويل والأعراف.

وأهل الأعراف عندهم هم العارفون، كما ذكره المصنف، ولا يراد بهم محمد وآله صلى الله عليه وآله، إلّا أنهم من جملة العارفين، ولا يلتفتون إلى بيان حال هذا الموقف، كما سيكون مما سمعوا؛ لأن ليس ذلك مطلوباً لهم، وإنما حقيقة وصفهم عائد إلى أنفسهم، فهم بأنفسهم مشتغلون عما سواها .

[الأدلة الثلاثة التي صرح بها المصنف رحمه الله في معنى الأعراف]

وإذا ذكر المصنف شيئاً مما لوحنا به، فإنما ذكر استطراداً .

والحاصل ذكر ثلاثة أدلة على تخصيصه؛ **الأول** : الأحاديث، والأحاديث منها ما يدل على مطلوبه، ومنها ما يدل على غيره .

والثاني : أن الآية تدل على غاية مدحهم؛ لأنه تعالى قال : **﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾**[2]، وغير الكاملين لا يعرفون أنفسهم فضلاً عن غيرهم، ولذا قال في ذكر غير الكاملين والمتوسطين، يعني الواقفين بين النجاة والهلاك، الذين لم يترجح حسناتهم على سيئاتهم، وإن كانت رحمة الله شملتهم وأدخلهم الجنة فيما بعد، فإنهم في ذلك الموقف، الذي هو أعرافهم، واقفون في السد؛ أي : الحائط الحاجز بين الدارين الجنة والنار، ليسوا من أهل مرتبة المدح، الذي هو النظر في الأشياء بنور الله، بحيث يميزون بين الحقائق،

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ٤٦ .

فيعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم وسرائرهم؛ لأن الاطلاع على حقائق الأشياء أمر عظيم، لا يتأهل له إلَّا الكاملون في العلم والعمل .

والثالث : أن غير الكاملين يقولون : **﴿لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[(١)]، في يوم القيامة، وهم على الأعراف، والدعاء والمناجات، يومئذٍ لا تنفع ولا تفيد فائدة يحصل بها لهم كمال، وعلم نافع، ومعرفة تستنير بها قلوبهم، بحيث يقدرون على التميز؛ لأن ذلك مظنة وقوعه في الدنيا .

وقولهم : ذلك في الآخرة مناف؛ لأن يعرفوا كلاً بسيماهم، إذ لا ترقي لذي عمل بعمله في الآخرة، لأن الآخرة ليس فيها إلَّا حصول مطلوب، وفقد محبوب .

واعلم أن كلامه هذا فيه أبحاث ترد عليها أبحاث، لا فائدة في ذكرها، في مثل قوله : «إنما هي الدنيا، وما قبل الموت، وأما الآخرة وما بعد الموت، ...إلخ»، فإنه كلام قشري، جار على طريقة العوام، ولكن لا فائدة في بيان ذكر شيء لم يذكر المصنف فيه منافياً عند الناظر في كلامه .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ٤٧ .

[القاعدة الرابعة عشر]
[من الإشراق الثالث من المشرق الثاني]
[في: معرفة معنى شجرة طوبى]

قال: «قاعدة في معنى طوبى؛ وهي مثال شجرة العلم، كثيرة الفروع والشعب، شريفة النتائج والأثمار، من المعارف الإلهية، التي أكثرها مما لا تستقل باكتسابه العقول البشرية، بل يحتاج في تحصيلها وتناولها أن تقتبس بأنوارها من مشكاة النبوة، بواسطة أول أوصيائه، وأفضل أوليائه، وأشرف أبواب مدينة علمه، فإن العلوم الإلهية، والمعارف الربانية، إنما انتشرت في قلوب المستعدين، القابلين للهداية من بدر الولاية، وشجرة الهداية.

ومما ورد في هذا المعنى، ما رواه أعظم المحدثين، رواية وضبطاً، وأوثقهم دراية وحفظاً، الشيخ الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن علي، بن الحسين ابن بابويه القمي، بسنده المتصل عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام: (**طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار علي بن أبي طالب، وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن من أغصانها**)[1]، وذلك لأن نفسه الشريفة معدن الفضائل والعلوم، وكان قلبه المنور مفتاح أبواب خزانة المعرفة، الموروثة من الأنبياء، سيما خاتمهم وأعلمهم «عليه وآله أفضل التسليمات وأزكاها»، كما أفصح عنه قوله صلى الله عليه وآله: (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**)[2]»[3].

---

(١) الخصال، ج٢، ص٥٥٨، أبواب الأربعين وما فوق. تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٠٢، ح١٢١.

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠٩) من هذا الكتاب.

(٣) كتاب العرشية، ص٩١.

[شرح معنى طوبى]

أقول : إنما قال : «معنى طوبى»، و لم يقل معنى شجرة طوبى، مع أنه إنما تكلم على معنى الشجرة؛ لأنه يريد أن طوبى إذا أفردت في مثل مقام الدعاء، كما يقال : طوبى لك، أن المراد بها شجرة العلم، وربما يفهم من كلامه أنه لا يريد غير هذا المعنى، وإن كان لها معاني أخر .

إما لأنه جرى على طريقة أبناء نوعه من الصوفية[1]، وبعض الحكماء من حصرهم الألفاظ على معانيها الباطنة، كما هو شأن أهل التأويل، حتى أن بعضهم انجر به التطبع إلى إنكار كثير من الضروريات؛ مثل القائم عليه السلام وخروجه «عجل الله فرجه»، وقال : ما مراد الشارع به إلَّا العقل .

وخروجه عبارة عن استيلائه على جميع المشاعر، والنفس والبدن، واعتدال الطبيعة .

وأن يأجوج ومأجوج[2] وخروجهم أمام الساعة؛ عبارة عن ظهور الوساوس، والأوهام الباطلة، أمام قيام العقل، واستيلائه على جميع المشاعر .

ومعنى أنهم يشربون ماء البحر؛ يعني النفس، ويأكلون الشجر، أنهم أي : الأوهام يمنعون شؤون النفس أن تتعلق بمصالح البدن بأفعالها .

وإما لأن غير هذا المعنى لا يعتد به .

والمصنف وإن كان كثيراً ما لا يذكر الأمور الظاهرة، على نحو ما جرت به الشريعة الطاهرة، إلَّا أنه يلوح في تعريفه إلى مشرب القوم .

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) **يأجوج ومأجوج** هم : «أقوام بدائية متخلفة مفسدة في الأرض، كانوا يعيشون على الغارة والسلب والنهب، ويعثون في الأرض فساداً، فبنى الاسكندر في قبالهم سداً لا يتجاوزونه إلى الأقوام، ويحتمل أن يكون حائط الصين المعروف منه» . [معجم الكلام، ص٤٢٨، رقم : ٥ حرف : الياء] .

وإنما لم يقل : معنى شجرة طوبى؛ ليعلم أن معنى طوبى مطلقاً، هو الشجرة المعينة، إذ لو ذكر شجرة طوبى، لفهم منه إرادة أحد معاني طوبى و لم يرد ذلك، وإنما يريد أن معنى طوبى وإن أريد بها الجنة، فإن المراد بها العلم؛ لأنه قد أشار أن الجنة وما فيها؛ من القصور والولدان، والحور والرمان والطيور، وغير ذلك كلها من باب النيات والاعتقادات كما تقدم، فكيف حال كلامه في معنى طوبى .

والحاصل؛ الأمر كما قال الصادق عليه السلام، كما رواه الحسن بن سليمان الحلي، في مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعري، قال عليه السلام : (**إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن، فلم ينفعهم شيء، ولا إيمان ظاهراً إلّا بباطن، ولا بباطن إلّا بظاهر**)[1] .

أو كما قال : وطوبى أحد معانيها شجرة العلم، وقال المفسرون في قوله تعالى : ﴿**طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾[2]، أي : طيب العيش .

وقيل : طوبى الخير، وأقصى الأمنية .

وقيل : طوبى اسم الجنة بلغة أهل الهند[3] .

وطُوبى مصدر كبشرى -بضم الطاء- من الطيب، فواوه مقلوبة عن ياء .

وأحد معانيها شجرة العلم والحكمة، وهي كثيرة الفروع والشعب؛ لأن فروعها وشعبها لا نهاية لها في الإمكان، شريفة النتائج والأثمار، شعبها عين ثمرها، والثمرة الواحدة منها إذا أكلها الإنسان، أشبعت في محلها من باطنه وأروته أبداً، ولا تفنى لذتها، ولا يخلو محلها عنها بكثرة انفاقها، بل كلما أنفق منها قر أصلها، وثبت ودر ثمرها، وأينع ونبت .

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٠٢، ح١١، باب : ٦٦ .

(٢) سورة الرعد، الآية : ٢٩ .

(٣) لسان العرب، ج١، ص٥٦٥ .

[اختلاف العلماء في اكتسابهم العلوم]

واختلف العلماء في اكتساب تلك العلوم، هل تستقل بتحصيلها العقل مطلقاً؟، أم تستقل بمعارفها دون حدودها؟، أم لا تستقل مطلقاً، بل تحتاج إلى الشرع، فقيل: **بالأول**؛ لأن العقول جعلها الله تعالى حججاً، وما لا يستقل لا يكون حجة، وقد قال تعالى: **﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾**(١)، وفسروا الظاهرة بالأنبياء والحجج عليهم السلام، والباطنة بالعقول وطريقها إلى العلوم الاكتساب.

وبعض هؤلاء، قال: طريقها التخلق بالأخلاق الإلهية، كما قال علي عليه السلام ما معناه: (**ليس العلم في السماء فينزل عليكم، ولا في الأرض فيصعد إليكم، ولكن العلم مجبول في قلوبكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم**).

ونقل ابن أبي جمهور الأحسائي في المجلى.

وروي عن عيسى بن مريم عليه السلام، قال لبني إسرائيل: (**يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من يصعد يأتي به، ولا في تخوم الأرض من ينزل يأتي به، ولا من وراء البحر من يعبر يأتي به، العلم مجبول في قلوبكم، تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين يظهر العلم من قلوبكم، حتى يغطيكم ويغمركم**).

وورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (**العلم نور يقذفه الله في قلوب أوليائه، وأنطق به على لسانه العلم علم الله، لا يعطى إلَّا الأولياء، الجوع سحاب الحكمة، فإذا جاع العبد مطر بالحكمة**).

وقيل: **بالثاني**، لأن المعارف لا تثبت بالنقل؛ لأنه لا يحصل منه إلَّا الظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً(٢).

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾**. [سورة النجم، الآية: ٢٨].

وأما الأحكام، فلأن العقول لا تدرك مأخذها، فاكتفى بالظن فيها، فيرجع إلى النقل .

وقيل : **بالثالث،** لأن العقول قبل الشرع عقول التميز، ومدار التميز إلى الاسترشاد، والاسترشاد على الله تبيينه و لم يبينه إلّا في كتابه، وعلى ألسنة أوليائه وحججه صلى الله عليه وآله .

وإنما تسمى تلك القوة المميزة عقلاً، إذا تعلمت من تعليم الله تعالى، ولهذا قال الصادق عليه السلام : (**العقل ما عبد به الرحمان، واكتسب به الجنان، ...**)[1]، وما سوى هذا ليس عقلاً حقيقياً، لما تقرر في الأصول، من أن صحة السلب علامة المجاز .

وقد قال عليه السلام في آخر الحديث حين قال له السائل : فما الذي كان في معاوية؟ .

فقال : (**تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل**) .

وقد روي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله ما معناه : (**ما من شيء من الحق عند أحد من الخلق إلّا بتعليمي، وتعليم علي بن أبي طالب** عليه السلام) .

وروي معنى هذا عن غير ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله .

والحق عند من أراد الله به خيراً هو القول الثالث، ومن كان استمداد عقله من الكتاب والسنة علماً وعملاً، وجد هذا ما لا يرتاب فيه .

[هل العقول البشرية تستقل بأنفسها في اكتساب المعارف الإلهية؟]

وقوله : «بواسطة أول أوصيائه، وأفضل أوليائه»، يريد أن العقول البشرية، لا تستقل بأنفسها في اكتساب المعارف الإلهية، بل تحتاج إلى الاستمداد من

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٩٦) من هذا الكتاب .

مشكاة النبوة، التي تستمد من الوحي، الذي هو الواسطة بين المفيض الذي علم عباده تعالى ما لم يعلموا، ولا يمكن العقول الاستمداد من مشكاة النبوة، التي تستمد من الوحي إلّا بواسطة علي عليه السلام .

وكلامه هذا صحيح في عدم الاستمداد، بدون واسطته عليه السلام، ولكن هل لسائر الناس غير الأحد عشر، وفاطمة عليها السلام، أن يستمد من المشكاة بواسطة علي عليه السلام، بدون واسطة الأحد عشر عليهم السلام، بينه وبين علي عليه السلام أم لا؟ .

أما في الظاهر فنعم، بل وبدون واسطة علي عليه السلام، بل يأتي الرجل ويسأل النبي صلى الله عليه وآله ويجيبه، وإن لم يكن علي عليه السلام حاضراً .

وأما في الباطن فاعتقادنا أنه لا بد من توسط الأئمة الأحد عشر، وفاطمة عليهم السلام ؛ لأن سبيل الإدراك في سلسلة الصعود، وهو سبيل البدء في سلسلة النزول، فكما أن البدء لزيد لا يصل إليه المدد إلّا بواسطة جميع الأسباب، كذلك الاستمداد من المبدء في العلوم والمعارف .

فإن اشترط المصنف توسط علي عليه السلام، فالذي ينبغي له أن يشترط توسط باقي أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، بل وتوسط سائر الأنبياء عليهم السلام، لسائر الخلق ممن سواهم، لما ثبت في صريح الأخبار، وصحيح الاعتبار، أنهم عليهم السلام خلقوا من شعاع أنوار محمد، وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وسائر المؤمنين خلقوا من شعاع أنوار الأنبياء عليهم السلام (١) .

[أشرف أبواب علم الله تعالى]

وقوله : «وأشرف أبواب علمه»، يدل على ما قلنا، فإنه إذا كان صلى الله عليه وآله مدينة العلم، وهم أبواب مدينة العلم، دل على مشاركتهم في الوساطة لكل من سواهم، هذا في الحقيقة، وفي نفس الأمر .

---

(١) راجع روضة الواعظين، ص٢٩٦ . وبحار الأنوار، ج٥٣، ص٣٠٣ .

وأما في الظاهر فلا تحتاج العقول في الأخذ من مشكاة النبوة، إلى واسطة أحد منهم عليهم السلام، ولا في الأخذ من مصابيح الولاية، إلّا وساطة النبي صلى الله عليه وآله، كما هو المعروف بين العوام .

[معنى علم الشريعة وعلم الطريقة والمعارف الإلهية عند الشارح قدس سره]

وقوله : «فإن أنوار العلوم الإلهية، والمعارف الربانية، والعلوم الإلهية»؛ هي علم الشريعة، وعلم الطريقة، أعني علم اليقين والتقوى، الذي هو علم الأخلاق .

والمعارف الإلهية؛ هي علم الحقيقة، أعني معرفة الله، ومعرفة صفاته، وأسمائه وأفعاله، وما يصح عليه ويمتنع .

وهذه العلوم الثلاثة هي التي عناها صلى الله عليه وآله بقوله : (**وإنما العلم آية محكمة، وفريضة عادلة، وسنة قائمة، ...**)[1] .

ويلحق بهذه الثلاثة كل ما طلب من العلوم لهذه الثلاثة، أو لأحدها، وإنما انتشرت في قلوب المستعدين بقابلياتهم من التعلم والعمل بما أمر الله، واجتناب ما نهى عنه، والتفكر والتدبر، والنظر فيما خلق الله من الآفاق والأنفس، فإن مثل هؤلاء هم القابلون للهداية من بدر الولاية؛ وهو الإمام عليه السلام، وشجرة الهداية عطف صفة على صفة .

[بيان حول حال الشيخ الكليني والشيخ الصدوق وسائر مشائخ علم الدراية]

وقوله : «ومما ورد في هذا المعنى، ما رواه أعظم المحدثين في العلم والمعرفة، بدراية الأحاديث»، ولهذا فسره بقوله : «رواية وضبطاً، وأوثقهم دراية وحفظاً،

---

(١) في تحف العقول، ص٣٢٤ . وبحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٣٨، ح٧٧، ولكن بدون لفظ: «**وإنما العلم**» .

الشيخ الصدوق[١]، ...إلخ» .

لعل المصنف إنما بالغ في وصفه لما وجد في كلامه في أول كتابه الفقيه[٢]، ومن مثل ما ذكره العلامة[٣] في ترجمته في الخلاصة، والرجل -تغمده الله برحمته- لا عيب فيه، وإن كانوا لم يصرحوا بتوثيقه في كتب الرجال .

وكونه من مشائخ الإجازة، لا يدل على الاستغناء عن توثيقه، فإن كثيراً من مشائخ الإجازة وثقوهم؛ كالمفيد[٤] والكليني[٥] وشيخه محمد بن الحسن بن الوليد وغيرهم .

وإن كان ترك توثيقه لشهرة ثقته، فليس بأشهر ممن ذكر، ولا من أبيه علي بن الحسين، على أنه ذكر في كتابه من لا يحضره الفقيه، في آخر باب الصوم

---

(١) **الصدوق** هو : «الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بـ«الشيخ الصدوق»، توفي رحمه الله في الرَّي سنة : «٣٨١هـ»، وقبره في الرَّي في بستان عظيم» . [راجع كتابه الخصال، ج١، المقدمة] .

(٢) راجع من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢ .

(٣) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (١١٥) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) **المفيد** هو : «الشيخ الأعظم محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم المفيد، «رضوان الله تعالى عليه» مجدد القرن الرابع للطائفة، وقد تشرف بالتوقيعات الشريفة من الإمام المهدي عليه السلام، خاطبه فيها بالأخ السديد الرشيد، الشيخ المفيد، وقد نعاه وكتب على قبره بخط يده : **لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيم**، ولد سنة : «٣٣٣هـ»، وتوفي سنة : «٤١٣هـ»، ودفن عند الإمامين الجوادين عليهما السلام، له مؤلفات عظيمة في علم الكلام» . [معجم الكلام، ص٣٦٨، حرف : الميم، رقم : ١٠٤] .

(٥) **الكليني** هو : «محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي، كان هو شيخ الشيعة في وقته بالرَّي، توفي ببغداد سنة : «٣٢٩هـ»، سنة تناثر النجوم» . [راجع كتابه أصول الكافي، ج١، ص١٣] .

التطوع منه، قال: «وأما خبر صلاة يوم الغدير، والثواب المذكور فيه لمن صامه، فإن شيخنا محمد بن الحسن، كان لا يصححه، ويقول: أنه من طريق محمد بن موسى الهمداني، وكان كاذباً غير ثقة، وكل ما لم يصححه ذلك الشيخ «قدس الله روحه»، ولم يحكم بصحة من الأخبار، فهو عندنا متروك غير صحيح»[١].

وهذا يدل على خلاف ما ذكره المصنف، من أنه أعظم المحدثين، رواية وضبطاً، وأوثقهم دراية وحفظاً؛ لأنه يدل على أن تصحيحه للأخبار بالاعتماد على مشايخه، ومثل هذا ينافي الضبط والدراية، ومثل هذا يصلح لمثل محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله، وأما الصدوق رحمه الله فهو لا شك أنه مما روى وحفظ ما به إن شاء الله نجاته، ونجاة من تمسك برواياته -جزاه الله عن حفظه للشريعة عن هذه الأمة خير الجزاء-.

[الروايات الواردة في تعريف شجرة طوبى]

والحديث الذي روى المصنف عنه، مذكور في المتن وغيره كثير، فمنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله: (**طوبى شجرة في الجنة، أصلها في داري، وفرعها في دار علي**.

فقيل له: في ذلك؟.

فقال: داري ودار علي في الجنة بمكان واحد)[٢].

وفي تفسير علي بن إبراهيم، عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل، وفيه يقول صلى الله عليه وآله: (**دخلت الجنة ... وإذا أنا شجرة لو أرسل لها طائر في أصلها ما دارها تسعمائة سنة، وليس في الجنة منزل إلّا وفيه فرع منها**.

فقلت: ما هذه يا جبرائيل؟.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ٩٠.

(٢) مجمع البحرين، ج٣، ص٧٩.

فقال : هذه شجرة طوبى، قال الله تعالى : ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[١])[٢].

وفيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**طوبى شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين** عليه السلام، **وليس أحد من شيعته إلّا وفي داره غصن من أغصانها، وورقة من أوراقها يستظل تحتها أمة من الأمم**)[٣] .

وعنه عليه السلام : (**كان رسول الله** صلى الله عليه وآله **يكثر تقبيل فاطمة** عليها السلام، **فأنكرت بعض نسائه ذلك .**

فقال صلى الله عليه وآله : **إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، وأدناني جبرائيل** عليه السلام **من شجرة طوبى، وناولني منها تفاحة فأكلتها، فحول الله ذلك في ظهري، فلما هبطت إلى الأرض، وواقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فكلما اشتقت إلى ريح الجنة قبلتها، وما قبلتها قط إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى، فهي حوراء إنسية**)[٤] .

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٢٩ .

(٢) تفسير القمي، ج١، ص٤٠٢، في تفسير معنى الآية : ١ من سورة الإسراء . وفي تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٠٢، ح١٢٠، باختلاف يسير .

(٣) تفسير القمي، ج١، ص٣٦٦، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد . وفي تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٠٢، ح١٢١، بدل كلمة : «**يستظل- تستظل**» .

(٤) تفسير مجمع البيان، ج٦، ص٤٤٧، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد . وفي تفسير القمي، ج١، ص٣٦٦، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد، بدل كلمة: «**فأنكرت بعض نسائه ذلك- فأنكرت ذلك عائشة**»، وبدل كلمة : «**فناولني من ثمرها- فناولني منها تفاحة**»، وجملة : «**فكلما اشتقت إلى ريح الجنة قبلتها**»، و«**فهي حوراء إنسية**»، غير موجودة . وفي تفسير العياشي، ج٢، ص٢٢٨، ح٤٧، في تفسير الآية : ٢٩ من سورة الرعد، مثله ولكن باختلاف يسير .

وروى الشيخ بسنده، وكتبه في كتاب مسائل البلدان، يرفعه إلى سلمان الفارسي رحمه الله، قال: دخلت على فاطمة عليها السلام، والحسن والحسين عليهما السلام، يلعبان بين يديها، ففرحت لهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حباً؟ .

فقال: (**يا سلمان ليلة أسري بي إلى السماء، أدارني جبرائيل عليه السلام في سماواته وجنانه، فبينما أنا أدور في قصورها، وبساتينها ومقاصيرها، إذ شممت رائحة طيبة، فأعجبتني تلك الرائحة، فقلت: يا حبيبي ما هذه الرائحة التي غلبت روائح الجنة كلها؟ .**

فقال: يا محمد تفاحة خلقها الله -تبارك وتعالى- بيده منذ ثلاثمائة ألف عام، ما ندري ما يريد بها، فبينما أنا كذلك، إذا رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة .

[فقالوا: يا محمد ربنا السلام يقرأ عليك السلام، وقد أتحفك بهذه التفاحة](١) .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأخذت من تلك التفاحة، فوضعتها تحت جناح جبرائيل عليه السلام، فلما هبط بي إلى الأرض، أكلت تلك التفاحة، فجمع الله ماءها في ظهري، فغشيت خديجة بنت خويلد، فحملت بفاطمة من ماء التفاحة.

فأوحى الله عز وجل إليّ أن قد ولد لك حوراء إنسية، فزوج النور من النور؛ فاطمة من علي، فإني قد زوجتها في السماء، وجعلت خمس الأرض مهرها، وستخرج فيما بينهما ذرية طيبة، وهما سراجا الجنة؛ وهما الحسن والحسين،

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في المخطوطة، ومثبت في المصادر .

ويخرج من صلب الحسين عليه السلام أئمة يقتلون ويخذلون، فالويل لقاتلهم وخاذلهم، ...إلخ)[1] .

أقول : وهذا الحديث يشعر بأن شجرة طوبى تحمل بكل فاكهة، جمعاً بين الأخبار .

ولو قيل : أنها في الأصل شجرة تفاح، لم يكن بعيداً .

ولو قيل مع هذا أنها تحمل بكل نوع من أنواع الفواكه والثمار، لكان صحيحاً .

ثم ما ورد : (**أن المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام**، -خصوصاً آخر الليل- **فإنه يشم منه رائحة التفاح**) .

وأقول : وحقه وحق جده، وأبيه وأمه وأخيه، وحق التسعة الأطهار من بنيه صلى الله عليه وآله، وقد شممت من شباكه الطيب رائحة التفاح مراراً، لا أحصيها «صلى الله عليك يا أبا عبدالله ولعنة الله على قاتليه بعدد ما في علم الله» .

وفي أصول الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**إن لأهل الدين علامات يعرفون بها؛ صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المراقبة للنساء .**

-أو قال : وقلة المواتاة للنساء- وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الخلق، واتباع العلم، وما يقرب إلى الله عز وجل زلفى، ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[2].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ج١، ص٢٣٦، ح١٦، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد . مدينة المعاجز، ج٣، ص٢٢٤، ح٣، باب : ٢ في معاجز الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام .

(٢) سورة الرعد، الآية : ٢٩ .

وطوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار النبي محمد ﷺ، وليس من مؤمن إلّا في داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك، ولو أن راكباً مجداً سار في ظلها مائة عام، ما خرج منها، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها، حتى سقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا .

إن المؤمن من نفسه في شغل، والناس منه في راحة، إذا جن عليه الليل افترش وجهه، وسجد لله ﷻ بمكارم بدنه، يناجي الذي خلقه، في فكاك رقبته، ألّا فهكذا فكونوا)[١].

وفي عيون الأخبار، قال : يعني الحسين عليه السلام، قال رسول الله ﷺ : **(يا علي أنت المظلوم بعدي،... وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنة، أصلها في دارك، وأغصانها في دور شيعتك ومحبيك، ...)**[٢] .

وفي كتاب الخصال، في تفسير حروف أبجد -إلى أن قال- : **(وأما الطاء ف﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾**[٣]**، وهي شجرة غرسها الله ﷻ بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة، تنبت بالحلي والحلل والثمار، مستدلة على أفواههم)**[٤] .

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص٢٣٩، ح٣٠، باب : المؤمن وعلاماته وصفاته . وفي أمالي الصدوق، ص١٨٣، ح٧، مجلس : ٣٩ . وبحار الأنوار، ج٦٤، ص٢٨٩، ح١١، باب : المؤمن وعلاماته وصفاته، كلمة : «**زلفى**» غير موجودة، وبدل كلمة : «**أتاه به ذلك- أتاه به ذلك الغصن**» .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٢٧١، ح٦٣، باب : ٢٨ . بشارة المصطفى، ص٢٠١، ح٢٤، الجزء الثالث . بحار الأنوار، ج٣٨، ص١٤٠، ح١٠١، باب : ٦١.

(٣) سورة الرعد، الآية : ٢٩ .

(٤) الخصال، ج١، ص٣٣١، ح٣٠، باب : الستة . بحار الأنوار، ج٣١٧، ح٢، باب : ٣٥ . وسائل الشيعة، ج١٧، ص٣٣٠، ح١١، باب : ١٠٥ .

وعن أبي سعيد الخدري، وفي احتجاج علي عليه السلام يوم الشورى، وعن أبي أمامة، وفي كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة، وعن أبي حمزة الثمالي .

وفي مجمع البيان، وفي ثواب الأعمال، وعن أبي حمزة الثمالي أيضاً، روايات بمعنى ما تقدم .

وفي تفسير العياشي بسنده، قال : (**بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس ذات يوم، إذ دخلت أم أيمن، وفي ملحفتها شيء، فقال رسول الله : يا أم أيمن أي شيء في ملحفتك؟ .**

فقالت : يا رسول الله فلانة بنت فلانة أملكوها، فنثروا عليها، فأخذت من نثارها شيئاً .

[ثم أن أم أيمن بكت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله مايبكيك؟ .

فقالت : فاطمة زوجتها لم ينثر عليها شيء](١) .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : ولا تبكين فو الذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، لقد شهد إملاك فاطمة جبرائيل، وميكائيل وإسرافيل، في ألوف من الملائكة، ولقد أمر الله طوبى فنثرت عليهم من حللها وسندسها واستبرقها، ودرها وزمردها، وياقوتها وعطرها، فأخذوا منه حتى ما دروا ما يصنعون به، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة، وهي في دار علي بن أبي طالب)(٢) .

فظهر لمن نظر أن إطلاق طوبى على الشجرة، مشهور في أخبارهم، فعلى هذا تكون الإضافة بيانية، وما ذكره المفسرون من معاني طوبى، [كلها] صحيح .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في المخطوطة، ومثبت المصادر .

(٢) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٢٧، ح٤٦، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد . بحار الأنوار، ج٨، ص١٤٢، ح٦١، باب : ٢٣ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٠٥، ح١٣٢ .

ومراده وإن كان على خلاف الأغلب، وإنما ذكرت كثيراً من الروايات؛ ليظهر لك وجه الأغلب .

وقوله : «وذلك لأن نفسه الشريفة، معدن الفضائل والعلوم، وكان قلبه المنور، ...إلخ»، فيه ما قلنا، لأن هذه الفضائل ليست مختصة به دون أولاده الطاهرين «صلى الله عليه وعليهم أجمعين» .

[قول المصنف تَدَّسُ : وإنما نسب معنى طوبى إلى داره الأخروية من بيت قلبه المعنوي ...إلخ]

قال : «وإنما نسب معنى طوبى إلى داره الأخروية، من بيت قلبه المعنوي، دون دار محمد صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لأن تفاصيل العلوم الحقيقية، التي جاء بمجامعها الرسول صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والكتاب، مستفادة من بيانه وتعليمه، وهو كما أشار تعالى بقوله : **﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[1]، وبقوله : **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[2]، وبقوله : **﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[3]، وبقوله : **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾**[4]، ولذلك ورد أنه قال صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما نزلت هذه الآية : **(يا علي أنا المنذر وأنت الهادي)**[5]، فقد تبين بنور العقل والنقل، أن مثال شجرة طوبى؛ أعني أصل العلوم والمعارف، في دار علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأولاده المطهرين، الذين هم ذرية بعضها من بعض، لأن كلاً منهم يحذو حذو أبيهم المقدس، وجدهم المنور المطهر صَلَّاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»[6] .

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٤ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٤٣ .

(٤) سورة الرعد، الآية : ٧ .

(٥) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، ص٣٧٧، ح١٧، الجزء الثامن . وفي تفسير العياشي، ج٢، ص٢١٩، أحاديث مثله باختلاف يسير .

(٦) كتاب العرشية، ص٩٢ .

[تفسير وأصل معنى الشجرة عند الشارح تتش بأي اعتبار]

أقول : إذا فسرت طوبى بشجرة العلم والمعرفة، فسرت البيت بالقلب، فيكون جانبه الأيمن محل المعرفة، وجانبه الأيسر محل العلم؛ لأن الأيسر جانب النفس التي هي محل الصور، التي هي العلم، والأيمن محل العقل، الذي هو مدرك المعاني التي هي المعرفة .

[هل أن شجرة طوبى أصلها في دار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أو في دار النبي صلى الله عليه وآله؟]

وقوله : «دون دار محمد صلى الله عليه وآله»، غلط؛ لأن علم علي عليه السلام من علم محمد صلى الله عليه وآله، بجمله ومفصله، نعم لو قال : إن صاحب الخلافة [هو] صاحب التأويل، وصاحب النبوة هو حامل التنزيل، وطوبى من نوع التأويل، ناسب كلامه، على أن الحديث الأول، المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله فيه (**أصلها في داري، وفرعها في دار علي** عليه السلام .

فقيل : له في ذلك؟ .

فقال : داري ودار علي في الجنة بمكان واحد)[1] .

فقوله صلى الله عليه وآله : (**في الجنة**) يشعر بأن حصول ذلك العلم في الجنة يوم القيامة، وأما حصوله له صلى الله عليه وآله ولأهل بيته عليهم السلام، فهو في الدنيا، كما هو في الآخرة؛ لأن هذا العلم من جملة ثمار الجنة، فكما أنهم عليهم السلام يأكلون في الدنيا من ثمار الجنة، كذلك يأكلون ما كان من نوع ذلك، وكما أنه قد يأكل غيرهم من ثمار الجنة، وإن كان نادراً كما أكل الحواريون من المائدة، وشرب عبدالله بن سنان من ماء الكوثر في الدنيا، بواسطة جعفر بن محمد عليهما السلام، كذلك قد يحصل بعض ذلك من

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٣١) من هذا الكتاب .

العلوم والمعارف لغيرهم من شيعتهم، وكذلك ما في أصول الكافي، من قوله: (**أصلها في دار النبي محمد** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)[١]، فإنه وغيره من الأخبار يدل على اتحاد الدار.

فقول المصنف: «دون دار النبي محمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، ليس بشيء على اطلاقه، وكذا الكلام في قوله: «مستفادة من بيانه وتعليمه».

[الذين عندهم علم الكتاب والأخبار الواردة في تفسير الآية]

وقوله: «وهو كما أشار تعالى بقوله: **﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[٢]»، في الخرائج[٣]، وفي الكافي[٤]، والعياشي[٥] عن الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا، وخيرنا بعد النبي** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

وروي مثله في مجمع البيان عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ[٦].

وفي الاحتجاج سأل رجل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، أخبرني بأفضل منقبة لك؟.

فقرأ الآية، وقال: (**إيانا عنى، بـ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[٧]).

وفي المجالس عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه سئل عن هذه الآية؟.

فقال: (**ذاك أخي علي بن أبي طالب** عَلَيْهِ السَّلَامُ)[٨].

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٣٥) من هذا الكتاب.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٣) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٧٩٨، ح٨، في نوادر المعجزات.

(٤) أصول الكافي، ج١، ٢٢٩، ح٦، باب: أنه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأنهم يعلمون علمه كله.

(٥) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٣٦، ح٧٧، في تفسير معنى الآية: ٤٣ من سورة الرعد.

(٦) تفسير مجمع البيان، ج٦، ص٥٤، في تفسير معنى الآية: ٤٣ من سورة الرعد.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٨) أمالي الصدوق، ص٤٥٣، ح٣، مجلس: ٨٣. بحار الأنوار، ج٣٥، ص٤٢٩، ح١، باب: ٢٤. وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٨٨، ح٣٣، باب: ١٣.

وروى العياشي عن الباقر عليه السلام، أنه قيل له هذا ابن عبد الله بن سلام، يزعم أن أباه الذي يقول الله [فيه] : **﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾**[1]؟ .

قال : (**كذب ذاك علي بن أبي طالب** عليه السلام)[2] .

وفي الكافي بسنده عن سدير، قال : كنت أنا وأبو بصير، ويحيى البزاز، وداود بن كثير، في مجلس أبي عبد الله، إذ خرج علينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه، قال : (**يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي .**

قال سدير : فلما أن قام من مجلسه، وصار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر، فقلنا له : جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول : كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب؟ .

قال : فقال يا سدير : ألم تقرأ القرآن؟ .

قلت : بلى .

قال : فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل، قال : ﴿الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[3] .

قال : قلت : جعلت فداك قد قرأته .

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٩٦ .

(٢) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٣٦، ح٧٧، في تفسير معنى الآية : ٢٩ من سورة الرعد . تفسير الصافي، ج٣، ص٧٧، في تفسير معنى الآية : ٤٣ من سورة الرعد . بحار الأنوار، ج٣٥، ص٤٣١، ح١٠، باب : ٢٤ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٢٣، ح٢١٢ .

(٣) سورة النمل، الآية : ٤٠ .

قال : فهل عرفت الرجل؟، وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟.

قال : قلت : أخبرني به؟ .

قال : قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب .

قال : قلت : جعلت فداك ما أقل هذا؟ .

فقال : يا سدير ما أكثر هذا؛ أن ينسبه الله ﷻ إلى العلم الذي أخبرك به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﷻ أيضاً ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(١) .

قال : قلت : قد قرأته جعلت فداك .

قال : أفمن عنده علم الكتاب كله؟، [أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ .

قلت : لا، بل من عنده علم الكتاب كله](٢) .

قال : فأومأ بيده إلى صدره، وقال : علم الكتاب والله كله عندنا)(٣) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : (**الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام .**

وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم، أم الذي عنده علم الكتاب؟ .

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٤٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في المخطوطة، ومثبت في المصادر .

(٣) أصول الكافي، ج١، ص٢٥٧، ح٣، باب : نادر فيه ذكر الغيب . وفي بصائر الدرجات، ص٢٠٩، ح٣، باب : ١ مما عند الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم وعلم الكتاب. وبحار الأنوار، ج٢٦، ص١٧٠، ح٣٨، باب : ١٢، باختلاف وزيادة في بعض الكلمات .

فقال : ما كان علم الذي كان عنده علم من الكتاب، عند الذي عنده علم الكتاب، إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر)[١] .

وفي تفسير العياشي، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام، قال سألته عن قوله : **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾**[٢]؟ .

فقال : **(نزلت في علي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الأئمة بعده، وعلي عنده علم الكتاب)**[٣] .

وعن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن قول الله عز وجل : **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[٤]، فلما راني أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب، قال : **(حسبك كل شيء في الكتاب، من فاتحته إلى خاتمته، مثل هذا فهو في الأئمة عني به)**[٥] .

---

(١) تفسير القمي، ج١، ص٣٦٨، في تفسير معنى الآية : ٤٣ من سورة الرعد . بحار الأنوار، ج٢٦، ص١٦٠، ح٦، باب : ١٢ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٢٤، ح٢٠٩ .

(٢) سورة الرعد، الآية : ٤٣ .

(٣) تفسير العياشي، ج٢، ص٢٣٦، ح٨٩، في تفسير معنى الآية : ٤٣ من سورة الرعد . بحار الأنوار، ج٣٥، ص٤٣٤، ح١٦، باب : ٢٤ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٢٣، ح٢١٣ . مستدرك الوسائل، ج١٧، ص٣٣٤، ح٢٦، باب : ١٣ في عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من غير الظواهر من القرآن إلّا بمعرفة تفسيرها من الأئمة عليهم السلام .

(٤) سورة الرعد، الآية : ٤٣ .

(٥) تفسير العياشي، ج١، ص٢٥، ح٨، في ما عني به الأئمة من القرآن . تفسير الصافي، ج١، ص٢٥، المقدمة الثالثة في نبذ مما جاء في أن جل القرآن إنما نزل فيهم وفي أوليائهم وأعدائهم وبيان سر ذلك . بحار الأنوار، ج٨٩، ص١١٦، ح١١، باب : ١٢ . تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٢٣، ح٢١٥ .

وروى المفيد مسنداً إلى سلمان الفارسي رحمه الله، قال : قال لي أمير المؤمنين: **(الويل كل الويل لمن لا يعرف لنا حق معرفتنا، فأنكر فضلنا، يا سلمان أيما أفضل محمد صلى الله عليه وآله أو سليمان بن داود عليه السلام؟ .**

قال سلمان : فقلت بل محمد صلى الله عليه وآله .

فقال : يا سلمان فهذا آصف بن برخيا، قدر أن يحمل عرش بلقيس من سبأ إلى فارس في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب، ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب، أنزل الله منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس النبي ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة، وعلم التوراة والإنجيل، والزبور والفرقان .

قلت : صدقت يا سيدي .

فقال : اعلم يا سلمان أن الشاك في أمورنا وعلومنا؛ كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله تعالى ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبين فيه ما وجب العمل به، وهو مكشوف)[١]، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على عدم الخصوص، بل كلهم مشتركون في هذه الفضيلة .

وذكر علي عليه السلام في بعضها وحده للتمثيل في تشريكهم، مع ما علم من أخبارهم عليهم السلام، وأن ما جرى لأولهم يجري لآخرهم .

وبقوله : **﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**[٢]، وبقوله : **﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[٣]، مما يدل على إحاطة علومهم، وحاجة جميع

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة، ج١، ص٢٤٠، ح٢٤، في تفسير معنى الآية : ٤٣ من سورة الرعد . وفي المحتضر، ص١٦٠ . وبحار الأنوار، ج٢٧، ص٢٨، ح١٠، باب : ١٢، باختلاف بعض الكلمات والمعنى واحد .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٤ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٤٣ .

الخلق في العلم إليهم؛ لأن الله تعالى قد أقام نبيه صلى الله عليه وآله مقامه في سائر عالمه في الأداء؛ أي: فيما يريد أن يؤديه إلى خلقه، من خلق أو رزق، أو حياة، أو مماة، إذ كان تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، كما تقدم ذكره في خطبة علي عليه السلام يوم الغدير ويوم الجمعة[1] .

ثم أوحى صلى الله عليه وآله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾[2]، وأنزل الله إليه : ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[3]، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام جميع ما أوحى إليه، وأمره أن يعلم أهل بيته الطاهرين عليهم السلام جميع ما علمه من العلوم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[4]، فإن محمداً صلى الله عليه وآله هو المنذر، والهادي علي عليه السلام، ولذلك ورد أنه صلى الله عليه وآله قال لما نزلت هذه الآية : (**يا علي أنا المنذر، وأنت الهادي**)[5] .

[هل صحيح أن أصل العلوم والمعارف في دار علي عليه السلام]

وقوله : «فقد تبين بنور العقل والنقل، أن مثال شجرة طوبى -يعني أصل العلوم والمعارف- في دار علي عليه السلام وأولاده المطهرين عليهم السلام، ...إلخ»، ربما يشعر بأن كلامه الأول لم يرد به التخصيص به عليه السلام، وإنما ذكره لكونه سيدهم ومقدمهم وليس ببعيد، وإن كان خلاف ظاهر عبارته، لأنه كثيراً ما لا يعتني

---

(١) راجع الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الطور، الآية : ٢١ .

(٣) سورة النساء، الآية : ٥٨ .

(٤) سورة الرعد، الآية : ٧ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٣٧) من هذا الكتاب .

بإصلاح العبارة، فإن عنى بقوله : الأول ما أراد هنا في قوله : وأولاده المطهرين؛ فقد أجاد .

وإن أراد خصوص التوسط؛ فقد أخطأ السداد .

وقوله : «لأن كلاً منهم أي : من الأئمة الاثني عشر؛ أعني الأحد عشر وفاطمة، يحذو حذو أبيهم المقدس أمير المؤمنين عليه السلام، وجدهم المطهر خاتم النبيين «صلوات الله عليه وعليهم»، وإن أراد به أنهم مثلهما عليهما السلام في العلوم العامة، وفي التوسط لكل الخلق؛ فهو حق .

وإن أراد به خصوص العلوم دون التوسط؛ فهو غلط .

[قول المصنف قدس سره : بأن فروع شجرة طوبى في دور صدور شيعتهم ...إلخ]

قال : «وفروعها في دور صدور شيعتهم، وبيوت قلوب مواليهم، إذ يتفرع ويتشعب من علم النبي والوصي وآلهما «صلى الله على محمد وعلي وآلهما» علوم عقلية، وفروع فقهية، في قلوب العلماء والمجتهدين، من أتباعهم ومقلديهم إلى يوم القيامة، ونسبة سيد الأولياء علي عليه السلام إلى علماء هذه الأمة، (**يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة**)[1] .

وهكذا نسبة شجرة طوبى لجميع أشجار الجنة، قال العارف المحقق في الفتوحات المكية : «اعلم أن شجرة طوبى، لجميع شجر الجنان، كآدم عليه السلام لما ظهر عنه من النبيين، فإن الله لما غرسها بيده، وسواها ونفخ فيها من روحه، كما شرف آدم باليدين، ونفخ فيه، فأورثه نفخ الروح فيه، علم الأسماء لكونه مخلوقاً باليدين .

---

(١) أمالي الصدوق، ص٥٢٣، ح٦، مجلس : ٩٤ . بحار الأنوار، ج٢٣، ص١٢٨، ح٥٩، باب : ٧ .

ولما تولي الحق غرس شجرة طوبى، ونفخ فيها، زينها بثمرة الحلي والحلل، اللذين فيهما زينة للابسهما، ونحن أرضها، كما جعل ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾[1]»[2] .

فقد ظهر من كلامه؛ أن شجرة طوبى يراد بها أصول المعارف، والأخلاق الحسنة، لتكون زينة للنفوس القابلة، بمنزلة ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ .

[مراد الشارح ﷺ من فروع شجرة طوبى ومراده من الغصن]

أقول : المراد بالفروع الأغصان، كما هو منطوق الأخبار، والغصن يراد منه نوع منها، إذا فسرت بالعلوم، وجزء منها إذا فسرت بالشجرة المعلومة، فإذا فسرت بالعلوم، فالغصن منه كلي، ومنه جزئي .

فمرادنا بالكلي؛ أن المؤمن له حصة من شجرة العلوم، وتلك الحصة من كل علم يناسب رتبة ذلك المؤمن، من المعارف وغيرها .

ومرادنا بالجزئي؛ أن ذلك الغصن، يعطي صاحبه المؤمن، من كل فاكهة وطعام يناسب رتبة ذلك المؤمن، بما تقتضيه الحكمة، وكل ملبوس ومشروب ومنكوح، ومشموم وملموس، ومذوق ومسموع، ومبصر ومتخيل، مما تقتضي الحكمة حسن تنعمه به، وتمتعه فيه .

وإن فسرت بالشجرة النباتية، حملت بكل فاكهة توجد في الدنيا، على أطوار وألوان لا تتناهى؛ مثلاً تحمل برمان ورطب ويابس، فيه طعم كل فاكهة تميل إليها نفس صاحب ذلك الغصن، وفي ذلك الرمان جميع الألوان والطبائع المستقيمة، كما كان فيه جميع الطعوم، وكذا يحمل ذلك الغصن بتفاح بين رمان، وعنب

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٧ .

(٢) كتاب العرشية، ص٩٢ .

ورطب في كل شيء، كل لون مستحسن، وكل طعم مستعذب، وكل رائحة طيبة، وهكذا .

وكل واحدة من تلك الثمرات المتغايرة المتشاكلة، ظاهرها طعام وطيب، وفاكهة وشراب، وقوة باه، وإصلاح مزاج، وتفريح وكمال عقل وذكاء، وما أشبه ذلك .

وباطنها علم، كما قال علي عليه السلام : (**أسفله طعام، وأعلاه علم**)[١]، ﴿**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**﴾[٢] .

[معنى الدور والصدور والقلوب في كلام المصنف قدس سره]

وقوله : «في دور صدور شيعتهم»، يعني ما كان من علوم الأحكام، مما يتعلق بالخلق وأحوالهم، ومعرفة صفاهم وذواهم، لأن الصدور هي مقر العلوم التي صور الأشياء، وأحوالهم وأفعالهم، وأعمالهم وأقوالهم .

والمراد بالدور؛ جمع دار، وهي المشتملة على بيوت كثيرة .

وقوله : «في بيوت قلوب مواليهم»؛ يعني ما كان من المعارف الإلهية، من معرفة صفاته وصفاها، وأسمائه وأسمائها، وأفعاله ومتعلقاها وأوقاها .

والقلوب في الصدور كالبيوت في الدور، وذكر القلوب للمعارف غير مناسب لمذاق العارفين؛ لأن القلوب مقر اليقين، الذي هو ضد الشك والريب، وهذا نوع علم اليقين والتقوى، الذي هو ثمرة علم الأخلاق لذلك، كما أن الصدور مقر العلوم التي هي ضد الجهل، ولا شيء من الاثنين بمحل المعارف التي يتناولها العارف، بلا صورة، ولا معنى، ولا كيف، ولا كم، ولا إشارة، وذلك

---

(١) الغارات، ج١، ص١١٠ . مستدرك الوسائل، ج١٣، ص٢٥٠، ح٤، باب : ٣ في جملة مما يستحب للتاجر من الآداب .

(٢) سورة الصافات، الآية : ٦١ .

لأن العلم باعث للخوف، بما يتحقق في الصدور، واليقين باعث للرجاء، بما يشرق في القلوب .

وأما المعارف المحضة، المجردة عن الصور، وعن المعاني، فلا ينجلي إلّا في الأفئدة، فتنبعث عنها المحبة بلا إشارة، ولا كيف .

والقلب يطلق على الفؤاد وبالعكس، إلّا أنه بحسب ظاهر اللغة .

وأما في اللغة الخاصة؛ فالفؤاد روح القلب، والقلب وجهه وظاهره .

ولعل المصنف لا يعرف الفرق بينهما، ولهذا لم نجد لهذا ذكراً في شيء من كتبه، والموافق لمن يسلك الغور في المعارف، ذكر الفرق بينهما، ليعرف ما يحل في مكانه اللائق به، فنسب إليه .

وإذا فسرت هذه الشجرة الطيبة، بالعلوم والمعارف، فهل توجد تلك العلوم والمعارف في الدنيا، لأصحاب الغصون في الآخرة أم لا؟، الظاهر أن ذلك يوجد، فكل علم أجابه العمل، إذا هتف به[1]، فإنه تنزل من تلك الشجرة، وذلك الغصن كامن في بيت صاحبه، يظهر له يوم القيامة، ومن مات فقد قامت قيامته[2]، ومن قتل نفسه كما يحب الله، أورق غصنه، وكثر ثمره، وتناول منه في الدنيا، وأكل من ثمره .

ولا يجد أحد لذة للعلم دائمة ثابتة، إلّا ما كان من تلك الشجرة، وإذا كان من غيرها، فإن وجد لذة لشيء من العلم، فإنما ذلك للبس خادعته فيه نفسه، وغفلته عما يراد منه أو به .

ولما كانت تلك الشجرة في الجنة، كان كل علم يوصل إليها فهو منها، وكل علم يصد عنها فليس منها؛ لأن الأشياء بمقتضى طبيعتها، تنعطف فروعها على أصولها .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨٦) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٤٩) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

[هل صحيح أن النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله يجتهدون في استخراج الأحكام من الأدلة؟]

وقوله: «إذ يتفرع ويتشعب من علم النبي والوصي وآلهما صلى الله عليه وآله، علوم عقلية»، أي: كالمعارف الحقة، وفروع فقهية؛ كالعلوم المستنبطة من الكتاب والسنة، بالاستنباط الذي أشاروا إليه عليهم السلام، بقولهم: (**علينا أن نلقي إليكم أصولاً، وعليكم أن تفرعوا**)[١]، وتلك الفروع من تلك الغصون، إذا كانت جارية في استخراجها على نمط ما سلكوا عليهم السلام، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾**[٢]؛ أي: النفوس المتنحلة، يعني المختارة المستنبطة من أدلتها، **﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾**[٣]؛ أي: انظري وتدبري في متعلقات الأحكام، التي هي محال النظر والتدبر من الجبال، أي: مقتضيات الأجسام، أو الطبائع جمع جبلة، من تفسير ظاهر الظاهر بيوتاً؛ وهي محال النظر، لاستنباط مقتضى أوصافها ودواعيها، من الحسن والقبح، **﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾**[٤]؛ وهي النفوس في تطوراتها وشؤونها، **﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾**[٥]، من تعلقات أفعالها بالأجسام، ووقوع أطيار شؤونها على أوكارها من الأجسام والجسمانيات، **﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾**[٦]؛ أي: من موجبات الأفعال، المقتضية لتلك الثمرات بأوصافها من

---

(١) عوالي اللآلي، ج٤، ص٦٤، ح١٧، الجملة الثانية: في الأحاديث المتعلقة بالعلم وأهله وحامليه. بحار الأنوار، ج٢، ص٢٤٥، ح٥٤، باب: ٢٩. وسائل الشيعة، ج٢٧، ص٦١، ح٥١، باب: ٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٥) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٦) سورة النحل، الآية: ٦٩.

الحسن والقبح، **﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾**[١]؛ أي : في الاستنباط بما عرفك من سبله، ونمط استخراج المسببات من أسبابها، واستنباط الفروع من أصولها، **﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾**[٢]؛ أي : من بطون خيالها وأنظارها، **﴿شَرَابٌ﴾**[٣]؛ أي : علوم يحيى بها أموات النفوس والقلوب، كما يحيي بالماء أموات الأشجار والأراضين، كما قال تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾** الظاهري، والماء الباطني، الذي هو العلم **﴿كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾**[٤] .

فإن قلت : يلزم من بيانك خصوصاً بتأويلك، أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته يجتهدون في استخراج الأحكام من الأدلة، وهو خلاف الاتفاق؟ .

قلت : نعم، فإنهم عليهم السلام يستنبطون الأحكام من أدلتها، إلّا أن الفقهاء غيرهم أغلب ما يتوصلون به الظنون، وهم عليهم السلام جميع ما تؤديهم إليه أدلتهم إلى اليقين القطعي العياني، في جميع ما يحكمون به، وإلّا فأخذهم بالاستنباط، كما قال تعالى : **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**[٥]، ففي تفسير العياشي، عن عبد الله بن جندب، عن الرضا عليه السلام، **(يعني آل محمد، وهم الذين يستنبطون من القرآن، ويعرفون الحلال والحرام، وهم الحجة لله على خلقه)**[٦] .

---

(١) سورة النحل، الآية : ٦٩ .

(٢) سورة النحل، الآية : ٦٩ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٦٩ .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : ٣٠ .

(٥) سورة النساء، الآية : ٨٣ .

(٦) تفسير العياشي، ج١، ص٢٨٦، ح٢٠٦، في تفسير معنى الآية : ٨٣ من سورة النساء. بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢٩٥، ح٣٥، باب : ١٧ . ومثله في تفسير الصافي، ج١، ص٤٧٤، في تفسير معنى الآية : ٨٣ من سورة النساء .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال عز وجل : **﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(١)، فقال عز وجل : **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**(٢) فرداً لأمر الناس إلى أولي الأمر منهم، الذين أمر بطاعتهم، وبالرد إليهم .

وفي الإكمال بسنده إلى أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر بن محمد بن علي الباقر عليه السلام، في حديث طويل، يقول فيه عليه السلام : (**ومن وضع ولاية الله، وأهل استنباط علم الله، في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء، فقد خالف أمر الله عز وجل، وجعل الجهال ولاة أمر الله، والمتكلفين بغير هدى، وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله، فكذبوا على الله، وزاغوا عن وصية الله وطاعته، فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله -تبارك وتعالى- فضلوا وأضلوا أتباعهم، فلا تكون لهم يوم القيامة حجة،... .**

وقال أيضاً بعد أن قرأ : ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾(٣)**،... فإن يكفر بها أمتك، فقد وكلنا أهل بيتك بالإيمان الذي أرسلتك به، فلا يكفرون بها أبداً، ولا أضيع الإيمان الذي أرسلتك به، وجعلت أهل بيتك بعدك علماً على أمتك وولاة من بعدك، وأهل استنباط علمي الذي ليس فيه كذب ولا إثم، ولا زور، ولا بطر، ولا رياء**)(٤)، فتدبر هذه الأخبار، ليظهر لك أن الاستنباط الحق ما استنبطه محمد وأهل بيته، والأنبياء عليهم السلام .

---

(١) سورة النساء، الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النساء، الآية : ٨٣ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٨٩ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٠٤، ح٢، باب : ٢٢ . تفسير أبي حمزة الثمالي، ص١٢٨ . وفي فروع الكافي، ج٨، ص١١٨، كتاب الروضة، بزيادة ونقص واختلاف بعض الكلمات .

[نسبة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى علماء هذه الأمة]

وقوله : «ونسبة سيد الأولياء علي عليه السلام إلى علماء هذه الأمة»، إذا أريد بعلماء هذه الأمة الأئمة الأطهار، صح التشبيه في الجملة؛ لأن أمير المؤمنين عليه السلام، سمي أمير المؤمنين[1]؛ لأنه يمير الأئمة عليهم السلام العلم المأخوذ من قوله تعالى : ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾[2]، والمؤمنون هنا هم الأئمة عليهم السلام، يسقيهم مما استسقى منه بنفسه لا بصفته، فلهذا قلنا : صح التشبيه في الجملة .

ولو أريد الأنبياء، صح التشبيه على الحقيقة .

وإن أريد مطلق علماء هذه الأمة، صح على الحقيقة، بنسبته في كل شيء؛ بمعنى أن كنه الشجرة، وأصلها الذي ليس ورائه، لها ذكر بحال ما هو في بيت محمد صلى الله عليه وآله، وذلك في بيت علي، وبيوت أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، بحكم الثانوية، فإن ما هو بحكم الأولوية في بيت محمد صلى الله عليه وآله، وبعده في بيوتهم عليهم السلام .

وظاهر ذلك منتشر في بيوت الأنبياء عليهم السلام، يقع في بيت كل نبي ما يسعه استعداده، وأشعة ذلك الظاهر مشرقة في بيوت المؤمنين، يقع في كل بيت من بيوت المؤمنين، ما يستدل عليه استعداده، وبمثل ذلك استمداد مقلديهم إلى انقضاء التكليف، هذا نسبة باطنها وتأويلها، ونسبة ظاهرها إلى جميع شجرات الجنان، كشجرات الخير؛ وهو النهر الجاري في المدهامتين، التي تحمل بالنساء الخيرات الحسان، المعلقات في تلك الأشجار بشعورهن[3]، وكشجرات الفواكه

---

(١) عن أحمد بن عمر قال : سألت أبا الحسن عليه السلام لِمَ سمي أمير المؤمنين؟ .
قال : (**لأنه يميرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾**) . [أصول الكافي، ج١، ص٤١٢، ح٣، باب : نادر من كتاب الحجة . معاني الأخبار، ص٦٣، ح١٣، باب : معاني أسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام . بحار الأنوار، ج٣٧، ص٢٩٣، ح٧، باب : ٥٤] .

(٢) سورة يوسف، الآية : ٦٥ .

(٣) تقدم ما يشير إلى هذا المعنى في الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

بجميع أنواعها، وشجرات الدنيا وما أودع فيها من الخواص والأسرار؛ كنسبة ظاهر علوم محمد صَلَّىٰ اللّٰه عَلَيْهِ وَآلِه وأوصيائه، إلى علوم سائر علماء شيعتهم، من الأولين والآخرين، لا خصوص علماء هذه الأمة، كما توهم المصنف .

بل إلى علوم سائر الأنبياء والمرسلين، وسائر المؤمنين من الأولين والآخرين؛ كسائر الملائكة أجمعين، وسائر ما أودع علماً وسراً من جميع الحيوانات والنباتات والجمادات، في ذواتهم وصفاتهم، وأحوالهم وأفعالهم، فتأمل في هذا الإجمال والتعميم، وأرسله في كل شيء، ليصح لك التمثيل .

[معنى شجرة طوبى عند ابن عربي]

وقوله : «قال العارف المحقق في الفتوحات المكية»، يعني به محمد بن علي الطائي الأندلسي ابن عربي المعروف[1] .

وقول ابن عربي : «اعلم أن شجرة طوبى لجميع شجرات الجنات، كآدم لما ظهر عنه من النبيين»[2]؛ يعني أن آدم عَلَيْهِ السَّلَام لم يتولد من أب وأم، غير مادته وصورته، فظهرت عنه ذرية بالتناكح والتناسل، كذلك شجرة طوبى لو لم يكن متولدة من بذر أو نواة، ولا من صلب شجرة كانت قبلها، فتولدت من أصلها، كتولد النخلة من النخلة، قال : «فإن الله لما غرسها بيده وسواها»[3]؛ يعني سوى صورتها، «نفخ فيها من روحه»[4]؛ أي : المراد بالروح عندنا، وهو روح وليه عَلَيْهِ السَّلَام، فحييت ظاهراً بالحياة النباتية؛ وهي النفس النباتية، وحييت بالحياة التأويلية، وهي حياة العلم الوجداني، كما قال تعالى : **﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ**

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٣) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٤) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[1]؛ أي : جعلنا له عقلاً وعلماً يهتدي به في ظلمات الجهالة .

وحييت باطناً بالحياة الحقيقية الناطقية، «كما شرف آدم باليدين»[2]؛ أي : يدا قدرته .

واليدان من جهة الفعل المشيئة، هي يده اليمنى، خلق بها مادته .

والإرادة هي يده الشمال، خلق بها صورته، «ونفخ فيه»[3]؛ يعني نفخ فيه الحياة من روحه، وهي روح وليه عليه السلام، «فأورثه نفخ الروح فيه علم الأسماء»[4].

قال : «لكونه مخلوقاً باليدين»[5]؛ يعني لأجل كونه مخلوقاً باليدين اللتين هما العقل والنفس، أي : القلم واللوح .

[قول المصنف تتش : بأن لما تولى الحق غرس شجرة طوبى ونفخ فيها ...إلخ]

قال : «ولما تولى الحق، غرس شجرة طوبى، ونفخ فيها، زينها بثمرة الحلي والحلل، اللذين هما زينة للابسهما، ونحن أرضها»[6]؛ يعني أنا محل إشراقها، فيجب أن يجري علينا شبهها، فتزين بالعلم «كما جعل ما على وجه الأرض من زينة لها»[7] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ١٢٢ .

(٢) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٣) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٤) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٥) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٦) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

(٧) الفتوحات المكية، ج٦، ص٢٥١، فصل : ٣، باب : ٣٦١ .

ويريد أن النفخ من روحه في آدم عليه السلام، أورثه علم الأسماء، والنفخ في الشجرة من روحه أورثها زينة الحلي والحلل، ونحن بنو آدم، وأرض الشجرة، فورثنا الصفوتين .

فقول المصنف : «فقد ظهر من كلامه أن شجرة طوبى؛ يراد بها أصول المعارف، والأخلاق الحسنة، لتكون زينة للنفوس القابلة، بمنزلة ما على الأرض زينة لها»[1]، هو الظاهر من لفظه، وأما ما يظهر من مراده، فهو ما أشرنا إليه، فافهم .

(١) كتاب العرشية، ص٩٣ .



[القاعدة الخامسة عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في خلود أهل النار]

قال : «قاعدة في دخول أهل النار فيها، هذه مسألة عويصة؛ وهي موضع خلاف بين علماء الرسوم، وعلماء الكشف، وكذا بين أهل الكشف، هل يسرمد العذاب عليهم إلى ما لا نهاية له، أو يكون لهم راحة ونعيم بدار الشفاعة، بدار الشقاء جهنم، عند منتهى مدة العذاب، إلى أجل مسمى، مع اتفاق الكل على عدم خروج الكفار من النار، وإنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له، فإن لكل من الدارين عماراً، ولكل منهما ملؤها .

والأصول الحكمية دالة على أن القوى الجسمانية متناهية، وعلى أن القسر لا يدوم على طبيعة واحدة، وعلى أن لكل موجود غاية ينتهي إليها، وعلى أن مآل الكل إلى الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء»[1] .

[هل صحيح أن مسألة دخول النار عند المصنف ﵀ مسألة عويصة]

أقول : قوله : «هذه مسألة عويصة»، غلط؛ لأنها في نفسها سهلة .

وإنما جعلها عويصة تكلف المتكلفين، وذلك أنهم بنوا أمورهم على إظهار النكت الغريبة، ليماروا به العلماء، لأن أصل هذه وأمثالها لما أخبروا أئمة الهدى عليهم السلام، بتألم أهل النار، وأظهروا ذلك بين شيعتهم، حتى كان مذهبهم معروفاً بالقول بدوام التألم، أخذ المقابلون لهم بالرد والإنكار في إظهار خلافهم .

ولما كانت ظاهرة التحقق، كانت مخالفتها عويصة، فاستدلوا على ما يدعون من المخالفة بأمور متفرقة، ودلائل ملفقة، فلهذا كان تصحيحها عويصاً صعباً .

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٣ .

والمصنف هو وأتباعه لما كان ديدنهم النظر في كتب أولئك، والخطاب معهم، غلبت عليهم المخالطة، وعظمت عليهم الشبهة، وعميت عليهم الأدلة فتكلفوا لما أنست به نفوسهم عن الشبهة، أوهاماً اعتمدوها، وشبهات زخرفوها، يحسبه الظمآن ماء وهي سراب، **﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾**[1]، وستسمع ما ذكروه، فاختلفوا هل يسرمد عليهم العذاب؛ بمعنى هل يدوم تألمهم مع اتفاقهم على دوام العقاب والخلود فيه، أم تكون لهم بذلك العذاب راحة، ونعيم في دار الشقاء جهنم، بحيث يتنعمون بالتعذيب، وأكل الزقوم، وشرب الحميم، كما يتنعم الجعل برائحة الغذيرات، حتى لو وضعوا في الجنة لتألموا بنعيمها، كما يتألم الجعل برائحة المسك والريحان، ولكنهم ماكثون فيها، لا يخرجون منها إلى ما لا نهاية له، وذلك لما دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية، على أن للجنة عماراً، وللنار عماراً، وإن لكل منها ملؤها .

والمصنف لما كان مؤتماً بالقوم، تابعاً لهم في مذاهبهم، اختار مذهبهم في أن أهل النار بعد انتهاء مدة عقابهم على أعمالهم بقدرها، يؤل أمرهم إلى التنعم بالعذاب؛ بحيث لو دخلوا الجنة تألموا بنعيمها، فقال : «الأصول الحكمية دالة على» انقطاع التألم منها، «أن القوى الجسمانية متناهية»؛ كاللامسة والذائقة، والشامة والباصرة والسامعة، وغير ذلك، وهي المسماة بالإنسان الطبيعي، وهو ظل الإنسان النفسي، وهذا الإنسان الطبيعي عندهم متناه، فانٍ بفناء هذه الدار، ومعنى فنائه تبدله وتجدده، حتى إذا عاد يوم القيامة يعود بصورته الوجودية لا بمادته، كما تقدم من كلامه .

وهذه التبدلات والتناهي والتغيرات، وما وقع بسببها من المعاصي، أو نشأ منها، وهي خيرات في حقها، وكمالات لها بها تسبح الله تعالى وتقدسه، ولم تقصد في شيء من أفعالها القبيحة، مخالفة أمر الله، ولا رضاه، ولا في انبعاثها في

(١) سورة النور، الآية : ٣٩ .

المعصية، انتهاكاً لشريعة، بل هي عاشقة لله تعالى، طالبة له من الطريق الذي وضعها فيه، لأنها فاعلة بحسب طبعها، وكل ما يفعل بحسب طبعه، فهو تسبيح الله تعالى وتقديسه .

وهذه القوى والأعضاء، لما كانت عاملة بعقوبات النفس الحساسة المتخيلة، كانت بمنزلة زبانية جهنم، وسدنة الجحيم، وبمنزلة مالك، فكما أن سدنة النيران لا يتألمون منها؛ لأنهم هم المعذبون لأهل النار، كذلك هذه القوى والأعضاء، فانظر أيها العاقل إلى هذه التوجيهات الفاسدة، والتمويهات الكاسدة، كيف يعتقدها المصنف، ويدين الله بها .

ومثله ما يريد من القسر، فإنه لا يدوم على طبيعة واحدة، وهي ما اقتضته المعاصي من العقوبات والآلام، فإنه اقتضاء على غير مقتضى الطبيعة، فإذا انقضى القسر عاد إلى النعيم الذي هو مقتضى الطبيعة، من تقطيع الأعضاء وتفريقها وقبولها الاحتراق؛ لأنها قابلة لما يجري عليها فتنعم به، لأنه هو الملائم لها، ولأن لكل موجود غاية يؤل أمره إليها، والموجودات صدرت بمقتضى الرحمة الواسعة، فيعود كل شيء إليها .

وأمثال هذه الاستدلالات الباطلة العاطلة، وستسمع بطلان هذه الأوهام بعد إيراد كلامه .

[قول المصنف ﷺ : بأنه عنده أيضاً أصول دالة على أن الجحيم وآلامها وشرورها دائمة ...إلخ]

قال : «وعندنا أيضاً أصول دالة على أن الجحيم، وآلامها وشرورها دائمة بأهلها، كما أن الجنة ونعيمها، وخيراتها دائمة بأهلها، وإن كان الدوام في كل منهما على معنى آخر، وأنت تعلم أن نظام الدنيا لا يصلح إلّا بنفوس جافية غليظة، وقلوب قاسية شديدة القسوة، فلو كان الناس على طبقة واحدة، وطبيعة سليمة، وقلوب خاشية مطيعة، لاختل النظام بعدم القائمين بعمارة هذه الدار، من النفوس الشديدة الغلاظ؛ كالفراعنة والدجاجلة، والنفوس المكارة الشيطانية .

وفي الحديث : (**إني جعلت معصية آدم عليه السلام سبباً لعمارة هذا العالم**)، وقال تعالى : **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ...﴾**[1]، وقال : **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**[2] .

وكونها على طبقة واحدة، تنافي الحكمة والمصلحة، لإهمال سائر الطبقات الممكنة، في مكمن الإمكان، من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل، والعناية تأباه، فإذا كان وجود كل طائفة من مقتضى قضاء الله وقدره، وعنايته ورحمته، وتكون لها غايات طبيعية، ومواطن ذاتية .

والغايات الذاتية للأشياء مناسبة لها، ملائمة لذواتها، يقع الوصول إليها آخر الأمر، وإن عاق عنها عائق زماناً مديداً، أو قصيراً، كما قال : **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾**[3]، والله يتجلى بجميع الأسماء، في جميع المنازل والمقامات، فهو الرحمان الرحيم الرؤوف، وهو العزيز الجبار القهار المنتقم .

وفي الحديث أيضاً : (**لو لا أنتم تذنبون، لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون**)[4] .

قال بعض المكاشفين : يدخل الله أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله، وأهل النار بعدله، وينزلون فيهما بالنيات، فيأخذ الآلم جزاء العقوبة، موازياً لمدة العمل في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمد، جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها، بحيث لو دخلوا الجنة تألموا؛ لعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه،

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٧٩ .

(٢) سورة السجدة، الآية : ١٣ .

(٣) سورة سبأ، الآية : ٥٤ .

(٤) مجمع الزوائد، ج١٠، ص٣١٥ . وفي مسند أحمد، ج٢، ص٣٠٩ . وصحيح مسلم، ج٨، ص٩٤، مثله .

فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير، وما فيها من لدغ حيات وعقارب، كما يتلذذ أهل الجنة فيه من الظلال والنور، ولثم الحسان من النور؛ لأن طباعهم تقتضي ذلك، ألا ترى الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورد، ويتلذذ بالنتن والمحرور من الإنسان، يتأذى بريح المسك، فاللذات تابعة للملائمة والآلام لعدمه.

وصاحب الفتوحات المكية[1]، أمعن في هذا الباب، وبالغ فيه في ذلك الكتاب .

وقال في الفصوص : «وأما أهل النار، فمآلهم إلى النعيم، إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب، أن تكون برداً وسلاماً على من فيها»[2]، وأما أنا والذي لاح لي بما أنا مستقل به؛ من الرياضات العلمية والعملية، أن دار الجحيم ليست بدار نعيم، وإنما هي موضع الآلم والمحن، وفيها العذاب الدائم، لكن آلامها منتفنة متجددة على الاستمرار بلا انقطاع، والجلود فيها متبدلة، وليس هناك موضع راحة واطمئنان، لأن منزلتها من ذلك العالم، منزلة عالم الكون، والفساد من هذا العالم»[3] .

[تصريح المصنف ﷺ في سائر كتبه بأن مآل أهل النار إلى النعيم]

أقول : أن المصنف قد برهن على هذه المسألة بما هو صريح، بأنه قائل : بمآل أمرهم إلى النعيم، كما ذكره في سائر كتبه؛ مثل الشواهد الربوبية[4]، التي قيل : أنها آخر تأليفاته، وهنا كذلك .

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) فصوص الحكم، ج١، ص١٩٦، ١٨ فص حكمة نفسية في كلمة يونسية .

(٣) كتاب العرشية، ص٩٥ .

(٤) راجع الشواهد الربوبية، ص٣١٣، المشهد الرابع، الإشراق السادس : في كيفية خلود أهل النار الذين هم أصلها فيها .

وذكر هذا الكلام الأخير، الذي يدل على عدم ذلك، حين غفل عن قواعدهم وأدلتهم، التي ملأ الكتب منها وأيدها، وعدوله منها هنا يشبه مسائل الاجتهادية الظنية، لا الاعتقادات اليقينية، وما أطنب فيه في ذلك المذهب الفاسد، ما ذكره في الكتاب الكبير الأسفار، وإن كان طويلاً فإني أحببت أن أورده بتمامه؛ لتعرف ما فيه، وربما أذكر فيه كلاماً مني، وأصدر كلامه بقولي : يقول، وأصدر كلامي بقولي : قلت؛ ليميز بين الكلامين .

والفرق بين هذا في هذا البحث، وبين غيره في سائر الشروح، يقول : «هذه مسألة عويصة، وهي موضع خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الكشوف، وكذا موضع خلاف بين أهل الكشف، هل يسرمد العذاب على أهل النار، الذين هم من أهلها؟»[1] .

قلت : قوله : «الذين هم من أهلها»، احتراز عن الذين يخرجون منها .

[قول المصنف تتنُّ : بأن ما لا نهاية له أو لهم نعيم بدار الشقاء فينتهي العذاب عنهم إلى أجل مسمى ...إلخ]

يقول : «إلى ما لا نهاية له، أو يكون لهم نعيم بدار الشقاء، فينتهي العذاب عنهم إلى أجل مسمى، مع اتفاقهم على عدم خروج الكفار منها، وأنهم ماكثون فيها إلى ما لا نهاية له، فإن لكل من الدارين عماراً، ولكل منهما ملؤها .

اعلم أن الأصول الحكمية دالة على أن القسر لا يدوم على طبيعة واحدة، وإن لكل موجود من الموجودات الطبيعية، غاية ينتهي إليها وقتاً، وهي خيره وكماله»[2] .

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٦، فصل : ٢٨ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٦، فصل : ٢٨ .

[مراد المصنف ﷺ من معنى القسر في كلامه]

قلت : يريد أن القسر الذي اقتضى تألمهم، جار على خلاف طبائعهم؛ لأن قبولهم للحرق، والتقطيع والفراق، والهم والغم، إن كان جارياً على ما يقتضيه طبائعهم كان ملائماً، والشيء لا يتألم بما يلائمه، وإن كان جارياً على خلاف ما يقتضيه طبائعهم، فهو قسر، والقسر على خلاف المقتضى، فلا دوام له من طبيعة.

وأيضاً كل موجود فله غاية ينتهي إليها، ووصول الشيء إلى غاية خيره وكماله، وذلك كمال الملائمة، فينقطع التألم .

والجواب : أن القسر كما يجري في وقت ما لموجب قاسر، كذلك يدوم ما دام الموجب القاسر، وقد ثبت دوامه بثبوت المعاصي الجارية، عن المعاصي على الدوام والاستمرار، ما قطعه عنها إلّا الموت، لأن المفروض من عدم توبته، ودوام عزمه ونيته، أنه لو بقي أبد الآبدين، ودهر الداهرين، أنه لا يطيع الله تعالى أبداً .

[رجوع كل موجود إلى غاية ينتهي إليها]

وأما رجوع كل موجود إلى غاية ينتهي إليها فحق، ولكن الغاية هي التي جرى عليها باختياره، إذ لو كانت دواعي معاصيه عارضة، لما استمر عليها مختاراً، فلا حقيقة له غير ما هو عليه في أول دخوله النار، ولو كانت عارضة لما خلد فيها، بل إذا كانت غاية غير ما تقتضي هذه، وجب خروجها منها، ودخوله الجنة .

وكمال كل شيء بنسبته، ولهذا قلنا : أنهم كلما تطاولت الدهور اشتد تألمهم؛ لأنه كمال طبيعتهم وحقيقتهم، كما أن أهل الجنة كلما تطاولت الدهور، اشتد نعيمهم، والجنة والنار وأهلهما، وما فيه أهلهما، بينهما كمال التضاد في الصفات، وكمال الاتحاد في الامتداد، وذلك مثل ما بين الشاخص وظله، فإنه على عكس الشاخص، ومثله في التناهي وعدمه؛ لأن الجنة من الرحمة، والنار من الغضب، فافهم .

[قول المصنف ﷺ : بأن الواجب أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوة تحفظ بها خيرها الموجود ...إلخ]

يقول : «وأن الواجب -جل ذكره- أوجد الأشياء على وجه تكون مجبولة على قوة تحفظ بها خيرها الموجود، وتطلب بها كمالها المفقود، كما قال : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١]»[٢] .

[المراد من القوة المذكورة في كلام المصنف ﷺ]

قلت : هو ما قلنا، فإن هذه القوة، هي القوة المقتضية للأعمال الخبيثة، سواء كانت طبيعية ذاتية، أو تطبعية قد غيرت؛ أو قد قرت، لأن حقيقة الأشياء ما تصل إليها بالقوابل الاختيارية، التي أقواها وأمرها قوابل الأعمال فيها، تصل إلى كمالها التي هي عليه، من خير أو شر .

[قول المصنف ﷺ : ولأجل ذلك يكون لكل منها عشق للوجود وشوق إلى كمال الموجود ...إلخ]

يقول : «ولأجل ذلك، يكون لكل منها عشق للوجود، وشوق إلى كمال الموجود، وهو غايته الذاتية، التي طلبها، ويتحرك إليها بالذات، وهكذا الكلام في غايته، وغاية غايته، حتى ينتهي إلى غاية الغايات، وخير الخيرات»[٣] .

[هل يمكن أن ينتهي المخلوق إلى خالقه تعالى؟]

قلت : يريد حتى ينتهي إلى خالقه، وهذا باطل؛ فإن الحوادث لا تنتهي إلى القديم، ولا تقصر المسافة بينه وبينه بكثرة السير، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله**)[٤] .

---

(١) سورة طه، الآية : ٥٠ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٧، فصل : ٢٨ .

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٧، فصل : ٢٨ .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٦) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومعنى رجوعها إلى الله تعالى؛ انتهاؤها إلى ما خلقها منه، أو لأجله، فإنه هو الرجوع إلى أمره وسلطانه .

[قول المصنف تتئُّ : إلّا أن يعوق له عن ذلك عائق ويقسر قاسر...إلخ]

يقول : «إلّا أن يعوق له عن ذلك عائق، ويقسر قاسر، لكن العوائق ليست أكثرية، ولا دائمية كما سبق ذكره، وإلّا لبطل النظام، وتعطلت الأشياء، وبطلت الخيرات، ولم تقم الأرض والسماء، ولم ينشأ الآخرة والأولى، **﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**(١)»(٢) .

[الأنوار والمحبوبات لا تقوم بدون أضدادها]

قلت : إنما يبطل النظام، لو اقتضى الأمر سوقها كلها إلى الخيرات، لتعطل قابليات الظلمات والمكروهات، لأن الأنوار والمحبوبات، لا تقوم بدون أضدادها، كما أشار إليه الرضا عليه السلام بقوله إن الله تعالى : **(لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته، للذي أراد من الدلالة على نفسه، وإثبات وجوده)**(٣) .

[قول المصنف تتئُّ : فعلم أن الأشياء كلها طالبة لذاتها مشتاقة إلى لقائه بالذات ...إلخ]

يقول : «فعلم أن الأشياء كلها طالبة لذاتها للحق، مشتاقة إلى لقائه بالذات، وأن العداوة والكراهة طارئة بالعرض، فمن أحب لقاء الله بالذات، أحب الله لقاءه بالذات، ومن كره لقاء الله بالعرض، لأجل مرض طار على نفسه، كره الله لقاءه بالعرض»(٤) .

---

(١) سورة ص، الآية : ٢٧ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٧، فصل : ٢٨ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٧، فصل : ٢٨ .

[العداوة والكراهة ليست طارئة وهي المشخصة للشيء]

قلت : إن العداوة والكراهة ليست طارئة؛ لأنها هي المشخصة للشيء، فإن صورة السرير ليست طارئة عارضة للسرير، إذ ليس الخشب سريراً لتكون الصورة التي هي المشخصة للسرير عارضة، وإنما هي جزء ماهيته؛ لأنها عين قابليته.

وأيضاً إذا جعل الله ﷻ غاية كل طالب، لم يتصور كونه تعالى كارهاً للقاء أحد؛ لأنه إنما يصل إليه ويلقاه بالذات، فلا يتحقق اللقاء بالعرض، فإن وجد العرض لم يحصل اللقاء، وإن حصل اللقاء مع العرض، لم يكن تعالى غاية للطالب؛ لأن الغاية الحقيقة، لا يصل إليها الطالب إلَّا بالذات لا بالعرض، وإلَّا لكانت الغاية وراءها .

[قول المصنف تتئ : فيعذبه مدة حتى يبرأ من مرضه، ويعود إلى فطرته الأولى، أو يعتاد بهذه الكيفية المرضية ...إلخ]

يقول : «فيعذبه مدة حتى يبرأ من مرضه، ويعود إلى فطرته الأولى، أو يعتاد بهذه الكيفية المرضية، وزال ألمه وعذابه، بحصول اليأس، وتحصل له فطرة أخرى؛ وهي فطرة الكفار الآيسين من رحمة الله، الخاصة بعباده .

وأما الرحمة العامة؛ فهي التي وسعت كل شيء، كما قال تعالى : **﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾**[1]»[2] .

[ما يلزم من إعادة الفطرة الأولى وأقسام الرحمة الواسعة]

قلت : إذا عاد إلى فطرته الأولى، وجب إخراجه من النار، فلا يخلد فيها، وإذا اعتاد بهذه الكيفية، بقيت الطبيعة الموجبة للتألم، وإذا حصلت له فطرة اليأس اشتد ألمه؛ لأن اليأس أشد عذاب في جهنم .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٧، فصل : ٢٨ .

وأما الرحمة الواسعة، فتشمل آخر أمره، كما شملته أول دخوله النار؛ لأنه حين دخولها شيء، والرحمة وسعت كل شيء .

ولكنا لا نقول : إذا عذب وتألم أنه مظلوم، بل هذا حكم العدل .

والرحمة الواسعة قسمان، قسم فضل؛ وهو الرحمة المكتوبة، الخاصة بالمؤمنين.

وقسم عدل؛ وهو الجاري على المنافقين، والمشركين والكافرين .

[قول المصنف ﵀ : وعندنا أصول دالة على أن الجحيم وآلامها وشرورها، دائمة بأهلها ...إلخ]

يقول : «وعندنا أصول دالة على أن الجحيم وآلامها وشرورها، دائمة بأهلها، كما أن الجنة ونعيمها وخيراتها دائمة بأهلها، إلّا أن الدوام لكل منهما على معنى آخر .

ثم أنك تعلم أن نظام الدنيا، لا يصلح إلّا بنفوس جافية، وقلوب غلاظ، شداد قاسية، فلو كان الناس كلهم سعداء، بنفوس خائفة من عذاب الله، وقلوب خاضعة خاشعة، لاختل النظام بعدم القائمين بالعمارة من هذه الدار، من النفوس الغلاظ العتاة؛ كالفراعنة والدجاجلة، وكالنفوس المكارة، وكشياطين الإنس بجريرتهم وحيلتهم، وكالنفوس البهيمية والجهلة؛ كالكفار .

وفي الحديث : (**إني جعلت معصية آدم ﵇ سبباً لعمارة هذا العالم**)»[1].

[النظام قام بإعطاء كل ذي حق حقه]

قلت : هذه أشياء معلومة لا تنكر، وإن كان مقتضى كثير منها، ينافي ما تقدم من رجوع أمر أهل النار إلى النعيم، لأن ذلك ينافي النظام، لتعطل بعض المقتضيات؛ كالتألم الذي هو من أسباب عمارة العالم، لأن النظام إنما قام بإعطاء كل ذي حق حقه، بإجراء الخير على مقتضى خيريته، والشر على مقتضى شريته.

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٩، فصل : ٢٨ .

وهذا الحديث من طرق الجماعة، وهذه عادة المصنف في كل الروايات التي يستدل بها من طرق العامة؛ لأن علمه مأخوذ منهم، ونظره في كتبهم، ولكن معنى هذا الحديث لا ينافي الحق .

وبيان السر فيه؛ أنه لو بقي هو وذريته في الجنة، بطل نظام هذا العالم، ولا يعرف المطيع من العاصي، ولا الصادق في طاعته من الكاذب .

ولا يجوز في الحكمة أن يخرجه من الجنة بلا تقصير؛ لأنه تعالى **﴿لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**[1]، فنهاه عن الأكل من الشجرة لمصلحته، وليكون عل بصيرة من أمره، ووكله إلى نفسه طرفة عين؛ لأن العصمة ليست واجبة في الحكمة، لأنها من التفضل، لا من اللطف .

وكون عدم العصمة يجر إلى المعصية، لا يستلزم قبحاً؛ لأن هذه المعصية سبب لدفع مفسدة أقبح من المعصية، فكان حسنه العرضي أنصح من حسن تلك الطاعة الذاتية، وهو ظاهر لمن يفهم أسرار التكليف .

[قول المصنف تَتَّئُ : وقال الله تعالى : ﴿ولَو شِئْنا لَآتينا كُلَّ نفْسٍ هداها ولَكِن حق الْقَولُ مِني لَأَملَأَنَّ...﴾ ..إلخ]

يقول : «وقال تعالى : **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**[2]، فكونها على طبقة واحدة، ينافي الحكمة كما مر، ولاهمال سائر الطبقات الممكنة، في مكمن الإمكان، من غير أن يخرج من القوة إلى الفعل، وخلو أكثر مراتب هذا العالم عن أربابها، فلا يتمشى النظام إلّا بوجود الأمور الخسيسة والدنية، المحتاج إليها في هذه الدار، التي يقوم بها أهل الظلمة والحجاب، ويتنعم بها أهل الذلة والقسوة، المبعدين عن دار الكرامة، والنور والمحبة، فوجب في الحكمة الحقة التفاوت، وفي الاستعدادات

---

(١) سورة الرعد، الآية : ١١ .

(٢) سورة السجدة، الآية : ١٣ .

لمراتب الدرجات في القوة والضعف، والصفاء والكدورة، وثبت بموجب قضائه اللازم، النافذ في قدره اللاحق الحكم، بوجود السعداء والأشقياء جميعاً .

فإذا كان وجود كل طائفة بحسب قضاء إلهي، ومقتضى ظهور اسم رباني، يكون لها غايات حقيقية، ومنازل ذاتية .

والأمور الذاتية، التي جعلت عليها الأشياء، إذا وقع الرجوع إليها، تكون ملائمة لذيذة، وإن وقعت المفارقة عنها أمداً بعيداً، وحصلت الحيلولة عن الاستقرار عليها زماناً مديداً، كما قال تعالى : **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾**[1]»[2] .

[وجود الأشقياء من صور الغضب وإشراقاتها، ووجود السعداء من صور الرحمة وإشراقاتها]

قلت : قد قلنا أن وجود الأشقياء من صور الغضب وإشراقاها، كما أن وجود السعداء من صور الرحمة وإشراقاها، فغاية كل من الطائفتين ما خلقت منه، فإن بقي الشقي بهيئة ما شقي به، فهو من الغضب، ويترتب على تلك الهيئة مددها من الغضب، الذي به تألم أولاً، وبه يتألم آخراً، بل يشتد عليه ذلك، لما تقرر وثبت في الوجدان، أن الإشراق كلما قرب من المشرق، اشتد وقوى، وإن لم يبق بتلك الهيئة، وجب خروجه من دار الغضب، ودخوله في دار الرحمة؛ لأنه حينئذٍ مخلوق منها، وهذا مما لا شبهة فيه .

[قول المصنف ﵀ : ثم إن الله يتجلى بجميع الأسماء والصفات، في جميع المراتب والمقامات ...إلخ]

يقول : «ثم إن الله يتجلى بجميع الأسماء والصفات، في جميع المراتب

---

(١) سورة سبأ، الآية : ٥٤ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٩، فصل : ٢٨ .

والمقامات، كما حققناه في مباحث علم الله وغيره، فهو الرحمان الرحيم، وهو العزيز القهار .

وفي الحديث القدسي : «**لو لا أنكم تذنبون، لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون**[١]»[٢] .

[دليل الشارح ﷺ على دوام تألم أهل النار]

قلت : هذا دليلنا على دوام التألم، أن الأشياء آثار لتجلي الأسماء، فيترتب على كل شيء مقتضى علته، فلو زال هذا المقتضي، الذي هو فيض ذلك الاسم، فني ذلك الشيء، إذ ليس هو إلّا ذلك الفيض والتجلي، ولو فرض أن ذلك الشيء بقي بعد زوال ذلك المدد والفيض، دل على أن ذلك الفيض والمدد عارض، وأن ذات الشيء من فيض تجلي اسم معاكس لفيض ذلك المدد المعارض، كما في لطخ الكفر في المؤمن، فيجب نقله إلى مقام الفيض الذاتي، الذي هو حقيقته التي إذا زالت فني .

واعلم أن الحديث المروي من طرقنا هكذا، «**لو لا أنكم تذنبون، لذهب بكم وجيء بقوم يذنبون، فيستغفرون فيغفر لهم**»[٣]، ولا شك أنه إذا غفر لهم، نقلوا من دار الذنب إلى دار المغفرة .

[قول المصنف ﷺ : قال الشيخ الأعرابي في الفتوحات : يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله ...إلخ]

يقول : «قال الشيخ الأعرابي[٤] في الفتوحات : «يدخل أهل الدارين فيهما السعداء بفضل الله، وأهل النار بعدل الله، وينزلون فيهما بالأعمال، ويخلدون

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦٠) من هذا الكتاب .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٩، فصل : ٢٨ .

(٣) راجع أصول الكافي، ج٢، ص٤٢٣، ح١ . وتحف العقول، ص٣٩ .

(٤) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٤٥) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

فيهما بالنيات، فيأخذ الآلم جزاء العقوبة، موازياً لمدة العمر في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمد، جعل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها، بحيث أهم لو دخلوا الجنة تألموا؛ لعدم موافقة الطبع الذي جبل عليه، فهم يتلذذون بما هم فيه من نار وزمهرير، وما فيها من أنواع الحيات والعقارب، كما يتلذذ أهل الجنة بالظلال والنور، ولثم الحسان من الحور؛ لأن طبائعهم تقتضي ذلك، ألا ترى أن الجعل على طبيعة يتضرر بريح الورد، ويتلذذ بالنتن، والمحرور من الإنسان، يتألم بريح المسك، واللذات تابعة للملائم، والآلام تابعة لعدمه» .

ونقل في الفتوحات أيضاً عن بعض أهل الكشف أنه قال : «أهم يخرجون إلى الجنة، حتى لا يبقى أحد من الناس البتة، وتبقى أبوابها تصطفق، وينبت في قعره الجرجير، ويخلق لها أهلاً يملؤها» .

قال القيصري[1] في شرح الفصوص : «واعلم أن من اكتحلت عينه بنور الحق، يعلم أن العالم بأسره عباد الله، وليس لهم وجود وصفة وفعل إلّا بالله وحوله وقوته، وكلهم محتاجون إلى رحمته، وهو الرحمان الرحيم، ومن شأن من هو موصوف بهذه الصفات، أن لا يعذب أحداً عذاباً أبداً، وليس ذلك المقدار أيضاً إلّا لأجل إيصالهم إلى كمالهم المقدر لهم، كما يذاب الذهب والفضة بالنار، لأجل الخلاص مما يكدره، وينقص عياره، فهو متضمن لعين اللطف كما قيل، وتعذيبكم عذب، وسخطكم رضى، وقطعكم وصل، وجودكم عدل»»[2] .

---

(١) **القيصري** هو : «الشيخ داود بن محمود القيصري القرماني، المتوفى عام : «٧٥١هـ»، اشتغل في بلاده، ثم ارتحل إلى مصر، وقرأ على علمائه التفسير والحديث والأصول، وبرع في العلوم العقلية، وحصل علم التصوف، له كثير من المؤلفات؛ منها : رسالة في ماء الحياة، ومطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، وغير ذلك من المؤلفات». [كشف الظنون، ج١، ص٨٨٨] .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٤٩، فصل : ٢٨ .

[توجيه الشارح ﷺ قول القيصري شارح فصوص الحكم]

قلت : ما ذكر عن الفتوحات، فقد تقدم الجواب عنه، وما نقل عن بعض أهل الكشف؛ فهو غلط مخالف لإجماع المسلمين، وأهل الملل، فلا يلتفت إليه .

وأما في شرح الفصوص؛ فجوابه يعلم لما تقدم، وتمثيله بالذهب والفضة، لانقطاع التألم إنما يصلح للمذنبين من أهل الجنة، فكما أن الفضة والذهب المغشوشين بمثل النحاس، إذا صفيا يوضعان مع الذهب والفضة الصافيين في الصندوق، لا مع الأواني والقدور من النحاس في المطبخ، لأن هذا مثال الطيب الذي أصابه لطخ الخبيث، بخلاف الخبيث الذي هو من أهل الخلود في النار، فإنه لا يصفى، إذ لو صفى لم يبق منه شيء، فافهم لضرب الأمثال .

[قول المصنف ﷺ : فإن قلت : هذه الأقوال الدالة على انقطاع العذاب عن أهل النار، ينافي ما ذكرته سابقاً من دوام الآلام عليهم؟ ...إلخ]

يقول : «فإن قلت : هذه الأقوال الدالة على انقطاع العذاب عن أهل النار، ينافي ما ذكرته سابقاً من دوام الآلام عليهم؟ .

قلنا : لا نسلم المنافات بين عدم انقطاع العذاب من أهل النار أبداً، وبين انقطاعه عن كل واحد منهم في وقت»[1] .

[اضطراب المصنف ﷺ في جوابه]

قلت : جوابه فيه اضطراب؛ إذ يلزم منه اختلاف الانقطاع بالأولية والآخرية بالنسبة إلى أفراد من في النار، و لم يقل أحد بانقطاع العذاب عن شخص في أول دخوله، ثم يعذب بعد ذلك .

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٠، فصل : ٢٨ .

ولكن المناسب لجوابه أن يقول : إن انقطاع العذاب عبارة عن عدم التألم، لا عن رفع العذاب، بل يعذبون، ولكنهم يتنعمون بذلك التعذب، كما تصلح الجمرة باشتعال النار، وينطفي بعدم الاشتعال .

[قول المصنف تتمُّ : وقال في الفتوحات المكية : أن من الأحوال التي هي أمهات أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ...إلخ]

يقول : «وقال في الفتوحات المكية : أن من الأحوال التي هي أمهات أحوال الفطرة التي فطر الله الخلق عليها، هو ألا يعبدوا إلّا الله، فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله، فما جعلوا مع الله مسمى آخر هو الله، بل جعلوا ألهة على طريق القربة إلى الله، ولذا قال : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[1]، فإنهم إذا سموهم، بأنهم ما عبدوا إلّا الله، فما عبد عابد إلّا الله، في المحل الذي نسبوا إليه الإلوهية، فصح بقاء التوحيد لله، الذي اقروا به في الميثاق، وإن الفطرة مستصحبة .

أقول : وهذه عبارة ذاتية، وقد سبق القول : بأن جميع الحركات الطبيعية، والانتقالات في ذوات الطبائع والنفوس إلى الله، وبالله، وفي سبيل الله .

والإنسان بحسب فطرته، داخل في السالكين إليه، وأما بحسب اختياره وهواه، فإن كان من أهل السعادة فيزيد إلى قربه قرباً، وعلى سلوك الجبلي سعياً، وإمعاناً وهرولة .

وإن كان من الكفار المنافقين، الناقصين المختوم على قلوبهم، الصم البكم، الذين لا يعقلون، فهو كالدواب والبهائم، لا يفقه شيئاً إلّا الأغراض الحيوانية .

وإنما الغرض في وجوده، حراسة الدنيا والآخرة، وعمارة الأبدان، وما له في الآخرة من خلاق، فله المشي في مراتع الدواب والسباع، فيحشر كحشرها،

---

(١) سورة الرعد، الآية : ٣٣ .

ويعذب كعذابها، ويحاسب كحسابها، وينعم كنعيمها .

وإن كان من أهل النفاق، المردودين على الفطرة الخاصة، المطرودين عن سماء الرحمة، فيكون عذابه أليماً؛ لانحرافه عما فطر عليه، وهويه إلى الهاوية بما كسبت يداه، فيقدر خروجه عن الفطرة، ونزوله في مهاوي الجحيم، يكون عذابه الأليم، إلّا أن الرحمة واسعة، والآلام دالة على وجود جوهر أصلي، يضاد الهيئات الحيوانية الردية، والتقاوم بين المتضادين ليس بدائم، ولا بأكثري، كما حقق في مقامه، فلا محالة يؤل إما إلى بطلان أحدهما، أو إلى الخلاص، ولكن الجوهر النفساني من الإنسان، لا يقبل الفساد .

فإما أن يزول الهيئات الردية بزوال أسبابها، فيعود إلى الفطرة، ويدخل الجنة إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك، وإلّا فينقلب إلى فطرة أخرى، ويخلص من الألم والعذاب، وهذا هو المراد من مذهب الحكماء، إن عذاب الجهل المركب أبدي؛ يعني صاحب الاعتقاد الفاسد، الراسخ في جهله وعتوه، لا يمكن عوده إلى الفطرة الأصلية، فيصير من الهالكين البائنين عن هذه النشأة، وعن الحياة العقلية .

ولا ينافي ذلك كونه حياً بحياة أخرى، نازلة دنية، وقوله تعالى في حقه : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾[1]؛ أي : لا يموت موت البهائم ونحوها، ولا يحيى حياة العقلاء السعداء»[2] .

[تخطئة الشارح ﵀ في ما يقوله ويدعيه ابن عربي]

قلت : قوله في الفتوحات : «فبقوا على تلك الفطرة في توحيد الله» غلط؛ فإنهم حين عبدوا غير الله، تغيرت الفطرة الأولى الإنسانية، إلى الحيوانية البهيمية،

---

(١) سورة طه، الآية : ٧٤ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٠، فصل : ٢٨ .

ولذا حكى الله تعالى عنهم، فقال : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١)، والمعنى أنهم الآن ليسوا في نفس الأمر من نوع الإنسان، بل من نوع البهائم، يدل على هذا قول سيد الساجدين عليه السلام، في دعاء الصحيفة، فيمن أكل رزق الله و لم يحمده، ولو كان كذلك لخرجوا من حدود الإنسانية، إلى حد البهيمية، وكانوا كما وصف في محكم كتابه : ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(٢) .

وقول محمد بن علي الباقر : (**الناس كلهم بهائم إلّا قليل من المؤمنين، والمؤمن غريب**، ...إلخ)(٣)، ولهذا صح أنهم عبدوا غير الله .

وقوله : «ما عبدوا إلّا الله»، غلط وجهل، فكيف ما عبدوا إلّا الله، والله يقول : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾(٤)، نعم لو أمرهم الله بذلك فامتثلوا أمر الله، كانت عبادة لله، وإن سميت عبادة لهم، كما قال صلى الله عليه وآله : (**من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق ينطق عن الله، فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن الشيطان، فقد عبد الشيطان**)(٥) .

[معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : (من أصغى إلى ناطق فقد عبده)]

ومعنى ينطق عن الله؛ إن الناطق ينطق بما أذن له الله تعالى .

ومعنى ينطق عن الشيطان؛ أنه ينطق بغير إذن من الله، وإن كان بحق .

[سجود الملائكة لآدم عليه السلام ويعقوب ليوسف عليهما السلام]

وقوله : «ولذا قال : ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾(٦)، فإنهم إذا سموهم، بان بأنهم ما

---

(١) سورة الفرقاق، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة الفرقان، الآية : ٤٤ .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٤٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) سورة الفرقان، الآية : ٥٥ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٩١) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٦) سورة الرعد، الآية : ٣٣ .

عبدوا إلّا الله»، فيه أنهم إذا سموهم قالوا : هبل حجر نحتناه لنعبده، فبان بأنهم عبدوا غير الله بغير إذنه، ليس كسجود الملائكة لآدم عليه السلام، ويعقوب عليه السلام ليوسف، فإنه بإذن الله، فلم يبق توحيد الله .

بل لو قلنا : يصح منهم أن يعبدوا آلهة يتقربون بعبادتها إلى الله، و لم يصح توحيده إليه في عبادته، بل أشركوا بعبادة الله .

والذي أقروا به في الميثاق، أنهم يوحدونه تعالى في ذاته، بأنه واحد في ذاته، بلا تعدد بكل اعتبار، وواحد في صفاته، **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾**[1]، وواحد في أفعاله؛ **﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾**[2]، وواحد في عبادته؛ **﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾**[3] .

ومن عبد هبل، **﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾**[4]، واستصحاب الفطرة الأولى أبطله **﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾**[5] .

وقول المصنف : «تأييداً لترهات الفتوحات، وهذه عبادة ذاتية»، صحيح في أنها عبادة ذاتية، لكنها للشيطان .

وقول المصنف : «أيضاً وقد سبق القول : بأن جميع الحركات الطبيعية ...إلخ»، صحيح إذا كانت موافقة لأمر الله في تكليفها الوجودي والشرعي بقبولها منه، كما أحب ورضي .

وإن الحركات الطبيعية، من دواعي شهوات النفس الأمارة، فليس بعبادة لله، بل كفر بالله، وبعد منه تعالى .

---

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٢) سورة لقمان، الآية : ١١ .

(٣) سورة الكهف، الآية : ١١٠ .

(٤) سورة المطففين، الآية : ١٥ .

(٥) سورة النساء، الآية : ١١٩ .

ولو كانت كل حركة وانتقال إلى الله، وبالله، وفي سبيل الله، فإن أريد بأنها إليه تعالى، أي : إلى حكمه عليها بما عملت فصحيح، ولكن لا يدل على مطلوبهما .

وإن أريد بأنها إليه تعالى حيث يحب، لأنها إذا كانت عائدة له، فهو يحبه؛ لأنه تعالى قال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، فهو يحب ما خلق لأجله، وما لا يحبه فليس عبادة له، وحكمه على المعاصي بمعصيته، إنما يحب الحكم؛ لأنه العدل، ولا يستلزم محبة المعصية .

فإن أريد بأنها إليه حيث يحب، فلم يقول : فإن كان من أهل السعادة، فيزيد إلى قربه قرباً، وإن كان من الكفار فكذا، وكذا إذ لا فائدة في التقسيم؛ لأنه إذا كانت كل حركة طبيعية، أو انتقالية عبادة، فهي محبوبة؛ لأنه تعالى إنما خلق المتحرك والمنتقل ليعبده .

وقوله في حق أهل النفاق : «وطردهم عن سماء الرحمة، فيكون عذابه أليماً؛ لإنحرافه عما فطر عليه، وهوية إلى الهاويه، ...إلخ»، ينافي كون فطرة الميثاق مستصحبة .

[مراد المصنف ﵀ من أن الآلام دالة على وجود جوهر أصلي]

وقوله : «والآلام دالة على وجود جوهر أصلي»، يريد أنه لو كان بسيطاً لم يتألم كالبدن، فإن النار إذا قطعته وحرقته، فإنه قابل للتقطيع والحرق، فيكونان ملائمين له، والشيء لا يتألم بالملائم، وإنما يتألم بعدم الملائمة، فوجود الآلام يدل على وجود جوهر أصلي، وهو الجوهري النفساني، الذي يتألم بما يحل بالبدن من التقطيع والحرق؛ لأنه مركبه، وإن كان البدن نفسه يتلذذ بذلك، وهذا الجوهر النفساني إنما يتألم قبل كونه عقلاً، وهو يضاد الهيئات الحيوانية الفاسدة الرديئة، فالتألم في حال التصادم والتضاد والتقابل؛ إلَّا أن مقاومة الجوهري لتلك الهيئات

---

(١) سورة الذاريات، الآية : ٥٦ .

الردية غير دائمة، ولا في أكثر الأحوال فلا محالة، لا بد من التغيير عـن تلـك المقاومة، فإما بأن يبطل أحدهما، أو يبطل اعتباره، أو تكون فطرة غير الأولى، فإن فرض بطلان أحدهما لا يفرض بطلان الجوهري النفساني؛ لأنه من الجواهر الثابتة، التي لا يجري عليها التغيير والتبديل، فلا بد إذا فرض البطلان لأحد المتضادين، أن يفرض بطلان الهيئات الردية، فيتخلص الجوهر النفساني، فإذا خلص وجب انتقاله إلى الجنة .

والمفروض أنه من عمار النار فلا محالة، لا يفرض زوال الهيئات الردية، لئلا تخلو النار من العمار، لما يأتي من أن حقيقة الجوهر حينئذٍ الهيئات الردية، وهـي التي بها هو هو، فحيث امتنع الفرضان تعين الثالث، وهو الانقـلاب إلى فطـرة أخرى، لا يخلص فيها الجوهر النفساني من الهيئات الردية، ولا يحصل بينهما تضاد ومقاومة، بل الجوهر النفساني يعتاد صحبة الهيئات الردية، فيأنس بهـا، فتكـون طبيعية له، فلا تكون بينهما منافرة، فيتنعم بالعذاب لحصول الملائمة لتلك الهيئات الرديـة؛ لأنها تكـون هي حقيقته، ولا يحسن دخـوله الجنة؛ لأنه من عمـار النار .

[المخلد في نار جهنم على رأي المصنف ﵀]

وقوله : «إن لم تكن الهيئات من باب الاعتقادات كالشرك»، فإنه لرسوخه في جهله وعتوه، لا يمكن فرض زواله، فعلى هذا لا يخلد في النار إلّا المشرك، ومن جرى مجراه؛ لأن ما سوى ذلك قد يفرض زواله إن لم يزل، لقوله تعـالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء**﴾[1] .

وليس مرادهم أن المشرك لا يؤل أمره إلى التنعم في النار بالعذاب، بل يتنعم بعذاب جهنم، ولكنه وما هم منها بمخرجين، بل هم فيها خالدون .

---

(١) سورة النساء، الآية : ٤٨ .

[مراد المصنف ﷺ من مذهب الحكماء، ورد الشارح ﷺ عليه]

وقوله : «وهذا هو المراد من مذهب الحكماء، ...إلخ»، يعني أن الحكماء يذهبون إلى أن صاحب الاعتقاد الراسخ كالمشرك، لا يخرج من النار أبداً، وإن كان يؤل أمره إلى التنعم في النار .

وأقول : أكثر هذه التدقيقات التي ذكروها، مبنية على قواعد غير وثيقة، وأكثرها قشرية عامية .

وبيان ذلك على حقيقة نفس الأمر، يطول به الكلام، ولكن أنبه على بعضها إشارة وتلويحاً؛ أما أن البسيط كالبدن لم يتألم؛ فهو غلط، إذ ليس كل ما يمكن في الشيء ملائماً، وإلّا لم يوجد منافراً قط، فإن الجوهر النفساني في مضادته للهيئات الردية، مما يمكن فيه التضاد والتقاوم، فما جرى عليه مما حصل به التألم، بل والتألم نفسه ممكن ومقتضى طبيعة التألم بالتقاوم، فيكون ملائماً، فلا يتحقق تألم أصلاً، فالشيء بملائمة اختياره وجبره، وقسره عند حصول القاسر والمجبر، ومقتضى طبيعة التألم بالمؤلم، فهو ملائم، ومقتضى طبيعته عدم الملائمة عند وجود غير الملائم، فعدم الملائمة ملائم وهكذا .

[بحث حول أن كل شيء في هذا الوجود مكلف وثبوت العقل والاختيار للمكلف والثواب والعقاب لكل شيء]

فهذا أصل باطل لا يصار إليه أصلاً، على أنه قد ثبت بالعقل والنقل، على أن كل شيء فهو مكلف ومثاب، أو معاقب، بنسبة رتبته من الوجود، **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾**(١) .

وقد أشرنا فيما مضى إلى ثبوت العقل والاختيار في التكليف، والثواب والعقاب لكل شيء، من الحيوانات والنباتات، والمعادن والجمادات، والأعراض

---

(١) سورة النحل، الآية : ٤٨ .

وأعراض الأعراض، وغير ذلك من المعاني والأعيان، من الأمور الخارجية والذهنية، والفرضية والاعتبارية، التي يتوهمون أنها ليست شيئاً وهي أشياء، **﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾**[(١)]، إلَّا أن كل شيء في كل شيء بحسبه .

والجوهر النفساني إنما يكون من عمار النار؛ لأن حقيقة الشيء التي بها هو هو لذاته من النار، لأن الحقيقة التي بها يكون الشيء إياه، هي صورته المشخصة له، وهي جزء ماهيته، وهي نفس حقيقته، وهي هذه الهيئات الردية، ألا ترى أن الصنم ليس هو الخشب الذي هو مادته، ولم يتولد الصنم، ولم يتكون صنماً إلَّا في بطن أمه، وهي الصورة لا المادة، كما توهمه العيون الكدرة، التي يفرغ بعضها في بعض[(٢)]، يأخذ اللاحق كلام السابق، ولا يدري ما يقول، وكأنهم لم يسمعوا الحديث المقبول عندهم، وعند غيرهم، قال ﷺ : (**السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه،** ...إلخ)[(٣)]، فإن كنت تفهم فأنا أسألك الصنم شقي في بطن أمه، وهذا معلوم، ولكن أمه الذي شقي في بطنها المادة أو الصورة؟، فإذا عرفت أن حقيقة الصنمية، التي بها شقي في بطنها، هي الصورة لا المادة التي هي الخشب، فإنها هي الأب، وعلى هذا أدلة قطعية عقلية ونقلية، بأن شقاوة الصنم من صورته، والخشب ليس صنماً، ولا جاءت الصنمية من الخشب.

فالهيئات الردية التي من النار، وهي العقاب، كما قال تعالى : **﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾**[(٤)]، وقال تعالى : **﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ﴾**[(٥)]، وهي

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

(٢) تقدم تخريج ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٨٠) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٥) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٤) سورة النساء، الآية : ١٠ .

(٥) سورة الدخان، الآية : ٥٠ .

صورة ذلك النفساني، وهي حقيقة ذلك المعذب، كما أن حقيقة الصنم هي صورته المتقومة بالمادة، التي هي الخشب، أو الحديد، أو غيرهما، كذلك الخالد في النار، المعذب بها، هو تلك الهيئات الردية من الأعمال السيئة، والأقوال الخبيثة، والأفعال القبيحة، وهي صورته المتقومة بتلك المواد الملعونة، المسخوطة منها هذا الجوهر النفساني المبعد من رحمة الله .

وجسمية الخشب الممسوح، وجسده المر، وماؤه الأجاج، ولأجل ما أشرنا إليه، لا يمكن في الحكمة فرض دخول هذه الجوهر النفساني الجنة، ولا فرض تنعمه فيها ما دام هكذا، إلّا أن تقلب حقيقته، فيكون ناراً لا معذباً في النار، أو يكون ملكاً من زبانية جهنم المعذبين لأهلها، أو يجعله الله طيباً من سكان الجنة، فإنه على كل شيء قدير .

وأما ما دام هكذا، فلا نعيم له، ولا راحة، ولا يخرج منها، وذلك تاويل قوله تعالى : **﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾**[1] .

[قول المصنف تَتِّئُ : ومما استدل به ابن عربي على انقطاع العذاب للمخلدين في العذاب ...إلخ]

يقول : «ومما استدل به صاحب الفتوحات المكية، على انقطاع العذاب للمخلدين في النار، قوله تعالى : **﴿أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[2]، وما ورد في الحديث النبوي صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، **(ولم يبق في النار إلّا الذين هم أهلها)**، وذلك لأن أشد العقاب على أحد مفارقة الموطن الذي ألفه، فلو فارق النار أهلها لعذبوا، باغترابهم عما أهلوا له، وإن الله قد خلقهم على نشأة تألف ذلك الموطن .

---

(١) سورة التوبة، الآية : ١١٠ .

(٢) سورة يونس، الآية : ٢٦ .

أقول : هذا استدلال ضعيف مبني على لفظ الأهل والأصحاب، ويجوز استعمالهما في معنى آخر من المعاني النسبية؛ كالمقارنة والمجاورة والاستحقاق وغير ذلك .

ولا نسلم أيضاً أن مفارقة الموطن أشد العذاب، إلّا أن يراد به الموطن الطبيعي، وإثبات ذلك مشكل .

والأولى في الاستدلال على هذا المطلب، أن يستدل بقوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ...﴾**[1]، فإن المخلوق الذي غاية وجوده، أن يدخل في جهنم بحسب الوضع الإلهي، والقضاء الرباني، لا بد أن يكون ذلك الدخول موافقاً لطبعه، وكمالاً لوجوده، إذ الغايات كما مر كمالات الموجودات، وكمال الشيء الموافق له لا يكون عذاباً في حقه، وإنما يكون عذاباً في حق غيره، ممن خلق للدرجات العالية»[2] .

[تضعيف الشارح تتمثّل استدلال المصنف تتمثّل وابن عربي، و أن مفارقة موطن النور خاصة عذاب شديد، ومعنى كلمة الذاتي والعرضي في كلامه]

قلت : واستدلال صاحب الفتوحات ضعيف، كاستضعاف المصنف له، فإن مفارقة مواطن النور خاصة عذاب شديد، لا الموطن الطبيعي مطلقاً، لأن الطبيعي منه نور، ومنه ظلمة، فكل منهما ذاتي له، وهو ما به هو هو لذاته، وعارض وهو بخلافه .

ونريد بالذاتي ما خلق منه أو به، ومعنى ما خلق منه النور، ومعنى ما خلق به الظلمة .

أما الموطن العارضي، فلا يتعذب بمفارقته غالباً .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٧٩ .

(٢) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٢، فصل : ٢٨ .

وأما الذاتي فالذي خلق منه يتعذب بمفارقته أشد العذاب .

وأما الذي خلق به فلا يتعذب بمفارقته، بل يتنعم بمفارقته أشد التنعم .

ومرادنا بما خلق به أن لطف اللطيف، وكرم الكريم، ورحمة الرحيم، جرت في إيجاده عباده على ما يصلون به إلى كمال التنعم والراحة، كما قال تعالى : **﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**(١) .

ولما خلقهم على حسب قوابلهم، لئلا تكون لهم الحجة عليه، فمن قبل فضل سيده تعالى، بإمتثال أوامره، واجتناب نواهيه، خلقه مما أراده واختاره له، ومن ترك أوامره، وارتكب نواهيه، خلقه بعمله، كما قال تعالى : **﴿بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾**(٢) .

وليس الطبع منه تعالى بسبب كفرهم، بل الطبع منهم، أي : خلق الطبع على قلوبهم من كفرهم، فالمادة من الله، والصورة منهم، والخالق هو الله تعالى؛ لأنه يخلق مقتضى كل مائل إلى شيء باختياره، فتمت كلمته، وبلغت حجته، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾**(٣) .

ولم يرض لعباده أن يخلقهم بأعمالهم المخالفة لمحبته، فإذا خلقه هكذا، كان موطنه الذاتي الطبيعي ما يخالف محبة الله ورضاه، فهو جهنمي، مبدؤه من غضب الله، وإليه يعود، فلو فرض مفارقة هذا الموطن، لم يكن له موطن يأوي إليه، ويصاغ منه إلّا محبة الله، ورحمته ورضاه، فكيف تجد من فارق سخط الله ولعنة الله، إلى رضى الله وقربه .

وأصل إرادة الله لإيجاده أن يصبغه في رحمته، فلم يقبل هذا الصبغ فصبغه في عدم قبوله بصبغ الرحمة في غضبه، ثم فرض تحول هذا الصبغ صبغ رحمة ورضاه،

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٥ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٥٥ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٤٦ .

هل يتعذب بمفارقة ذلك الموطن الملعون المسخوط، بموطن الرحمة والرضوان، فإذا ظهر لك أنه يتنعم بهذه المفارقة بما لا نعيم وراءه، كيف يظهر لك أنه إذا بقي في ذلك الموطن الملعون يتنعم، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١]، فأين تذهبون عن الطريق الواضح، والحق اللائح، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۞ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾[٢] .

[قول المصنف قدس سره : وقال في الفتوحات : فعمرت الداران أي ...إلخ]

يقول : «وقال في الفتوحات : فعمرت الداران؛ أي : دار النعيم، ودار الجحيم، وسبقت الرحمة الغضب، ووسعت كل شيء حتى جهنم ومن فيها، والله أرحم الراحمين»[٣] .

[ما الذي وسعته الرحمة عند الشارح قدس سره]

قلت : الرحمة وسعت نصف جهنم الأخير، ونصف أحوال من فيها الأخير، وأما أوائلها فلم تسعها الرحمة، ولهذا عذبوا في الأول، أو أنهم حين دخلوا جهنم ليسوا أشياء، فلما كانوا أشياء وسعتهم، أو لأنها في الأول ولم تسبق الغضب، لكن الأمر ليس كما فهموا، لأن الرحمة الواسعة قسمان؛ قسم فضل؛ وهو النعيم المقيم للمؤمنين في الجنة، وهو المسمى بالرحمة المكتوبة في قوله تعالى : ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٤]، وهي صفة الرحيم .

وقسم عدل، وبه كان العذاب الأليم على أصحاب الجحيم .

---

(١) سورة القلم، الآية : ٣٥ .

(٢) سورة التكوير، الآيتان : ٢٧-٢٨ .

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٢، فصل : ٢٨ .

(٤) سورة الأعراف، الآية : ١٥٦ .

[قول المصنف ﷺ : وقد وجدنا في نفوسنا ممن جبل على الرحمة بحيث لو مكنه الله في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالم ...إلخ]

يقول : «وقد وجدنا في نفوسنا، ممن جبل على الرحمة، بحيث لو مكنه الله في خلقه لأزال صفة العذاب عن العالم، والله قد أعطاه هذه الصفة، ومعطي الكمال أحق به، وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي، ونحن عباد مخلوقون، أصحاب أهواء، وأصحاب أغراض .

ولا شك أنه أرحم بخلقه منا، وقد قال عن نفسه أنه أرحم الراحمين، ولا شك أنه أرحم بخلقه منا، ونحن عرفنا من نفوسنا هذه المتابعة»(١)، انتهى كلامه .

[هل صحيح ما قاله المصنف ﷺ : بأن وجدنا أنفسنا ممن جبل على الرحمة؟، وهل يمكن لأحد أن يخرب العالم]

قلت : لا تدعي هذا الوجدان، فقد وجدنا أمثالك لو تمكن أخرب العالم كله، فكيف تدعي هذا وهو خلاف ما فعل الله ﷻ، حيث يقول : **﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**(٢)، وهو تعالى يقول : **﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾**(٣)، فلا أدري هل أنه تعالى ما تمكن وإلّا لأزال صفة العذاب عن العالم .

وقوله : «وصاحب هذه الصفة أنا وأمثالي» .

أقول : **﴿وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأسْمَعَهُمْ﴾**(٤)، لو مكنه الله أفسد العالم، وذلك كما قال أمير المؤمنين : (**إن المؤمن يرى يقينه في عمله، والكافر يرى**

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٢، فصل : ٢٨ .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٢٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٤ .

(٤) سورة الأنفال، الآية : ٢٣ .

إنكاره في عمله، ...إلخ)[١]، فهذا هو ابتلاه ببعض العلوم، والمعرفة الصوفية[٢]، فأفسد الاعتقادات، وأمات الدين حتى قلب الشريعة ظهراً لبطن، وقال بالمناكير، حتى قال: بإيمان فرعون، وأنه مات طاهراً، ليس عليه ذنب، وأن الإجماع من المسلمين كلهم، قد قام وتحقق على كفر فرعون، وأن الله رضي بفعل السامري للعجل؛ لأنه تعالى أحب أن يعبد في كل صورة، وما أشبه ذلك من المناكير المخالفة للمسلمين.

[قول المصنف ﵀: ولك أن تقول: وقد قام الدليل العقلي على أن الباري سبحانه لا تنفعه الطاعات ...إلخ]

يقول: «ولك أن تقول: وقد قام الدليل العقلي على أن الباري سبحانه لا تنفعه الطاعات، ولا تضره المخالفات، وإن كل شيء جار بقضائه وقدره، وإن الخلق مجبورون في اختيارهم، فكيف يسرمد العذاب عليهم.

وجاء في الحديث: **(وآخر من يشفع هو أرحم الراحمين)**.

فالآيات الواردة في حقهم بالتعذيب، كلها حق وصدق، وكلام أهل المكاشفة لا ينافيها؛ لأن كون الشيء عذاباً من وجه، لا ينافي كونها رحمة من وجه آخر، فسبحان من اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته، واشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته لهم في الآخرة»[٣].

[هل أن الله تعالى تنفعه الطاعات وتضره المعاصي؟، وهل أن الله أجبر العباد على فعل شيء؟]

قلت: هو سبحانه الغني الحميد، لا تنفعه الطاعات، ولا تضره المعاصي، ولا

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج٩، ص٣٥٣، فصل: ٢٨.

نقول : أنه تعالى يتشفى بالانتقام من عصاه -تعالى عن ذلك علواً كبيراً- .

لكنه تعالى لما كان أجرى أفعاله على أنه يعطي كل ذي حق حقه، لزم من ذلك في الحكمة أنه يثيب بفضله، ويعاقب بعدله .

وأما إن كل شيء جار بقضائه وقدره مما لا نشك فيه، ولا ينفعهم فيما يذهبون إليه شيئاً .

[توهم الخواجة نصير الدين الطوسي في أنه لم يجد إلّا الفعل أو الترك]

وأما إن الخلق مجبورون في اختيارهم فلا معنى له، ولكن الخواجة نصير الدين[١] توهم هذا الخيال، حيث لم يجد إلّا الفعل والترك، وتبعه كثير، وهو خطأ، بل الخلق مختارون، إن شاؤا فعلوا، وإن شاؤا تركوا .

ولو كان الأمر كما توهموا، لكان الخلق مجبورين في الفعل والترك، وإن اختاروا الفعل الجأوا إليه، وإن اختاروا الترك الجأوا إليه، لم يكونوا في كل من الحالين مختارين، وكيف ينقطع التألم عنهم مع استمرار موجبه، وهو العزم على المعصية، و(**نية الكافر شر من عمله**)[٢]، ولذلك كذبهم الله حين قالوا : **﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٣]، قال تعالى : **﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**[٤] .

وما رووا في حديثهم أنه تعالى : (**آخر من يشفع**)، لا يفيدهم شيئاً، وكلامهم ينافي آيات التعذيب، وكيف لا ينافي وهو تعالى يقول : **﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ﴾**[٥]، لأنهم عند أول دخولهم النار تألموا، لأنهم

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٤٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) عوالي اللآلي، ج١، ص٤٠٦، ح٦٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٢٧ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ٢٨ .

(٥) سورة النساء، الآية : ٥٦ .

طريين لم يألفوا بالنار، و لم يأنسوا بها، فإذا احترقت جلودهم عـــادت طريـــة لم يألف بالنار، و لم يأنس بها، وهكذا في كل وقت .

وأقول : إن ذقت معنى كلامي هذا، وفهمت مرادي، أغناك عن كل دليل في هذه المسألة .

وقوله : «فسبحان من اتسعت رحمته، ...إلخ» .

جوابه : سبحان من غطى بصائرهم بأعمالهم، ووكلهم إلى أنفسهم حـــتى كانوا لا يختارون إلّا روايات القوم، ويزيدون فيها، فإن قوله : «لهم في الآخرة» ليس من الحديث، بل من جراب النورة .

وبالجملة؛ كلامهم طويل عريض، إلّا أنه يرجع على نوع ما سمعـــت، ولا فائدة في ذكر غير ما ذكرنا من كلامهم؛ لأنه مثل ما ذكرنـــا، وجوابنـــا عـــن المذكور جواب لغيره يقيناً فيما ذكره في هذه الرسالة هنا، وهو الذي لاح لـــه، وهو حق لا شبهة فيه، و لم يذكره في غير هذا .

وأما تعليله ذلك بأنه إنما كان فيه التألم، وعدم الراحة، بل فيـــه العـــذاب الدائم، والمحن المستمرة، الغير المتناهية، لأن منـــزلته من ذلك العالم منـــزلة عالم الكون والفساد، ومن هذا العالم، فهو مبني على ما يذهب إليه؛ من أن الجنة ثابتة لا يجوز عليها التغيير ولا التّغير، وقد ذكره سابقاً، وذكرنا عليه هناك أن الآخرة بكل ما فيها من جنة ونار حادثة، والحوادث مجردها وماديها متغيرة، وإن كـــان تغير كل ما بحسبه، كما ترى في الدنيا، فإن المدر يتغير، والحديد يتغير، إلّا أن تغير المدر أسرع من تغير الحديد خصوصاً الجنة وما فيها، فتغيرها من الضعف، والخلق محركاً إلى الشدة والجدة .

والنار كل ما طال المدى على أهلها، ضعف قواهم، وقويت بلاياهم بـــلا نهاية في الدارين .

[القاعدة السادسة عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في كيفية تجسم الأعمال وتصور النيات يوم القيامة]

قال : «قاعدة في كيفية تجسم الأعمال، وتصور النيات يوم القيامة، والإشارة إلى مادة صورها .

اعلم أن لكل صورة خارجية، ظهوراً خاصاً في موطن النفس، ولكل صورة نفسانية، وملكة راسخة، وجوداً في الخارج، ألا ترى أن صورة الجسم الرطب، إذا أثرت في مادة جسمانية قابلة للرطوبة، قبلتها فصارت رطباً مثله، سهل القبول للإشكال، فإذا أثرت في مادة أخرى، كمادة القوة الحسية، أو الخيالية، وانفعلت عن الرطوبة، لم تقبل هذا الأثر، ولم يصر رطباً مثله، مع أنها قبلت ماهيته الرطوبة، لكن بصورة أخرى، ومثال آخر، وكذا قبلت القوة العاقلة الإنسانية منها، صورة أخرى، ونحو آخر من الوجود والظهور، مع أن الماهية واحدة، هي صورة مادة الرطوبة والرطب، فللماهية الواحدة صور ثلاثة في مواطن ثلاثة، لكل منها وجود خاص، وظهور معين، فانظر في تفاوت حكم هذه النشئات الثلاثة في ماهية واحدة، وقس عليه تفاوت النشئات في أنحاء الظهورات والوجودات، في كل معنى، وماهية عينية، فلا تتعجب من كون الغضب؛ وهو كيفية نفسانية، إذ وجدت في الخارج، صارت ناراً محرقة، وأن العلم؛ وهو كيفية نفسانية، إذا وجدت في الخارج، صارت عيناً تسمى سلسبيلاً .

وأن المأكول من مال اليتيم، ينقلب في موطن الآخرة [في] بطون آكليه ناراً يصلونها يوم الدين، ولا أيضاً من صيرورة حب الدنيا؛ وهي شهواتها، وهي أغراض النفسانية هيهنا حيات، وعقارب تلسع، وتلدغ بصاحبها يوم القيامة، وهذا القدر كاف للمستبصر؛ لأن يؤمن بجميع ما وعده الشارع، وأوعد عليه، وكل من له قوة تحدس في العلم، يجب عليه أن يتأمل في الصفات النفسانية،

وكيفية منشأيتها للآثار، والأفعال الخارجية، ويجعل ذلك ذريعة لمعرفة استيجاب بعض الأخلاق والملكات، لآثار مخصوصة في القيامة»[١] .

[أن المعاني التي تبرز والهيئات التي تظهر لها صورتان]

أقول : إن المعاني التي تبرز، والهيئات التي تظهر، لها صورتان؛ **إحديهما** : ما كانت من المعاني .

والثانية : ما كانت من الأعراض .

فالأولى : ما أشار إليه بالبيان في قوله : «أن لكل صورة خارجية ظهوراً خاصاً في موطن النفس»، كما لو مدحت شخصاً أو شتمته، فإن هذا المدح أو الشتم له تأثير في النفس، وأنت وجهته إليه في لباسه اللفظي، وكذلك ما تعمله له مما يحب أو يكره، فإنه يظهر بوجوده الملكوتي أو البرزخي، فيؤثر في النفس أو المتخيلة، ما تقتضيه من التأثيرات؛ كالتهيج والتسكين، والقوة والضعف، والانبساط والانقباض، والشجاعة والجبن، والكرم والبخل، والحياء والخلع، وما أشبه ذلك .

وكذلك لكل صورة نفسانية؛ يعني معنى نفسانياً، ولكل ملكة راسخة قيد الملكة، مع أن الملكة لا تكون إلّا راسخة؛ لأن الطاوي إذا لم يرسخ ولم يثبت يسمى حالاً، وإذا رسخ وثبت يسمى ملكة، لبيان ما هو الواقع .

[معنى الملكة وهل لكل ملكة وجوداً في الخارج تظهر به؟]

والحاصل لكل ملكة وجود في الخارج تظهر به، أما الصورة الخارجية التي قلنا لها تأثير ملكوتي وبرزخي، فمنها ما يكون ذلك التأثير رجوعاً لها إلى مبادئها ومشابهة لمبادئها، إذا تمت في استعدادها، وهذا إذا كانت الصورة راجعة إلى موطن نفس صاحبها، ومنها ما تكون راجعة إلى غير موطن نفس صاحبها، كان ظهورها بتأثير يشابه صفتها من صاحبها، وهذه الصفة قد تكون ذاتية، وقد

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٥ .

تكون استعمالية صناعية، فإن كان ظهورها رجوعها إلى موطنها من النفس، كان استكمالاً لها برجوعها، وإن كان رجوعها إلى غير موطنها، كان وجوداً بآثارها.

وأما الصورة النفسانية، والملكة الراسخة، وجودها في الخارج، بحيث يكون مدركة بالحواس الظاهرة، بل كل ما هو من عالم الغيب، فوجوده في عالم الشهادة، وقد تكون تنزله إلى عالم الشهادة وجوده، كما يظهر جبرائيل في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وكما ظهر الملك المستحفظ لاقرارات المؤمنين بالولاية في التكليف الأول في الذر، في صورة الحجر، وهو الآن الحجر الأسود في الكعبة المشرفة، في الركن العراقي .

وقد يكون بصعود المدركين له إلى رتبه من الملكوت، فيشاهدونه بحواسهم، لاجتماعهم معه في مشهد واحد على الاعتبارين .

وعلى الظاهر في الدنيا الأغلب يكون الظهور بنزول الغيب إلى الشهادة، فيشاهدونه في رتبتهم، وقد يكون بصعود الشاهد إلى الغائب، والأغلب في الصاعدين الصعود النفسي، وقد يقع في الدنيا الجسمي كما في الآخرة؛ مثل معراج النبي صلى الله عليه وآله .

وأما في الآخرة فبالترقي يقيناً في كلام المصنف في تنظيره، وبيانه يقول : ألا ترى إلى الرطوبة في تصور تأثيرها، فإن صورة الجسم الرطب كالماء، وكالطين اللبن الذائب، إذا أثرت رطوبته في مادة جسمانية قابلة للرطوبة؛ مثل اللبنة المعمولة من الطين، و لم تحرق كالأجر، بل هي مدرة، قبلت الرطوبة فصارت رطبة؛ مثل الماء، ومثل الطين في الرطوبة، لأنها في رتبتها، وانفعلت بها، كما انفعل التراب بها، حتى صار طيناً، فاللبنة صارت طيناً، أو كالطين سهل القبول للأشكال، فهذه نشأة من النشئات .

وإذا أثرت الرطوبة في مادة أخرى، كمادة القوة الحسية، التي هي عنده من عالم الملكوت، والخيالية التي هي من عالم البرزخ، لم تكن مع الرطوبة من صقع واحد، وانفعلت عن تلك الرطوبة، ولكن ليس كانفعال التراب، فلم تقبل ذلك

الأثر الجسماني، و لم يصر رطباً مثل رطوبة الطين، لكن بصورة أخرى، بأن تكون ضعيفة الشعور والإحساس، فلها صورة غير صورة رطوبة الطين، ومثال آخر .

وإذا أثرت الرطوبة المائية في القوة العاقلة الإنسانية، وقبلت منها قبولاً ليس على نحو قبول الأولين، بل تكون قريبة القوس قوية الشعور والإدراك، وهو نحو آخر من الوجود والظهور، مع الماهية المؤثرة، مع أن الماهية الواحدة، وهي رطوبة الماء، فقد ظهر للماهية الواحدة صور ثلاث في مواطن ثلاثة، لكل واحد من هذه المواطن صورة من الرطوبة غير صورة الآخر، بل للرطوبة الواحدة في كل موطن وجود خاص، وظهور معين، فانظر في حكم تفاوت هذه النشئات في أنحاء الظهورات في قوابلها، والوجودات في مواطنها، وهذا حكم مراتب الوجودات، وقس عليه هذه الأعمال الصادرة من المكلفين، بالنسبة إلى أوقات وجودات الأعمال التي نعمله فيه .

ثم فرع على بيانه، فلا تتعجب من كون الغضب وهو كيفية نفسانية، إذا وجدت في الخارج؛ أي : في كونها محسوسة، صارت ناراً، كما صارت الرطوبة المائية في القوة العاقلة الإنسانية غباوة وبلادة، وأن العلم؛ وهو كيفية نفسانية، لأنه عرض من جملة الأعراض، إذا وجد في الخارج المدرك بالحواس، صار عيناً تسمى سلسبيلاً .

[حوض النبي صلى الله عليه وآله الذي في الدنيا]

أقول : ويؤيد هذا ما رواه أبو الطفيل؛ عامر بن واثلة، قال : قلت : يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ .

فقال : **(بل في الدنيا** .

قلت : فمن الذائد عليه؟ .

قال : أنا بيدي فليردنه أوليائي، وليصرفن عنه أعدائي)[1] .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١٧) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

وفي رواية : **(ولأوردنه أوليائي، ولأصرفن عنه أعدائي، ...إلخ)**[1]، وكذلك حال المأكول من مال اليتيم ظلماً، ينقلب في موطن الآخرة؛ أي : يوم القيامة الكبرى في رتبة الآخرة، في بطون الذين يأكلونه على غير وجه شرعي، ناراً محرقة، وهو بنفسه يكون في بطن من أكله ظلماً، ناراً يصلاها يوم الدين .

[أن حب الدنيا عرض نفسانية في الدنيا]

ولا أيضاً أي : ولا تعجب أيضاً من صيرورة حب الدنيا، وهي شهواتها ولذاتها الفانية، مع أن حب الدنيا عرض نفسانية في الدنيا، ولكنك إذا وجدتها يوم القيامة وجدتها بعينها حيات وعقارب؛ لأن هذه الأعراض المذكورة، لها هيئات نفسانية على صور الحيات والعقارب، فإن الشهوة التي لا يكون مآل أمرها إلى الله على هيئة العقرب، وذاتها هيئة نفسانية، تدب إلى صاحب تلك النفوس، وتلدغه وتخدر عضوه الملدوغ، وهو باعث العقل إلى الطاعة، فتضعف تلك العزيمة عن الطاعة، فإذا كشف له المستور عنه، وجدها عقرباً من عمله تلدغ، وكذلك الحيات، ويقول : «وهذا القدر من التمثيل والبيان كاف للتفهيم للمستبصر»، إذا تفكر فيما خلق الله تعالى، وفيما ضرب في خلقه من الأمثال، ليتوصل به، ويهتدي به إلى الإيمان بجميع ما وعد به الشارع من أنواع الثواب، وأوعد عليه من أليم العقاب، فإن كل من له قوة حدس وفكر، استنباط للآيات في الأنفس والآفاق، ينبغي له أن يتدبر في الصفات النفسانية، والأوضاع الآفاقية .

وكيفية منشأية النفسانية للآثار والأفعال الخارجية، أي : كيف تنشأ منها الآثار، وعلى أي نحو تكون، وكيفية انتزاع الاستدلال من الأوضاع الآفاقية، كيف ينتزع، وكيف يستدل بها، فإذا عرف المنشأ النفساني، والانتزاع الآفاقي، والتطبيق الاستدلالي، وجعل ذلك ذريعة ووصلة إلى معرفة ما توجبه بعض الأخلاق، والآيات من الآثار المخصوصة، من حقائق الثواب والعقاب، البارزة من

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١٧) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

أستارها يوم الحساب، وهذا هو نمط تجسم الأعمال عند المصنف، وعند من قال بمقالته، وستسمع ما نذكره في بيان تجسم الأعمال، والمصنف ضرب لما يدعيه مثالاً .

[قول المصنف تَتِّئُ : بأن مثال ذلك أن شدة الغضب في رجل تورث ثوران دمه ...إلخ]

قال : «مثال ذلك؛ أن شدة الغضب في رجل تورث ثوران دمه، واحمرار وجهه، وانتفاخ بشرته .

والغضب حالة نفسانية، موجودة في عالم باطنه، وهذه الآثار من صفات الأجسام المادية، وقد صارت نتائج في هذه النشأة، فلا عجب من أن يلزمه في نشأة أخرى، أن تنقلب ناراً محضة محرقة للقلب، مقطعة للأمعاء، موقدة تطلع على الأفئدة، كما يلزمه هيهنا إذا اشتد تسخن البدن، وضربان العروق والأوداج، واضطراب الأعضاء، واحتراق المواد والأخلاط، وربما يؤدي إلى المرض الشديد، بل إلى الهلاك من الغيظ، فهكذا جميع الصور الجسمية، الموجودة في عالم الآخرة، حاصلة من ملكات النفوس، وأخلاقها الحسنة والقبيحة، واعتقاداتها ونياتها الصحيحة والفاسدة، الراسخة فيها، من تكرار الأعمال والأفعال في الدنيا، فصارت الأعمال مبادئ للأخلاق في الدنيا، فتصير النفوس بهيئاتها مبادئ الأجسام في الآخرة»[1] .

[هل صحيح أن الصفات النفسانية منشأ للآثار الخارجية؟]

أقول : يريد أن كون الصفات النفسانية، منشأ اللآثار الخارجية، دليل على أن بعض الأخلاق التي تطبع عليها، والملكات التي استقرت في جبلة من الأعمال، حتى كانت طبيعة له، موجبة لإيجاد آثار مخصوصة، ناشئة عنها .

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٧ .

ومثال تلك الصفات النفسانية، التي تنشأ عنها الآثار الخارجية المحسوسة، التي يستدل بها على صحة أن تكون النفس منشأ ومبدء الأجسام، تحدثها في الآخرة، أن الغضب حالة نفسانية ملكوتية، إذا اشتدت في نفس شخص أثارت وهيجت ثوران دمه، واحمرار وجهه، وانتفاخ بشرته، وعروق جبهته، وهي حالة معنوية، لم تكن من عالم شهادته، وإنما هي موجودة في عالم باطنه، وتأثيرها أيضاً باطني، وأثرها حسي من صفات الأجسام المادية، وقد صارت الحالات النفسانية التي هي من نشأة عالم الغيب، نتائج الحسنة في هذه النشأة التي هي نشأة من عالم الشهادة، فلا عجب من أن يلزمه؛ أي : يلزم الغضب في نشأة أخرى فوق نشأة أخرى أن تنقلب ناراً محضة، كما لزمه تحت نشأته أن تنقلب صفات جسمانية مادية، لزمه فوق نشأته أن تنقلب ناراً محضة، محرقة للقلوب، مقطعة للأمعاء، حاطمة للعظام، موقدة تطلع على الأفئدة، ألا ترى أنه إذا اشتد واستحكم لزمت منه آثار هيهنا، يظهر عنها تسخين البدن، وضربان العروق والأوداج، واضطراب الأعضاء واختلاجاتها، واحتراق المواد والأخلاط، وربما تؤدي إلى المرض الشديد، وربما توصل إلى الهلاك من شدة الغيظ .

والدليل على أن هذه الآثار من نفحات النار، قول النبي صلى الله عليه وآله : (**الحمى رائد الموت، وحرها من فيح جهنم، وهي حظ كل مؤمن ومؤمنة من النار، ...إلخ**)[1] .

[مراد المصنف قدس سره من جميع الصور الجسمية والمجسمة الموجودة في عالم الآخرة]

وقوله : «فهكذا جميع الصور الجسمية، الموجودة في عالم الآخرة»، يعني أن جميع ما في الآخرة من النعيم، والحور والقصور، والمآكل والمشارب، والأشجار والثمار والأطيار، هي تلك الأحوال الطيبة، والملكات الزاكية، تظهر بصور هناك،

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١١) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

ظاهرة مشاهدة، كما ظهرت آثار الرضا والغضب، والفرح والحزن في البدن محسوسة، وأصلها معقول ومتخيل، وكذلك أحوال العقاب والعذاب الأليم، فإنها هي الأحوال الخبيثة، والملكات السيئة، فإنها تظهر بصور هناك، ظاهرة مشاهدة، ومبادئها الغضب والشهوة، والأعمال السيئة، والأخلاق القبيحة، من ترك الصلاة والزنا، والأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف، كما ظهرت الجنة وما فيها من النعيم، ومن الأعمال الصالحة؛ كالصلاة والزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما أشبه ذلك .

فالأعمال الصالحة والطالحة، يتجسم إذا برزت من مبادئها الغير المجسمة، الموجودة على نحو ما مثلنا، وذلك في الآخرة .

وقوله : «وهكذا جميع الصور المجسمة الموجودة في عالم الآخرة»، حاصلة من ملكات النفوس، وأخلاقها الحسنة والقبيحة، وهو معنى قولنا : فإنها تظهر بصور هناك ظاهراً، ...إلخ، ولذا قال : «فصارت الأعمال ...إلخ»، وقد تقدم ما يرد على بعض كلامه؛ مثل قوله : «أن الجنة وجميع ما فيها من القصور والولدان والحور، من نوع النيات والأعمال، وأن وجوداتها من وجود النفس الآدمية؛ لأنها في نفس الأمر صفات النفس وملكاتها .

ومما يرد عليه أن الجنة خلقت من الإنسان، وإليه تعود، والأمر على العكس.

[قول المصنف ﷺ : بأن مادة تكون الأجسام وتجسم الأعمال وتصور النيات في الآخرة فليست إلّا النفس الإنسانية ...إلخ]

قال : «وأما مادة تكون الأجسام، وتجسم الأعمال، وتصور النيات في الآخرة، فليست إلّا النفس الإنسانية، وكما أن الهيولى هيهنا مادة تكون الأجسام والصور المقدارية، وهي لا مقدار لها في ذاتها، فكذلك النفس الآدمية، مادة تكون الموجودات المقدرة المصورة الأخروية، وهي في ذاتها أمر روحاني لا مقدار لها»[1].

(١) كتاب العرشية، ص٩٧ .

[الثواب والعقاب هل هما جزاء على الأعمال مغايران لهما أم هما الأعمال الحسنة والسيئة؟]

أقول : ذكر أولاً كيفية تجسم الأعمال وتمثيله، وهنا ذكر المادة التي تتكون منها الأعمال عند تجسمها .

واعلم أن الناس الذين قالوا : بالمعاد والثواب والعقاب، اختلفوا في الثواب والعقاب، هل هما جزاء على الأعمال، مغايران لهما؟، أم هما الأعمال الحسنة والسيئة؟، فالذين جعلوهما جزاء على الأعمال اختلفوا، فذهب الشيخ المفيد(١) وجماعة إلى أن الأعمال أعراض ومعاني، فلا يعقل تجسمها ولا وزنها .

والمراد من الموازين؛ التعديل بين الأعمال، والجزاء عليها، ووضع كل جزاء في موضعه، وإيصال كل حق إلى مستحقه، فلا ميزان ولا وزن على الحقيقة، بل هو محمول على المجاز .

وقال آخرون : أن الأعمال لا تتجسم؛ لأنها أعراض ومعاني، نعم يخلق الله تعالى بإزاء الأعمال، وتناسبها صوراً حسنة أو قبيحة، وتكون هي الموزونة في الميزان الحقيقي، وهي الصور التي تكون مع الإنسان في عالم البرزخ .

وقالت طائفة : إلى أن الموزون هي صحائف الأعمال لا نفسها، بناء منهم على أن كتابة الأعمال في صحائفها، مثل كتابتنا لما نكتبه في دفاترنا .

وبعض الروايات تشير إلى أن الموزون هي الصحائف، مثل ما روي عنه ﷺ: **(أنه يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان، ويؤتى له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فتوضع في كفة الميزان، ثم يخرج له قرطاس كالأنملة، فيها شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله، فيوضع في الأخير، فيرجح)**(٢) .

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٣٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) راجع جامع البيان، ج٨، ص١٦٤، باختلاف يسير .

والمصنف يرى الوزن للصحائف .

وقيل : ويمكن أن يجمع بين الأخبار الدالة على هذه الأقوال المختلفة؛ بحمل ما ورد من أن الميزان ليس هو ذا كفتين، وإنما هو مجاز عن العدل في الجزاء على ميزان أعمال الأنبياء، وميزان أعمال من بينهم من أهل الطاعات والمعرفة، لأنهم لا يتهمون ربهم فيما قضى عليهم بأعمالهم .

وحمل ما ورد من أن الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان، لسانه بيد جبرائيل عليه السلام، يزن فيه الأعمال على ميزان أعمال سائر الخلق، لينظروا إلى أعمالهم كيف توزن بالموازين، فلا يتهمونه تعالى .

ومن قال : أن الثواب والعقاب هما عين أعمال المكلفين، منهم من قال : أن جعل الأعراض ذوات شيء ممكن مقدور لله عز وجل، فيجعلها أجساماً مناسبة لنوع ما انقلبت عنه من الأعراض، في الكم والكيف، والوقت والمكان، والرتبة والجهة والوضع، ويرون أن هذه الأمور هي التي عليه في نفس الأمر، و لم تجدد لها نشأة بحسب تجدد الأوقات، والأمكنة والرتب، وإنما هي هكذا في كل نشأة، فوجوداتها قائمة في كل نشأة بما هي عليه في تلك النشأة .

مثاله : أنت في بغداد تتصور مصر بصورة ملكوتية أو برزخية، وهي وجود مصر في رتبة النفوس، أو الخيالات، وإذا مضيت عليه وجدته ذاتاً محسوسة، وهذا وجوده في عالم الحس، فمصر موجود في كل رتبة من مراتب الوجود، من نوع وجودها، ووجود ما هو من مقامها .

وممن تنبه إلى هذا المعنى المحقق الدواني، في رسالة الذوراء، وقد ذكر في مفتحها، أنها من فيوض زيارة عتبة باب مدينة العلم، وابنه سيد الشهداء «عليهما من الصلاة أكملها، ومن التسليمات أجزلها» .

وحاصله مختصراً مع بعض التغيير، أن الحقيقة الواحدة تظهر في البصر بالصورة المعينة المنكشفة، بالعوارض المادية، ملازمة لوضع معين من قرب وبعد وغير ذلك، وهي بعينها تظهر في الحس المشترك، بصورة تشابهما من غير تلك

الشرائط، وهي في الحالين تقبل التكثر بحسب الأشخاص، كصورة زيد وبكر، ثم تظهر تلك الحقيقة في العقل، بحيث لا تقبل الكثرة، وتصير الأفراد المتكثـــرة في الصورة المبصرة والمتخيلة، متحدة في الصورة العقلية، فتظهر أن الصـــورة ولـــو كانت عقلية غير الحقيقة، بل الصور المختلفة لباس لتلك الحقيقة، واختلاف تلك الصور يكون لاختلاف المشاعر والمدارك، وتلك الحقيقة مع وحدها الذاتية، قـــد تظهر في صور متكثرة متخالفة الحكم، كصور الأشخاص، وقد تظهر في صورة واحدة، كالصورة العقلية .

ومحصل هذا أن الحقيقة مغايرة لجميع الصور التي تتخيل فيها على المشـــاعر الظاهرة والباطنة، الجسمانية والروحانية، وأن تلك الحقيقة من حيث ذاها، قابلة للظهور بصور مختلفة، وأن جميع الصور هي ها متساوية، وليس بعضها أولى من البعض، بل إنما تخصص تلك الصور بأحكام المواطن والمشاعر .

فالعلم مثلاً حقيقة واحدة، تظهر في مواطن اليقظة، بصورة عرضية، محتجبة عن الحس، مدركة بالعقل كلية، وبالوهم جزئية، وهي بعينها تظهر في مـــواطن الرؤيا، بصورة جوهرية؛ أعني صورة اللبن، وكما أن الظاهر على المدارك الباطنة في اليقظة حقيقة العلم، كذلك الظاهر على المشاعر في الرؤيا حقيقة العلم، إلّا أنه يتجلى في كل موطن بصورة تعينها لها ذلك الموطن .

ثم أن المحجوب المنغمس في أحكام الطبيعة، الذي لا يعرف الحقـــائق إلّـــا بصورها، ينكر الحقيقة عند تبدل الصورة، ولا يعرفها لتحولها في ملابسها، ولكن العارف لا يصير مغلوباً بأحكام خصوصيات المواطن، ولا يحجبها حكم مـــوطن عن أحكام المواطن الآخرة، بل يعرفها في سائر ملابسها، تظهر عليك من هـــذا أسرار غامضة من أحوال المعاد، وظهوره في الكثرات، فإن ذلك يحصل ويتقـــوم بالنفس ومراتبها .

وأسرار المعاد من ظهور الأعمال والأخلاق الظاهرة، في النشأة الدنيويـــة، بالصور الخاصة، وفي النشأة الأخروية، بالصورة التي تقتضيها أحكام تلك النشأة،

كما فصل في الشريعة، وتيسر عليك أيضاً مشاهدة الوحدة الحقيقية في التكثرات، من غير شوب ممازجة، ولتلتفت به إلى حقائق ما أنبأ عنه لسان النبوات، من ظهور الأخلاق والأعمال، في المواطن المعادية لصور الأجساد .

[كيفية وزن الأعمال وسر حشر الأعراض بصور الأخلاق العالية]

وكيفية وزن الأعمال، وسر حشر الأعراض بصور الأخلاق العالية، واطلعت على سر قوله تعالى : **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[١]، فإن الآية بظاهرها، تدل على إحاطة جهنم بالكافرين في زمان الحال، ولا حاجة إلى الصرف عن الظاهر، وأن الأخلاق الرذيلة، والعقائد الباطلة، هي محيطة بهم في هذه، هي بعينها جهنم التي ستظهر في الصورة الموعودة عليهم، كما أنذرهم الشارع، إلَّا أنهم لا يعرفون ذلك؛ لعدم ظهورها في هذه النشأة عليهم في تلك الصورة، وهم لفرط جهلهم بالحقائق، لا يعرفون الحقائق إلَّا بصورها .

وأما النفس المحيطة بالحقائق، وتنقلها بالصور بحسب المواطن، فتعرف حقيقة الأمر، وأيضاً تعرف من ذلك التحقيق قوله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾**[٢]، وقوله صلى الله عليه وآله : **(الذي يشرب في آنية الذهب والفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)**[٣]، فإن ظاهرها يدل على وقوع هذه الحال في الحال .

والجرجر بمعنى الصب .

وقوله صلى الله عليه وآله : **(إن الجنة... قيعاناً بيض، غراسها سبحان الله، والحمد لله)**[٤]، فإن هذا الحديث يدل على أن هذا القول بعينه غراسها، فيكون محمولاً

---

(١) سورة التوبة، الآية : ٤٩ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٠ .

(٣) عوالي اللآلي، ج٢، ص٢١٠، ح١٣٨ .

(٤) أمالي الصدوق، ص٣٦٤، ح٢، مجلس : ٦٩ . روضة الواعظين، ص٥٨ .

على الحقيقة لا على المجاز كما توهمه المتوهمون .

[كيف يكون العرض بعينه هو الجوهر؟، وكيف يكون المعنى واحداً، والحال أن الحقائق متخالفة بذواتها]

ثم قال : «لعلك تقول : كيف يكون العرض بعينه هو الجوهر؟، وكيف يكون المعنى واحداً، والحال أن الحقائق متخالفة بذواتها» .

فنقول : قد لوحنا عليك أن الحقيقة غير الصورة، فإنها في حد ذاتها، وصرافة سذاجتها، عارية عن جميع الصور التي تتجلى بها، لكنها تظهر في صورة تارة، وفي غيرها أخرى، والصورتان متغايرتان قطعاً، لكن الحقيقة المتجلية في الصورتين بحسب اختلاف الموطنين شيء واحد، وما أشبه ذلك بما يقوله أهل الحكمة النظرية : أن الجواهر باعتبار وجودها في الذهن، أعراض قائمة به، محتاجة إليه، ثم هي في الخارج قائمة بأنفسها، مستغنية عن غيرها، فإذا اعتقدت أن حقيقة تظهر في موطن بصورة عرضية محتاجة، وفي آخر بصورة مستقلة يكون، فاكسر به سورة بنو طبعك عنه، في بدء النظر حتى يأتيك اليقين، وتشرف على حقيقة قوله ﷺ : (**النوم أخ الموت**)[1] .

وقول صاحب سره، وباب مدينة علمه : (**الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا**)[2].

ثم قال : «أرأيت الحقيقة الواحدة، كيف ظهرت على القوة العاقلة، بصورة وحدانية، لطيفة مجردة، ثم ظهرت على الحواس بصور مخالفة كثيرة مادية، فكأنها نزلت مع النفس عن صرافة تجردها ووحدتها، إلى التكثر والتعدد، فإذا وصلت النفس إلى مرتبة الحواس، وصلت هي إلى غاية التكثر والتعدد، وإذا ترقت إلى

---

(١) تفسير الصافي، ج٣، ص٢٣٧، في تفسير معنى الآية : ٢١ من سورة الكهف . بحار الأنوار، ج٧٣، ص١٨٩، ح١٨، باب : ٤٣ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٨٩) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

مرتبة التجرد الصرف توحدت، والحقائق مع النفس صعود وهبوط، فهـي إذن موجودة في النفس لا في الخارج عنها، وهي تصاحبها في مواطنـها المختلفـة، وتنصبغ في كل موطن من مواطنها بأحكامها، من الوحدة والكثـرة، واللطافـة والكثافة، ومن ثم **أقول** : شأن العلم تكثر الواحد، وذلك في العلـم التفصـيلي المتحصل بما يلي الجهة السافلة من النفس، وكماله في المشاعر الظاهرة، وتوحيد الكثير، وذلك في العلم الحقيقي الإجمالي، المتقوم بما يلي الجهة العالية من النفس، وكماله في المدرك الشهودي، المعبر عنه بنور الولاية، وهو غاية المراتب، ويليه في الشرف مرتبة الذوق الفطري»، انتهى ما نقلته من نقل السيد نعمة الله الجزائري، في كتابه المسمى بمقامات النجاة .

[ذهاب المصنف تَتُّنُّ في ما ذهب إليه المحقق الدواني في معنى تجسم الأعمال ورد الشارح تَتُّنُّ عليه]

والمصنف ذهب إلى ما ذهب إليه الدواني في معنى تجسم الأعمال، إلّا أنه بنى تعريفه وبيانه ومادته، وغير ذلك على ما يراه، وهذا عنده هو حقيقـة تجسـم الأعمال الصالحة والسيئة ومعرفته .

وأقول : هذا طريق مشاهدة تجسمها، وأما أنها من أي شيء تتركب فـلا، نعم المصنف نص على أن مادة تكون الأعمال وتجسمها نفس العامل، وتصوره في الآخرة فليس إلّا النفس الإنسانية، ثم مثل لمدعاه تقوية لدليله، فقال :«وكما أن الهيولى هيهنا»، يعني في الدنيا مادة تكون الأجسام، والصورة المقدارية، وهو يعني الهيولى لا مقدار لها في ذاتها، فكذلك النفس الآدمية، مادة تكـون الموجـودات المقدرة المصورة الأخروية، وهي في ذاتها أمور روحانية لا مقدار لها .

أقول : وفي هذه الكلمات كلام يرد عليها من ذلك قوله : «فلـيس إلّـا النفس الإنسانية، فإنه يرد عليه أنه إن أراد أن مادة الثواب والعقاب، نفس جوهر النفس الآدمية، كانت مادة ثوابه من ذاته، وصورة ثوابه من عملـه، وكـذا في العقاب، كان الثواب والعقاب متولداً منه، وحينئذٍ فالمنعم والمؤلم للشيء جزئه، ثم

لا يخلو إما أن يكون عمل الجزء وتأثيره بمقتضي خارجي أولاً، والثاني : باطن؛ لأن الجزء ملائم لكله لذاته، ففي الثواب تسقط فائدة مشقة الطاعة، وهو باطن، وفي العقاب يكون ما به الملائمة به المنافرة بجهة واحدة، وهو باطل .

والأول إن فرض استقلال الخارجي بالأثر، دل على مغايرة الجزء، وإن لم يستقل لزم ما يلزم في الثاني، ومن ذلك قوله في تمثيل النفس للأعمال المجسمة، ومقايستها بالهيولى : «وكما أن الهيولى هيهنا مادة تكون الأجسام، ...إلخ»، فإنه يرد عليه أن الهيولى جسم، والجسم يكون مادة للأجسام، ولكن لا يكون مادة للصور المقدارية، وإن كانت تتقوم به، والنفوس ليست من الأجسام، وإنما هي جوهر مجرد، والجوهر المجرد لا يكون مادة للأجسام المادية .

وعندنا أيضاً لا تكون المادية مادة للجواهر المجردة، وإن كان المصنف يرى ذلك، وإن زعم أن الأجسام الأخروية مجردات كالنفوس؛ لأن الماديات كلها متغيرة متبدلة، كما ذكره فيما تقدم .

فعلى فرض تسليمه له نقول : هذا الذي وجد في الآخرة، منقلب عن الأعمال، أو عن نفوس العاملين، فإن كان عن الأعمال لم تكن نفوسهم مادة له، وقد ثبت أن الأعمال أعراض، والأعراض لا تكون موادها من ذوات معروضاها، وإن كان الانقلاب عن نفوس العاملين لم تكن الأعمال مجسمة؛ لأها ليست من نفوس العاملين، بل المجسم غيرها .

ولزم أيضاً ما ذكرنا؛ من كون الملائم منافراً، نعم إن أراد أها غير منقلبة عن شيء، وإنما تلك الصور التي تظهر غداً فيها، هي بعينها هذا الصور التي ظهرت بها في دار التكليف، من صلاة وزكاة، وصوم وحج، وتسبيح وهليل وغيرها، لأن الحقيقة واحدة، والتغيير ظاهر، إنما هو لأحكام المواطن، كما ذكره المحقق الدواني.

فإن المصنف إنما ذهب إليه في سائر كتبه، وهو ما نقله عنه، ولكنه مزجه بشيء من آرائه؛ بمعنى أنه ليس المراد بالتجسم إلّا ظهورها غداً بحكم ذلك

الموطن، و لم تتغير في كل موطن، فهو صحيح، إلَّا أن ذكره للمادة يدل على أنها تجسم غداً من النفس، ونحن حين ذكرنا مادتها، إنما هو لبيان أصلها، و لم ترد أنها تصاغ غداً، أو لم تصنع .

ونريد بمادتها ما تكونت منه في التكليف الأول، وفي الدنيا، وفي الآخـــرة، ويأتي مرادنا بالمادة والهيولى أيضاً، وإن لم يكن لها مقدار شخصي، إلَّـــا أن لهـــا مقداراً نوعياً، والأعمال المجسمة لها مقدار شخصي، ولكنه ليس من ذات الهيولى، وإن كان صورة انفعالها، إلَّا أن المقدار الشخصي مركب من حدود كما ذكرنا مراراً، مؤلفة من الكم والكيف، والوقت والمكان، والرتبة والجهة والوضع .

ولو قيل : بقولنا : من أن الهيولى الكلية مجردة، وأنها آخر المجردات، لا يلزم علينا صحة المقايسة التي ذكرها المصنف، فإنها مادة جسمانية، ولكنها قبل تعلق الصورة المثالية بها، وقبل التركيب لم تلحقها أعراض المراتب والأوقات، لأن هذا التغيير السريع، والتبدل والتحول من آثار الحدود السبعة المذكورة؛ أعني الكـــم والكيف، والوقت والمكان، والرتبة والجهة والوضع، فلذا سميناها مجردة؛ يعني عن المادة العنصرية، والمدة الزمانية، اللتين لا يتقومان إلَّا بتلك السبعة، وإلَّـــا فهـــي جسم، لأنها في الحقيقة هي المادة التي تعلقت بها الصورة قبل تعلقهـــا بهـــا، ولا كذلك النفس، مع ما سمعت من أصالة الجسم بالنسبة إلى الهيولى، لأنه هو هـــي قبل تعلق الصورة المثالية به، ومن عرضية الأعمال بالنسبة إلى النفس قبل التعلـــق وبعده .

وأما النفس الآدمية، فإنها صورة جوهرية، وإنما سمينا الصور بالمثال؛ لأن تلك الصور المثالية، صور مماثلة لصور النفوس؛ لأن النفوس صـــور جوهريـــة، ذات حدود وتخطيط، مثل الصور المحسوسة، لكنها صور جوهرية أصلية، وعالم المثال صور ذات حدود وتخطيط، مثل صور النفوس، إلَّا أن النفـــوس صـــور قائمـــة بنفسها، لأنها ذوات، والمثال صور غير قائمة بنفسها، لأنها أظلة للنفوس، فقوله : «وهي في ذاتها أمور روحانية لا مقدار لها»، غلط .

والحاصل إذا أردت التمثيل للأعمال المجسمة، فما ذكره المصنف لا بأس به، وأما إذا أردت أن تعرف مادة الثواب والعقاب وصورهما فاسمع، اعلم أنه قد ثبت باتفاق العقلاء، من الحكماء والعلماء، أن كل ممكن زوج تركيبي، إذ المخلوق لا بد له من اعتبار من جهة ربه، وهو مادته، وإن شئت قلت : وجوده، ومن اعتبار من جهة نفسه، وهو صورته، وإن شئت قلت : ماهية، وهذا حكم كل ما سوى الله تعالى من ذات أو صفة، جوهر أو عرض، عين أو معنى، والثواب والعقاب من الممكنات .

ولا بد أن يكون كل واحد منها مركباً من مادة وصورة، ولا بد أن تكون المادة موجودة قبل الصورة، والمادة من أمر الله ونهيه، والصورة عمل المكلف في الثواب بالموافقة، وفي العقاب بالمخالفة .

[المراد من أمر الله تعالى ونهيه ومادة الثواب والعقاب وصورهما]

والمراد بأمر الله ونهيه، اللفظيين الجاريين على المكلفين، الأمر الحامل لنور الله، المسمى بالأمر الفعلي؛ أعني مشيئة الله، وفعله الذي قام به كل شيء قيام صدور .

والحامل لنور الله، والمسمى بالأمر المفعولي؛ أعني الحقيقة المحمدية ﷺ، الذي قامت به الأشياء كلها قياماً ركنياً، وهذان الأمران منهما مدد كل شيء، فالأمر القولي إفاضة للأمر المددي، وامتثال المكلف للأمر هو قبوله للأمر الإمدادي، والأمر المددي، والاجتناب للنهي القولي نفي للمدد الخذلاني، ونفي للمانع، فالامتثال للأمر هو الموجب للمقتضي، والاجتناب للنهي هو الرافع للمانع، فإذا فعل العبد المكلف ما أمر به، خلق الله مادة الحورية مثلاً، أو القصر، أو الجنة، من فيض الأمر الذي هو لازم للأمر الذي امتثله المكلف وعمل به، كما أمره الله .

وخلق صورة تلك الحورية، والقصر أو الجنة، من عمل المكلف، ونفخ في ذلك الذي خلقه من روحه، فهذا حقيقة الثواب .

وأما العقاب فمادته من الأمر الفعلي العرضي، ومن الأمر المفعولي العرضي؛ أعني الغضب المسبوق بالرحمة، التي هي الأمر المفعولي الذاتي، وصورته من عمل المكلف، بارتكاب المناهي، واجتناب الأوامر، فالأعمال الحسنة صور الثواب، ومواد الثواب من تأييدات أمر الله، وأرواح أنواع الثواب من روح الله، كما أن مواد المطيعين من إشراقات النور الذي تنورت الأنوار منه، وصورهم من هيئات طاعاته .

والأعمال السيئة صور العقاب، ومواد العقاب من ظلمة البحر الأجاج، كما أن مواد العاصين من أظلة البحر الأجاج الذاتية، وصورهم من هيئات معاصيه، فافهم .

[قول المصنف تمُثُّ : بأن الفرق بين النفس والهيولى بأمور منها أن الهيولى وجودها بالقوة ...إلخ]

قال : «والفرق بين النفس والهيولى بأمور؛ منها أن الهيولى وجودها بالقوة من كل وجه لا تحصل لها في ذاتها الصور الجسمانية، بخلاف النفس فإنها كانت في ذاتها موجودة بالفعل، وجوداً جوهرياً حساساً، وكانت أولاً صورة هذا البدن العنصري، فصارت مادة أخروية، يتحد ضرباً من الاتحاد، فهي صورة الماديات الدنيوية، ومادة الصوريات الأخروية، المنفوخة فيها بإذن الله، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[1]، لاختلاف أنواعها في الآخرة»[2] .

[تعريف الهيولى وبيان تقيسم الشيء باصطلاح الحكماء]

أقول : قوله : «أن الهيولى وجودها بالقوة من كل وجه، لا تحصل لها في ذاتها الصور الجسمانية»، تبعاً لأقوام من العيون الكدرة، التي يفرغ بعضها في بعض، وهو خطأ؛ فإن الهيولى في الحقيقة هي الجنس لأنواعه، والنوع لأشخاصه .

---

(١) سورة النبأ، الآية : ١٠ .

(٢) كتاب العرشية، ص٩٧ .

وقولهم : أن الأجناس إنما تتقوم بالفصول، يريدون تقوم حصص أنواعه، كالخشب إنما تتقوم حصة السرير بالصورة، يعنون تميزها من حصة الباب، وتميزها من الخشب إنما هو بالصورة، ولا يريدون أن حصة السرير معدومة أصلاً، وقد صرح بهذا المعنى في كتابه الكبير، كتاب الأسفار، «وفي القاموس : الهيُّولى - مشددة الياء مضمومها- عن ابن القطاع القطن، وهيلاً : جبل أسود بمكة، والهيولى القطن وشبه الأوائل، طينة العالم به، أو هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف به أهل توحيد الله تعالى، أنه موجود بلا كيفية وكمية، ولم يقترن به شيء من مسميات الحدث، ثم حلت به الصنعة، واعترضت به الأعراض، فحدث به العالم» .

وهذا يشعر بأن الهيولى عندهم موجودة بالفعل بنفسها، والحكماء قسموا الشيء في اصطلاحهم، فقالوا : «إن الشيء باعتبار كونه جزءاً للمركب بالفعل، يسمى ركناً، وباعتبار ابتداء التركيب منه، يسمى عنصراً، وباعتبار انتهاء التحلل إليه، يسمى اسطقساً، وباعتبار كونه قابلاً للصور الغير المعينة، يسمى هيولى، وباعتبار كونه قبوله للصور المعينة، يسمى مادة، وباعتبار كون المركب مأخوذاً يسمى أصلاً، وباعتبار كونه محلاً للصور المعينة بالفعل، يسمى موضوعاً، وهو في الحقيقة شيء واحد، تعرض هذه الأسماء عند هذه الصفات» .

وعلى أي نحو فالهيولى موجودة، ووجودها بالفعل لا بالقوة، فيكون لها تحصل في نفسها لصور الجسمانية، وإن لم تكن صوراً شخصية، بل كانت صوراً جنسية ونوعية، فإنهما من الصور الجسمانية، ووجود الأجناس والأنواع في الخارج مما لا يكاد يخفى على أحد، وهو جار على ألسنة العوام، معروف عندهم من غير نكير، فإنهم يقولون : أن فلاناً التاجر أتى بأجناس وبأنواع كثيرة، ولا

يقال : أن كلام العوام لا يعتبر؛ لأن هذا استعمال أهل اللغة، العالمين بمدلولاتها التي وضع الواضع سبحانه أسماءها بإزائها، ولا شك أن الخشب قابل للصور الغير المعينة؛ كصورة السرير والباب وغيرهما، فهو لا شك هيولى لما يعمل منه، والنفس موجودة كالهيولى .

[بيان مبدأ النفس وكونها لطيفة لا تقبل إلّا صوراً لطيفة غيبية]

وقوله : «وكانت أولاً صورة هذا البدن العنصري»، ليست النفس مادة لهذا البدن العنصري لذاتها، وإن قلنا : أنه في الأصل من تنزلاتها، لأن تنزلاتها من آثارها، ومن أحوالها لا من ذاتها، لأن مبدأ النفس ليس من التراب، ومن الطبائع الجسمانية، بل الطبائع من آثارها، وقد نص أمير المؤمنين عليه السلام عليها بأن أصلها من التأييدات العقلية، وأين التأييدات العقلية، والتراب لمن تعقل الجواب .

والمصنف قال في النفس هنا : «بأنها كانت في ذاتها موجودة بالفعل، وجوداً جوهرياً حساساً»، فكيف كانت أولاً صورة هذا البدن العنصري، إذ يلزم من هذا أنها لم تكن في ذاتها موجودة بالفعل، وجوداً جوهرياً حساساً، بل القوة في ذاتها، ثم كانت بالفعل، وكما لم تكن صورة هذا البدن العنصري بذاتها، بل بآثار تنزلات آثارها، كذلك لم تكن بذاتها مادة الصوريات الأخروية، بل بوجودات آثار أفعالها .

وأما النفخ في وجودات آثار أفعالها بإذن الله تعالى من روحه فظاهر؛ لأن موادها من آثار أمر الله، الذي حمله إلى المكلف أمر الله القولي، وكذا في النهي كما مر .

وصورها المنفوخ فيها أعمال العاملين، وكونهم يأتون أفواجاً فلاختلاف أعمالهم .

[قول المصنف قدس سره : ومنها أن النفس مادة روحانية لطيفة لا تقبل إلّا أموراً لطيفة غيبية ...إلخ]

قال : «ومنها أن النفس مادة روحانية لطيفة، لا تقبل إلّا أموراً لطيفة غيبية،

لا تدرك بهذه الحواس، بل بحواس الآخرة، والهيولى مادة كثيفة، إنما تقبل الصور الكثيفة المقيدة بالجهات، والأوضاع المشوبة بالقوى والأعدام»[1] .

[هل صحيح أن كون النفس لطيفة لا تقبل إلّا أموراً لطيفة غيبية؟]

أقول : أما كون النفس لطيفة لا تقبل إلّا أموراً لطيفة غيبية؛ فصحيح، وكذا لا تدرك بهذه الحواس حال كونها متلوثة برذائل الطبائع الجسمانية .

[هل صحيح بأن القول : أن الجنة وما فيها من النعم كلها من قبيل النيات؟]

وأما أن الجنة وما فيها من القصور والحور، وجميع أنواع النعيم، كلها من قبيل النيات؛ يعني صوراً ملكوتية نفسانية وخيالية، فممنوع؛ لأنه يلزم منه عدم المعاد الجسماني، كما يلزم المصنف فيما سبق، إذ هذا هو الظاهر من عباراته، وقد قلنا هناك : أنه على مذهب أئمة الهدى عليهم السلام، غير قائل بالمعاد الجسماني .

[هل صحيح أن كون الهيولى مادة كثيفة؟]

وأما كون الهيولى مادة كثيفة، فليس بصحيح؛ إذ ليس كل هيولى مادة كثيفة، فإن الأجرام الفلكية لا تدرك بهذه الحواس، وكذلك الأرض، فإن الأرض التي لم يطأ عليها بنوا آدم لطيفة، لا تدرك بهذه الأبصار الدنيوية، وأهل الجنة كما هم أجسام مقيدة بالجهات والأوضاع؛ لأن ذلك لا ينافي البقاء والدوام، نعم ليس فيها أعدام، ولا كثافات؛ لأن ذلك من لوازم التغيير والتبديل بالأضعف، وهو غير جائز في الآخرة؛ لأنهم صاعدون .

والللازم من ذلك التغيير والتبديل بالأقوى والأجد .

وأما الأوضاع والجهات فمن لوازم الأمكنة والأجسام، وأهل الآخرة كأهل الدنيا، إلّا في الكثافة والضعف، والانتقال إلى الأضعف، وما يؤل إلى الفناء .

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٨ .

وأما التبديل بالأقوى، والتغيير إلى الشدة والجدة والأحسن، فهذا حالهم، وكيف لا تكون الماديات هناك، وما هم إلَّا الذين كانوا في الدنيا بأجسادهم، وأجسامهم وأرواحهم لم يتغير شيء منهم، إلَّا الأعراض الغريبة الفانية، والكثافات المتهافتة المضمحلة، نعم هذه الأجسام الدنيوية، التي تراها في الدنيا، إذا ظهرت من الأعراض، والغرائب الأجنبية، لحق حكم سافلها بأعاليها، فتدرك بذاتها الأجسام المعاني الجبروتية، والصور الملكوتية، والأرواح الموجودة المتعلقة بهذه الأجسام، إذا طهرت ما تلوثت به من المعاصي وسهو الغفلات، أدركت بذاتها الأجسام والجسمانيات؛ لأن أجسامهم إذا شاؤا تروحوا، وأرواحهم إذا شاؤا تجددوا .

[قول الحكماء الطبيعيين في حل الحجر وعقده]

ولذلك مثال في العالم من وقف عليه عرف ما أشرنا إليه؛ وهو أن الحكماء الطبيعيين، أهل العلم المكتوم، قالوا : أن الحجر يحلونه ويعقدونه بجزء من روحه، ويحلونه ويعقدونه بجزء من روحه، ويحلونه ويعقدونه كذلك، فإذا دبر على النحو المقرر عندهم ثلاثاً في إكسير البياض، وتسعاً في إكسير الحمرة، كان معدناً حيوانياً روحانياً؛ يعني أنه هو في نفسه جسم، وفي عمله روح تحيي الموتى من المعادن، وينفخ فيها روح البقاء، فإنه إذا تم في أول مرة، كان مثقاله يحيي ألف مثقال، ويلحقه بجوهره، فإذا سقي مرة أخرى، كان مثقاله على ألفي مثقال وهكذا، ولو سقي ألف مرة، كان مثقاله يحيي ألف ألف مثقال، وهكذا بلا نهاية.

ونقل عن بعض الحكماء؛ أنه سقاه ثلاثمائة مرة، فأقام مثقاله ثلاثمائة ألف مثقال، ومع هذه الزيادة في الكيف، يزيد في الكم، مثلاً إذا سقي المثقال الأحمر منه سقية ثانية في ست حلات، وست عقدات، كان وزن ذلك المثقال تسعة وأربعين مثقالاً، كل مثقال يحيي ألفي مثقال، وكان قبل السقي مثقالاً يحيي ألف مثقال، وبعد السقي كان تسعة وأربعين مثقالاً، كل مثقال يحيي ألفي مثقال أجود ذهباً من الأول قبل السقي، فيكون بعد السقي يقيم مائة ألف مثقال، إلَّا ألف

مثقال، وليس مثل هذا العمل يتصور في الأجساد، وإنما يعقل في الأرواح، ولهذا قالوا : هو جسد، وعمله روحاني، فافهم الآية فإن هذا الجسد آية أجسام أهل الجنة، فإنهم أجسام فيها جميع صفات الأجسام، وأحكامها وأفعالها، وتفعل أفعال الأرواح والعقول، وتدرك جميع ما تدركه النفوس والعقول، وكذلك العقول تدرك بذاتها مدارك النفوس والأجسام، وكذلك النفوس، وذلك معنى قولنا الحق : حكم سافلها بأعاليها .

[قول المصنف تدّٰسّ : بأن قبول الهيولى للصور والأكوان على سبيل الانفعال والاستحالة ...إلخ]

قال : «ومنها أن قبول الهيولى للصور، والأكوان على سبيل الانفعال والاستحالة، والتغير والحركة، وقبول النفس لصورها الراسخة فيها، على سبيل الحفظ والاستيجاب، ولا منافاة بين قبولها وفعلها، فهي بجهة واحدة فاعلة وقابلة للصور، والأمثال معاً، وكذلك علوم المبادئ وصفاها، حيث أنها بجهة واحدة حصلت فيها ومنها، لأن القبول هناك ليس معنى الاستعدادية والإمكان»[1] .

[جريان الهيولى على الفعل والاحالة والتغيير والتحريك أظهر من جريانها على الإنفعال والاستحالة والتغيير والتحرك]

أقول : نعم قبول الهيولى للصور والأكوان، على سبيل الإنفعال والاستحالة، والتغير والحركة، ولكن باعتبار، وباعتبار آخر قبولها للصور والأكوان، على سبيل الفعل والاحالة، والتغير والتحريك، ولكن الاعتبار الثاني لا يقولون به، بناء منهم على أن المادة هي الأم، والصورة هي الأب، وذلك هو المعلوم بينهم، فلما بنوا أمرهم على الأصل الباطل، وقع الخلل في الفرع، وحيث ثبت أن المادة هي الأب كما نطقت به الروايات، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، وأن الأم هي الصورة،

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٨ .

كذلك قلنا : أن قبول الهيولى، وهي المادة قبل تعلق الصور بها للصور والأكوان، على سبيل الإنفعال والاستحالة، والتغير والحركة، على اعتبار، وعلى اعتبار آخر يكـــون قبولها للصور والأكوان، على ســـبيل الفعـــل والإســـتحالة، والتغـــيير والتحريـــك .

ويريد بالاعتبار الأول أن انفعال المادة والهيولى، مع أنها هي الأب من باب، وأنتم لباس لهن، فيكون الذكر منفعلاً كما قال تعالى : ﴿حَتَّىَ تَـــنكِحَ زَوْجـــاً غَيْرَهُ﴾[1] .

وبالاعتبار الثاني على الأصل من باب هن لباس لكم، فتكون الهيولى فاعلـــة للصور، محيلة مغيرة محركة، وذلك لأن الهيولى هي الشيء في نفس الأمر .

وأما الصورة فهي صفتها في كل حالة؛ أي : صفة كمها وكيفها، وكونهـــا في مكانها ووقتها، ورتبتها وجهتها، وما يلحق أجزاءها، من الأوضاع الحيوانيـــة والبرانية .

ففي الحقيقة إنما أحدثت الصورة من نفس المصور، لأنها قابليتـــه للإيجـــاد، وحدود صنعه التي بها يتقوم، وقد قدمنا أن التي تدخل عليها لفظة «من» هـــي المادة، تقول : صغت الخاتم من فضة، وعملت السرير من الخشب، وهذا ظاهر .

فقال الله تعالى : ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[2]؛ وهي آدم عليه السلام، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[3]؛ وهي حواء خلقها تعالى من آدم، فمنه مادة أولاده، ومن حواء صورهم، فجريان الهيولى على الفعل والاحالة، والتغيير والتحريك، لأنها هي الأب كما سمعت أظهـــر من جريانها على الإنفعال والاستحالة، والـــتغير والتحـــرك، فـــافهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٣٠ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١ .

(٣) سورة النساء، الآية : ١ .

[مقايسة بين الهيولى والصورة]

وأما النفس فقال المصنف : «أن قبولها لصورها الراسخة فيها، على سبيل الحفظ والاستيجاب، ولا منافاة بين قبولها وفعلها» .

وأقول : أن مقابلته بين الهيولى والنفس ليست بصحيحة؛ لأن صور هيولى الشيء جزء ماهيته، وصور النفس التي عناها ليست في الشيء جزء ماهيته؛ لأن هذه الصور النفسانية آثار لقواها ومشاعرها، كما إذا تخيل خيالها صورة، وتوهم وهمها صورة، وأدرك فكرها صورة، وأدرك علمها صورة، فإن هذه الصفات قواها الفعلية، وليست صفات ذاتية لقواها، لأن قواها التي هي العلم والوهم، والخيال والفكر، هي المحدثة لهذا الصور عنده، فلا تكون آثار القوى جزء ماهية ذي القوى، فليست هذه الصور صوراً للنفس، وإنما نظير مقايسة، كما إذا قلت : بين زيد وبين عمرو فرق، لأن زيداً يده ورجله جزء جسده، وعمرو قيامه وقعوده ليسا جزء جسده، فهذا نظير مقايسته بين الهيولى والنفس، نعم لو فرق بينهما في صور الهيولى، وصور النفس التي هي جوهريتها، لا الصور المثالية التي هي ظل تلك الصورة الجوهرية، فإن هذه الصور الجوهرية هي قابلية النفس، لأنها من هيئة الإيجاد لتلك التأييدات العقلية، التي هي الهيولى للنفس، وبهذا الاعتبار ينتفي الفرق البتة .

[مراد المصنف ﷺ من قبول الهيولى وفعلها]

وقوله : «ولا منافاة بين قبولها وفعلها، فهي بجهة واحدة، فاعلة وقابلة للصور والأمثال معاً» .

يقال عليه : أنه إن أراد أنها فاعلة للقبول، كان القبول والفعل واحداً بجهة واحدة، ولكن لم تكن فاعلة للمقبول، إذ تكوين الشيء غير قبوله، ثم المقبول الذي يريده أين محل قبوله من القابل، هل هو في ذاته، فتكون النفس فاعلة لذاتها؟، أم هو خارج عن ذات القابل؟، فما معنى القبول حينئذ؟، فإذا كان كلامه في بيان تجسم الأعمال، وأن ليس إلّا النفس الإنسانية كما قال، وأنه يريد

أن هذا العمل الذي تجسم فصار ثواباً لا عقاباً، هو بعينه ذلك الثواب، أو ذلك العقاب في نشأة أخرى، كان المراد أن عمل زيد الذي أوقعته نفسه في النشأة الدنيا هو عقابه، وهو النار التي تحرقه في النشأة الآخرة، وأن إيجاده في النشأتين، وقبوله لنفسه إيقاعه إياه في النشأة الدنيا، كما هو رأيه ومراده من كلامه، وكان المراد أيضاً أن قبوله له اتصافه به، وكل ذلك مقتضى طبيعته، ولا يكون شيء أشد ملائمة للشيء، مما هو مقتضى طبيعته، فيلزمه على ما قرر في كتبه خصوصاً في الأسفار، أنه لا يكون ذلك عقاباً، بل يكون ثواباً، لما بينهما من شدة الملائمة، ويلزمه عدم صحة قوله ﴿**كُن فَيَكُونُ**﴾[1]، لأن صحة هذا مبني على أن فاعل التكوين بقوله : ﴿**كُن**﴾، غير فاعل التكون المعبر عنه بقوله : ﴿**فَيَكُونُ**﴾، لأن الفاعل غير القابل، ولو كان الفاعل قابلاً لما يفعله، لوجب أن يتعدد الفعل، فإن جهة الفاعل غير جهة القابل، ومكان الفاعلية غير مكان القابلية، وقد قال الرضا عليه السلام : (**قد علم أولوا الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلّا بما هيهنا**)[2] .

وأيضاً إن كانت مادة الثواب أو العقاب من النفس، فما المراد من هذه المادة، هل هي حصة من ذات النفس؟، أم من أثرها؟، فإن كانت من ذاتها، فما معنى كونها فاعلة له، هل هو تخصيصها منها، فتكون قاطعة لها من ذاتها، أم إحداثها منها، فتكون والدة لها، وإن كانت من أثرها عادت إلى مبدئها، فلا يصح كونها قابلة لها، ولا فعلها قبولها .

[الصورة المعقولة ووجودها]

وقوله : «وكذلك علوم المبادئ ...إلخ» .

أقول : وكذلك ما حصل لها من علوم المبادئ، بل والنهايات إذ لا فرق

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٧٣ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٥٧) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

بينهما وما توهمه من علم التوحيد، من كون الصورة المعقولة لا وجود لها إلّا وجود عقل العاقل لها، فإيجادها نفس وجودها، ونفس وجود إيجادها، وعقل عاقلها لها نفس وجود عاقلها، وهو معنى اتحاد العاقل بالمعقول، كما يراه ويعتقده غلط فاحش، وقياس غيره عليه أفحش؛ لأن دعوى ذلك في الحق تعالى يصح منها أنه تعالى موجد لتلك الصور بفعله، ولا يصح أن وجود فعله عين وجودها، بل وجودها أثر فعله، والفعل هو الإيجاد، والصورة موجودة، تقومت بالإيجاد تقوم صدور، وتقومت بوجودها تقوم تحقق؛ يعني تقوماً ركنياً، والموجود غير الإيجاد، وهما غير الموجد، والصور النفسانية أوجدها الله تعالى بفعله، وإن كانت بسبب فعل النفس، لأنه تعالى هو الموجد، وهو القائل : **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾**[1]، فهو تعالى أنزلها من خزائنها إلى النفس عند اقتضائها، وتقومت تلك الصورة بفعل الله تقوم صدور، وبوجودها الذي أنزله من الخزائن تقوم ركن وتحقق، وبمقتضى النفس تقوم ظهور، فصور النفس غير فعل الله، وغير ما اقتضته النفس .

وعلى ظاهر الحكمة، إنما انتزعت النفس تلك الصور من الموجودات الخارجية، فهي أظلة للأمور الخارجية، وقد دل على هذا العقل والنقل، كما تقدم مما ذكرنا، أنك لا تقدر على أن تذكر شيئاً غاب عنك، إلّا إذا التفت بمرآة خيالك إلى مكان إدراكك له أولاً ووقته، وليس ذلك إلّا أن خيالك مرآة تنتقش فيها صورة القابل، وأن مثال ذلك الشيء قد كتبته الحفظة في مكان رؤيتك لذلك الشيء ووقتها، فإذا قابلتها بمرآة خيالك، انتقش فيها صورته فذكرته، فيكون ما في خيالك ظل الشيء الخارج، فإذا عرفت بوجدانك أنك لا تقدر أن تذكر شيئاً حتى يلتفت خيالك بمرآة نفسك، إلى مكان ذلك الشيء ووقته، فتقابل مثاله فتنتقش فيها صورة ذلك المثال، عرفت أنه لا يكون في الأذهان إلّا صور الأمور الخارجة، فهذا دليل عقلي وجداني، لا يمكن إنكاره .

---

(١) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

ومن الأدلة النقلية، ما رواه الصدوق في أول علل الشرائع، بسنده عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: قلت: له لم خلق الله عز وجل الخلق على أنواع شتى، ولم يخلقه نوعاً واحداً؟.

فقال: (**لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز، ولا تقع صورة في وهم أحد إلّا وقد خلق الله تعالى عليها خلقاً، لئلا يقول قائل: هل يقدر الله عز وجل على أن يخلق صورة كذا وكذا، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه -تبارك وتعالى- فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير**)[1]، وقد تقدم هذا مكرراً فراجع.

والحاصل؛ أن ما حصل لها من علوم المبادئ ليس بجهة واحدة حصلت، لأن جهة الفاعل غير جهة القابل، وأيضاً ليست حاصلة من النفس، وإنما حصلت من ظل الخارج ولا فيها، وإنما هي في صدر النفس؛ لأنها صور انتزاعية، انتزعتها بمرآتها صوراً ظلية.

والنفس جوهر تنتقش صور المقابل الظلية في وجهها، فليست منها ولا فيها، ولو كان قبولها للصور غير استعدادي، ولا إمكاني لما فقدت شيئاً، وذلك صفة الواجب الحق تعالى، على أن الصور العلمية للحق عز وجل لا تجوز أنها منه، ولا فيه.

والمصنف أوجب ذلك في القديم والحادث، فيلزمه أن للقديم مثلاً في خلقه؛ وهو النفس -تعالى عن ذلك علواً كبيراً-.

وهو قد ذكر فيما سبق أن النفس طبيعة جسمانية، فترقت بحركتها الجوهرية بذاتها، حتى تكملت في سيرها تدريجياً، وإذا قال هنا: «أن قبولها ليس معنى القوة الاستعدادية والإمكان»، فقد اعترف ببطلان أحد قوليه.

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١٠٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب.

[قول المصنف ﵀ : بأن هذه الصورة كمالات لموادها وموضوعاتها وليس الصورة الناشئة من النفس كمالات لها ...إلخ]

قال : «ومنها أن هذه الصور كمالات لموادها وموضوعاتها، وليس الصور الناشئة من النفس كمالات لها، في حصول تلك الصور لها، وإنما إكمالها في أن تكون بحيث تفعل تلك الصور وتجعلها مدركة لها، وبين الاعتبارين فرق ثابت، وقد بين في موضعه أن جهتي القبول والفعل واحدة في لوازم الذات»[١] .

[الصور وكمالاتها]

أقول : هذه الصور كمالات لموادها في الأشياء، كما بينا في ذكر الاصطلاح أن الهيولى إنما تسمى مادة في الشيء، وإذا نظرت إلى الشيء كزيد مثلاً، وجدت الصورة كمالاً لزيد، في مقتضى صورته التي ركب عليها، من خير أو شر، إذ قبل الصورة لم تكن مادة زيد مقتضية لخير أو شر، وبعد انضمام الصورة إليها، كان المركب منهما خيراً أو شراً؛ لأن الصورة الشخصية هي قابليته للخلق الثاني للخير أو الشر، وإن كانت المادة بانضمام الصورة، تنقلب إلى حال ما إلّا أنها بالنسبة إليها نفسها، قد تنقلب إلى نفس .

وأما الصور الناشئة من النفس، فإنها كمالات لها، أما عنده فلأنها إنما تترقى في مراتب كمالاتها، حتى تكون عقلاً بما تكسبه من العلوم، (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، ...**)[٢] .

فالفرق بينهما على العكس من مراده، ولو سلمنا أنها هي المخترعة للصور، لقلنا : هو كمال، وهذا كمال، ألا ترى ما في الشاهد، هل تجد في تحصيل العلوم لك كمالاً، ولا تجد في حصولها لك كمالاً، بل في كل كمال، ولكنا لا نسلم أنها فاعلة للصور إلّا على معنى انتقاشها في وجهها كما مر عليك .

---

(١) كتاب العرشية، ص٩٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فإن قلت : أنك لم تجعل الصور في صقع النفس، وإنما تجعلها في صقع فعلها، فكيف تكون كمالاً لها؟ .

قلت : قد برهن على معنى ما ذكرنا، وإن كانت في صقع الأفعال في نظائرها من العلوم، مثل علم الفقه، في مسألة أن مكروه العبادة من المندوب، وفيما قيل : في كون دعاء الشيعة وعبادتهم وورعهم يزيد في درجة أئمتهم عليهم السلام، كما يزيد الورق في حسن الشجرة، مع احتياج الورق إلى الشجرة، ولا عكس على أن ما نحن فيه أبلغ من التمثيل، بل بالتمثيل الحق المطابق ما أشار إلى نوعه، إمامنا وسيدنا جعفر بن محمد عليه السلام في قوله : (**بالعقل استخرج غور الحكمة، وبالحكمة استخرج غور العقل**)[1] .

فإن هذه الصور العلمية، إذا وجدت للنفس قويت على إيجاد صور غيرها، على حد قوله عليه السلام المتقدم .

وقوله : «وقد بين في موضعه، -إلى قوله- : في لوازم الذات فيه»، إنما ذكروه هؤلاء من حكم لوازم الذات، ليس له ثبات، وإنما هو من فروع وحدة الوجود، التي ليس في الحق لها وجود، فإن إحداث الصور، وجعلها مدركة لها، لا ينافي لها تغاير جهة الفاعلية بجهة القابلية، كما ذكر قبل، فافهم .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٩) من هذا الكتاب .

[القاعدة السابعة عشر]
[من الإشراق الثالث في المشرق الثاني]
[في : باقي الحيوانات هل لها حشر أم لا؟]

قال : «قاعدة في أن باقي الحيوانات، هل لها حشر كالإنسان أم لا؟، قد أشرنا إلى أن لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية، وخلقاً وبعثاً، وبداية وعوداً، والفلاسفة أثبتوا للطبائع عنايات ذاتية، كما أثبتوا لها مبادئ ذاتية، وعود كل شيء إلى ما بدء منه، فعود الأجسام إلى القوى، وعود القوى إلى النفوس، وعود النفوس إلى الأرواح، وعود الكل إليه تعالى، كما قال : ﴿**أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾[1]، وقوله : ﴿**كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**﴾[2]، فمن علم من أين مجيئه، علم إلى أين ذهابه، لكن الكلام إنما هو في بعث الشخص الجزئي، مع بقاء تعينه وتشخصه، الجامع للنشأتين، وهذا في الإنسان أمر محقق، لتجرد نفسه المتعلقة تارة بهذا البدن المادي الدنيوي، وتارة بذلك البدن الصوري الأخروي»[3] .

[اتفاق أهل الملل على أن بعد هذه الدار لا بد من البعث لكل مكلف في دار الجزاء]

أقول : اتفق أهل الملل على أن بعد هذه الدار لا بد من البعث لكل مكلف في دار الجزاء، ولكنهم اختلفوا في المكلف، أما الإنسان فهو مكلف اتفاقاً باعتبار نفسه، وأما جسده ففيه الكلام، بناء على أنه مكلف فيعاد، أو غير مكلف، فمن أثبت له شعوراً وإدراكاً للذة والألم حكم بإعادته، ومن لم يثبت له ذلك،

---

(١) سورة الشورى، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٩٣ .

(٣) كتاب العرشية، ص٩٨ .

فبعضهم حكم بإعادته تبعا لحكم الوحي، وبعضهم حكم بإعادة صورته، إذ الشخص بها هو لا بمادته، ومنهم المصنف .

وبعضهم نفى الإعادة أصلاً، وكذلك الجن والشياطين والملائكة، أما الجن فظاهر بعض الروايات أنهم أنواع، وأن الحساب على النوع الكامل منهم، وهو ما يكون قريباً من الإنسان .

وروى الصدوق في الخصال، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (**خلق الله الجن خمسة أصناف؛ صنف حيات، وصنف عقارب، وصنف حشرات الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب**)[1] .

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : (**الجن على ثلاثة أجزاء، فجزء مع الملائكة، وجزء يطيرون في الهواء، وجزء كلاب وحيات .**

والإنس على ثلاثة أجزاء، فجزء تحت ظل العرش يوم لا ظل إلَّا ظله، وجزء عليهم الحساب والعذاب، وجزء وجوههم وجوه الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين)[2] .

وظاهر التقسيم والتشبيه أن ما كان مشابهاً لبني آدم عليه الحساب والعقاب خاصة، وما سوى هذا النوع فحكمه حكم ما شابهه، فالحيات والعقارب والحشرات من الجن، حكمهم حكم الحيات والعقارب والحشرات من غيرهم، فمن حكم بحشر الحيات والعقارب والحشرات، لم يفرق بين الإنس والجن، والذين مع الملائكة حكمهم كحكمهم، فإنهم هم الذين يقال : لهم الملائكة السفليون، والملأ الأعلى الذين يختصمون كما قال تعالى .

ومن تدبر في الآيات والروايات، ظهر له أن كل مخلوق ممن دخل في مشيئة الله فهو مكلف، بل لا يوجد شيء إلَّا بقابلية التكليف؛ لأن من لم يكلف لم

---

(١) لم نجده في المصدر المذكور، ووجدناه في بحار الأنوار، ج٦٠، ص٢٦٦، ح١٥١ .

(٢) الخصال، ج١، ص١٥٤، ح١٩٢، باب : الثلاثة .

يوجد، لتوقف الإيجاد على القابلية للإيجاد، إذ لو لم يقبل الإيجاد لم يوجد، والقابلية هي تحمل الإيجاد، والإيجاد هو التكليف، ومن قبل التكليف وجد بنسبة قبوله، وكل مكلف إن قام بما يراد منه استحق الثواب، ومن أعرض عنه استحق العقاب، وكل من له ثواب، أو عليه عقاب، لا بد له من ايصاله ما يستحق من الثواب .

وأما العقاب فمن لم يعف عنه عوقب، ومن عفي عنه استحق ثواباً، ولو من جهة الفضل فلا بد من يوم يقوم فيه العدل، وهو يوم الفصل، فلا بد من الإعادة على تفصيل ما يأتي بعض الإشارة إلى بيان نوعه .

[إن لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية وأن هذه الحركة لا تختص بالجواهر بل والأعراض]

وقوله :«أن لكل جوهر طبيعي حركة ذاتية»، اعلم أن هذه الحركة لا تختص بالجواهر، بل والأعراض؛ لأن الصانع تعالى واحد، والصنع واحد، والمصنوع واحد، كل شيء مثل كل شيء، **﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾**[1]، وذلك لأن كل ممكن فهو مركب من مادة وصورة، أما الجوهر فمادته حصة من ذات، أي : هيولى، أو مادة مخترعة لا من شيء، وصورته انفعالها، أي : المادة عند تأثير الفعل فيها .

وأما العرض فمادته أثر الفعل، أي : المعنى المصدري، أو حصة من لون، وما أشبه ذلك، وصورته هيئة معروضه، مثلاً أثر الفعل الضرب، وصورته هيئة فعل الضارب، إن اعتبرنا قيامه به قيام صدور، وهيئة انفعال المضروب، إن اعتبرنا قيامه به قيام عروض .

وحمرة الثوب مادتها حصة من لون القرمز[2]، وصورتها هيئة الثوب، ولا

---

(١) سورة الملك، الآية : ٣ .

(٢) **القرمز بالكسر هو** : «صبغ إرمني، يكون من عصارة دود، يكون في آجامهم .

....←

يقال هنا : أن التمثيل مستلزم لانتقال الأعراض الذي قيل بمحاليته؛ لأنا نقول : انتقال الأعراض جائز يشهد به الوجدان .

ودعوى أنه لم يزل من محله، وإنما انتقل بمعروضه إلى الثوب، دليلها دعوى بلا دليل، لأن معروضها الآن هو الثوب حقيقة، وهي محمولة عليه على سبيل الحقيقة لا المجاز، وتوهم أنه لو انفك عن معروضه عدم، إذ لا قيام له بدون معروض، لأن وجوده نفس وجوده لمعروضه عند المصنف وأتباعه .

وأما وجوده بالمعنى الأول، هو المادة، وقد نبهناك على نوع أصل مادة العرض .

وأما وجوده بالمعنى الثاني، فغير مراد هنا، لا لهم ولا لنا، فإذا ثبت أن كل شيء يرجع إلى أصله، لم يختص الجوهر بالحركة، بل يرجع العرض إلى أصله كالجوهر، وإن قيل : أن أصله الجوهر .

[هل صحيح أن الأشياء في الحقيقة تسير إلى غاياتها؟]

وقوله : «والفلاسفة أثبتوا للطبائع غايات، لثباتهم على الظاهر»، صحيح إلّا أنه قشري؛ لأن الأشياء في الحقيقة لا تسير إلى غاياتها، بل الله تعالى يسيرها، كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] .

→...

وقيل : هو أحمر كالعدس محبب، يقع على نوع من البلوط في شهر آذار، فإن غفل عنه ولم يجمع، صار طائراً وطار .

وهذا الحب منه شيء يسمى القرمز، من خاصيته صبغ ما كان حيوانياً كالصوف والقز دون القطن» . [القاموس المحيط، ج٢، ص١٨٧] .

(١) سورة يونس، الآية : ٢٢ .

[معنى كلمة العود في كلام المصنف ﷺ]

وكـــذا قـــوله : «وعود كل شيء إلى ما بدء منه»، صحيح -إلى قوله- : «وعود النفوس إلى الأرواح» .

وأما قوله : «وعود الكل إليه تعالى، كما قال : **﴿أَلَا إِلَـى اللَّـهِ تَصِـيرُ الأُمُورُ﴾**[١]، وقوله : **﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾**[٢]»، ليس بصحيح إذا أراد به عـــود الكل إلى الذات .

وصحيح إن أراد به عود الكل إلى أمره وحكمه، كما قال سيد العابـــدين عليه السلام : (**كلهم صائرون إلى حكمك، وأمورهم آئلة إلى أمرك**)[٣]، لأن العائد يتصل بالعود إليه بنوع من الاتصال، ومن اللازم أن يكون بين المتصلين إحـــدى النسب الأربع، ويكون بينهما واحد من الأكوان الأربعة؛ الافتراق أو الاجتماع، والحركة أو السكون، متحدين أو متعددين، متفقين أو مختلفين، ولا تقع إحـــدى النسب أو أحد الأكوان إلّا في الحوادث، فلا ينتهي شيء إلى ذات الله بحال، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام، في خطبته المسماة بالدرة اليتيمية : (**رجع من الوصف إلى الوصف، وعمي القلب عن الفهم، والفهم عن الإدراك، والإدراك عن الاستنباط، ودام الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، وألجأه الطلب إلى شكله، وهجم به الفحص إلى العجز، والبيان على الفقد، والجهد علـــى اليأس، والبلاغ على القطع، والسبيل مسدود، والطلب مردود، ...إلخ**)[٤] .

وقوله : «فمن علم من أين مجيئه، علم إلى أين ذهابه»؛ يعني أنه يعـــود إلى مبدئه، فمعنى كلامه صحيح، وعباراته غير كاملة، وكمالها أن يقول : فمن اعتقد

---

(١) سورة الشورى، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٩٣ .

(٣) الصحيفة السجادية، ص٢٤٠، وكان من دعاءه عليه السلام في عيد الفطر .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٦) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

أن شيئاً من الأشياء مبدؤه، اعتقد أنه يرجع إليه إذا كان يعلم أن كل شيء يعود إلى ما منه بدء، إذ ليس كل من علم مبدأه علم منتهاه، إلّا مع الشرط والاحتمال للمجاز في أحد العلمين؛ علم الشرط، وعلم الجزاء .

[كيفية بعث الشخص الجزئي عند المصنف ﷺ]

وقوله : «لكن الكلام إنما هو في بعث الشخص الجزئي»، يعني إنا لا نتكلم على جنس البعث والمبعوث ونوعهما، وإنما نتكلم على خصوص البعث للشخص الجزئي، لمعلومية العموم، ولحصول الاشتباه في الشخص الجزئي، مع تعينه وتشخصه في النشأة الأولى، والنشأة الأخرى .

أما في الإنسان وما يجري مجراه، من الجن والشياطين، فهو ثابت لا شك فيه؛ لأن لهؤلاء نفوساً مجردة عن صفات الأجسام، فلأجل تنزهها ترتبط تارة بالبدن المادي الدنيوي ارتباط تدبير، وإذا تغير المادي الدنيوي، تعلقت بالبدن الصوري النوراني الأخروي تعلق تقرير، فتلزم الصوري حينئذٍ لزوماً قاراً لما بينهما من المشاكلة في اللطافة والثبات .

وإنما قال : أن تعلقها بالمادي في الدنيا، وبالصوري في الآخرة، لما قرر فيما سبق في أصوله وغيرها، من أن البدن المادي متغير متبدل في كل آن، غير مستقر في آنين، فلا يصح للبقاء، ولا يبقى .

وأما الصوري فعنده أنه غير متغير ولا متبدل، فهو يبعث ويحشر الشخص فيه إلى الجنة أو النار .

ومما استدل به على هذه الدعوى، أن زيداً يعفن ويسمن حتى يكون عشرين مناً وهو زيد، ويمرض ويضعف حتى يكون قدر من واحد وهو زيد، لأن المادة تتغير بالزيادة والنقصان، والصورة هي هي لا تتغير، والجنة وما فيها وأهلها، وأبدانهم لا تتغير، واللائق لها الصورة لا المادة، ولهذا قال : البدني الصوري الأخروي، وقد قدمنا الكلام في رد هذا، وما يلزمه من أن الأعمال إنما هي

صفات المواد، والمباشر لها، والمتصف بها المواد، فلو لم تعد المواد الأولى بعينها، لعادت الصور في مواد جديدة، لم تباشر شيئاً من الأعمال، فتأتي لا ثواب لها، ولا عقاب عليها، فتنتفي فائدة العود والبعث، وتبطل الجنة والنار، وقد تقدم بطلان ذلك .

[قول المصنف ﵀ : وأما غير الحيوانات ففي بقاء نفوسها وعودها إلى الآخرة خلاف بين الحكماء ...إلخ]

قال : «وأما غيره من الحيوانات، ففي بقاء نفوسها، وعودها إلى الآخرة، خلاف بين الحكماء، والروايات فيه أيضاً متخالفة، والآيات فيه متشابهة غير محكمة، لاحتمال أن يكون المراد من مثل قوله تعالى : ﴿**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**﴾[1]، حشر طائفة من أفراد البشر، نفوسهم من جنس أرواح الوحوش، فحشروا وحوشاً لا أناساً، والذي ثبت من طريق البرهان الحدسي، هو القول بالتفصيل، فكل حيوان يكون له نفس متخيلة متذكرة فوق النفس الحساسة، فهو باق بعد الموت، محشور إلى بعض البرازخ، غير معطل عن مجازاة، لأن العناية تأبى عن إهمال ما هو بصدد الاستكمال .

وأما حشر النفوس الحاسة المتخيلة المتذكرة، فكحشر القوى النفسانية إلى مبدأها، ورب نوعها، كما ذكره معلم الفلاسفة، في كتابه في معرفة الربوبية .

وكذلك النفوس النباتية، إذا قطعت الأشجار، أو يبست، كما ذكره بعض العرفاء، وحشر المقلدين والأتباع إلى منازل الأئمة والمجتهدين، يشبه حشر القوى النفسانية إلى الناطقة، كما في قوله تعالى : ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[2] .

---

(١) سورة التكوير، الآية : ٥ .

(٢) سورة النمل، الآية : ١٧ .

وكمثل قوله : ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾[1]»[2] .

[هل للحيوانات والنباتات والجمادات شعور وتمييز أم لا؟]

أقول : ما سوى الإنسان والجن، والشياطين والملائكة، فقد اختلف النـــاس فيه، وأصل اختلافهم في أن غير ما ذكر مكلف أم لا؟، واختلافهم في التكليـــف مبني على الاختلاف في أن هذه الأشياء من الحيوانات، والنباتات والجمادات، هل لها شعور وتمييز أم لا؟ .

فقيل : أن الحيوانات والنباتات والجمادات، ليس لها عقـــول، ولا تمييـــز، والتكليف منوط بأولي العقول، وما ليس بمكلف لا فائدة في بعثه، لما ذكر من أن البعث إنما هو للمجازاة على الأعمال، بالثواب أو العقاب .

[قول السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله في كلام الحيوانات وذكر بعض الروايات لذلك]

وقيل : أن لها عقولاً أو تمييزاً، وأحب نقـــل كلمـــات للســـيد نعمـــة الله الجزائري، في رسالته التي صنفها في الطاعون، وأسبابه وأحكامـــه، وإن كانـــت طويلة، لأنه لما ذكر أن الوباء والطاعون ينقي الزمان من كـــثير مـــن الفســـقة والظلمة، قال : «فإن قلت : قد ذكرت الحيوانات والجمـــادات، وأدخلتـــها في أحكام التنقية، فهل يدخلون في نظام النفوس الناطقة، وهل يتحصل لهم شـــعور، وعلم وتكليف؟ .

قلت : هذه مسألة غريبة، والبحث عنها أغرب، فـــالجواب : أن النطـــق والكلام للطيور والحيوانات، مما وردت الأخبار متواترة به، وكفى بـــذلك مـــا حكى الله تعالى في الكتاب المجيد عن النملة وكلامها مع سليمان عليه السلام، وسمـــع

---

(١) سورة ص، الآية : ١٩ .

(٢) كتاب العرشية، ص٩٩ .

سليمان عليه السلام عصفوراً يقول لعصفورته : لم تمنعيني نفسك، وأنا أقدر على أن آخذ سرير سليمان عليه السلام بمنقاري، وأرمي به في البحر، فطلبهما سليمان عليه السلام فقال : لا تقدر .

فقال : يا نبي الله، الزوج يعظم نفسه عند زوجته، كيلا تطمع فيه .

ثم قال عليه السلام : للأنثى لم تمنعينه نفسك وهو يحبك؟ .

فقالت : يا نبي الله إنه مدع، يزعم أنه يحبني، وهو يهوى غيري، فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان، ودخل بيته، وبقي أربعين يوماً؛ يعني أن العصفورة لا تريد الشركة في الحب، فكيف يكون سليمان يحب الله تعالى، ويحب الملك والسلطان .

وفي الحديث : (**أن القبرة وأنثاها كانا قد اتخذا عشيهما في جواد الأرض، عند دنو وقت الفراخ، فما شعرا إلّا وقد أتى سليمان عليه السلام وعساكره، ونزلا بالقرب منهما، فخافا على فراخهما، فقالت : الأنثى أن سليمان نبي كريم، وهو يحب الهدية، وكانا خبئا لافراخهما تمرة وجرادة، فحمل أحدهما التمرة، والأخر الجرادة، فلما أتيا سليمان عليه السلام، بسط يديه، فوقع الذكر على اليمين، والأنثى على اليسار، فتكلما معه، وقبل هديتهما، ودعا لهما بخير، وأمر عساكره ألا يمروا على طريقهما، ثم أنه مسح على رؤسهما**)، فكان التاج من مسح سليمان عليه السلام، وتسبيحهما في الأسحار لعن الله مبغضي آل محمد صلى الله عليه وآله، ومن ثم ورد النهي في كراهة ذبحهما .

وقال عليه السلام : (**لا تدعوا صبيانكم يلعبون بالقنابر**) .

وأما العصفور فورد في الخبر أنه من شيعة عمر بن الخطاب، وأنه لما عرضت عليه ولاية أهل البيت عليهم السلام لم يقبلها، وكذلك الفاختة والرخمة .

وفي الحديث : (**أنه ما صيد الصيد في بر أو بحر إلّا في حال ترك التسبيح**).

وأئمتنا عليهم السلام، وخواص أصحابهم، كانوا يعرفون كلام الطيور والحيوانات، ويترجمونها للناس .

وفي الرواية : (**أن الخطاف دل آدم على حواء**)، حتى اجتمعا في مكة - شرفها الله تعالى- فعاتبه الله على جمعه من فوقه الله تعالى، فقال الخطاف : إلهي أ لست قلت: ﴿**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**﴾[1]، ورأيت آدم منفرداً أردت أيضاً أن يكون مع حواء زوجين غيرة مني على وحدانيتك؟ .

فقال تعالى : غفرت عن قبح فعلك بحسن عذرك، وجعلتك في جوار ذريته وأمامهم .

وفي الحديث أن صوته قرائة سورة الفاتحة، ومد صوته قرائة الأخير، يقول فيه الضالين .

وبالجملة؛ فكلام الحيوانات ولغاتها، مما لا ينبغي إنكاره، وعدم فهمنا له لا يدل على إنكاره، فإنا نرى بعض الهنود يتكلمون بلغة تقع في الأسماع، مثل أصوات الخطاطيف، من غير حروف، ولا تمييز كلمات، مع أنها لغة عندهم يتعارفون بها .

وأما أن لها نفوساً ناطقة؛ بمعنى الشعور، والعلم بمصالحها ومضارها، ونحو ذلك، فذهب إليه قدماء الحكماء والمحققون منهم، وصرح به ابن سينا[2] في جواب أسئلة بهمنيار[3] .

وقال القيصري[4] في شرح فصوص الحكم : «لا تفاوت بين الإنسان والحيوانات في النفوس الناطقة، ولا دليل على نفيه، بل هي دراكة للكليات، والجهل بالشيء لا ينافي وجوده، وامعان النظر بما يصدر عنها من العجائب، يوجب أن يكون لها إدراك الكليات» .

---

(١) سورة الذاريات، الآية : ٤٩ .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٤٣) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٤٤) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٤) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٣٧١) من هذا الكتاب .

أقول : والأخبار ظاهرة فيه، ودالة على أن لها تكليفاً من التسبيح والتقديس، والطاعة لخالقها، والقيام بولاية آل محمد ﷺ، ومحبتهم وامتثال أوامرهم ونواهيهم .

وروي : (**أن رجلاً من الصحابة، مر بطريق فعضه كلب، ومزق ثيابه، فأتى إلى النبي ﷺ يشكو صاحب الكلب، فقام ﷺ مع جماعة من الصحابة، وأتوا إلى منزل صاحب الكلب، فخرج فقال له : أن كلبك جرح فلاناً، ومزق ثيابه، فأخرجه حتى نقتله، فدخل ووضع في عنقه حبلاً وخرج به، فلما راه الكلب سلم عليه، فقال له النبي ﷺ : لم جرحت هذا الرجل، ومزقت ثيابه؟** .

فقال : يا رسول الله ﷺ، هذا يبغض أهل بيتك، وينصب العداوة، لوصيك علي بن أبي طالب عليه السلام، ونحن معاشر الكلاب، أمرنا بأن من ينصب العداوة لأهل بيتك، نفعل به هذا الفعل، فخجل ذلك المنافق، وحسن النبي ﷺ ما فعله الكلب ورجع) .

وفي حديث : (**أن بعض الحيوانات نكرت له أمه فنزا عليها، ولما فرغ عرفها، فعمد إلى ذكره فقطعه بأضراسه**) .

وينبغي أن تعلم أن غاية الإدراك هو الإفراط في المحبة، التي يسمى في عرف الناس عشقاً .

وصرح الحكماء بأن من بلغ درجة العاشقين، كان من أهل العلم والإدراك، وذكروا أن الطيور أعشق من الناس، حتى أن القماري ونحوها، إذا مات ذكرها نعته الأنثى، وبكت عليه حتى تموت، وكذلك إذا ماتت الأنثى، وهذا مشاهد في الخيل والبغال وأضرابهما، فإنها تكثر الحنين إلى ما ألفته من جنسها، حتى تلقاه .

وذكروا أن صاحب قندهار يحارب مع حاكم بخاري، ولما اصطفت الناس كان مع كل عسكر أفيال، فنظر فيل من أحد العسكرين، إلى فيل من العسكر الآخر، فعدى نحوه، وعدى الآخر إليه، فتلاقيا في الميدان، ووضع كل واحد

منهما خرطومه على خرطوم الآخر، وتعانقا طويلاً، وسالت الدموع من أعينهما، ثم وقعا على الأرض فوجدا ميتين .

وأما النبات فذكر الشيخ أبو علي[1]، في رسالة صنفها في العشق : «أن العشق لا يختص بالإنسان، بل هو موجود في الحيوانات، والنباتات والمعادن» .

وفي كتب الفلاحة أن النخل يخاف تارة، ويعشق أخرى، قالوا : صح أن النخلة إذا لم تحمل ضرب في أصلهما بفأس، ويقول شخص لآخر : لأي شيء هذا؟ .

فيقول الضارب : دعني أقطعها .

فيقول : دعها في ضماني العام، فإن لم تحمل فاقطعها .

وفي كتاب النفائس، إذا زرع شخص أربع نخلات، فحسن ثمرهن سنين، ثم يبست واحدة، لم تحمل مقابلها .

وفيه أيضاً أن شخصاً كان له نخل، وكانت واحدة منهن تزهر وتسقط قبل الانعقاد، أو قبل البلوغ، فشكى إلى حاذق، فجاء حتى نظرها، فقال : إنها عاشقة، فدعا برصاص، فصنع شريطاً، وربطه منها إلى نخلة هناك، فحسن ثمرها تلك السنة، ودامت كذلك .

وأن صاحب البستان قطع الشريط لينظر؛ فاسقطت الزهر، فأعاده فصلحت، وذكروا من هذا الباب أشياء كثيرة .

وأما المعادن فروي في الحديث : (**أن نبياً من الأنبياء، مر على جبل فرآه يبكي، فسأله عن سبب بكائه؟** .

فقال : منذ سمعت قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[2]، فأخاف أن أكون من تلك الحجارة، التي تكون من وقود تلك النار؟ .

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٥٦) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) سورة التحريم، الآية : ٦ .

فقال : ادعو الله أن لا تكون من تلك الحجارة، فسكن بكاؤه، ثم أن ذلك النبي مر به بعد مدة، فرآه يبكي، فسأله ما هذا البكاء؟، وقد أمنت أن تكون من حجارة جهنم؟ .

فقال : هذا بكاء الشكر، وذلك بكاء الخوف) .

والدال على هذا كله، قوله تعالى : **﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾**(١)، حتى أنهم قالوا : أن تسبيح الحصى في يده ﷺ، وكذلك حنين الجذع، الإعجاز إنما هو في اسماع الحاضرين، وإلّا فكل شيء يسبح الله، وكل شيء مخلوق يحن إلى النبي ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام»، انتهى كلامه في رسالة الطاعون .

وإنما ذكرته مع طوله، وعدم اشتماله على ما يناسب المقام من التحقيق، لاشتماله على آيات وروايات وحكايات، وأيضاً يدل على ما يوجب التكليف المستلزم للدعوى .

[أن كل شيء في هذا الكون مكلف وله عقل وتمييز بنسبة حظه من الوجود]

والحق الذي تشهد له الآيات والروايات، والصحيح من الاعتبارات أن كل شيء مكلف، وكل شيء له عقل وتمييز، بنسبة حظه من الوجود، فمن ذلك قوله تعالى : **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائعِينَ﴾**(٢) .

فقوله تعالى : **﴿فَقَالَ لَهَا﴾**،ولم يقل لهم، إشارة إلى جماديتها المعلومة .

وقوله : **﴿أَتَيْنَا طَائعِينَ﴾**، إشارة إلى تمييزها الموجب لادخالها في مقام التكليف في جملة العقلاء، ولذا لم يقل طائعات .

---

(١) سورة الإسراء، الآية : ٤٤ .

(٢) سورة فصلت، الآية : ١١ .

ومثل قوله تعالى : ﴿**خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾[1]، ولم يقل يسبحن؛ للإشارة إلى أن تكليفهم الذي دخلن به في جملة العقلاء، هو يسبحون في فلك .

وكل موضع من القرآن ذكر فيه النباتات والجمادات في مقام التكليف، ذكرها لضمير العقلاء؛ مثل قوله : ﴿**وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[2]، ولم يقل تسبيحهن .

ومثل : ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ**﴾[3]، ولم يقل داخرات .

ولهذا ساوى بين الإنسان وبين سائر الحيوانات في موجب التكليف، وفي التكليف، وفي فائدة التكليف، وغايته في كتابه، فقال : ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[4]، فذكر غاية التكليف لكل ذي روح، بأنه يحشر إلى ربه المربي له بما يوجب حشره إليه، ليوصل إليه ثمرة فعله، الذي هو فائدة التكليف وغايته .

وذكر موجب التكليف في قوله : ﴿**أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾[5]، حكمهم كحكمهم لمشاركتهم لكم في مناط التكليف، الذي هو تمييز الصلاح من ضده، والخير من ضده، بنسبة رتبتهم من الوجود .

---

(١) سورة الأنبياء، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ٤٤ .

(٣) سورة النحل، الآية : ٤٨ .

(٤) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

(٥) سورة الأنعام، الآية : ٣٨ .

وذكر التكليف في قوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[1]، وأمثال ذلك من الآيات .

[المراد من الوجود المخترع وأقسامه]

وأما الأخبار الدالة على المدعى فكثيرة لا تكاد تحصى، بل لا يكاد يوجد منها شيء يخالف إلَّا ما كان وجه الموافقة فيه ظاهراً في الظاهر والباطن، وقد ذكرنا فيما سبق ما يدل على ذلك تلويحاً وتصريحاً، من الكتاب والسنة، وأدلة العقل، ما فيه كفاية لمن عرفه، مثل ما أشرنا إليه، من أن كل شيء إنما خلقه الله من الوجود المخترع، الذي لم يكن شيئاً قبل الاختراع، ولا ذكر له قبل الاختراع، ولم يخلق الله تعالى شيئاً إلَّا من الوجود المخترع، وهو قسمان؛ وجود موصوفي، ووجود وصفي .

والوجود الوصفي خلقه الله تعالى من الوجود الموصوفي، وحكمه في كل شيء حكم موصوفه بنسبته؛ لأنه من نفسه من حيث نفسه، إلَّا أنه تابع له فيما يعطيه من فواضله .

والوجود الموصوفي الذي هو الذات، هو أول أثر فاض من فعل الله، فهو أثر فعل العالم القادر المختار، فيكون عالماً قادراً مختاراً، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2]؛ لأنه أثر فعل المختار، والأثر يشابه صفة موثره التي هو أثرها، فكان ذلك الوجود المحدث من فعله تعالى نوراً وتمييزاً، وفهماً وعلماً واختياراً، ليس منه شيء، لا نور فيه، ولا تمييز له، ولا فهم له، ولا علم له، ولا اختيار له .

والوجود الوصفي تابع لموصوفه في كل ما للموصوف بنسبته .

---

(١) سورة فاطر، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة الإنسان، الآية : ٢ .

والوجود الموصوفي صفوته الإنسان، وغير الإنسان من فاضله، فهو أنزل منه رتبة في جميع تلك الصفات، فمن دون الإنسان فيها الجن والملائكة، ومن دونهم سائر الحيوانات، ومن دون الحيوانات سائر النباتات، ومن دون النباتات سائر الجمادات، ومن دون الموصوفات صفاتها، كل صفة دون موصوفها بنحو سبعين درجة، فكل صفة فيها من جميع ما في موصوفها واحد من سبعين، فأنزل الجمادات، بل أنزل صفاتها فيها ما في أعلى الإنسان بنسبتها .

ومثال ذلك السراج فإنه بمنزلة أمر الله الذي قام به كل شيء، وكل شيء من الصفات والموصوفات بمنزلة أشعة السراج، وكل ما قرب من الأشعة من السراج، كان أشد نوراً، وحرارة ويبوسة من الشعاع الأبعد منه من السراج، حتى تنتهي إلى آخر الأشعة، وأبعدها من السراج، وهو الذي ليس بعده إلّا ظلمة بحت، فأقربها إلى السراج أشدها في آثار صفات السراج، وأبعدها أضعفها في آثار صفات السراج، وما بينهما بالنسبة، وكلها تستمد من إشراق السراج، فجميع ما في أقواها يوجد في أضعفها بنسبته، فهذا مثال الأشياء .

فالإنسان كالشعاع الأقرب من السراج والجمادات، بل صفاتها كالشعاع الأبعد من السراج، فكل ما في الإنسان من العقل والشعور والاختيار في الجمادات، وصفاتها بنسبة حظها من الوجود، فكل شيء مخلوق مكلف، وإلّا لما خلق كما تقدم .

[كل مكلف في هذا الكون يحشر إلى ربه تعالى في أحد الأوقات الأربعة]

وكل مكلف يحشر إلى ربه في أحد الأوقات الأربعة، على ما نبينه لك على نحو الاختصار إن شاء الله تعالى .

أما في الدنيا أو في البرزخ، أو في الرجعة، أو في القيامة، وذلك لأن كل شيء يصير إلى ربه في آخر ما قبل منه في التربية، فبعض الجمادات والأعراض كبعض الألوان .

والحركات تحشر إلى ربها بثمرة ما رباها به في الدنيا، وبعضها في البرزخ، وبعضها في رجعة محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبعضها يوم القيامة؛ لأن يوم الحشر يوم المجازاة على الأعمال، فإذا كان شيء مجازاته في الدنيا، وكان له ربط بمن مجازاته في الآخرة، لا بد أن يرجع في الآخرة .

مثاله روي عنهم عليهم السلام ما معناه، أنه سئل أنه قد يكون في بعض التمر تمرة فيها سواد كالرماد، ما أصل هذا؟ .

قال عليه السلام : (**إن تلك التمرة تركت ذكر الله تعالى ذلك اليوم، فأرسل عليها ملكاً فضربها بمنقاره، فكانت هكذا**) .

فهذه التمرة يوم حشرها إلى ربها ساعة أرسل عليها الملك، فضربها بمنقاره فأفسدها، وليس لها يوم مجازاة، وحشر تحشر فيه إلى ربها غير ذلك اليوم، نعم لو كان لها ربط بإنسان حشرت يوم القيامة، لمجازاة ذلك الإنسان، كما لو جمع منها زيد شيئاً في إناء مغطى الرأس، وباعه من عمرو بقيمة الصحيح غاراً له بمحضر بكر وخالد، والإناء معروف عند الجميع، لا تشتبه معرفته على أحد من الأربعة، وبعد ما مضى به عمرو فتحه في بيته، وإذ الذي فيه من التمر باطل لا قيمة له، فرجع على زيد، فأنكر زيد ذلك وحلف عليه، بأن هذا ليس هو التمر الذي باعه إياه، مع اتفاقهم على أن هذا هو الإناء، وأنكر زيد وحلف، فإنه يأتي زيد يوم القيامة، وعمرو وبكر وخالد، وذلك الإناء عند عمرو بعينه، وبما فيه من التمر الفاسد، بعينه الذي كان في الإناء يوم القيامة، يوم البيع في ساعة البيع، والإناء إن كان من البيع مع التمر، كان عند عمرو وإلّا فالإناء عند زيد، ويحشر ذلك المكان الذي وقع فيه البيع في تلك الساعة، من ذلك اليوم .

والأربعة على هيئتهم من قيام أو قعود حال البيع، فيفتح الظرف، وترى فيه تلك التمرات الباطلة، بحيث لا يشك أحد منهم في شيء مما كان؛ لأن ساعة البيع، والمتبايعين والشاهدين وهيئتهم، والمبيع وهيئاته حاضرة يوم القيامة والحساب، لأن الدنيا بما فيها مما له ربط بالحساب يوم القيامة، تحضر بعينها في

الوقت الأول بعينه، فكما أنك أنت الآن في الدنيا بعينك المحسوسة، هذه تعاد أنت بذاتك، لا بد لك كما توهمه المصنف، كذلك تعاد الأوقات والأمكنة بعينها لا بد لها .

ومن أنكر هذا لزمه أنه لم يقل بالمعاد الجسماني، ونظير ما قلنا : أن الشمس ردت للنبي يوشع بن نون «على محمد وآله وعليه السلام» في قتال الجبارين، فصلى بعد ما غربت الشمس أداء .

وردت لأمير المؤمنين عليه السلام عندنا مرتين؛ مرة حين كان رأس رسول الله في حجره، في مرضه الذي توفي فيه، بعد ما غربت، وصلى الناس المغرب، وهو عليه السلام لم يصل الظهرين، فدعا فردت إلى محل خمس وأربعين درجة من الأفق الغربي، فصلى الظهرين أداء .

والمرة الثانية حين تجاوزه من بابل، وإلى الآن محله حين ردت له قريباً من الحلة، وقد بني هناك منارة إلى الآن -وهو سنة تاريخ تأليف هذا الشرح، سنة ست وثلاثين بعد المأتين والألف من الهجرة- هي موجودة، فصلى الفرضين أداء لا قضاء، كما توهمه بعض من يتكلم بما لا يعلم ولا يفهم، ركوناً إلى ما يقولون أمس الدابر لا يعود، وأن الزمان غير قار الذات، وما أشبه هذه الألفاظ التي يأولونها ولا يفهمونها .

فبالله العجب الوقت الذي وجد كأمس، دخل في ملك الله، هل خرج من ملك الله، فأين تذهب ولكن أكثرهم يجهلون .

[الأخبار المصرحة بإعادة الأوقات والأمكنة من الدنيا في يوم القيامة]

وقد وردت أخبار كثيرة مصرحة بإعادة الأوقات والأمكنة من الدنيا يوم القيامة، فمن ذلك ما رواه في البحار، عن تفسير الإمام عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**أما أن الله عز وجل كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم، باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذلك قد احتاط على عباده، ولكم في**

استشهاد الشهود عليهم، فلله ﷻ على كل عبد رقباء من كل خلفه، ومعقبات من بين يديه، ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله، وألفاظه وألحاظه، والبقاع التي تشتمل عليه شهود ربه له أو عليه، والليالي والأيام، والشهور شهوده عليه أو له، وسائر عباد الله المؤمنين شهود عليه أو له، وحفظته الكاتبون شهود له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له، وكم يكونوا يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه، إن الله ﷻ يبعث يوم القيامة عباده أجمعين، وإماءه فيجمعهم في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي .

ويحشر الليالي والأيام، ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد، فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه، وشهوره وأعوامه، وساعاته وليالي الجمع، وساعاتها وأيامها، فيسعد بذلك سعادة الأبد.

ومن عمل سوءاً شهدت عليه جوارحه وبقاعه، وشهوره وأعوامه، وساعاته وليالي الجمع، وساعاتها وأيامها، فيشقى بذلك شقاء الأبد، فاعملوا ليوم القيامة، وأعدوا الزاد ليوم الجمع –يوم التناد– وتجنبوا المعاصي، فبتقوى الله يرجى الخلاص، فإن من عرف حرمة رجب وشعبان، ووصلهما بشهر رمضان –شهر الله الأعظم– شهدت له الشهور يوم القيامة، وكان رجب وشعبان، وشهر رمضان، شهوده بتعظيمه لها .

وينادي مناد : يا رجب، ويا شعبان، ويا شهر رمضان، كيف عمل هذا العبد فيكم؟، وكيف كانت طاعته لله ﷻ؟، فيقول رجب وشعبان، وشهر رمضان : يا ربنا ما تزود منا إلّا استعانة على طاعتك، واستمداداً لمراد فضلك، ولقد تعرض بجهده لرضاك وطلب بطاقته محبتك، فقال للملائكة الموكلين بهذه الشهور : ما تقولون في هذه الشهادة لهذا العبد؟ .

فيقولون : يا ربنا صدق رجب وشعبان، وشهر رمضان، ما عرفناه إلّا متقلباً في طاعتك، مجتهداً في طلب رضاك، صائراً فيه إلى البر والإحسان، ولقد

كان بوصوله إلى هذه الشهور، فرحاً مبتهجاً، أمل فيها رحمتك، ورجا فيها عفوك ومغفرتك، وكان مما منعته فيها ممتنعاً، وإلى ما ندبته إليه فيها مسرعاً، لقد صام ببطنه، وفرجه وسمعه، وبصره وسائر جوارحه، ولقد ظمأ في نهارها، ونصب في ليلها، وكثرت نفقاته فيها على الفقراء والمساكين، وعظمت إياديه وإحسانه إلى عبادك، صحبها أكرم صحبة، وودعها أحسن توديع، أقام بعد انسلاخها عنه على طاعتك، ولم يهتك عند إدبارها ستور حرماتك، فنعم العبد هذا، فعند ذلك يأمر الله تعالى بهذا العبد إلى الجنة...)[1]، وهو طويل فانظر إلى صراحة هذا الحديث الشريف، في حشر الأوقات والأمكنة، وكل ما تتوقف الشهادة العيانية فيه عليه، لأن التقرير في يوم القيامة لا بد أن يكون على أكمل وجه، وأكمل وجه ما يكون بنفس الشيء المختلف، كما هو هو وهو الشيء بنفسه .

مثال ذلك إذا سرق عمرو من دكان زيد، في سوق بغداد، يوم الخميس رمانة، حشر يوم القيامة دكان زيد في سوق بغداد يوم الخميس، وحشر عمرو وتراه الناس ماداً يده إلى دكان زيد، آخذاً للرمانة المسروقة في الدنيا بعينها، في الوقت الذي أخذها فيه في الدنيا، كما أنك إذا رأيته في الدنيا سارقاً للرمانة من ذلك الدكان المعين، في الوقت المعين، فإنك ما دمت حياً كل ما ذكرته رأيته آخذاً لتلك الرمانة، من ذلك الدكان، في الوقت المعلوم، فكلما ذكرته أحضرت الكل في ذهنك، بلا تغيير أبداً، فذلك هو الذي يبعثه الله تعالى بجميع أحواله وأشخاصه، **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[2]، وما ذكرته بجميع شقوقه ضروري قطعي لأهل توفيق الله .

---

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص٣١٥، ح١٠ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٠٦ .

[مراد المصنف ﷺ من حشر الوحوش في الآية الكريمة]

وقول المصنف : «لاحتمال أن يكون المراد من مثل قوله : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾[١]، طائفة من أفراد البشر، نفوسهم من جنس أرواح الوحوش، فحشروا وحوشاً لا أناساً»، الاحتمال صحيح، ولا ينافي حشر الوحوش الظاهرة، فمن حصر معنى الآية في هذا المعنى الباطني، فقد أبطل وأخطأ كخطأ من حصرها على الوحوش الظاهرة؛ لأن القرآن له ظاهر وباطن، وكلاهما صحيح، ومما تواتر معناه بين المسلمين، أنه يوم القيامة يقتص للجماء من القرناء، وقد نطق نص الكلام المجيد في قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٢]، ومما عبد من دون الله هبل؛ وهو حجرة منحوتة، والآن هو مدفون عند المسجد الحرام، في باب السلام، باب بني شيبة، حتى إذا دخل الحاج المسجد للطواف يطأ عليه، لكونه عبد من دون الله، إهانة له، ويوضع يوم القيامة في جهنم؛ لأنه رضي بأن يعبد من دون الله، وإلّا لكان مظلوماً، والعدل الحكيم لا يعذب من لم يقع منه تقصير، وقد قدمنا من الإشارة إلى تمييز الجمادات، وأنها مكلفة من الأخبار ودليل العقل ما فيه كفاية لأولي الأبصار .

[أن كل حيوان له تصورات وتخيلات لها في صلاح معاشه ونظام نوعه]

وقوله : «والذي ثبت عندي من طريق البرهان الحدسي؛ هو القول بالتفصيل»، يريد به أن بعض الحيوانات لها تصورات جزئية، لأن لها نفوساً متخيلة متذكرة، وما كان كذلك فإنها تحشر إلى مقابل إدراكاتها ومسمياتها، من البرازخ، فإن تلك التصورات من نحو رتبتها؛ أي : رتبة ما تعود إليه، وما ليس لها ذلك فلا عود لها .

---

(١) سورة التكوير، الآية : ٥ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٩٨ .

والحق أن كل حيوان فله تصورات وتخيلات لما فيه صلاح معاشه، ونظام نوعه، وأي حيوان لا يميز طعامه مما يشابه لونه، مثل التيس الذي هو شديد الغباوة، يميز العلف الأخضر من الثوب الأخضر، الذي لونه مثل لون الحشيش، وإذا نقل عن مكان مربطه، أو موضع معتلفه، إذا ترك يمضي إلى مكانه، ومحل معتلفه؛ لأنه يتصور ذلك، ويتصور محل شهوته، فيعرف الأنثى من الذكر، ويخاف مما فيه مظنة هلاكه أو ضرره، ويعرف من الناس من ألف به ممن لم يألف به .

وبالجملة؛ لا ينفك حيوان عن الصور، بل قيل : أنها تدرك الكليات؛ لأن لها نفوساً ناطقة، نعم الأمر كذلك، لأنها من فاضل أصحاب النفوس الناطقة، ولكن نفوسها الناطقة بنسبة رتبتها من الوجود، فهي ناقصة لضعفها، وانحطاطها عن النفوس الناطقة الإنسانية، فإذا حصل لها متمم، نطقت كما تكون لبعض الحيوانات عند صاحب المعجز، فإنه بفاضل نورانيته، ربما تممها فنطقت وأظهرت آثار الأفهام الإنسانية، من المعارف والآثار العقلية، وهذا في الحيوانات كثير، بل وفي الجمادات والنباتات .

والحاصل الطريق إلى معرفة ما نشير إليه، وإدراكه إما العقل، وإما النقل، فأما العقل فيكفي صاحب العقل ما مثلنا به من السراج وأشعته فتأمل فيه، وإن أردت الزيادة فعليك برسالتنا الفوائد وشرحنا عليها .

وأما النقل فهو في الحيوانات والمعادن والجمادات، أكثر من أن يحصى من الكتاب والسنة .

[الشيء الباقي بعد فناء كل شيء عند المصنف ﷺ]

وقوله : «فهو باق»، فنقول عليه : أي شيء باق بعد قوله تعالى : **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾**[1]، فإن أريد وجه الشيء فقد اشتركت الأشياء فيه، فكل الأشياء فانية، وكل وجوهها باقية، فلا تفصيل .

---

(١) سورة القصص، الآية : ٨٨ .

وإن أريد أن وجه الله بمعنى ذاته، فكل الأشياء فانية، ولا تفصيل .

وإن أريد وجه الله الذي تتوجه إليه الأولياء فكذلك .

وأيضاً أي شيء فان والله تعالى يقول : **﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾**[1]، على أن العناية تأبى عن إهمال ما هو بصدد الاستكمال، وأي فقير لم يكن ماداً ليد السؤال من الكريم الفعال، القائل : **﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾**[2]، وهو تعالى سبب من لا سبب له، وسبب كل ذي سبب، ومسبب الأسباب من غير سبب، ففي نفس الأمر كل شيء راجع إلى ما منه بدئ، رجوع مجاورة، وهو كل شيء يدرك الأمور الكلية، من الإنسان وغيره؛ لأنه لا يزال متعيناً متميزاً، فهو باق في تعينه وتشخصه وتميزه، وكل شيء انحط عن تلك الرتبة، فهو راجع إلى الله رجوع ممازجة، فهو باق لمبدئه لا لنفسه، فاستكمال ذوي النفوس المدركة، طلب الاستمداد للبقاء في تشخصها لا نفسها، واستكمال ما دونها طلب الاستمداد للبقاء في مبدئها، إذ كل شيء مخلوق فقير إلى الغني المطلق تعالى، في استمداد بقائه، وهو تعالى يمد كل شيء مما خلقه منه، وهو الغني الحميد، وكل شيء محشور إلى مبدء استمداد بقائه، وهذا معنى ما ذكره معلم الفلاسفة، كما ذكره المصنف .

[موافقة كلام المصنف قدس سره لكلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ما ذهب إليه في النفوس المتخيلة والنفوس الحساسة]

ومعنى ما ذكره المصنف أيضاً في النفوس المتخيلة، والنفوس الحساسة، وهو معنى ما ذكره معلم جميع الخلق أمير المؤمنين عليه السلام فيما تقدم من كلامه للأعرابي، الذي سأله عن النفس، حيث جعل عليه السلام النفس النباتية، والنفس

---

(١) سورة ق، الآية : ٤ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٦٠ .

الحيوانية الحساسة الفلكية، كلاً منهما إذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت، عود ممازجة لا عود مجاورة .

والنفس الناطقة إذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت، عود مجاورة[1] .

وقول معلم الفلاسفة : وكذلك النفوس النباتية إذا قطعت الأشجار أو يبست، يعني أنها تعود وتحشر إلى أصلها، كحشر القوى النفسانية إلى مبدئها، ورب نوعها .

[كيفية عود الشيء إلى أصله؟]

والمعروف من عود الشيء إلى أصله، أنه إن كان مركباً عاد كل جزء منه إلى أصله؛ لأنه أي : المركب لم يكن مأخوذاً من أصل مركب، ليعود المركب الثاني إلى المركب الأول المأخوذ منه، وإنما أخذ الثاني من مفردات الأول، فالنفس النباتية جزء من النار، وجزء من الهواء، وجزآن من الماء، وجزء من التراب، فإذا اجتمعا ونضجا بطبخ حرارة الفصول والكواكب، واعتدلت الأجزاء، واعتدل طبخها، ونضجت الأجزاء، وتلطفت حتى كانت في لطافة سماء الدنيا، تعلقت بها نفس سماء الدنيا، التي هي نفس الحياة فتحركت، فإذا فارقت عاد الجزء الناري إلى النار، والهوائي إلى الهواء، والمائي إلى الماء، والترابي إلى التراب، فإذا عاد كل جزء إلى أصله امتزج به، بحيث لا يمكن تميزه منه إلّا لخالقه تعالى، وعادت نفسه إلى نفس الفلك، وامتزجت به كامتزاج الجزء المائي بالماء، فالقوى النفسانية الإشراقية، حكمها في العود إلى ما منه صدرت، حكم أجزاء النباتية، كما سمعت من أنها تعود عود ممازجة .

والقوى النفسانية الأركانية، إذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود مجاورة، كالنفس الناطقة في عودها، فعود النباتية التي في الشجرة، وفي أغصانها إلى ما منه بدئت، كعود القوى النفسانية الإشراقية، لا كعود القوى النفسانية الأركانية،

---

(١) راجع الصفحة رقم (٤٣٢) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

وعود المقلدين إلى المجتهدين كعود الأركانية، وعود المجتهدين والمقلدين والأتباع إلى الأئمة عليهم السلام، كعود الأركانية في الظاهر؛ يعني عود مجاورة، وكعود الإشراقية في نفس الأمر .

وما في قوله تعالى : **﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾**[1]، كحشر المجتهدين والمقلدين والأتباع إلى الأئمة عليهم السلام .

---

(١) سورة النمل، الآية : ١٧ .



[ختم ووصية]
[في معتقدات مصنف الكتاب الملا صدرا]
[صدر الدين محمد الشيرازي تدّس]

قال : «ختم ووصية، يقول : هذا العبد الذليل، أني أستعيذ بالله ربي الجليل، في جميع أقوالي وأحوالي، ومعتقداتي ومصنفاتي، من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة، التي أتانا بها سيد المرسلين، وخاتم النبيين «عليه وآله أجزل صلوات المصلين»، أو يشعر بوهني بالعزيمة والدين، أو ضعف في التمسك بحبل الدين، لأني أعلم يقيناً أنه لا يمكن لأحد أن يعبد الله كما هو أهله، ومستحقه إلّا بتوسط من له الاسم الأعظم، وهو الإنسان الكامل للكل، خليفة الله بالخلافة الكبرى، في عالمي الملك والملكوت، الأسفل والأعلى، ونشأتي الآخرة والأولى»[1] .

[بحث حول وصية المصنف ملّا صدرا تدّس في اعتقاداته]

أقول : أحاديثنا التي نرويها عن أهل العصمة أئمتنا عليهم السلام ، مختلفة في مثل حال المصنف، الذي أكثر اعتقاداته التي وقفنا عليها في كتبه، مخالفة لكلام الأئمة عليهم السلام ومذهبهم؛ مثل قوله : بأن الوجود يصدق على القديم والحادث، من باب الاشتراك المعنوي، لأن الأشياء من سنخ ذاته تعالى، وأن بسيط الحقيقة كل الأشياء، ويريد ببسيط الحقيقة هو الله تعالى، وأن معطي الشيء ليس فاقداً له في ذاته، فإذا قيل له : الله تعالى أعطاني هذه العصا، هو تعالى ليس فاقداً لها في ذاته؟.

قال : نعم بنحو أشرف، وأن وجودات الأشياء ليست خارجة عن ذاته، والأشياء الموجودة في الخارج أظلة لتلك الحقائق، انحطت عنها كانحطاط الأظلة عن الشاخص .

---

(١) كتاب العرشية، ص١٠١ .

وأن الماهيات الثابتة في علمه الذي هو ذاته؛ أعني ماهيات الأشياء هي شؤون الذات، ولوازمها التي لا يمكن تصور انفكاكها عن الذات، وهي ليست مجعولة، ولا يطرء عليها التغير والتبدل .

وأن الصور المعقولة متحدة بعاقلها، والمفعول متحد بالفاعل، والمحسوسة متحدة بالحاس .

وأن الصور المحسوسة المتعلقة بالمواد، ليست معلومة له بالذات، وإنما هي معلومة له بتبعية حقائقها المتحدة به .

وأن أهل النار يؤل أمرهم إلى النعيم، وأنه تعالى ليس له إن شاء فعل، وإن شاء ترك، ولهذا منع أن يكون الله فاعلاً بالقصد، وإنما هو فاعل بالعناية؛ بمعنى أن علمه بوجه الخير والصلاح، ويكون فعله تابعاً لعلمه بوجه الخير، مع غير قصد زائد على علمه كما تقدم .

ويكون معنى كونه عنده مختاراً أنه إن شاء فعل، وإن لم يشاء ترك، وبينا فيما سبق أن هذه العبارة تنافي الاختيار، وإنما عدل عن العبارة المعروفة لأجل نفي القصد الزائد على العلم، لما يلزم من اعتبار القصد عنده من المفاسد، وقد ذكرنا فيما سبق جواب ما توهمه .

وأن المعاد الجسماني عبارة عن إعادة الأشخاص بصورهم لا بموادهم؛ لأن المواد تتبدل وتتغير ولا تبقى، بخلاف الصور .

وأن علم الله بالأشياء مستفاد من الأشياء .

وأنه تعالى ليس له أن يهدي جميع الخلق، إذ ليس له في الأشياء إلّا وجه واحد .

وأن جنة زيد المؤمن، وجميع ما فيها من القصور والولدان والحور، والمطاعم والمشارب، والمناكح والحلي والحلل، وجميع أنواع النعيم، التي أعدها الله تعالى له، كل ذلك وجودها عبارة عن وجوده، لأنها كلها من قبيل نياته ومعتقداته، فليس لها وجود إلّا وجوده، وأمثال هذه من اعتقاداته، ومع هذا كله يقول : «استعيذ

بالله ربي الجليل، في جميع أقوالي وأحوالي، ومعتقداتي ومصنفاتي، من كل ما يقدح في صحة متابعة الشريعة، التي أتانا بها سيد المرسلين، وخاتم النبيين «عليه وآله أجزل صلوات المصلين»، أو يشعر بوهني بالعزيمة والدين، ...إلخ» .

والروايات المتكثرة، دالة بصريحها على أن القائل بهذه المقالات وأمثالها، كافر ومشرك .

وظاهر كلام العلماء ذلك في حق القائل بهذه المقالات، نعم روي عن الباقر عليه السلام ما معناه : **(لو أن رجلاً سمع الحديث يروى عنا، ولم يعقله عقله وأنكره، وكان من شأنه الرد إلينا، فإن ذلك لا يكفره)** .

ومعلوم بأن مثله لا يريدون خلاف أئمة الهدى عليهم السلام، وإنما دخلوا في هذه المقالات الباطلة، لأنهم قرأوا كتب الفلاسفة والصوفية[1]، ووجدوا فيها رموزاً وإشارات وتدقيقات، وأنسوا بها أولاً، فلما نظروا في كلام الأئمة عليهم السلام، ووجدوه مخالفاً لما ذكره أولئك، أولوا كلام الأئمة عليهم السلام على ما يطابق مرادات الحكماء والصوفية، لتوهمهم صحة كلام أولئك، حيث ذكروا أدلة من المجادلة بالتي هي أحسن، دخلت في أذهان هؤلاء، فاعتقدوا صحة كلامهم، وكلام أئمّتنا عليهم السلام، أغلب أَدِلّته من أدلّة الحكمة، وهي غير مأنوسة؛ لأنّها جارية على الفطرة والبداهة، وتستبعد النفوس بيان هذه المطالب العالية، بهذه الأدلّة التي ليس فيها غموض، وتوهّموا أن هذه المطالب الغامضة، ما تكشف عنها إلّا الأدلّة المعقّدة المشبّكة، فاعتمدوا على أدلّة أشباههم .

[من هو الذي يمكنه أن يعبد الله تعالى على الوجه الصحيح عند المصنف تتثُّ؟]

وقوله : «لأني أعلم يقيناً أنه لا يمكن لأحدٍ أن يعبد الله كما هو أهله،

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة (٧٩) من الجزء الأول من هذا الكتاب .

ومستحقّه إلّا بتوسّط مَن له الاسم الأعظم، ...إلخ»، فاعتقد علــى أن الأنبيــاء المتقدمين «على محمد وآله وعليهم السلام» ممن لهم الاسم الأعظم، والحكماء الأجلّــة الثقاة، الّذين أفنوا أعمارهم في القراءة عليهم عليهم السلام، فلا شك عنده أنهم عرفــوا اللّه حق معرفته، التي يمكن أن ينالها البشر، مع ما يشاهد من انقطاعهم، وصرف جميع أعمارهم في أخذهم العلم عن الكمّلِ، الذين لهم الخلافة الكبرى، في عالمي الملك والملكوت .

[قول الشارح رحمه الله في ما ذهب إليه المصنف رحمه الله في من يعبد الله تعالى على الوجه الصحيح]

وأقول : الأمر في حق الأنبياء عليهم السلام كذلك، ولكنه ما أخذ عنهم مشافهة، وإنما أخذ من الوسائط مع بعد الزمان وطوله، وأئمتنا عليهم السلام أتوا بعدهم، وهــم أعلم من أولئك توسّطاً وواسطة، وأضبط أخذاً عن الله، فالذي ينبغــي تــرجيح قولهم عليهم السلام وعلمهم ونقلهم، ولأنهم مجدِّدون لما درَس، وحافظون لمــا تَلِــف، وكاشفون لما سُتِر، فالأولى تأويل كلام غيرهم إلى كلامهم لا العكس .

فإن قلت : أن كلام أولئك مطابق للعقول، وكلام الأئمة عليهم السلام بعيد عنها، فلذا وجّهوا البعيد عن العقول إلى القريب؟ .

قلت : الأمر على العكس؛ لأن كلام الأئمّة عليهم السلام جاري على الطبيعــة، بخلاف كلام أولئك .

فإن قلت : هذا وجداني، فإنا نجد كلام أولئك أقرب؟ .

قلت : ليس كذلك، فإنّي أجد كلام الأئمة عليهم السلام أقرب إلى فهمــي مــن كلام أولئك .

والسّر فيه أنّي ما اشتغلت بكلام أولئك واصطلاحاتهم، فلمّا وقــع علَــيَّ الكلامان قبل فهمي كلام الأئمة عليهم السلام، لأنه جارٍ على الفطرة، وفهمي كان على فطرته ما حصل له شيء آخر قبل هذا، حتّى تغيّرَ عن فطرته .

وأمّا مثل المصنّف ما وصل إليه كلام الأئمة عليهم السلام، إلّا بعد ما وصل إليه كلام الأغيار، فاعوجّت به طبيعته، وتبدّلت به فطرته، وانحرفت به سَليقته، فلما وصل إليه كلام أئمة الهدى عليهم السلام، لم ينطبق على فطرته؛ لأنها مغيّرة، وكان يعلم أنهم عليهم السلام على الحق من دليل خارج، فاحتاج إلى تأويل كلامهم عليهم السلام.

والحاصل ظاهر حديث الباقر عليه السلام صادق عليه؛ لأنّه كان من شأنه الردّ إليهم، والله تعالى أعلم بعواقب الأمور.

[قول المصنف تَدُّسُّ : بأنه يوصي الناظر في هذه الأوراق أن ينظر فيها بعين المروة والإشفاق ...إلخ]

قال: «وأوصيك أيّها الناظر في هذه الأوراق، أن تنظر فيها بعين المروّة والإشفاق، وأنشدك بالله وملكوته، وأهل رسالاته، أن تترك عادة النفوس السفليّة من الألف بما هو مشهور بين الجمهور، والتوحش عمّا لم تسمعه من المشائخ والأباء، وإن كان مبرهَناً عليه بالحجة البيضاء، فلا تكن ممّن ذمّهم الله على التقليد المحض من غير برهان، في مواضع كثيرة في القرآن؛ كقوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**﴾(١)، فإيّاك أن تجعل مقاصد الشريعة الإلهية، وحقائق الملة الحنيفيّة، مقصورة على ما سمعتَ من معلّميك وأشياخك، منذ أوّل إسلامك، فتجمد دائماً على عتبة بابك ومقامك، غير مهاجرٍ إلى ربّك، بل اتبع ملّة أبينا الحقيقي إبراهيم حنيفاً مسلماً، حيث قال لأبيه المجازي: يا أبت ﴿**لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾(٢)، وقال: ﴿**إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾(٣)، فاذهب إلى ربّك، وسافر من بيت حجابك، وعتبة بَابك، مهاجراً

---

(١) سورة لقمان، الآيتان: ٢٠-٢١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

إلى الله ورسوله، لترى من آيات الجبروت، وعجائب الملكوت، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعَتْ، فإن أدركك الموت في هذا السّفر فأجرك على الله، لقوله : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1]»[2] .

[المراد من النظر في كتاب المصنف ﷺ بعين المروة في وصيته]

أقول : إن المصنف أوصاك أن تنظر في كتابه هذا بعين المروّة؛ يعني أنّك لا تسرع بالردّ، ولا تكذّب بما لا تعلم، فإن ذلك خلاف المروّة، فإن من المروّة أن تتأمّل في أن هذا الرجل ما تفرّد بشيء لم تقل به غيره، بل اتّبع خلقاً كثيراً، وطابق في هذه المطالب جمّاً غفيراً، ولتنظر بعين المحبّة، فإن المحب ربّما يرى في الكلام على الظاهر خَطأ، وإذا نظر بعين المحبّة أمعن نظره في تحصيل وجه مصحح، ثم أقسم عليك، وسألك بالله وملكوته، وهو صفاته الذاتية عنده، لأنها مغايرة للذات في المفهوم .

وأمّا عندنا فملكوته صفات أفعاله، وأمثاله العليا، وهي ما ظهر بها على عرشه، فخلق ورزق، وأمات وأحيى .

وأهل رسالته أنبياؤه، والوسائط في الأداء، والتبليغ إلى خلقه، سألك بذلك أن تترك عادة النفوس السفليّة، الحيوانية الفلكية والطبيعية، من كونها إذا أَنسَتْ بشيءٍ صعب عليها مفارقته، وإن تبيّن لها عدم صحّته، بل تتكلّف تصحيحه، خصوصاً إذا كان مشهوراً بين جمهور العلماء، وسألك بذلك أن تترك التوحش عن كل شيء، لم تسمعه من مشائخك، لأن النفوس السفلية حريصة على ملازمة ما سمعَتْه من مشائخها، بل ربّما تأخذها الحميّة الجاهلية، بأن تقبله وتنصره، وأن تبيّن لها وهنه وضعفه، بل ربما عملَتْ به لآخرها، لا سيّما إن كان له من أبناء الجنس الأحياء معارضاً له، كما شاهدناه في زماننا كثيراً، حتى قال بعض مَن

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٠٠ .

(٢) كتاب العرشية، ص١٠١ .

يُقْتَدَى به لمن يطيعه : ينبغي أَنْ تقوي هذا الرأي ولو بشيءٍ مُفترى، لئلّا يقوَى الضدّ، وهو من مراد المصنّف بقوله : «وإن كان مبرهناً عليه بالحجة البيضاء» .

فإن قلتَ : كيف اعتذارك في ترك النظر بعين المروة والإشفاق، حتى بلغ بك الحال أنّك ربّما ما صحّحتَ له مسألة، مع أنّي ما أظن أنّك تعجز عن تصحيح أكثر المسائل، ولو بالتّوجيهات البعيدة، ولكنّك لَمْ تُرِدْهُ؟ .

قلت : إني لم أرد التصحيح، ولو أردت التصحيح لما عسر عليّ، ولكن بعض التّلامذة قال لي : أنّ النّاس في هذا الزمان افتتنوا بكتب هذا الرجل، واعتقاد حقيّة كلّ ما يقول، حتّى أنّ كثيراً منهم يسمع كلام الإمام عليه السلام، بخلاف كلام المصنّف، ويترك كلام إمامه عليه السلام، ويأخذ كلام المصنّف، فإذا قيلَ له : لم فعلتَ كذا؟ .

قال : إنّ المُصنّف أعلم بمراد الإمام عليه السلام؛ لأنّه يأتي بالبَراهينِ القاطعة، فهُو أدَلُّ .

فقال لي : إنْ كنتَ تعرف بطلان قوله وأدلّته، فبيّن بطلان ذلك وما يلزمه، ليجتنبه طالب الحق، فسلكت هذا المسلك، والله سبحانه يعلم إني ما قصدت خصوص تنقيصه، وإنما أردت بيان الحقّ على نحو ما سلكه أئمة الهدى عليهم السلام، ومن الّذي أوصاك ألّا تكون ممّن ذمّهم الله على التّقليد المحض، من غير برهان في مواضع كثيرة من القرآن، كقوله : **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾**[1]؛ وهو دليل المجادلة، **﴿وَلَا هُدًى﴾**[2]؛ وهو دليل الحكمة، **﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾**[3]؛ وهُو دَليلُ الْموعظةِ الحَسَنة؛ يعني بعض النّاس من يصف الله أو يعبده

(١) سورة الحج، الآية : ٨ .

(٢) سورة الحج، الآية : ٨ .

(٣) سورة الحج، الآية : ٨ .

برأيه واستحسانه، يقول في وصف الله وعبادته بالخرص والظن، بغير دليل من الأدلّة الثلاثة، فإذا قيل له : لم تركتَ ما أنزل الله على نبيه ﷺ؟ .

قال : هذا دينُ أسلافي، والمشهور بين النّاس .

وأنا أقول للمصنف، كما قال لك :

وكلٌّ يدّعي وَصْلاً بليْلَى ... وليلَى لا تقرّ لهم بذاكا

والجواب الفاصل :

إذا انبجست دموعٍ في خدودٍ ... تَبيَّنَ مَنْ بَكَى ممّن تباكَا

إنْ كَان كَلام المدّعي يصدّقه الكتاب والسّنة، ويشهدان له، بحيث لا يُخَالف ما عليه عامّة المسلمين، لأن رسول الله ﷺ أقرّهم على ظاهر ما فهموا، فإن كان ما فهموه حقّاً، كان ما ذكروه أولئك مما خالف المشهور باطلاً، وإنْ كان ما فهمه الجمهور من الدين الذي دعا إليه ﷺ غير الحق، وغير مراده، فقد مات و لم يبلّغْ ما أَمره الله بتَبْليغه، و لم يكن ذلك باجْماع المسلمين، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[1] .

[متى يجب الجمود على عتبة الباب ولا يجوز المهاجرة عنها؟]

[وقوله] : «فإيّاك أن تجعَلَ مقاصد الشريعة الإلهيّة، ...إلخ»، فيه أنّ الْمُعَلّمين ربّما أقرّوه عَلَى حَقٍّ لا يجوز تجاوزه، فعلى مثل هذا يجب الجمود على عتبة الْباب، ولا يجوز الْمُهَاجرة عنه؛ لأن هذا هو الاستقامة التي أشار سبحانه إليها في قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[2]، وصاحب الشريعة ﷺ : (**إنما بعث لتكميل الناقصين**)، و لم يترك شيئاً مما فيه تكميل أو تتميم إلّا أتى به، وبيّنه على أكمل بيان، ودَلّ عليه بأَوْضح برهان، فإنْ أمر بالمهاجرة وجبت المهاجرة،

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ٦٢ .

(٢) سورة فصلت، الآية : ٣٠ .

وإن سكت وجب السكوت، وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى في جوامع الكلم، الّتي علّم رسول اللّه صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام من الألف الباب، التي ينفتح من كل باب ألف باب، وهو قوله عليه السلام : (**أنّ رسول الله أمرَ بأشياء، ونهى عن أشياء، وسكت عن أشياء، ولم يكن سكوته عنها غفلة، فأبهموا ما أبهمه الله، واسكتوا عمّا سَكَت الله**)، فليس كل من لم يهاجر مخطئاً، بل المخطئ مَن أُمرَ بالمهاجرة ولم يُهَاجر، فإنّ من أُمرَ بالمهاجرة إذا هاجَر رأى من عجائب الملكوت، وآيات الجبروت، ما لا عين رأت، ولا أذن سمِعَتْ، ولا خطر عَلى قلبِ بشرٍ .

والمراد بهذه العين، وهذه الأذن، وهذا القلب، مدارك مَن لم يهاجِرْ، ولَمْ يُسَافِر عن بيته، المحبوس فيه في حبس طبيعته، فإن أدرك هذا المهاجر إلى الله الموت قبل بلوغه الغاية، وكانت نيته صالحة في سفره إلى الله .

فروَى أصحابنا ما معناه : (**أن الله سبحانه يوكل بـه ملكـاً أو ملائكـة يعلّمون ما يقطع عن إدراكه الموت قبل إدراكه له، حتى يأتي يوم القيامة وهو مدرك لما قطعه إلى قطعه عن إدراكه الموت**) .

[قول المصنف تتيُّ : بأن لا تبالِ إن كنت مسافراً بمخالفة الجمهور ...إلخ]

قال : «فلا تُبَالِ إنْ كنتَ مسافراً بمخالفة الجمهور، فإن الجمهور واقفون في منـزلهم، والمسافر مرتحل من المنـزل، فكيف يقـع الاتفـاق بـين السـاكن والمتحرّك، والحالّ والمرتحل، فكن كما قال إمامُكَ وإمامُنَا أمير المؤمنين «عليه وعلى أخيه وآله صلوات ربّ العالمين» : (**لا تعرف الحق بالرجال، بل اعـرف الحق يعرف منه أهله**)»[1] .

[عدم مبالات المسافر إلى الحق بمخالفة الباطل]

أقول : نعم لا يُبَالِ إذا كان مسافراً إلى حقٍّ بمخالفة الباطل .

---

(١) كتاب العرشية، ص١٠٢ .

وأمّا المسافر من حقٍّ إلى باطلٍ فلا، وذلك معلوم بالضرورة، أنّ المقيم إذا كان عَلَى باطلٍ، لا يوافقه المسافر إلى الحق لا العكس، فإن الغلاة سافروا إلى باطل، والخوارج[1] مرقوا بسفرهم عن الطريقة المأمور بالاستقامة عليها، قال تعالى : ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[2] .

وقوله عليه السلام : (**لا تعرف الحق بالرّجال، ...إلخ**)، صادق على بعض المسافرين، وبعض المقيمين فليس فيه دليل .

[قول المصنف ﵀ : واعلم أن المتبع في المعارف الإلهية، هو البرهان، أو المكاشفة بالعيان ...إلخ]

قال : «واعلم أن المتّبع في المعارف الإلهيّة، هو البرهان، أو المكاشفة بالعيان، كما قال تعالى : ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، وقال : ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾[4]، وهذا البرهان نور يقذفه الله في قلب المؤمن، تتنوّر به بصيرته، فيرى الأشياء كما هي، كما وقع في دعاء النبي ﷺ لنفسه ولخواصّ أمته وأوليائه، من قوله : (**اللهم أرنا الأشياء كما هي**)[5]»[6] .

---

(١) **الخوارج هي** : «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان» . [الملل والنحل، ص٥٠، فصل : ٤]

(٢) سورة الجن، الآيتان : ١٦-١٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١١١ .

(٤) سورة الحج، الآية : ١١٧ .

(٥) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦٥) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٦) كتاب العرشية، ص١٠٢ .

[البرهان المتبع المنجي في المعارف الإلهية]

أقول : كون الْمُتَّبَع المنجي في المعارف الإلهيّة، هو البرهان، أو المكاشفة بالعيان، فممّا لا إشكال فيه، وإنما الإشكال في البرهان ما المراد منه؟، ولا شكّ أنّ البرهان الاصطلاحي، ليس هو المراد على جهة الخصوص، لأنّ مقدّماته رتّبوها بنتائج عقولهم، ونتائج عقولهم لا تقدّر بها عظمة الله؛ لأنّ العول لا تحيط بكنهه، ولا تبلغ أدْنَى ما استأثرَ به من الغيب والقدس، والتره عن الإدراك والإحاطة .

[تحصيل المعرفة بالأدلة الثلاثة دليل الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن]

وأما دليل الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فإنّما تحصل بها المعرفة الصوريّة في دليل المجادلة، والعقلية في دليل الموعظة، والحقيقية في دليل الحكمة؛ لأنه تعالى جعلها كذلك، وتعرف منها على حسب جعله تعالى كذلك، إلّا أنّ دليل المجادلة لّما كان مأخذه من آثار العقول وأنظارها، وكانت لا تدرك إلّا نظائرها، وكان المؤسّس منها، والهادم منها، انحطّ عن رتبة معرفة الله، فلا يدرك إلّا ما هو من الممكنات .

ودليل الموعظة أَساسهُ يؤل إلى التّقليد، فكان في انحطاطه مثل الأدلّة العقليّة، لا تتجاوز معرفة الحوادث والممكنات، ولا يتوصل به إلى حقيقة المعرفة إلّا دليل الحكمة؛ لأن الدليل الذي تتوقف صحته على تصور المطلوب معرفته، لا يمكن أن يستعمل إلّا في الحادثات، فالبرهان الاصطلاحي لا يعرف به القديم تعالى .

[المكاشفة واستعمالها]

وأمّا المكاشفة فقد تستعمل في الأمور المؤدّية إلى الجهل بالله تعالى، لأنها قد تكون ناشئة من الرياضات المنهي عنها شرعاً، والأوراد الّتي تستعملها الصّوفيّة[1]،

---

(١) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة (٧٩) في الجزء الأول من هذا الكتاب .

الّتي لم ترد عن أَهْلِ العصمة عليهم السلام، بل ورد عن الصادق عليه السلام : (**إلّا أنّ أكثرهم يسفل**)؛ يعني أن أكثرهم يخطئ الحقّ، اللّهم إلّا أن يكون رجلاً قد راض نفسه بصدق الإخلاص، في القيام بالامتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بالنوافل، وملازمة الآداب الشرعية، ويجعل فهمه وعقله تابعَيْن للكتاب والسنّة، لا يريد بجميع أعماله وأفعاله وأقواله إلّا ما يرضي الله تعالى، فإن الله عز وجل يسدّده للإصابة في جميع أعماله واعتقاده، لما هو الأحبّ إليه، ويعصمه من الخطأ في أمور دنياه وآخرته، وهذا هو البرهان الحق، لا البرهان الاصطلاحي، وهذا هو معنى الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الّذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ...**)[1]، فحينئذٍ يُريه الله الأشياء كما هي .

وأما من كان برهانه من القضايا المنطقيّة، فلا يدرك من الأشياء إلّا ألفاظ أسمائها .

[قول المصنف قدس سره : اعلم أن هذه المسائل التي وقع الخلاف فيها لجمهور الفلاسفة ...إلخ]

قال : «واعلم أن هذه المسائل التي وقع الخلاف فيها لجمهور الفلاسفة، مع الأنبياء عليهم السلام، ولهم الدعاء لو كانت سهلة التناول والحصول، ممكنة الاكتساب بأفكار هذه العقول المنطقيّة، وأنظارهم التعليمية البحثيّة، لما وقع الخلاف فيها من أولئك العقلاء، المشتغلين طول عمرهم باستعمال آلة الفكر، والنظر في اكتساب تصوّر الأشياء، ولَما نشأ منهم فيها الخطأ، ولما وقعت الحاجة إلى بعثة الأنبياء، فعلم أن هذه المسائل لا تحصل إلّا باقتباس الأنوار من مشكاة النبوة، والتماس فهم الأسرار من باطن الولاية، فعليك بتجريدٍ تامّ للقلب، وتطهيرٍ بالغٍ للسّر، وانقطاعٍ

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

شديد عن الخلق، ومناجاة كثيرة مع الحق في الخلوات، واعراضٍ عن الشهوات والرئاسات، وسائر أغراض الحيوانات، بالنية الصافية، والدين الخالص»[1] .

[طريقة المصنف تتئُ في كثير من اعتقاداته]

أقول : طريق المصنّف في كثير من اعتقاداته، مثل طرق الفقهاء المجتهدين، فإنه يذكر المسألة ويستدلّ عليها بكلّ ما يمكنه من الاستدلال، من كلامه وكلام غيره، ثم يحصل له بعض الأوقات عدول عن ذلك الرأي، كما وقع له في بعض المسائل؛ مثل حكمه على أن أهل النار إذا تطاولت عليهم الدهور، تنعّموا بالعذاب، وقد بسط الكلام في الاستدلال على هذه المسألة في سائر كتبه، خصوصاً في الكتاب الكبير، وفي هذا الكتاب جرى على طريقته في الاستدلال، على ذلك المقال، ثم ذكر في أخر كلامه، أنّهم لا يجدون راحة في النار؛ لأنها دار المحن والبلاء، وفي هذه المسألة التي نحن الآن بصددهَا في كتابه المشاعر، ذكر أن الأنبياء عليهم السلام طريقهم في المعارف الإلهية البرهان، وظاهر كلامه أنه طريق جميع العارفين، وأَن المراد به البرهان الاصطلاحي .

[المراد من البرهان الاصطلاحي]

وهنا في هذا الكتاب أشار إلى أن المراد بالبرهان ليس هو البرهان الاصطلاحي، الّذي يبيّن تركيبه واصلاحه، وتصحيحه في علم المنطق، لأن الفلاسفة أفنوا أعمارهم في استعمال آلة النظر والفكر، وفي تصحيحها وضبطها، فلو كان منشأ دليلهم، ومبنى استنباطهم، على ذلك لهذه المسائل، لتناولوها بهذه الأدلّة، ولما وقع بينهم وبين أهل الوحي عليهم السلام اختلاف، ولما احتاجوا إلى بعثة الأنبياء عليهم السلام في تحصيل مسائل قد أحكموا أدلّتها، التي نسبت تلك المسائل

---

(١) كتاب العرشية، ص١٠٢ .

عليها، ولكن تلك المسائل لمّا كانت مبنيّة على أدلّة لا يمكن تحصيلها إلّا من قبل الوحي، وذلك لصعوبة تلك المسائل، ودقّة مأخذها، فلم تنهض أدلّتهم المنطقية بإدراكها ومعرفتها، حتى أنّ أحدهم إذا تفرّد في استدلاله بقدر شعرة عن أدلّة أهل الوحي عليهم السلام، خالفهم وأخطأ الصواب .

ويفهم من هذا أن المراد بالبرهان هنا، البرهان الإلهي لا المنطقي، وهو عين ما نريد، وقد ذكرنا في شرح المشاعر أن أدلّة الأنبياء هي البراهين الإلهيّة، التي كثيراً ما نشير إليها بدليل الحكمة، لا البراهين الاصطلاحيّة المنطقية، التي هي دليل المجادلة بالتي هي أحسن، ولكن إذا فرضنا مسألة من المسائل سهلة التناول، يمكن المصنف أن يقطع بارتفاع الخلاف فيها، حيث ما كانت سهلة لم يقع فيها خلاف إذا كانت أدلّة الباحثين فيها من البراهين المنطقية، ليستدلّ على صعوبة هذه المسائل بوقوع الخلاف، ليكون الحكم مطّرداً إثباتاً ونفياً، ولكن الاستدلال إذا كان من كل واحد من الباحثين من نوع واحد، بمعنى أن تكون جميع استدلالاتهم مأخوذة من آيات الله المضروبة في الآفاق وفي نفس الأمر، بالطريق التي أمر عز وجل أن يؤخذ بها، كما أشار إليه سبحانه في قوله تعالى من جهة باطن التأويل : **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً﴾**(١)، فالنحل نفوس العلماء الذين ينتحلون الدين؛ بمعنى عدم الواسطة بينهم وبين ربّهم، بحيث ينسب الدين إليهم، لا الانتحال الذي هو الابتداع، بل الانتحال هنا بمعنى الاختيار، وكيف يكون هنا بمعنى الابتداع، وهو يقول : **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي﴾**، و**﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾**، و**﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ﴾**، أي : الأجساد، ومن الجبال؛ أي : الطبائع، جمع جبلّة على غير القياس؛ أي : متعلّق أنظار النحل وأفكارها تأوي إليها ليستخرج من صفاتها ما

---

(١) سورة النحل، الآيتان : ٦٨-٦٩ .

تقتضيه من أحكامِها، وكذلك من الشجر؛ أي: النفوس بيوتاً، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ من ارتباط النفوس بالأجسام كذلك، وانظري فيها بكلِّ علمٍ، واستنبطي أحكامها بالنحو الذي أمر الله، فإذا سلك في الاستدلال سُبُل الله، وإنْ تعددَّتْ صُوَر البرهان، فهو واحد ينفي الاختلاف بين النّاظِرين، وطالبي حقّ اليَقين.

[الطريق الموصل إلى تحصيل المعارف الإلهية]

والطريق الموصل إلى تحصيل هذه الملكة أو الحالة، هو كما قال المصنف: «تجريد تام للقلب، بأن يكون قلبه مجتمعاً، وتطهير بالغ للسرّ، بحيث لا يغفل عن ذكر الله، بأن لا يجده حيث ينهاه، ولا يفقده حيث يأمره، وانقطاع شديد عن الخلق، وذلك بدوام ذكر الله، ومناجاة كثيرة مع الله، بدوام الدعاء والاستغفار، وطلب التوبة في الخلوات، خصوصاً آخر الليل، وترك الشهوات والرئاسات، وسائر أغراض الحيوانات، فإن في ترك ذلك رضى الله تعالى».

[قول المصنف تتمُّ: وليكن نفس عملك نفس جزائك، وعين علمك عين وصولك إلى مبتغاك ...إلخ]

قال: «وليكن نفس عملك نفس جزائك، وعين علمك عين وصولك إلى مبتغاك، حتى إذا كشف الغطاء، ورفع الحجاب، كنتَ كما كنت في الباب محضراً عند ربّ الأرباب، فإنك لا تلحق غداً إلّا ما علمته، ولا تحشر يوم القيامة إلّا إلى ما أحببته، حتى أنه لو أحبّ حجراً لحشر معه، كما ورد في الحديث[1]، فإيّاك أن تحبّ لما لا وصول لك إليه، أو تعلم لما لا تحقق له في الآخرة، فتهلك محترقاً بنار الحريق، أو تهوي إلى مكان سحيق، وقد علمتَ ألّا يحشر أحد إلّا إليه، ولا يتألم ولا يلتذّ إلّا بما فيه، فهذّب نفسك، وخلّص نيّتك، وصحّح عقيدتك،

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **(من أحبنا كان معنا يوم القيامة، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه)**. [مشكاة الأنوار، ص٢٢٠].

ونوّر قلبك للناظرين، وطهر بيتك للطائفين والعاكفين، فولّ وجهك شطر كعبة المقصود، وتوجّه إلى ربك وليّ الخير والجود، فهذا غاية السفر، والذهاب إلى عالم النور، وهو حاصل التجارة التي لن تبور، مَنْ بذل متاع هذا الوجه الفاني، وأخذ العوض من الوجه الباقي، ﴿وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾[1]»[2] .

[وصية في العمل والاعتقاد بالمجازات]

أقول : منَ الوصيّة ما ذكره هنا، بل هذا هو الأصل، وهو ليكن نفس عملك نفس جزائك، بأن تعتقد أنك تجازى يوم القيامة بعَمَلك، فاعمل ما تعلم أنّك تجازى به، وأنه عائد إليكَ، وأيضاً تعلم وتتيقّن أنك إنما تصِل إلى مطلوبك بعلمك، فانظر إلى ما تحب أن تصل به فحصّله .

أمّا الفقرة الأولى فظاهرة التحقّق، ومحكمة الأساس .

وأمّا الفقرة الثانية، فعند المصنّف على إطلاقها، وهو أن مطلوبك من كل شيء عين علمك به، سواء كان مطلوبك معرفة خالقك، أم الجنّة، أم الحور العين، أم النكاح، أم الأكل والشرب، وما أشبه ذلك .

وأمّا عندنا فإن كان مطلوبُك معرفة خالقك فكذلك؛ لأن العلم كالعمل، كما في الفقرة الأولى .

وأمّا إن كان مطلوبك الجنّة والحوريّة مثلاً، فإذا قلنا : بالاتّحاد في العمل، فعلى معنى ما سبق من أن العمل صورة الثواب والعقاب، سواء كانت الصورة ذاتية أم تخصيصية، كما مثّلنا سابقاً بالرمانة التي تباع في السوق، فَإنّها موجودة قبل أن تشترِيَها بصورتها الذّاتية، فإذا اشتريتها صوّرت بصورة التخصيصية، يعني أنها بعد الشراء كانت مختصّة بك من جملة أملاكك، وقد كانت قبل الشراء صالحة لك ولزيدٍ وعمرو .

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٩٨ .

(٢) كتاب العرشية، ص١٠٣ .

وأما مادة الثواب، فكما ذكرنا سابقاً، من أنها من أمر الله الذي به قام كل شيء، قد حمله الأمر التكليفي إليك، فتخصّص بحيازتك له، التي هي عبارة عن امتثالك للأمر التكليفي، الحامل لتلك المادة، وهي حصّة من شعاع الأمر القيومي، فإذا قلنا : بالاتحاد في العمل، لم نقل بالاتّحاد في العلم .

وأما المصنّف فعلى طريقته ورأيه من أن جنة زيد المؤمن وحورياته، وجميع ما هو ملاقيه من أنواع النّعيم، فعبارة عن ملكاته؛ لأن جنته وما فيها بمنزلة نيّاته ومعتقداته، كما تقدم .

ففي الفقرة الثانية إن كان مبتغاك معرفة مولاك، فنِعم ما أولاك؛ لأنه لا يُعْلَم من نحو ذاته، ولا يُدْرَك، وإنما يُعرف بما عرّف به نفسه، ممّا وصف من صفات أفعاله .

وإن كان مبْتغاك معرفة مثواك ونعيمك فيما أعطاك، فعلمُكَ غير مبتغاك، فإذا تيقّنت أن عملك نفس ما تُجازَى به، وعملتَ بما ترضى به أن يكون جزاء لك، كنتَ إذا كشف الغطاء عنك، بأن فارقَتْ نفسك جسدَك، ورفع حجاب الطبيعة الجسمانية عنك، كما كنتَ، أي : كنتَ عند مطلوبك ومحبوبك، كما كنتَ في دار الدنيا، لم تختلف عليك الأحوال، ولم يغيّر نعيمك الانتقال .

وقوله : «فإنك لا تلحق غداً إلّا ما علمته، ولا تحشر يوم القيامة إلّا إلى ما أحببته»، يريد به تعليل قوله : «نفس علمك، نفس جزائك، ...إلخ»، وأنت قد سمعت تخصيص بعض ذلك، إذ لا يصح الكلام كله على اطلاقه، وحتّى لو أحبّ حجراً لحشر معه[1]، إذا كان الحبّ ذاتياً؛ لأنه ميْل المتحدين بعضهما إلى بعضٍ، ولو كان الميل عرضياً لم يستلزم ذلك، كما لو أحبّ كافر ممن وجبت له النار مؤمنة قد وجبت لها الجنّة محبّة نكاح، فإنه لا يحشر معها .

---

(١) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٤٥٩) من هذا الكتاب .

[تحذير المصنف تتمُّ الشخص من طلب ما لا يمكن دركه]

وقوله: «إياك أن تحبَّ ما لا وصول لك إليه»، كأن يُحبَّ رتبة النبيين عليهم السلام، «أو تعلم ما لا تحقّق له في الآخرة»، كأن تعتقد نجاة المنافقين، فتعذّب بنار الحرمان، وتلقى في غير مكان يقول: والحال أنّك قدْ علمتَ أنّ كل أحد إنما يحشر إلى ما كان من أعماله ونيّاته، فتكون لا إلى قرار، وأن كلّ أحدٍ إنّما يتألم ويلتذّ بما فيه من الآثار، فتكون بعلمك ما لا أصل له إلى بَوار، وهاتان الفقرتان مبنيتانِ على رأيه، كما أشرنا إليه مراراً، من أنّه يذهب إلى أنَّ خيرك وشرّك أنت، وهو كما سمعت، «فصحِّح عقيدتك» بمتابعة أئمة الدين عليهم السلام، «ونوّر قلبك بنور اليقين، وطهر بيتك؛ أي: قلبك للطائفين»؛ أي: للملائكة الطائفين، المستمدين من أنوار أعمالك، وأسرار اعتقاداتك، والملائكة العاكفين، المقيمين بفناء قلبك، الحافّين بعرش ربّك رب العالمين، «فوَلِّ وجه قلبك شطر كعبة المقصود»، بأن تقوم بوظائف سنّة نبيك وآله صلى الله عليه وآله، «وتوجّه بهم إلى ربك ولي الخير والجود»، مجدِّداً للعهد المعهود في أصل التكوين، وتعاهد أمانتك يوم الشاهد والمشهود، فإذا وصلتَ إلى الغاية التي نُدبتَ إليها، أفاض عليك ما وعدك عليها، «فهذا غاية السفر» إلى خير مستقرّ، ونهاية الذهاب إلى جوار ربّ الأرباب، «في عالم النور»، ودار السلام والسرور، وهذا ثمرة التجارة التي لن تبور، حين جنيت الثمر، والعوض الدائم من الوجه الباقي، وحصدت الثمرة الباقية من زرع متاع الوجه الفاني، وذلك كله من فضل الكريم الغفار، ﴿وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾[1].

[قول المصنف تتمُّ: بأن هذا الوصول إلى كعبة المقصود ولقاء المعبود ...إلخ]

قال: «وهذا الوصول إلى كعبة المقصود، ولقاء المعبود، لا يمكن إلّا بالسير

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.

الحثيث، العلمي بقَدم التفكر والنظر، لا بمجرّد حركات البدن، التي لا حاصل لها إلّا متاعب السفر، دون تحصيل الزاد، وأخذ المتاع للمعاد، ولهذا قال ﷺ: (**تفكّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة**)[1]، وقال لخير أمّته، وباب مدينة علمه: (**يا علي إذا تقرّب الناس إلى خالقهم بأنواع البر، تقرّب إليه بأنواع العقل، حتى تسبقهم كلهم**)[2]، فتحدس من هذا أن المقصود من العبادة البدنية، والأوضاع الدينية؛ كالقيام والصيام وغيرهما، إنما هو تصفية القلب، وتهذيب السرّ، بالنية الخالصة فيها، والفكر الباطني من حيث أنها تعبّدٌ للمعبود الحق، قربان للإله المطلق، لا حركة الأركان، ولقلقة اللسان، قال تعالى: ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ**﴾[3]، وقال: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ....**﴾[4]»[5].

[مقصود المصنف ﰁ من الوصول في كلامه]

أقول: يريد أن الوصول لما يشير إليه، لا يمكن إلّا بالاجتهاد، والسير الحثيث لا بقدم الرِجل المعلومة، بل بقدم التفكر والنظر، كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[6]، ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ**﴾[7]، وقال:

---

(١) عوالي اللآلي، ج٢، ص٥٧.

(٢) في ميزان الاعتدال، ج١، ص١٥٧، ح٦٢٥. وسبل الهدى والرشاد، ج١١، ص٢٩٨، باختلاف يسير.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٥) كتاب العرشية، ص١٠٣.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٧) سورة الروم، الآية: ٨.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١)، وقال تعالى: **﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾**(٢)، وقال: **﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾**(٣).

[مراد المصنف ﷺ من مجرد حركات البدن في كلامه]

وقول المصنف: «لا بمجرّد حركات البدن، ...إلخ»، إن أراد به أن مجرد حركات البدن لا فائدة فيها؛ فهو غلط، بل هي عبادة البدن.

وإن أراد أنها عبادة ناقصة، فكما قال؛ لأن العبادة عبادة الباطن وحدها، فهي ناقصة لا توصل إلى دار رضى الله تعالى، وعبادة الظاهر خاصّة ناقصة لا توصل إلى رضوان الله، وعبادة الباطن والظاهر معاً، وهذه إذا وقعت على وفق ما أمر الله كان صحيحة، موصلة إلى رضوان الله والجنّة، قال الصادق عليه السلام على ما رواه الحسن بن سليمان الحلّي، في كتابه مختصر بصائر سعد بن عبد الله الأشعري، ما معناه: (**إنّ قوماً آمنوا بالظاهر، وكفروا بالباطن، فلم يك ينفعهم إيمانهم ذلك شيئاً، ولا إيمان ظاهر إلّا بباطن، ولا باطن إلّا بظاهر**).

[متى تكون عبادة الظاهر والباطن موصلة إلى رضوان الله تعالى والجنة؟]

وقوله: «دون تحصيل الزاد، وأخذ المتاع»، فاعلم أن العبادة الظاهرة الصورية، إذا وقعت مطابقة لصورة الشرع، مع خصوص النية، كانت مجزئة، ويثاب عليها في الآخرة، وربّما كانت سبب دخوله الجنّة.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

وأمّا إذا عرَتْ عن كل باطنٍ، حتّى النيّة فهي باطلـــة ومعاقـــب عليهـــا، والأعمال منها ما حاصله في الدنيا خاصّة؛ كدفع البلايـــا والأمـــراض، وإدرار الأرزاق .

ومنها ما يكون جزاؤه في البرزخ .

ومنها ما يكون جزاؤه في الآخرة، وليس هنا محل تفصيل ذلك .

وأمّا الباطن مع القيام بالوظائف الشرعيّة الظاهرة، كما هو المراد من مدْحِها في الكتاب، فذلك هو مراد الله تعالى من عباده المؤمنين، كما قال ﷺ : **(تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)**[1]، يعني بغير تفكّر .

[المراد من التفكير]

والمراد بالتفكر؛ هو التفكر في آلاء الله وفي عظمته، وفي آثار قدرتـــه، وفي رتب أوليائه، وما نالوا من الفضل بطاعتهم لله، وفي الموت وأحوال القبر، وأهوال يوم القيامة، وفي الجنّة والنار .

وقوله ﷺ لعلي أمير المؤمنين عليه السلام : **(تقرّب إليه بأنواع العقل)**[2]؛ أي : بأنواع دواعيه، من صحة الاعتقاد، وصحة الاعتراف بالتقصير، وصحة التوبـــة، وصحة الاستغفار، وصحة العمل، وصحة التخلّص من هذه الدار، دار الغـــرور، وصحة المعرفة التي هي مِلاك الأمر كلّه .

[في كيفية إصلاح الباطن وتصفيته]

وقول المصنف : «فتحدّس من هذا أن المقصود من العبـــادات ...إلخ»، إنّ المقصود لإصلاح الباطن كما قال، لا أنّ المقصود منها أصلاً وفرعاً، لـــيس إلّـــا ذلك، بحيث يكون لا فائدة فيها لذاتها، بل فيها فوائد لا تحصى لذاتها أيضاً، ولما

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٦٤) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٦٣) من هذا الكتاب .

قال المصنف : «من تصفية الباطن»، كما قال تعالى : (**ما زال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده الذي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكتَ ابتدأته**)[١] .

[عدم الفائدة من العبادة على ظاهر قول المصنف ﷺ]

وقوله : «لا حركة الأركان، ولقلقة اللسان»، فيه ما قلنا، وظاهر كلامه عدم الفائدة فيها لذاتها، ولا بد من توجيهه على ما قلنا، وإلّا لزمه القول بمذهب الإباحيّة، المستدلّين بقوله تعالى : ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾[٢] .

وعلى قولهم لو سلّمنا لهم أن المعنى في الآية ما أرادوا، لم يلزم ترك عبادة الجوارح؛ لأن الجوارح مكلّفة، فلو فرض أنّ قلوبهم مؤمنة، وحاشى لله فأبدانهم وجميع جوارحهم كافرة .

واستدلال المصنف بقوله : ﴿**لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ**﴾[٣]، من باب التأويل، ولا بأس به، وإن كان على خلاف ظاهر الآية، إلّا أنه إن لم يرد نفي ذاتي الظاهر كما قلنا، فإن أراد فبه بأس، وأيّ بأس لأن معنى الآية : ﴿**لَن يَنَالَ**﴾ رضى الله، ولا يوافق محبّته ﴿**لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا**﴾؛ لأنهم كانوا في الجاهلية إذا نحروا الإبل لطّخوا البيت بالدم، فلما حج المسلمون أرادوا مثل ذلك، فنزلت فقال : ﴿**لَن يَنَالَ**﴾ رضى الله ﴿**لُحُومُهَا**﴾ التي تتصدقون بها من حيث هي لحوم، ﴿**وَلَا دِمَاؤُهَا**﴾ التي تهرقونها من حيث أنها دماء أهرقت، ولكن ينال رضى الله تعالى تقوى قلوبكم إذا أهرقتم الدماء تقرباً إليه،

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٦) في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٩٩ .

(٣) سورة الحج، الآية : ٣٧ .

وتصدّقتم لله باللحوم أيضاً طلباً لرضاه وليست على ظاهرها؛ لأنّ الله ﷻ لا يناله شيء لا لحومها ولا دماؤها، ولا تقواهم.

وإنما المعنى وإنما ينال رضاه ما تطلبون به وجهه الكريم كما أمركم.

وكذلك الآية الأخرى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ﴾[1] مجرّد توجّهكم إلى جهة من الجهات، ولكن البرّ طاعة الله فيما أمر، فلا فرق بين الظاهر والباطن، وإنما البرّ معرفة الله على الحقيقة، امتثال أمر الله على كل حالٍ.

[قول المصنف تتنُّ: بأن من أفسد قواطع الدين واكثف سد على طريق السالكين ...إلخ]

قال: «ثم إن أفسد قواطع الدين، واكثف سدٌّ على طريق السالكين، هو إجابة دعوة علماء السوء، وتتبّع آرائهم المضلّة، وآثارهم المعنوية، ولاغترارهم بما يسمّونه علماً وفقهاً وحكمة، اغترار الظمآن بالسراب، عن عين ماء الحيوان، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[2]، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[3]، أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من شرّ الشياطين والمضلّين، ونوّر قلوبنا بأنوار الحكمة واليقين، بحق محمد وآله الطاهرين «سلام الله عليهم أجمعين»»[4].

[مراد المصنف تتنُّ من علماء السوء]

أقول: إلى هنا انتهى كلامه، وأراد بعلماء السوء علماء الظاهر؛ لأنّهم يردّون عليه وعلى أتباعه، ويحكمون بكفرهم، ويحلّلون سفك دمائهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٦.

(٤) كتاب العرشية، ص١٠٤.

وأنا **أقول** : عافانا الله من البلاء، وعجّل اللّه فرج قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، ليكشف هذه المحنة، ويزيل هذه الغمّة عن هذه الأمة، لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله سادات الزمان .

إلى هنا ما أردت كتابته على هذه الرسالة، المسماة بـ«العرشيّة»، التي وضعها في المبدءِ والمعاد، وقع الفراغ منه ومن تسويده، بقلم مؤلّفها العبد المسكين؛ أحمد بن زين الدين، بن إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، المطيرفي الأحسائي، على رأس سبع ساعات ونصف تقريباً، من ليلة الأربعاء، السابع والعشرين من شهر ربيع المولود، سنة السادسة والثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية، على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام، بدار الأمان كرمان شاه، حرسها الله من طوارق الزمان، ونوائب الحدثان، حامداً مصلياً، تائباً مستغفراً .

الفهارس العامة



فهرس الآيات الكريمة



فهرس الروايات الشريفة

فهرس المعصومين عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصطلحات



فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

❁ **القرآن الكريم** .

١- **إجازات الشيخ الأحسائي** تتئُن، للدكتور حسين محفوظ، النجف الأشرف: «١٣٩٠هـ».

٢- **إجازات الشيخ أحمد الأحسائي** تتئُن **للشيخ أسد الله الكاظمي**؛ للدكتور حسين محفوظ، النجف الأشرف : «١٣٩١هـ» .

٣- **إجازات الشيخ حسن كَوهر**؛ لحسن كَوهر، النجف الأشرف : «١٣٨٨هـ» .

٤- **أعيان الشيعة**؛ لمحسن الأمين، دمشق وبيروت : «١٣٥٣ – ١٣٨٢هـ» .

٥- **أنوار الحكمة**؛ للمولى الملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، انتشارات بيدار، الطبعة الأولى : «١٤٢٥ هـ» .

٦- **الأصول الستة عشر**؛ لعدة من المؤلفين، دار الشبستري، قم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٤٠٥هـ» .

٧- **أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين**؛ للعلامة الشيخ علي البلادي البحراني، المتوفى عام : «١٣٤٠هـ»، مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة : «١٤٠٨هـ» .

٨- **الاعتقادات**؛ لأبي عبد الله محمد بن النعمان البغدادي العكبري، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، دار المفيد –قم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٤١٤هـ» .

٩- **أصول الكافي**؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «١٤٠٥هـ» .

١٠- **إقبال الأعمال الحسنة**؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

١١- **أمالي الصدوق**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٠هـ» .

١٢- **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**؛ للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، المتوفى عام : «٨٠٥هـ»، منشورات دار الكتب العلمية، بيرونت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

١٣- **أمالي المفيد**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، دار التيار الجديد، بيروت لبنان . «ب–ت–ط».

١٤- **الاختصاص**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان: «١٤٠٢ هـ».

١٥- **الإفصاح في الإمامة**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ» المعروف بـ«الشيخ المفيد»، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم المقدسة : «١٤١٣ هـ» .

١٦- **الاحتجاج**؛ لأبي منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد: «١٤٠٣ هـ».

١٧- **اختيار معرفة الرجال**؛ للشيخ محمد الطوسي، تصحيح وتعليق : نير داماد الاسترابادي، تحقيق : مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة : «١٤٠٤هـ» .

١٨- **إرشاد القلوب**؛ للحسن بن أبي الحسن الديلمي، المتوفى عام : «٨٤١هـ»، دار الشريف الرضي للنشر، قم المقدسة : «١٤١٢هـ».

١٩- **بشارة المصطفى لشيعة المرتضى**؛ لعماد الدين الطبري، المتوفى عام : «٥٥٣هـ»، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٣هـ» .

٢٠- **بحار الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام: «١١١٠هـ»، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة : «١٤٠٣ هـ» .

٢١- **بصائر الدرجات**، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار؛ المتوفى عام : «٢٩٠هـ»، مؤسسة النعمان، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤١٢هـ» .

٢٢- **البلد الأمين**؛ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، المتوفى عام : «٩٠٥هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٥هـ» .

٢٣- **بحوث في شرح العروة الوثقى**؛ للسيد محمد باقر الصدر، المتوفى عام : «١٣٠٢هـ»، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى : «١٣٩١هـ» .

٢٤- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**؛ للسيوطي، تحقيق : أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٣٩٩هـ» .

٢٥- **تحف العقول**؛ للحسن بن شعبة البحراني، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤٠٤هـ» .

٢٦- **تراجم الرجال**؛ للسيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة : «١٤١٤هـ» .

٢٧- **تلخيص المحصل**؛ للخواجة نصير الدين الطوسي، المتوفى عام : «٦٧٢هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٥هـ» .

٢٨- **تحفة العالم**؛ لجعفر بحر العلوم، النجف الأشرف : «١٣٥٤هـ» .

٢٩- **التحصين**؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحسيني، المتوفى عام : «٦٦٤هـ»، مؤسسة دار الكتاب «الجزائري»، الطبعة الأولى : «١٤١٣هـ» .

٣٠- **تراث كربلاء**؛ لسلمان هادي آل طعمة، النجف الأشرف : «١٣٨٣هـ» .

٣١- **التوحيد**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة : «١٣٩٨هـ» .

٣٢- **التفضيل الجمالي**؛ لشاكر عبد الحميد، الكويت، الطبعة الأولى : «٢٠٠١م» .

٣٣- **تفسير القرآن الكريم**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا»، المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، انتشارات بيدار، قم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٣٦٦ هـ ش» .

٣٤- **تفسير أبي حمزة الثمالي**؛ لأبي حمزة ثابت بن دينار الثمالي، المتوفى عام : «١٤٨هـ»، دفتر نشر الهادي، الطبعة الأولى : «١٤٢٠هـ» .

٣٥- **تفسير البرهان**؛ للعلامة المحدث السيد هاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: «١٤١٩هـ».

٣٦- **تفسير العيّاشي**، للمحدّث الجليل أبي النّصر محمد بن عيَّاش، المتوفى عام : «٣٢٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

٣٧- **تفسير الصافي**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، منشورات مكتبة الصدر، إيران ظهران، الطبعة الثانية : «١٤١٦هـ» .

٣٨- **تفسير مجمع البيان**؛ للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى عام : «٥٠٢ هـ»، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٣٩- **تفسير الإمام الحسن العسكري** عليه السلام؛ منسوب للإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، المتوفى عام : «٢٥٠هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢١هـ» .

٤٠- **تفسير الصراط المستقيم**؛ لعلي بن يونس النباطي البياضي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٤ هـ» .

٤١- **تفسير القمّي**؛ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٢ هـ» .

٤٢- **تأويل الآيات الظاهرة**؛ للسيد شرف الدين الحسيني الأسترابادي، الناشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٠٧هـ» .

٤٣- **تفسير كنــز الدقائق**؛ لميرزا محمد بن محمد رضا إسماعيل بن جمال الدين المشهدي القمــي، المتوفى عام : «١١٢٥هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة : «١٤١٤هـ» .

٤٤- **تفسير نور الثقلين**؛ للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد هاشم رسول المحلاتي، مؤسسة إسماعليان، قم المقدسة، الطبعة الرابعة : «١٤١٢هـ» .

٤٥- **تفسير الدر المنثور**؛ لجلال الديـن السيوطي، المتوفـى عـام : «٩١١هـ»، دار المعرفة، الطبعة الأولى : «١٣٦٥هـ» .

٤٦- **تفسير الثعلبي**؛ للشيخ عبد الرحمان بن محمد الثعلبي، تحقيق : د. عبد الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

٤٧- **تفسير القرطبي**؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المتوفى عام : «٦٧١هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان : «١٤٠٥هـ» .

٤٨- **غريب الحديث**؛ لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى عام : «٢٧٦هـ»، تحقيق : عبد الله الجبوري، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى : «١٤٠٨هـ» .

٤٩- **تاج العروس**؛ لمحمد مرتضى الزبيدي، المتوفى عام : «١٢٠٥هـ»، مكتبة الحياة، بـيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٥٠- **تهذيب الأحكام**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسـن الطوسـي، المتوفـى عـام : «٣٨٥هـ»، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران : «١٣٦٥هـ ش» .

٥١- **تهافت الفلاسفة**؛ لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، المكتبة العصـرية، بيروت لبنان : «١٤٢٥هـ» .

٥٢- **التحقيق في مدرسة الأوحد**؛ لآية الله العظمى خادم الشريعة الغراء المولى ميرزا عبد الرسول الحائري الإحقاقي تتْنُ، المتوفى عام : «١٤٢٤هـ» .

٥٣- **تنـزيه الأنبياء** عليهم السلام؛ لأبي القاسم علي بن الحسين الموسـوي، المشـهور ب«الشـريف الرضي»، المتوفى عام : «٤٣٦هـ»، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٣٧٦هـ» .

٥٤- **تاريخ الفلسفة اليونانية**؛ د. محمد عبد الرحمان مرحبا، مؤسسة عز الدين، بيروت لبنـان، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ» .

٥٥- **ثواب الأعمال**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، دار الشريف الرضي للنشر، قم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٣٦٨ هـ ش» .

٥٦- **الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة**؛ منشورات مصطفوي، قم المقدسة : «١٣٧٨هـ» .

٥٧- **حلية الأبرار**؛ للعلامة المحدث الخبير السيد هاشم البحراني، المتوفى عام : «١١٠٧هـ»، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

٥٨- **الخطبة اليتيمة**؛ محفوظة في المكتبة الوطنية في طهران، ضمن مجموعة رسائل رقم «٧٥٥م» .

٥٩- **الخصال**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«بالشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠هـ» .

٦٠- **الخرائج والجرائح**؛ للفقيه المحدث والمفسر الكبير قطب الدين الراوندي؛ المتوفى عام : «٥٧٣هـ»، مؤسسة النور للمطبوعات، تبيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤١١هـ» .

٦١- **خصائص الأئمة** عليهم السلام؛ للشريف الرضي، المتوفى عام : «٤٠٦هـ»، تحقيق : د محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد : «١٤٠٦هـ» .

٦٢- **جوامع الكلم**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» . «مخطوط» .

٦٣- **جامع البيان**؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفى عام : «٣١٠هـ»، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت لبنان : «١٤١٥هـ» .

٦٤- **الجواهر السنية**؛ لمحمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، الناشر : مكتبة المفيد، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .

٦٥- **جمال الإسبوع**؛ للسيد علي بن طاووس الحلي، دار الرضي للنشر، قم المقدسة : «ب-ت-ط» .

٦٦- **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**؛ للسيد حيدر الآملي، تصحيح هنري كربين، وعثمان إسماعيل يحيى، شركة انتشارات علمي، إيران : «١٣٦٨هـ» .

٦٧- **نظم درر السمطين**؛ لجمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني، المتوفى عام : «٧٥٠هـ»، من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة، الطبعة الأولى : «١٣٧٧هـ» .

٦٨- **ديوان الشيخ الأوحد الأحسائي** قدس سره؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٦٩- **دلائل الإمامة**؛ لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، المتوفى عام : «٣٥٨هـ»، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٧٠- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**؛ للآغا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية . «ب-ت-ط» .

٧١- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**؛ للشيخ محمد باقر الخنساري، طهران إيران : «١٣٠٦هـ» .

٧٢- **روضة الواعظين**؛ لمحمد بن الحسن الفتال، المتوفى عام : «٥٠٨هـ»، الناشر دار الرضي، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .

٧٣- **ريحانة الأدب**؛ لمحمد علي المدرس : «١٣٦٤هـ» .

٧٤- **رياض العلماء**؛ للميرزا عبد الله أفندي الأصبهاني، تحقيق : السيد أحمد الحسيني، باهتمام السيد محمود المرعشي، مطبعة الخيام، قم المقدسة : «١٤٠١هـ» .

٧٥- **رسالة ترجمة الشيخ علي نقي** ﷺ؛ لآية الله الميرزا علي الحائري الأسكوئي ﷺ، المتوفى عام : «١٣٨٦هـ»، كربلاء : «١٣٧٣هـ» .

٧٦- **زاد المسير**؛ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي، المتوفى عام : «٥٩٧هـ»، تحقيق : محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٧هـ» .

٧٧- **السرائر**؛ لابن إدريس الحلي، المتوفى عام : «٥٩٨هـ»، جامعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٤١٠هـ» .

٧٨- **سير أعلام النبلاء**؛ للشيخ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : شعيب الأناؤوط، ومحمد نعيم العر سوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٣هـ» .

٧٩- **سبل الهدى والرشاد**؛ لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى عام : «٩٤٢هـ»، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ» .

٨٠- **سيرة الشيخ أحمد الأحسائي** ﷺ؛ للشيخ أحمد الأحسائي ﷺ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» . «ب-ت-ط» .

٨١- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ الشيخ عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٨٢- **شرح بداية الحكمة**؛ للشيخ محمد صالح الأوالي البارباري، شركة المصطفى -بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ -١٩٩٤م» .

٨٣- **شرح الأربعين**؛ للقاضي سعيد القمي، تصحيح وتعليق : د. نجفقلي حبيبي، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة، طهران إيران، الطبعة الأولى : «١٤١٢هـ» .

٨٤- **الشواهد الربوبية**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٣٦٠ هـ ش» .

٨٥- **نوادر الأخبار**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، طهران : «١٣٧١ هـ ش» .

٨٦- **شرح الأسماء الحسنى**؛ للحاج ملا مهدي السبزواري، المتوفى عام : «١٢٠٠هـ»، الناشر : مكتبة بصيرتي . «ب-ت-ط» .

٨٧- **شرح الإشارات**؛ لعلي بن الحسين بن سينا .

٨٨- **شرح نهج البلاغة**؛ لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية : «١٣٨٥هـ» .

٨٩- **شرح القصيدة**؛ للسيد كاظم الحسيني الرشتي، المتوفى عام : «١٢٥٩هـ»، «مخطوط» .

٩٠- **شرح العرشية**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تَتَّئُ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»، كرمان، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى . «ب-ت-ط» .

٩١- **شرح المشاعر**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تَتَّئُ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»، كرمان، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى . «ب-ت-ط» .

٩٢- **شرح الفوائد**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تَتَّئُ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» . «مخطوط» .

٩٣- **شرح الزيارة الجامعة الكبيرة**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي تَتَّئُ، المتوفى عام : «١٢٤١هـ»، كرمان، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى . «ب-ت-ط» . ومكتبة العذراء، دولة الكويت، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٩٤- **شرح أصول الكافي**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا» المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، تصحيح : محمد خواجوي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات، طهران : «١٣٦٦هـ» .

٩٥- **صحيفة الأبرار**؛ تقي المامقاني، تبريز : «١٣٨٨هـ» .

٩٦- **الصحيفة السجادية**؛ للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، المتوفى عام : «٩٥هـ»، نشر الهادين قم المقدسة : «١٣٧٦» .

٩٧- **صحيح مسلم**؛ لمسلم ابن الحجاج النيسابوري، المتوفى عام : «٤٦١هـ»، دار الفكر، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٩٨- **الصحاح**؛ لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المتوفى عام : «٧٢١هـ» .

٩٩- **طبقات الفقهاء**؛ للشيخ إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق : خليل الميس، دار القلم، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

١٠٠- **طبقات الشافعية الكبرى**؛ لليخ عبد الوهاب بن علي السكبي، تحقيق : د. عبد الفتاح الحلو، و د. محمود الطناحي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة مصر، الطبعة الثانية: «١٩٩٢م».

١٠١- **طبقات أعلام الشيعة**؛ لآغا بزرك الطهراني، النجف الأشرف : «١٣٧٣هـ» .

١٠٢- **عوالي اللآلي**، لابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى في : «القرن العاشر»، دار سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

١٠٣- **عيون أخبار الرضا** عليه السلام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، عام : «٣٨١هـ»، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٣٧٨ ق» .

١٠٤- **عجائب عالم الملكوت**؛ لعبد الله بن محمد بن عباس الزاهد، مؤسسة المحجة البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة : «١٤٢١هـ» .

١٠٥- **علل الشرائع**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٨هـ» .

١٠٦- **عيون الحكم والمواعظ**؛ لعلي محمد الليثي الواسطي، المتوفى في : «القرن السادس الهجري»، تحقيق : الشيخ حسين الحسني، دار الحديث : «١٣٧٦ ش» .

١٠٧- **العمدة**؛ لابن البطريق الحلي، المتوفى عام : «٦٠٠هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي -قم المقدسة : «١٤٠٧هـ» .

١٠٨- **الغارات**؛ لإبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، المتوفى عام : «٢٨٣هـ»، تحقيق : السيد جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن .

١٠٩- **فلاسفة الشيعة**؛ للسيد عبد الله نعمة .

١١٠- **فروع الكافي**؛ لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى عام : «٣٢٨هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

١١١- **فهرست تصانيف كتب الشيخ أحمد الأحسائي** قدس سره، للشيخ أبي القاسم الإبراهيمي، كرمان : «١٣٦٧هـ» .

١١٢- **فتح الغدير**؛ لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، المتوفى عام : «١٢٥٠هـ»، مطبعة عالم الكتب .

١١٣- **فصوص الحكم**؛ لأبي عبد الله محمد المعروف بـ«ابن عربي»، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية : «١٤٠٠هـ» .

١١٤- **الفتوحات المكية**؛ لأبي عبد الله محمد المعروف بـ«ابن عربي»، دار الفكر : «١٤١٤هـ».

١١٥- **فضائل الشيعة**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، «المشهور بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، كانون انتشارات عابدي، طهران .

١١٦- **الفصول المهمة في أصول الأئمة**؛ للحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، تحقيق : محمد بن محمد حسين، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

١١٧- **الفوائد الروضوية**؛ للشيخ عباس القمي، طهران : «١٣٦٧هـ» .

١١٨- **قرة العيون في المعارف والحكم**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، دار البلاغة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٩هـ» .

١١٩- **قصص العلماء**، لمحمد التنكابني، طهران : «١٣١٩هـ» .

١٢٠- **قصص الأنبياء للراوندي**؛ لقطب الدين الراوندي، المتوفي : «٥٧٣هـ»، تحقيق : السيد غلام رضا عرفانيات، دار الهادي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ» .

١٢١- **قصص الأنبياء** عليهم السلام؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢ هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٣ هـ» .

١٢٢- **القاموس المحيط**؛ لمحمد بن يعقوب، المعروف بالفيروز آبادي .

١٢٣- **كمال الدين وتمام النعمة**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٢هـ» .

١٢٤- **كفاية الأثر**؛ لعلي بن محمد الخزاز القمي، المتوفى في القرن : «الرابع الهجري»، دار بيدار للنشر، قم المقدسة : «١٤٠١هـ» .

١٢٥- **كشف الظنون**؛ لحاجي خليفة، المتوفى عام : «١٠٦٧هـ»، دار إحياء التراث العربي . «ب-ت-ط» .

١٢٦- **كشف الخفاء**؛ لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى عام : «١١٦٢هـ»، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

١٢٧- **كتاب الخلاف**؛ لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٤٦٠هـ»، تحقيق : سيد علي الخرساني، وسيد جواد شهرستاني، وشيخ محمد مهدي نجف، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

١٢٨- **كتاب المؤمن**؛ للحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام في الحوزة العلمية، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٠٤هـ» .

١٢٩- **كتاب الطهارة**؛ للسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، المتوفى عام : «١٤١٣هـ»، دار الهادي، قم المقدسة، الطبعة الثالثة : «١٤١٠هـ» .

١٣٠- **كتاب الوافي**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، منشورات مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة : «١٤٠٤ ق» .

١٣١- **كتاب العرشية**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا»، المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: «١٤٢٠هـ».

١٣٢- **كتاب العين**؛ لأبي عبدالرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، المتوفى عام : «١٧٥هـ»، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية : «١٤٠٩هـ» .

١٣٣- **كنز العمال**؛ للمنتقى الهندي، المتوفى عام : «٩٧٥هـ» .

١٣٤- **كتاب المشاعر**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا»، المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: «١٤٢٠هـ».

١٣٥- **كلمة أزهزار**؛ لمعتمد الإسلام الكندجاني، تبريز : «١٣٨٦هـ» .

١٣٦- **الكنى والألقاب**؛ للشيخ عباس القمي، تقديم : محمد هادي الأميني، منشورات مكتبة الصدر، طهران إيران، الطبعة الخامسة : «١٤٠٩هـ» .

١٣٧- **الكلمات المكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان : «١٤٢٦ هـ» .

١٣٨- **لؤلؤة البحرين**؛ للشيخ يوسف بن أحمد البحراني، تحقيق وتعليق : السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٦هـ» .

١٣٩- **لسان الميزان**؛ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى عام : «٨٥٢هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٣٩٠هـ» .

١٤٠- **لسان العرب**، للعلامة ابن منظور، نشر أدب الحوزة- قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

١٤١- **المعجم الوسيط**؛ لمجموعة من المحققين .

١٤٢- **المعجم الفلسفي**؛ للدكتور جميل صليبيا، الشركة العالمية للكتاب -بيروت لبنان: «١٤١٤هـ -١٩٩٤م» .

١٤٣- **المعجم المعين**؛ لأبي عبد الرحمان بن أحمد الفراهيدي، المتوفى عام : «١٧٥هـ»، تحقيق : د. مهدي المخزومي، وإبراهينم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية : «١٤٠٩هـ» .

١٤٤- **مباحث الإلهيات عند ابن سينا**؛ للدكتور أحمد بهشتي، ترجمة حبيب فياض، دار الهادي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

١٤٥- **المحتضر**؛ لحسن بن سليمان الحلي، المتوفى في : «القرن الرابع الهجري»، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى : «١٣٧٠هـ» .

١٤٦- **مسند زيد بن علي**؛ لزيد بن علي عليه السلام، المتوفى عام : «١٢٢هـ»، تحقيق : أحد علماء الزيديين، دار الحياة، بيروت لبنان . »ب-ت-ط» .

١٤٧- **مسند الشهاب**؛ لمحمد بن سلامة القضاعي، المتوفى عام : «٤٥٤هـ»، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٥هـ» .

١٤٨- **مستدرك سفينة البحار**؛ للشيخ علي النمازي الشاهرودي، المتوفى عام : «١٤٠٥هـ»، تحقيق : الشيخ حسن بن جمعة النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤١٩هـ» .

١٤٩- **مجمع الزوائد**؛ لنور الدين الهيثمي، المتوفى عام : «٨٠٧هـ»، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان : «١٤٠٨هـ» .

١٥٠- **ميزان الاعتدال**؛ للذهبي، المتوفى عام : «٧٤٨هـ»، تحقيق : علي محمد الجباوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : ١٣٨٢هـ» .

١٥١- **مسند أحمد**؛ للإمام أحمد بن حنبل، المتوفى عام : «٢٤١هـ»، دار صادر، بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

١٥٢- **معجم لغة الفقهاء**؛ لمحمد قلعجي .

١٥٣- **من لا يحضره الفقيه**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»،

١٥٤- **المبدأ والمعاد**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا»، المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، وتقديم وتصحيح : السيد جلال الدين الأشتياني، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي، إيران طهران : الطبعة الثالثة : ١٤٢٢هـ» .

١٥٥- **مستدرك الوسائل**؛ للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام : «١٣٢٠ أو ١٣٣٠هـ»، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨ هـ» .

١٥٦- **مشارق أنوار اليقين**؛ للحافظ رجب البرسي .
١٥٧- **مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين** عليه السلام؛ لمحمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان، المتوفى عام : «٤١٢هـ»، الناشر : مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى المحققة : «١٤٠٧هـ ق» .
١٥٨- **معاني الأخبار**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «المشهور بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠ هـ» .
١٥٩- **الملل والنحل**؛ لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، المتوفى عام : «٥٤٨هـ»، دار مكتبة المتنبي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٩٩٢م»، ودار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان : «١٩٩٨م» .
١٦٠- **المنجد في الأعلام**؛ انتشارات إسماعليان، الطبعة السادسة والعشرين : «١٩٩٢م» .
١٦١- **المنجد في اللغة**؛ دار المشرق -بيروت لبنان، الطبعة الثالثة والثلاثون : «١٩٩٤م» .
١٦٢- **مناقب آل أبي طالب**؛ محمد بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام : «٥٥٨هـ»، دار الأضواء، بيروت لبنان : «١٤٠٥هـ» .
١٦٣- **مكارم الآثار ودرر أحوال دولة قاجار**؛ لمحمد علي المعلم، أصفهان : «١٣٧٧هـ» .
١٦٤- **ماضي النجف وحاضرها**؛ لجعفر آل محبوبة، النجف الأشرف : «١٣٧٤هـ» .
١٦٥- **مجموعة رسائل فلسفية**؛ لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، الملقب بـ«ملا صدرا»، المتوفى عام : «١٠٥٠هـ»، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٢هـ»
١٦٦- **مدينة المعاجز**؛ للسيد هاشم البحراني، المتوفى عام : «١١٠٧هـ»، تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى : «١٤١٣ ق» .
١٦٧- **مختصر بصائر الدرجات**؛ للشيخ عز الدين الحسن بن سليمان الحلي، المتوفى في القرن : «التاسع الهجري»، تحقيق : مشتاق المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٢١هـ ق» .
١٦٨- **المحاسن**؛ لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفى عام : «٢٧٤هـ»، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة : «١٣٧١هـ» .
١٦٩- **مجمع البحرين**؛ للشيخ عز الدين الطريحي، المتوفى عام : «١٠٨٥هـ» .
١٧٠- **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**؛ لمصطفى عبد الكريم الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٦هـ» .

١٧١- **معجم الفرق الإسلامية**؛ للسيد يحيى شريف الأمين، دار الأضواء –بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٦هـ» .

١٧٢- **معجم الكلام**؛ لآية الله السيد محمد الحسيني الميلاني، انتشارات تابان، «١٤١٧هـ» .

١٧٣- **معجم البلدان**؛ لياقوت الحموي، المتوفى عام : «٦٢٦هـ» .

١٧٤- **مفاتيح الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد آل أبي خمسين، المتوفى عام : «١٣١٦هـ»، تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران، توزيع دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

١٧٥- **مصباح المتهجد**؛ لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٤٦٠هـ»، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى المصححة : «١٤١٨هـ» .

١٧٦- **مصباح الكفعمي**؛ لإبراهيم بن علي الكفعمي، دار الرضي «الزاهدي»، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

١٧٧- **مشكاة الأنوار**؛ لعلي بن الحسن الطبرسي، المتوفى في القرن : «السابع الهجري»، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٥هـ» .

١٧٨- **محبوب القلوب**؛ للشيخ محمد بن علي الأشكوري الديلمي، وتقديم وتصحيح : د. إبراهيم الديباجي، و د. حامد صدقي، مرآة التراث، طهران إيران، الطبعة الأولى : «١٤٢٠هـ».

١٧٩- **من الفلسفة اليونانية**؛ د. محمد عبد الرحمان مرحبا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان : «١٤٢٠هـ» .

١٨٠- **مهج الدعوات ومنهج العبادات،** لأبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسيني، المتوفى عام : «٦٦٤هـ» .تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٤هـ» .

١٨١- **متشابه القرآن**؛ للشيخ محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام : «٥٨٨ هـ»، دار بيدار للنشر : «١٣٦٩هـ» .

١٨٢- **كتاب المزار**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المعروف بـ«بالشيخ المفيد»، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم المقدسة : «١٤١٣هـ» .

١٨٣- **مفتاح الفلاح**؛ للشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي، المعروف بـ«الشيخ البهائي»، المتوفى عام : «١٠٣١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

١٨٤- **مصباح الشريعة**؛ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المتوفى عام : «١٤٨هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «١٤٠٠هـ» .

١٨٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ لمبارك بن محمد الجزري ابن الأثـير، المتـوفى عـام : «٦٠٦هـ»، المكتبة العالمية -بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

١٨٦- **نور البراهين**؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيـق : السـيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

١٨٧- **نجوم السماء**؛ لمحمد علي الكشميري، «١٣٠٣هـ» .

١٨٨- **نهج البلاغة**؛ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المتوفى عام : «٤٠ هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي . «ب-ت-ط» .

١٨٩- **نهج الحق وكشف الصدق**؛ للإمام الحسن بن يوسف المطهـر الحلـي، المتـوفى عـام : «٧٢٦هـ»، مؤسسة الهجرة، قم المقدسة : «١٤٠٧هـ» .

١٩٠- **النهـاية فـي الفتن والملاحم**؛ للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، المتوفى عام : «٧٧٤هـ»، منشورات دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٣هـ».

١٩١- **وسائل الشيعة**؛ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٣هـ» .

١٩٢- **ينابيع المودة لذوي القربي**؛ للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى عـام : «١٢٩٤هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «١٤١٨هـ» .

١٩٣- **التخويف من النار**؛ لأبي الفرج عبد الرحمان بن أحمد بن رجب الحنبلي، المتـوفى عـام : «٧٩٥هـ»، مكتبة دار البيان، دمشق سوريا، الطبعة الأولى : «١٣٩٩هـ» .

١٩٤- **التحفة السنة**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفـيض الكاشـاني»، المتـوفى عـام : «١٠٩١هـ»، شرح السيد عبد الله الجزائري .

فهرس المواضيع العامة

القاعدة السادسة

من الإشراق الثالث في المشرق الثاني

القاعدة السابعة

من الإشراق الثالث في المشرق الثاني

القاعدة العاشرة

من الإشراق الثالث في المشرق الثاني

القاعدة الحادية عشر

من الإشراق الثالث في المشرق الثاني

من أعمال المحقق

١) السلوك إلى الله ﷻ .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٥هـ» .

٢) مسائل حكمية «أجوبة مسائل الشيخ محمد القطيفي» .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٤هـ».

٣) أسرار أسماء المعصومين عليهم السلام .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى: «١٤٢٣هـ». والثانية: «١٤٢٤هـ». والثالثة : «١٤٢٦هـ».

٤) خصائص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والبضعة الطاهرة عليها السلام .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» . والثانية : «١٤٢٦هـ» .

٥) العصمة «بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام» .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٦) أحوال البرزخ والآخرة .

برؤية : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٤هـ» . والثالثة : «١٤٢٥هـ» .

٧) الأربعون حديثاً .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ» .

٨) أسرار العبادات .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ»، والثالثة : «١٤٢٦هـ» .

٩) **القضاء والقدر .**

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٦هـ» .

١٠) **شرح العرشية .**

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٦هـ» .

إصدارات قادمة

سبع مسائل

في الحكمة الإلهية

من تأليف شيخ المتألهين

أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

تفسير

الرؤيا والمنام

من مؤلفات

الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

والسيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره


بسم الله الرحمن الرحيم